

الإسلام في الغرب

الأقليات المسلمة في الغرب

قضايا فقهية وهموم ثقافية

د. صلاح عبد الرزاق

المؤلف هادي
السلامة، ٤١٦١٤
السؤال ١
السلامة



الإهداء

إلى أمل المستضعفين في الأرض، إلى من تتحقق العدالة ويعم الخير ببركته في الارض، إلى منقذ الإنسانية من الظلم والجور والعدوان، إلى رافع راية الحق في دنيا الإسلام الحنيف، إلى من يعيد شريعة جده الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم، إلى إمام زماننا وقرّة عيوننا وأمل نفوسنا أرفع إلى مقامه الكريم هذا المجهود المتواضع بين يديه راجياً أن أحظى بالقبول من عليه السلام

الإسلام في الغرب

الأقليات المسلمة في الغرب

قضايا فقهية وهموم ثقافية

الدكتور صلاح عبد الرزاق

٢٠٠٥

المحتويات

١١	المقدمة
١٥	الفصل الأول: فقه الأقليات المسلمة في الغرب
١٧	تعريف
١٧	ما المقصود بفقه الأقليات
١٨	خصوصيات فقه الأقليات المسلمة
٢١	فهم المجتمع الذي تعيش فيه الأقليات المسلمة
٢٢	الحاجة إلى فقه الأقليات المسلمة
٢٤	الأقليات المسلمة في العالم
٢٤	منشأ الأقلية المسلمة
٢٥	مسلمو أوروبا
٢٧	الفصل الثاني: قضايا فقهية في الغرب
٢٩	شرعية الهجرة واللجوء إلى الدول الغربية
٢٩	البداية، الهجرة إلى الحبشة
٣١	الهجرة طريق الأنبياء والشوار
٣٢	الحكم الشرعي في اللجوء إلى الغرب
٣٤	مفهوم التعرّب بعد الهجرة
٣٥	الهجرة بين الوجوب والتحريم
٣٦	جواز الإقامة في الدول غير المسلمة
٣٦	دار الإسلام
٣٧	دار الحرب
٣٧	التوصيف الشرعي للبلدان الغربية
٣٩	دار العهد
٤١	الغرب دار إسلام
٤١	الأساس الشرعي للإقامة في الغرب
٤٢	القانون الدولي واللجوء السياسي
٤٣	طاعة القوانين الغربية

٤٥ شرعية اكتساب الجنسية الغربية
٥٢ الحصول على جواز سفر غربي
٥٥ شرعية الانتماء للأحزاب السياسية الغربية
٦٥ العمل في المطاعم والمحلات والبنوك الغربية
٦٨ مشروعية العمل في المؤسسات والجيش والشرطة الغربية
٧١ عمل المسلمين في المؤسسات الأمنية الغربية
٧٥ موقف العسكريين المسلمين الأمريكيين من حرب أفغانستان
٧٨ شرعية التقاضي عند المحاكم الغربية
٨٢ حرمة الاعتداء على المجتمعات الغربية
٨٧ قتل الرحمة: سلوك غير إنساني
٨٩ حرمة زواج المسلمة بغير المسلم
٩٢ الديانات السماوية وتحريم الشذوذ الجنسي
٩٦ المقبرة الإسلامية في الغرب

١٠١ الفصل الثالث: مشكلات الهجرة في الغرب
١٠٣ مشكلات اللغة الجديدة
١٠٧ تغير العادات والتقاليد
١٠٩ صراع الهوية
١١٧ العمل والبطالة
١٢١ الأمراض النفسية والاجتماعية في الهجرة
١٢٥ اندماج المسلمين في المجتمع الغربي
١٢٩ العلاقة بين الجالية العراقية والحكومة الهولندية
١٣٣ العراقيون والاندماج في المجتمع الهولندي
١٤٣ الجالية العراقية في هولندا: مثقفة لكنها منعزلة
١٤٥ مجتمع مدني إسلامي في بلاد الغرب

١٥٣ الفصل الرابع: قضايا ثقافية
١٥٥ مواقف المسلمين المهاجرين من الثقافة الغربية
١٦٣ تطوير ثقافة المسلم في الغرب
١٦٧ المسلمون في الغرب وخطورة الاتهام بمعاداة السامية

١٧١	حوار ثقافي بين مسلمين وغربيين
١٧٥	الإسلام وحرية التعبير في الغرب
١٨٣	تطور الفكر الإسلامي في البيئة الغربية
١٨٦	الإسلام والمواطنة في الدول الغربية
١٩٣	تأسيس حزب إسلامي أن الانتفاء للأحزاب السياسية الغربية
١٩٧	دعوة لتأسيس حزب إسلامي في هولندا
١٩٩	المسلمون في الغرب والانتخابات البريطانية والأمريكية
٢٠٢	الزواج بين الإسلام والغرب
٢٠٥	الزواج بالأجنبيات: ما له وما عليه

٢٠٩	الفصل الخامس: قضايا إعلامية
٢١١	آثار اعتداءات ١١ سبتمبر على المسلمين في الغرب
٢١٧	رفض النمطية الإعلامية التي تربط الإسلام بالإرهاب
٢٢٥	بعد الحجاب معركة النقاب تتفاعل في هولندا
٢٢٩	ختان البنات يشغل الحكومة الهولندية
٢٣٣	المسلمون يعانون التمييز الإثني
٢٣٧	أصوات معادية للإسلام والمسلمين
٢٤١	الإعلام يمارس دوراً تحريضياً ضد المسلمين
٢٤٥	المسلمون في أمريكا بعد أحداث ١١ سبتمبر
٢٤٩	أسطورة موضوعية الإعلام الغربي
٢٥٣	المسلمون في الغرب ومخاطبة الرأي العام الغربي
٢٥٧	هل تبقى الجالية المسلمة كبش فداء؟
٢٦١	الهجوم على الإسلام: إعلام مترصد تساعده أخطاء المسلمين
٢٦٥	تصريحات إمام مسجد حول الشذوذ الجنسي تثير ضجة
٢٦٩	جدل إعلامي حول ضرب المرأة
٢٧٧	أيان حرزي: صومالية تبحث عن الشهرة عبر مهاجمة الإسلام
٢٨١	المطبوعات الإسلامية في هولندا
٢٨٥	قراءة في كتاب فورتاون (حطام ثمان سنوات)
٢٩٥	قراءة في كتاب فورتاون (ضد أسلمة ثقافتنا)
٢٩٩	مسلمون لا محمديون

- مسلمو هولندا يوقفون مسرحية تسيء لزوجة الرسول وابنته ٣٠١
الحكمة في أسلوب مواجهة الإساءة للإسلام ٣٠٥
مصطلح الجهاد ذو مضامين سلمية كثيرة ٣٠٧

- الفصل السادس: قضايا تربوية ٣٠٩
(الزواج فريند): حل يناسب الشباب المسلم في الغرب ٣١١
مشاكل الشباب المسلم في الغرب ٣٢١
تعليم الأئمة في هولندا ٣٢٥
مشاكل تربية الأطفال في الغرب ٣٢٧
المدارس الإسلامية في المهجر تجربة رائدة ٣٣٨
(المدارس السوداء) عفوية أم مقصودة؟ ٣٤٢
أصوات يمينية ضد المدارس الإسلامية ٣٤٤

الفصل السابع: الدعوة إلى الإسلام

- الدعوة إلى الإسلام في الغرب ٣٤٥
ما الذي يجذبهم في الإسلام ٣٥٢
حسن الخلق واعتناق الإسلام ٣٥٦
المسلمون الجدد: دراسة عن اعتناق الإسلام في هولندا وبلجيكا ٣٥٩
(سيف الله): قصة قس هولندي اعتنق الإسلام ٣٦٣
(دانيال) التي أصبحت (إيمان) ٣٧١
الهولنديون والإسلام في القرن السابع عشر ٣٧٥
لمحة تاريخية عن اعتناق الإنكليز الإسلام ٣٧٩
المسلمون الإنكليز بين السياسة والتصوف ٣٨٧
المنبر الإسلامي في الغرب: تجربة من ألمانيا ٤٠٢
تطوير الشعائر الحسينية في الغرب ٤٠٦
مستقبل الدعوة الإسلامية في الغرب ٤٠٨
حملات التنصير بين اللاجئيين المسلمين ٤١٠
لماذا يكره الغربيون الإسلام ٤١٤
أساقفة إيطاليا يدعون إلى تنصير المسلمين في أوروبا ٤١٨

٤٢١	ملحق: الهجرة تأصيل فقهي
٤٢٢	فقه الأقليات
٤٢٤	الجنسية ومتعلقاتها
٤٢٥	الإقامة
٤٢٦	الولاء للحاكم غير المسلم
٤٢٧	الخضوع لقوانين الحكومات غير المسلمة
٤٢٨	الرجوع للقاء غير الإسلامي
٤٢٨	العمل في حكومة غير المسلم
٤٢٩	حدود العلاقة مع غير المسلم
٤٣١	أخلاقية التعامل مع المؤسسات الغربية
٤٣٣	ارتفاع معدلات الجرائم بين المسلمين
٤٣٤	العلاقات مع المؤسسات المسيحية
٤٣٦	الانتماء إلى الأحزاب السياسية
٤٣٨	التبرع بالمعلومات للمؤسسات الغربية
٤٣٩	تقديم التنازلات
٤٣٩	التساهل في تعاطي المحرمات
٤٤٠	الحوم حول الشبهات
٤٤٠	مستوى الانفتاح على غير المسلمين
٤٤٤	المحاضن الإسلامية
٤٤٥	مراقبة الغربيين لسلوك المسلمين
٤٤٦	الطلاق والطلاق الصوري في المحاكم الغربية

سيرة المؤلف

- مواليد عام ١٩٥٤ ، متزوج وله ثلاثة أبناء.
- درس في مدرسة الزهاوي الابتدائية ومتوسطة المأمون الرسمية وإعدادية المأمون للبنين.
- خريج كلية الهندسة - القسم المدني عام ١٩٧٦ ، ثم عمل فيها معيداً فيها عدة سنوات.
- بسبب ملاحقة النظام غادر العراق عام ١٩٨٠ ثم استقر في هولندا.
- أكمل دراسة الماجستير في القانون الدولي الإسلامي عام ١٩٩٧ من جامعة لايدن.
- عام ٢٠٠٢ قدم رسالة الدكتوراه عن أطروحته (المفكرون الغربيون المسلمون)
- بعد سقوط النظام عاد إلى بغداد عام ٢٠٠٣ .
- انتخب عضو مجلس محافظة بغداد في انتخابات ٢٠٠٥ وترأس لجنة العلاقات وعضوية اللجنة القانونية.
- في انتخابات مجالس المحافظات في ٣١/١/٢٠٠٩ حصل على أعلى الأصوات في بغداد (٤٥٠٠٠ صوت).
- بتاريخ ١٢/٤/٢٠٠٩ انتخب محافظاً لبغداد من قبل مجلس المحافظة حيث حصل على ٥٤ صوتاً من مجموع ٥٧ صوتاً.
- شارك في العديد من المؤتمرات الإسلامية والأكاديمية والسياسية داخل وخارج العراق.
- نشرت له العديد من الدراسات والمقالات في مجلات ودوريات وصحف ومواقع إلكترونية.
- تستضيفه القنوات التلفزيونية والإذاعات والصحف في المجالات السياسية والفكرية.
- عضو لجان مناقشة رسائل جامعية (ماجستير ودكتوراه) في الجامعات العراقية.
- صدرت له كتب عديدة:
- العالم الإسلامي والغرب.
- المفكرون الغربيون المسلمون
- الأقليات المسلمة في الغرب
- الإسلاميون والديمقراطية.
- الإسلاميون والقضية الفلسطينية
- الدستور والبرلمان في الفكر السياسي الإسلامي
- الإسلام في أوروبا
- اعتناق الإسلام في الغرب
- الإسلام السياسي والدولة الإسلامية المعاصرة
- الصدر الثاني: مرجع أمة
- مشاريع إزالة التمييز الطائفي في العراق
- مقدمة في الإعلام الإسلامي

مقدمة

أدت هجرة المسلمين في أصقاع الأرض إلى نشوء أوضاع اجتماعية وثقافية جديدة في البلدان التي هاجروا إليها واستقروا فيها، كما نتجت عنها مشكلات لم تكن معروفة من قبل. هذه الحالة من وجود الأقليات المسلمة في محيط غير إسلامي أوجد حاجة لأهمية معالجة هذه المشكلات شرعياً وفقهياً. إذ بات على الفقهاء المسلمين الاستجابة السريعة والواعية لهذا الواقع الجديد، واضعين بنظر الاعتبار أهدافاً استراتيجية هي:

أولاً: معالجة المشكلات بشكل تنسجم الحلول مع الواقع الغربي بكل جوانبه الثقافية والقانونية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية.

ثانياً: المحافظة على الهوية الإسلامية، والقيم والأخلاق والأحكام التي تشكل مرتكزات هامة في العقيدة والشريعة الإسلامية.

ثالثاً: إبراز الدور الحضاري للرسالة الإسلامية وأنها تمتلك من المرونة والفاعلية على التكيف والتعايش مع مختلف الثقافات والحضارات. وأنها كما تفاعلت مع ثقافات شعوب آسيا وأفريقيا، فهي بالتأكيد قادرة على التكيف مع الحضارة الغربية.

رابعاً: أن الإسلام لم يفقد ديناميكية الدعوة وتأثيره الكبير في الشخصية الإنسانية الواعية، والراغبة في العيش في ظل الإيمان والتوحيد والسلام والطمأنينة.

خامساً: أن تلعب الأقليات المسلمة في الغرب دوراً مؤثراً في المجتمعات الغربية، وأن تساهم في الحياة العامة وخاصة في المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية.

منهج الدراسة

هناك مجموعة من الحقائق التي تتعلق بمنهج الدراسة، ونجد من اللازم الإشارة إليها، وهي:

أولاً: أنها دراسة تخص جميع الأقليات المسلمة في الغرب بلا استثناء، حيث أن المشكلات هي هي، والتحديات التي تواجهها هي هي، مع بعض الاختلافات في التفاصيل تعود إلى طبيعة الأقلية المسلمة وتاريخها وثقافتها ووضعها الاقتصادي والثقافي والسياسي في البلد المضيف.

ثانياً: دراسات تختص بالأقلية العراقية المسلمة كمادة ومحور للبحث، إلا أن معالجة المشاكل من المنظور العراقي لا يعني اقتصرها على هذه المجموعة، بل يعود ذلك أننا أخذناها نموذجاً لمعالجة المشكلة أولاً. ولأننا كنا نعيش بينها ولدينا معلومات كثيرة عنها ثانياً، وإلى سهولة إجرائنا الدراسات عليها بسبب علاقاتنا ونشاطاتنا بين أوساطها ثالثاً. فهي تمثل مجرد حالة خاضعة

للدراصة، أو عينة اجتماعية يمكن تطبيق النتائج المستخلصة منها على بقية الأقليات المسلمة. وهذه من بديهيات البحث العلمي والأكاديمي.

ثالثاً: دراسات ومقالات وقراءات تتناول المجتمع الهولندي، ولكن يمكن تطبيقها على بقية الدول الغربية للتشابه الكبير بين أنظمتها وقيمها وثقافتها. كما أن معظم هذه القضايا وغيرها يجري تناولها في وسائل الإعلام في الدول الغربية الأخرى، أو تشغل اهتمام الأوساط السياسية والإعلامية والجهادية. لذلك يمكن اعتبار هذه المقالات نموذجاً من طبيعة أفكار ومواقف المجتمعات الغربية.

رابعاً: مقالات تمثل قراءات في كتب أو دراسات تخص الأقليات المسلمة، أو محاضرات أو ندوات ذات علاقة بالمسلمين في الغرب. فهي دراسات تعود لمؤلفين وباحثين غربيين، ارتأيت ضمها إلى هذه المجموعة نظراً لأهميتها وعلاقتها بموضوع الكتاب. إضافة إلى أنني سبق لي وأن نشرت هذه المقالات في مطبوعات عديدة.

خامساً: مقالات تختص بالجانب الآخر من المشكلة، أي المجتمعات الغربية التي تقيم الأقليات المسلمة بين ظهرانيها. إذ تناولت خصائص المجتمعات الغربية، ردود أفعالها تجاه الأحداث المتعلقة بالإسلام والمسلمين، مواقفها تجاه الأقليات المسلمة. كما سلط الضوء على مواقف وسائل الإعلام الغربية من قضايا المسلمين. ولم أنس وبموضوعية ذكر المواقف المؤيدة والمعادية للمسلمين على حد سواء.

سادساً: تناولت الدراسة قضايا متنوعة تخص الإسلام في الغرب. وهي تشكل مادة ومرجع هامين للباحثين والدارسين لهذا التخصص الدقيق، حيث تتضمن أرقام وإحصائيات ودراسات لظواهر اجتماعية محددة. كما تهتم أبناء الأقليات المسلمة أنفسهم، إذ من خلالها يتعرفون على المشاكل وطبيعة معالجتها، وموقف الفقهاء المسلمين منها، وبالتالي كيفية تشكيل موقفهم من تلك المشاكل.

سابعاً: تمنحهم هذه الدراسة أفكاراً ومناقشات مفيدة لهم في معالجة مشاكلهم المختلفة. كما تفتح لهم آفاق في التفكير الصحيح من أجل المحافظة على هويتهم وشخصيتهم، دون الإخلال بتمسكهم بدينهم وإيمانهم وأحكام شريعتهم. فهي تمثل رافداً من روافد الثقافة الإسلامية في الغرب.

ثامناً: تساهم هذه الدراسة في تعرف الأقليات المسلمة على المجتمعات التي يعيشون فيها. إذ لاحظت أن كثيراً من أبناء الأقليات المسلمة لا يعرفون الكثير عن المجتمعات الغربية، أو لا يتابعون القضايا والأحداث التي تمهم بسبب عدم إجادتهم اللغة الأجنبية، أو الانكفاء على الذات والتفوق داخل هموم الأقلية المحدودة أو المصالح الشخصية.

يتألف الكتاب من سبعة فصول تغطي معظم المشاكل والقضايا التي تواجهها الأقليات المسلمة في الغرب.

يتناول الفصل الأول فقه الأقليات من حيث تعريفه وخصوصياته وأهمية فهم المجتمع الذي تعيش فيه الأقلية المسلمة، والحاجة لفقه الأقليات وأهمية تطويره. كما تناولت الأقليات المسلمة في الغرب من حيث عددها وأسباب نشوئها، إضافة إلى إحصائية تنشر لأول مرة عن مسلمي أوروبا الغربية، بما فيهم المسلمين من السكان الأوروبيين الأصليين.

ويتناول الفصل الثاني أهم القضايا والمشاكل ذات الحاجة إلى معالجة فقهية باعتبار أن توضيح موقف الشريعة الإسلامية يساهم في بلورة موقف صحيح يتخذه المسلمون في الغرب. وقد عرضت آراء وفتاوى الفقهاء الشيعة والسنة على السواء، مرجحاً الآراء المعتدلة والأكثر قرباً والتصاقاً بالمشكلة المطروحة، إضافة إلى أنها تساهم بشكل جاد في تسهيل حياة المسلمين في الغرب.

ويسلط الفصل الثالث الضوء على أهم المشاكل الثقافية والاجتماعية التي تعاني منها الأقليات المسلمة كتعلم اللغة وتغير العادات وصراع الهوية والعمل والبطالة. كما تناولت قضية الاندماج في المجتمع الغربي ومشكلاته، حيث خصصت بضعة دراسات لهذا الموضوع الهام. من جانب آخر تناولت معالم الحياة العامة للمسلمين في الغرب من حيث المؤسسات الإسلامية، والإنجازات التي حققتها الأقليات المسلمة.

ويتناول الفصل الرابع قضايا ثقافية عامة تمه أبناء الأقليات المسلمة في الغرب مثل مواقفهم من الثقافة الغربية، وكيفية تطوير ثقافتهم، وتطور الفكر الإسلامي في البيئة الغربية، وقضايا حرية التعبير والمواطنة في المجتمع الغربي، ومنهج التعامل الصحيح مع قضايا المجتمع الغربي بصورة عامة.

أما الفصل الخامس فيتناول مجموعة من القضايا الإعلامية، ومواقف وسائل الاعلام الغربي والسياسيين والباحثين الغربيين من قضايا الإسلام والمسلمين. كما يتناول معاناة المسلمين في الغرب من ظواهر الأحكام المسبقة والكراهية والتمييز العنصري من بعض المؤسسات السياسية والثقافية الغربية. وعرضت بعض الحالات ذات الدلالات المميزة مثلاً موقف الإعلام الغربي من المسلمين بعد أحداث الحادي عشر من أيلول من عام ٢٠٠١.

أما الفصل السادس فيعالج المشاكل التربوية والتحديات السلوكية التي تواجه الأسرة المسلمة في الغرب، وخاصة ما يتعلق بتربية الأولاد وتنشئتهم في ظل الثقافة الغربية والقيم والمدارس الغربية. ويتناول الفصل السابع شؤون الدعوة إلى الإسلام في الغرب والمنبر الإسلامي في الغرب باعتبار أن الدعوة إلى الإسلام تبقى من مهام كل مسلم مقيم هناك. إذ يستطيع المساهمة في الدعوة

الإسلامية من خلال سلوكه ومواقفه ونشاطه. وهذا يجبرنا إلى قضية لا تحظى باهتمام كبير في الشرق الإسلامي وهي قضية اعتناق الإسلام من قبل الغربيين. الأمر الذي يزداد يوماً بعد آخر مسبباً في تطوير الفكر الإسلامي من جهة، ومزيداً من نمو الأقليات المسلمة في الغرب. كما تناولت قضية تعرض أبناء الأقليات المسلمين إلى النشاطات التبشيرية في الغرب خاصة بين ضعفاء النفوس أو قليلي المعرفة أو المحتاجين.

فهذه مجموعة من الدراسات والبحوث والمقالات التي نشرتها في الصحف والمجلات العراقية والعربية والغربية، ومحاضرات ألقيتها في ندوات ومؤتمرات واجتماعات في المهجر. فهي نتاج مرحلة من حياتي تمتد خمسة عشر عاماً قضيتها في هولندا عندما وصلتها عام ١٩٨٩ وغادرتها إلى العراق عام ٢٠٠٣. هي فترة من أغنى مراحل حياتي مليئة بالنشاط والحركة والكتابة والتأليف والمشاركة في شتى النشاطات الفكرية والثقافية والسياسية.

وهي دراسات ومقالات تعالج أغلب مشاكل الأقليات المسلمة في الغرب. وقد تنوعت طبيعة معالجة هذه المشاكل من الجوانب الفقهية والشرعية، إلى الفكرية والثقافية، التاريخية والاجتماعية. ويعود ذلك إلى طبيعة المشكلة أولاً، وإلى حقيقة أنه ليس كل مشاكل الأقليات المسلمة هي ذات طبيعة فقهية بحتة. إذ أعتقد أن كثيراً من التعقيدات التي ترافق هذه المشاكل تعود إلى أسباب اجتماعية وثقافية واختلاف العادات التي يمارسها المسلمون المهاجرون في الغرب.

د. صلاح عبد الرزاق

بغداد في حزيران ٢٠٠٥

الفصل الأول

مقدمة المفاهيم الأساسية في الفيزياء

فقه الأقليات المسلمة في الغرب

تعريف

الفقه هو العلم بأحكام الشريعة، وهو معرفة الأحكام الإسلامية المستقاة من القرآن والسنة الشريفة و القواعد الفقهية والأصولية.

الأقليات هو جمع أقلية، وهو مفهوم سياسي توصف به جماعة من رعايا دولة تنتمي إلى قومية أو لغة أو مذهب أو دين تختلف عما تنتمي إليه الأغلبية السكانية في الدولة. فهناك أقليات متنوعة في شتى بلدان العالم، ولا يكاد بلد يخلو من وجود أقلية ما.

وكلمة أقلية مأخوذة من لفظة (قليل) القرآنية، وتعني العدد القليل أو الجماعة الصغيرة العدد مقابل الكثرة والكثير والأغلبية والأكثرية. ويميز القرآن بين نوعين من القلة، فتارة تعتبر صفة سلبية لأن القلة تعني ضعف الإمكانيات والقوة، يقول تعالى:

- (واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فأواكم وأيدكم بنصره) (الأنفال: ٢٦)

- (واذكروا إذ كنتم قليلاً فكثركم) (الأعراف: ٨٦)

• وتارة توصف الجماعة المؤمنة التي تتحدى ظروف عصرها وتمسك بالإيمان والأخلاق والقيم العليا والصبر والشجاعة، حيث يقول تعالى:

- (وما آمن معه إلا قليل) (هود: ٤٠)

- (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم) (ص: ٢٤)

- (وقليل من عبادي الشكور) (سبأ: ١٣)

- (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله) (البقرة: ٢٤٩)

فقه الأقليات

قد يتساءل البعض: ما هو فقه الأقليات؟ وبياداً يختلف عن الفقه بالمعنى العام؟ وهل له خصوصيات يتميز فيها عما هو شائع من فروع الفقه؟

إن فقه الأقليات هو من الفقه العام أي بمعنى أنه يشتمل على جميع المسائل الشرعية التي تجري معالجتها في أبواب الفقه المتفرقة كالصلاة والصيام والزكاة والزواج والطلاق والحضانة والبيع

والشراء والشراكة والهبة والتجارة وغيرها، ولكنه يختلف عن الفقه العام بما يلي:

- ١- إنه فقه محصور في جماعة معينة أو الأقلية المسلمة محصور بمساحة معينة، أي بمعنى آخر أنه لا يمتد إلى بقية مجتمع الأكثرية غير المسلمة. لذلك لا يتوقع لفقه الأقليات أن يشمل شؤون الدولة والحكم والمجتمع والأخلاق العامة والثقافة والقوانين المعمول بها في ذلك البلد. إنه فقه يتركز على الشؤون الفردية أو العائلية وربما إلى الجماعة المسلمة الصغيرة كأحكام صلاة الجمعة والعديد والدفن في المقابر غير الإسلامية.
- ٢- إنه فقه مختص بالأقلية المسلمة بسبب ظروفها الخاصة، وقد يصلح لها من الأحكام ما لا يصح لغيرها من المسلمين الذين يعيشون في مجتمع مسلم أو ذي أكثرية مسلمة. ولذلك قد نجد هناك بعض الاستثناءات والرخص في بعض الأحكام الإسلامية بسبب الوضع الخاص الذي تعيشه الأقلية المسلمة في المجتمع غير المسلم. فقد يكون الانتماء إلى الأحزاب المسيحية أو العلمانية حرام على المسلم في المجتمع ذي الأكثرية المسلمة، لكن الأمر قد يصل إلى حد الوجوب على أبناء الأقلية المسلمة في الانتماء إلى هذه الأحزاب في البلد الغربي أو غير المسلم من أجل الدفاع عن مصالح المسلمين وحقوقهم هناك.

الخصائص المميزة للأقليات المسلمة

- يمتاز فقه الأقليات المسلمة في الغرب بمجموعة من الخصائص التي تجعله متحركاً في دائرة معينة أهمها البيئة المسيحية والثقافة العلمانية التي تغطي على كل نواحي الحياة في المجتمع الغربي، حيث تعيش الأقليات. وتستتبع خصوصية البيئة مجموعة من المميزات مثل:
- ١- هو فقه يراد له أن يتعايش مع واقع غير مسلم، في مجتمع غير مسلم، في دولة غير مسلمة، فظل قوانين غير إسلامية، في ظل حاكم غير مسلم.
 - ٢- هو فقه عليه أن يتصالح مع هذا الواقع بشكل يمثل توافقاً بين الحكم الإسلامي الشرعي ومتطلبات البيئة والثقافة غير الإسلامية. وبناء على ذلك عليه أن يحافظ على التزام المسلم بعقيدته وشريعته وهويته في ظروف مجتمع غير مسلم، دون الذوبان في ثقافته وقيمه.
 - ٣- فقه يؤكد من خلال الفتاوى والآراء الفقهية على أن محافظة المسلمين على أحكام الشريعة الإسلامية لا يتناقض، قدر الإمكان، مع القوانين السارية في الدول الغربية. وأنه يمكن للمسلم أن يحافظ على دينه من جهة، وعلى التزامه بالقانون الغربي من جهة أخرى.
 - ٤- فقه يعترف بتنوع الاجتهادات الإسلامية العديدة وباختلاف آراء وفتاوى الفقهاء المسلمين، ويقر الأخذ بكل ما يمكنه تيسير حياة المسلمين في الغرب، ويجعلهم مواطنين صالحين في المجتمع.

- ٥- فقه يقوم على اجتهاد شرعي وعصري يراعي متطلبات الاجتهاد واستنباط الحكم الشرعي من أدلته وقواعد الفقه والأصول من جهة، ومن جهة أخرى يراعي ظروف الأقليات المسلمة وأوضاعها الاستثنائية، لأنها تتعامل مع قوانين وإجراءات غير إسلامية، وربما تخالف بعض الأحكام الإسلامية. كما يأخذ بنظر الاعتبار التطور العلمي والتقني للمجتمعات الغربية وتأثير ذلك على حياة المسلمين هناك.
- ٦- فقه يدرك شمولية الإسلام وعالمية الرسالة الإسلامية على اعتبار أنها جاءت لكل البشر وفي شتى أصقاع الأرض، أي أنها قابلة للتكيف مع جميع الثقافات والأمم والشعوب.
- ٧- فقه يعي تغير الأحكام الإسلامية والفتوى حسب الزمان والمكان، فلكل زمان ومكان ظروفه وملاك حكمه.
- ٨- فهم النص القرآني ككل وليس بطريقة مجتزأة، أي يكمل بعضه بعضاً، ويفسر القرآن بالقرآن والسنة الثابتة. فهو فقه يفهم روح الإسلام ومقاصد الشريعة لا أن يتوقع في أحكام مجتزأة واستثنائية أو تختص بحالة معينة أو زمن تاريخي محدد.
- ٩- فهم الواقع الحياتي للأقليات المسلمة بكل تعقيداته ومؤثراته من أجل صياغة السؤال بشكل صحيح وواقعي وليس افتراضي يدور في الفضاء النظري، ثم بعد ذلك يقوم بطرح السؤال على النص القرآني واستلهام الجواب منه.
- ١٠- الاستفادة القصوى من القواعد الفقهية والأصولية وتطبيقها على الواقع الجديد وتكييفها لصالح حل الإشكالات الفقهية المطروحة.^١
- ١١- اعتبار التراث الفقهي السابق وما أنتجه الفقهاء السابقون ليس مقدساً أو مرجعاً لمواجهة المشاكل المعاصرة، بل يمكن الاستئناس به فيما يناسب واقع اليوم. فهذا التراث الفقهي ليس نصاً شرعياً كالقرآن والسنة، بل يمثل آراء الفقهاء السالفين في معالجة مشاكل عصرهم، وهي بالتأكيد تختلف عن مشاكلنا المعاصرة.
- ١٢- الاستفادة من أهل الخبرة من مسلمين مقيمين في الغرب أو غير مسلمين من أهل البلاد، من أجل فهم الواقع أو المشكلة بشكل دقيق ثم البحث عن جواب فقهي مناسب. فلا يمكن الإفتاء بحرمة شيء أو عمل أو سلوك دون الإحاطة به بشكل عميق، إذ ربما يبدو الظاهر شيئاً، والحقيقة غير ذلك تماماً.^٢

١ يذكر الفقهاء جملة من القواعد مثل: الضرورات تبيح المحظورات، لا ضرر ولا ضرار، الضرر يدفع بقدر الإمكان، يتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام، يرتكب أخف الضررين، درء المفسدة أولى من جلب المنفعة، تفوت أدنى المصلحتين، الأصل في الأشياء الإباحة، المسلمون عند شروطهم، حق الأمة مقدم على حقوق الأفراد، الواجب العيني مقدم على الواجب الكفائي، لا يزال المنكر بمنكر أكبر منه، ما بني على باطل فهو باطل، اليقين لا يزول بالشك.....

٢ قبل عامين قام (المجلس الأوروبي للبحوث والإفتاء) بمناقشة استفتاء قدمه مسلم تزوج من غربية مسيحية. وكان الزوجة قد رغبت

- ١٣- لا يتوقع أن يحل فقه الأقليات جميع مشاكل الأقليات المسلمة في الغرب، لأن ليس كل المشاكل ذات طبيعة فقهية، بل غالباً ما تكون ثقافية واجتماعية بسبب التخلف السياسي والاقتصادي للبلدان المسلمة التي قدم منها المهاجرون المسلمون. كما تعود إلى العادات والتقاليد الاجتماعية في البلد الأم.
- ١٤- فقه يساهم في تطوير أوضاع المسلمين في الغرب من خلال الانفتاح على الآخر والمشاركة في الحياة العامة بكل نشاطاتها السياسية والثقافية والاقتصادية من أجل تحقيق مكاسب للمسلمين والدفاع عن مصالحهم.
- ١٥- فقه يساهم في نقل التجمعات الإسلامية من حالة الانعزال والعيش في غيتوهات ثقافية واجتماعية على هامش المجتمع الغربي، والمتهمه بالتخلف الاجتماعي والاقتصادي والتعصب والتطرف والجريمة والعنف والإرهاب، وبالسعي لتدمير القيم والإنجازات الحضارية الغربية.
- ١٦- التأكيد على دور الأقلية المسلمة في عكس صورة مشرقة للمسلمين، وأن يكونوا دعاة للإسلام بسلوكهم ومواقفهم وحكمتهم. إذ كثيراً ما تأثر الغربيون بسلوك مسلم جعلهم يغيرون نظرتهم تجاه الإسلام ثم ليعتقوا العقيدة الإسلامية^١.
- ١٧- التأكيد على مفاهيم البر والقسط والسلم مع الآخر المختلف عقائدياً انطلاقاً من قوله تعالى (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين، ولم يخرجوكم من ديارهم أن تبرؤهم وتقسطوا إليهم، إن الله يحب المقسطين) (المتحنة: ٨).
- ١٨- إدراك أن الأقليات المسلمة في الغرب لن تعود إلى بلدانها، على الأقل في الأمد القريب، كما أن الجيل الثاني والثالث والرابع لن يعود مطلقاً. فهي أقليات متوطنة وصارت جزءاً من المجتمع الغربي من النواحي الديموغرافية والقانونية والثقافية والاجتماعية.
- ١٩- إدراك خصوصية الضعف النفسي، والاقتصادي والسياسي والاجتماعي، والفارق الحضاري بين الأقلية المسلمة والمجتمع المضيف.
- ٢٠- إدراك خصوصية الضغط الثقافي حيث تواجه الأقلية المسلمة سطوة ثقافة مغايرة.

في إقامة عقد الزواج في الكنيسة بعد إجراء مراسم العقد الإسلامي. في البداية ارتأى المجلس أن من حق الزوجة المسيحية إقامة مراسم الزواج في الكنيسة طالما أن ذلك لا يؤثر على الزوج أو تحليه عن دينه، ولا على عقد الزواج، لكن المجلس استشار أحد المستشارين الهولنديين هو البروفسور فان كونكزفيلد والذي كان ضيفاً في اجتماع المجلس، فأوضح أنه بحسب المذهب الكاثوليكي فإن إقامة الزواج في الكنيسة تعني أن الأولاد سيكونون مسيحيين حتى لو كان الأب غير مسيحي. عند ذلك قام المجلس بإصدار فتوى تحرم إقامة الزواج في الكنيسة.

١ تشير بعض الإحصاءات إلى أن معدل انتشار الإسلام قد ازداد في الغرب بنسبة ٢٣٥٪، فيما تراجع انتشار المسيحية إلى ٤٧٪ والبودية إلى ٦٤٪ والهندوسية إلى ١١٧٪.

فهم المهاجرات الذي تعيش فيه الأقلية المسلمة

لا يمكن للفقيه تناول مشاكل وقضايا الأقلية المسلمة دون أن يتعرف على طبيعة ثقافة وقوانين ذلك المجتمع، ويفهم طبيعة العلاقة بين الأقلية المسلمة وسكان البلاد الأصليين، ودور الأقلية في البلد ونشاطها وتنظيمها ومؤسساتها هناك. لذلك لابد من فهم المجتمع الغربي ومركزاته، كما لابد من فهم الأقلية نفسها أيضاً. من هذا المنطلق لابد من لفقه الأقليات أن يدرك الأمور الآتية:

١- تاريخ الأقلية المسلمة، وهل هي أصلية من أهل البلاد، أم مهاجرة استقرت منذ زمن قريب. فغالبية الأقليات المسلمة في الغرب اليوم هي مهاجرة منذ نصف قرن أو أكثر. وهناك أقليات مسلمة من سكان البلاد كما في أسبانيا وفنلندا، إضافة إلى الغربيين الذين اعتنقوا الإسلام.

٢- الطبيعة الإثنية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية للأقلية المسلمة. إذ أن بعض الأقليات قد نجحت، إلى حد ما، في المجتمع الذي تعيش فيه، فيما تعاني أقليات أخرى من صعوبات في التأقلم والاندماج.

٣- طبيعة النظام السياسي والقانوني والثقافي للبلد المضيف، حيث تختلف البلدان الغربية في قوانينها وطبيعتها ونظرتها وتسامحها مع المسلمين. فبعض الدول ترتفع فيها نسبة العنصرية كبلجيكا وهولندا وفرنسا وألمانيا، وأخرى أقل عنصرية مثل بريطانيا وإيطاليا والنمسا، وثالثة متسامحة كالسويد والإسكندنافية وإسبانيا والبرتغال. وطبيعة الفتوى الواجب تطبيقها في بلد قد تختلف عنها في بلد آخر.

٤- طبيعة الحقوق والواجبات التي تمنحها قوانين البلد للمهاجرين والمسلمين. إذ تمنح هولندا وبلجيكا الأجانب حق المشاركة في التصويت في الانتخابات البلدية دون البرلمانية. بينما لا تمنح هذا الحق غالبية الدول الغربية. وبعض الدول مثل هولندا وألمانيا وبلجيكا وإسبانيا والدانمارك تمنح المسلمين حق الذبح الإسلامي للحيوانات. بينما ترفض دول أخرى مثل السويد والنمسا وسويسرا مثل هذا الحق. وبعض الدول تسمح بفتح المدارس الإسلامية وأخرى لا تسمح بها.

٥- طبيعة سكان البلد المضيف ونظرتهم للإسلام والمسلمين، وطبيعة نظرة المؤسسات السياسية والدينية تجاه المسلمين. إذ أن بعض المنظمات والأحزاب السياسية تدعم مطالب المسلمين، وأخرى تسعة لإقصائهم وإعادةهم إلى بلدانهم الأصلية.

٦- طبيعة العلاقة بين الأقلية المسلمة والبلد الأم، و حجم وسعة الامتداد خارج البلد المضيف وعلاقتها بالمؤسسات السياسية والدينية في البلدان المسلمة. إذ غالباً ما تمتلك

بعض المؤسسات الإسلامية والحكومية تأثيراً على الأقلية من خلال العم المالي والسياسي للمنظمات والمؤسسات والجمعيات والمساجد التي تنسجم وسياسة البلد المسلم.

٧- أهمية ترسيخ وتبرير مواطنة المسلمين في البلد غير المسلم، وهي فكرة جديدة لأن الانتماء الديني كان هو الأساس في الولاء للدولة. أما اليوم فهناك مفاهيم الإقامة والحقوق والواجبات السياسية والمدنية هي التي تنظم المواطنة.

٨- التخلص من ثقافة الصراع مع الآخر، وفقه دار الحرب ودار الكفر وغيرها من المفاهيم التي نشأت في ظروف تاريخية وسياسية وعسكرية بين العالم الإسلامي والعالم الغربي، وخاصة في العهد العباسي، ثم في الحروب الصليبية ثم في عهد الاستعمار.

الحاجة إلى فقه الأقليات المسلمة

يمثل فقه الأقليات حاجة ضرورية لتسهيل حياة المسلمين في الغرب وحل المشاكل التي تواجههم في حياتهم اليومية وعلى مختلف الأصعدة الدينية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية والمالية والسياسية. ولا يمكن ترك هذه المشاكل بلا حل لأنها قد تتفاقم وتترك وضع الأقلية المسلمة، في حين أن الإسلام دين اليسر وليس العسر والحرج. إن الحاجة لتطور فقه الأقليات تنبع من الحقائق الآتية:

١- في دار الهجرة، يواجه المسلمون يوماً جملته من التحديات والمشاكل الفقهية التي تستدعي أجوبة شرعية توضع حلولاً فقهية تخرجهم من شبهة الحرام والوقوع فيه، من أجل توطيد الطريق لهم في الاستمرار بالإقامة هناك دون تناقض مع مبادئ دينهم وأحكام شريعتهم.

٢- ازدياد عدد الأسئلة التي ترد على الفقهاء والمؤسسات الإسلامية في الشرق تبحث عن إجابات شافية تسهل تكيف المسلمين للحياة في بلاد الغرب.

٣- تنوع الأسئلة المثارة من قبل أبناء الأقليات المسلمة في الغرب، بحيث أنها تشمل مجالات كثيرة ومتشعبة في مختلف حقول النشاط الإنساني في الاقتصاد والطب والتعليم والثقافة والفن وغيرها.

٤- هناك أسئلة نابعة من مشاكل غير موجودة في العالم الإسلامي عموماً، على الأقل في الوقت الحاضر، وخاصة تلك التي تتعلق بالتقدم التكنولوجي ومؤسسات المال والمصارف وبطاقات الحساب وثورة الاتصالات والمعلومات وغيرها.

٥- هذا التطور النوعي والكمي في الأسئلة الفقهية المطروحة من قبل الأقليات المسلمة في الغرب أدت إلى التفكير بإنشاء مؤسسات إسلامية فقهية في الغرب. ففي أوروبا تم

تأسيس (المجلس الأوربي للبحوث والإفتاء) ومقره في إيرلندا، ويرأسه الشيخ يوسف القرضاوي. يتألف المجلس من حوالي ٢٥ عالماً مسلماً من مختلف البلدان الإسلامية ومقيمين في أوروبا. ويقوم المجلس بعقد اجتماعات سنوية لمناقشة القضايا المطروحة أمامه ثم يصدر آراء وفتاوى تعالج تلك المشاكل. في أمريكا، تم إنشاء (المجلس الفقهي لأمريكا الشمالية) ويرأسه الدكتور طه جابر العلواني. ويصدر المجلس فتاوى تعالج شؤون المسلمين في القارة الأمريكية مثلاً تحديد الموقف الشرعي من مشاركة العسكريين المسلمين الأمريكان في الحرب على أفغانستان، أو المشاركة في الانتخابات الأمريكية وجواز التصويت لمرشحي الحزبين الجمهوري والديمقراطي.

٦- صدور العديد من الكتب الفقهية المتخصصة بفقهاء الأقليات المسلمة في الغرب مثل:

أ- (الفقه للمغترين) للسيد علي السيستاني (١٩٩٨).

ب- (الهجرة والاعتراب) للسيد محمد حسين فضل الله (١٩٩٩)

ج- (مرشد المغترب) للسيد محمد سعيد الحكيم (٢٠٠١)

د- (دليل المسلم في بلاد الغربية) للسيد أبو القاسم الخوئي.

هـ- (في فقه الأقليات المسلمة) للدكتور يوسف القرضاوي (٢٠٠١)

٧- صدور عدد كبير من الدراسات والمقالات التي تعالج أوضاع الأقليات المسلمة ومشاكلها

الفقهية والثقافية والاجتماعية. وهذه الدراسات كتبت بأقلام باحثين وصحفيين مسلمين.^١

٨- قيام مؤسسات غربية وصحفيين وسياسيين وباحثين غربيين بنشر دراسات وبحوث

ومقالات كثيرة تتناول الأقليات المسلمة في بلدانهم، ومن وجهات نظر متعددة. إذ

يعتبر وجود المسلمين في الغرب مادة جيدة للدراسات والبحوث من قبل علماء النفس

والاجتماع والتربويين والأكاديميين والمستشرقين والإعلاميين.

٩- بروز المسلمين بقوة في وسائل الإعلام الغربية التي غالباً ما تعرض صورة مشوهة عن

الإسلام والأقليات المسلمة هناك. وتحاول ربط الإسلام بالإرهاب والعنف والجريمة

والتخلف وقمع المرأة وغيرها من الاتهامات.

١٠- إن توعية المسلمين في الغرب على حقائق الدين الإسلامي ونظراته المعتدلة واحترامه

لحقوق الآخرين أمر في غاية الأهمية. إذ أن جهل المسلمين بالحكم الفقهي الصحيح

والموقف الشرعي الصحيح يجعلهم يتصرفون بشكل غير صحيح، كما يساهم في تعزيز

١ أنظر على سبيل المثال: ١- (نظرات تأسيسية في فقه الأقليات) للدكتور طه جابر العلواني.

٢- (الفقه السياسي للأقليات المسلمة) للدكتورة ناديا محمود مصطفى

٣- (فقه الأقليات.. رؤية مختلفة) للأستاذ فتحي عبد الستار.

٤- (نحو تأصيل فقهي للأقليات المسلمة في الغرب) للدكتور عبد المجيد التجار.

الصورة السلبية التي تنشرها وسائل الإعلام الغربية. وبالعكس فإن التعرف على موقف الإسلام ومرونة الشريعة الإسلامية يساهم في نشر الإسلام وجذب غير المسلمين إليه.

الأقليات المسلمة في العالم

يقدر عدد المسلمين في العالم اليوم حوالي مليار وربع مليار مسلم متوزعين على أنحاء المعمورة. ويعيش ثلث المسلمين، أي حوالي ٤٠٠ مليون مسلم كأقليات في بلدان غير مسلمة. وهذا يعني أن ثلثي المسلمين فقط يعيشون كأكثرية في بلدانهم. ففي أفريقيا توجد ٢٣ دولة ذات أغلبية مسلمة من بين ٥١ دولة هو مجموع الدول الأفريقية. مما يعني وجود أقليات مسلمة في ٢٨ دولة يشكل المسلمون فيها نسبة ٣٥٪. أما نسبة المسلمين في كل القارة الأفريقية فيبلغ ٥٥٪، فهي على هذا الأساس يمكن اعتبارها قارة مسلمة.^١

وفي قارة آسيا توجد ٢٢ دولة عضو في منظمة المؤتمر الإسلامي من مجموع ٤٥ دولة. وتبلغ نسبة غير المسلمين فيها ٨٪ فقط. أما في الدول الـ ١٩ الباقية فالمسلمون فيها أقلية فعلية، وتبلغ نسبة المسلمين فيها ٨٪ أيضاً. هذا وتبلغ نسبة المسلمين في قارة آسيا ٥٠، ٢٥٪ أي حوالي ربع السكان.^٢ أما في أوروبا فيبلغ عدد المسلمين حوالي ١٥ مليون مسلم، وفي أمريكا قرابة ٥ ملايين مسلم.

نشأة الأقلية المسلمة

إن وجود أقلية مسلمة في بلد غير مسلم يعود إلى عدة أسباب منها:

- ١- إعتناق الإسلام من قبل قسم من أهل تلك البلاد سواء بسبب الفتح الإسلامي ودخول الجيوش الإسلامية كما في الهند وبلغاريا وألبانيا وكرواتيا وكوسوفو، أو من خلال الوسائل السلمية كالدعوة الإسلامية والطرق الصوفية كما في الصين والفلبين وأندونيسيا وماليزيا ونيجيريا وغيرها من البلدان التي يكون المسلمون فيها من أهل البلاد الأصليين وإن اختلفوا عنهم أحياناً في اللغة والقومية.
- ٢- هجرة المسلمين من بلدانهم إلى بلاد غير مسلمة من أجل العمل أو الدراسة أو اللجوء السياسي أو الزواج من أهل البلاد. وهذا هو حال الأقليات المسلمة في أوروبا وأمريكا وكندا وأستراليا وأمريكا اللاتينية وبقية البلدان الأخرى.
- ٣- قيام دول غير مسلمة بضم أو احتلال أراضي إسلامية كما جرى للبو سنة التي تم ضمها من قبل النمسا ثم من قبل يوغسلافيا، أو الأقلية المسلمة في اليونان.

١- علي المنتصر الكتاني (الأقليات الإسلامية في عالم اليوم) / ص ٢٧

٢- المصدر السابق / ص ٤٥

٤- هذا وقد تجتمع الأسباب المذكورة أعلاه في بلد واحد، مثلاً هاجر ملايين المسلمين إلى أوروبا وأمريكا، ويزداد عددهم بسبب نمو عدد الذين يعتنقون الإسلام سنوياً.

مسلمو أوروبا

يقدر عدد المسلمين في أوروبا الغربية بأكثر من ١٥ مليون، ولكن الاحصائيات المنشورة تقدر عددهم بحوالي ١٢ مليون مسلم من المهاجرين أو ولدوا لأب أو أم مهاجرة. يضاف إليهم أكثر من مائة ألف مسلم من أصل أوروبي، أنظر الجدول أدناه.

اسم البلد	عدد السكان ١٠٠٠ ×	عدد المسلمين ١٠٠٠ ×	نسبة المسلمين % في البلد	عدد المعتنقين	نسبة المعتنقين إلى عدد المسلمين %
النمسا	٨,٠٧٨	١٢٠	١,٣	----	
بلجيكا	١٠,٢٠٤	٤٥٠	٤,٤	٣,٠٠٠	٠,٦
الدنمارك	٥,٣٠١	١٦٠	٣,٠	٢,٠٠٠	١,٢٥
فرنسا	٥٨,٨٤٧	٤,٠٠٠	٦,٧	٥٠,٠٠٠	١,٢
ألمانيا	٨٢,٠٤٧	٢,٥٠٠	٣,٠	٨,٠٠٠	٠,٢
اليونان	١٠,٥١٥	٣٠٠	٢,٨	----	
أيرلندا	٣,٥٩٩	٢٠	٠,٥	----	
إيطاليا	٥٧,٥٨٩	٥٠٠	٠,٨	٥٠٠	٠,١
لوكسمبورغ	٤٢٧	١٠	٢,٣	----	
هولندا	١٦,٠٠٠	١,٠٠٠	٦,٠	٦,٠٠٠	٠,٦
النرويج	٤,٤٣٢	٥٠	١,٠	٥٠٠	١,٠
البرتغال	١٠٠٤٨	٢٠	٠,٢	----	
إسبانيا	٣٩,٩٩٦	٤٠٠	١,٠	١٥,٠٠٠	٣,٧
السويد	٨,٨٥٢	٣٠٠	٣,٣	٣,٠٠٠	١,٠
سويسرا	٧,٢٦٢	١٠٠	١,٣	٥,٠٠٠	٥,٠
بريطانيا	٥٨,٠٠٠	٢,٠٠٠	٣,٤	١٠,٠٠٠	٠,٥
المجموع		١١,٩٣٠		١٠٣,٠٠٠	

تتميز بعض البلدان الأوربية بوجود نسبة عالية من بلد إسلامي معين بسبب علاقة ذلك البلد الإسلامي السابقة مع البلد الأوربي. إذ يلاحظ أن أكبر أقلية مسلمة في فرنسا قادمة من بلدان المغرب العربي وخاصة الجزائريين ثم المغاربة والتونسيين وبقية الدول الأفريقية المسلمة. ويعود ذلك إلى العلاقة التاريخية بين فرنسا والبلدان التي كانت تحت الاستعمار الفرنسي في القرن

التاسع عشر والقرن العشرين. وتوجد في بريطانيا أقلية مسلمة كبيرة من أصل هندي وباكستاني وبنغالي ومن دول الكومنولث، إضافة إلى أقليات عربية وتركية وإيرانية وأفريقية أخرى. وقد تركز أقلية مسلمة قادمة من بلدان معينة بسبب قربها من القارة الأوروبية، مثلاً نجد نسبة المهاجرين المغاربة عالية في هولندا وبلجيكا والنمسا وإسبانيا. كما توجد أقليات عراقية وباكستانية وإيرانية ولبنانية في الدول الإسكندنافية. وتوجد أقلية تركية كبيرة في ألمانيا وهولندا وتركيا.

الفصل الثاني

فصلنا القصيرة في الفنون

قضايا فقهية في الغرب

شريعة الهجرة واللجوء إلى الدول الغربية:

البداية: الهجرة إلى الحبشة

تعتبر هجرة المسلمين الأوائل إلى الحبشة (إثيوبيا الحالية) أول هجرة لجماعة مسلمة خارج الجزيرة العربية، لتشكل بذلك أول أقلية إسلامية في مجتمع مسيحي. وكانت الهجرة بأمر الرسول (ص) إذ « رأى رسول الله (ص) ما يصيب أصحابه من البلاء، وما هو فيه من العافية، بمكانه من الله ومن عمه أبي طالب، وأنه لا يقدر أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء، قال لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكاً لا يُظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم. فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله (ص) إلى أرض الحبشة، مخافة الفتنة، وفراراً إلى الله بدينهم، فكانت أول هجرة في الإسلام»^١.

لم يكن اختيار الرسول (ص) للحبشة اعتباطياً، فمن ناحية سياسية، كانت الحبشة بعيدة عن النفوذ الفارسي والرومي والقرشي. ومن ناحية جغرافية هناك بحر يفصلها عن الجزيرة العربية مما يجعل هناك صعوبة في شن حرب عليها لو تعقدت الأمور. من جانب آخر نجد أن الرسول قد وصفها بأنها أرض صدق، ولعله (ص) يريد أنها أرض إيمان بعيدة عن الانحرافات والشبهات والأفكار المنحرفة التي كانت سائدة في بلاد فارس والروم^٢. وقد تحقق توقع الرسول (ص) فقد تمكن المسلمون من البقاء في الحبشة ١٦ عاماً. إذ بدأت الهجرة في العام الخامس للبعثة النبوية (٨ قبل الهجرة) وعاد المهاجرون بعد فتح خيبر أي عام ٨ للهجرة.

وحاولت قريش استعادتهم لكن موقف النجاشي أفضل المحاولة. وقد تعرض المسلمون إلى محنة حين تعرض النجاشي إلى معركة لمنافس له كادت تسقطه، لكنه تمكن من إخماد الفتنة، وفرح المسلمون بذلك. وقد أمن المسلمون على دينهم، وكانوا يبارسون شعائرهم بحرية. ولا توجد أخبار عن نشاطاتهم ودعوتهم للإسلام في الحبشة، لكن هناك أخبار تشير إلى أن النجاشي نفسه قد أسلم^٤.

١ - مجلة التوحيد الصادرة في طهران / العدد: ١٠٣ (٢٠٠٠)

٢ - ابن هشام، «السيرة النبوية» / ج ١ / ص ٣٤٩، دار الريان للتراث، القاهرة: ١٩٨٧

٣ - جعفر مرتضى العاملي، «الصحیح من سيرة النبي الأعظم» / ج ٢ / ص ٥١، قم: ١٩٨٢

٤ - ابن هشام / المصدر السابق / ص ٣٦٦

فهي هجرة عقائدية سياسية جاءت لتقليل الضغط عن المسلمين الأوائل، والأمن من الفتنة والظلم والكفر. ويخفف من عبء الرسول (ص) الذي كان يخشى عليهم من المعاناة والعذاب دون أن يستطيع منع الأذى عنهم. فقد استشهد ياسر (والد عمار) وزوجته سمية تحت العذاب. كما أن خروج تلك الصفوة المؤمنة خارج نطاق الجزيرة العربية يجعل من الصعب على قريش القضاء عليها، فقد اتخذت الدعوة الإسلامية بعداً دولياً، وخرجت عن دائرة المحلية، أو أنها قضية داخلية. وذلك تفكير إستراتيجي في أهمية حماية الدعوة الإسلامية من البقاء في دائرة ضيقة تحت نفوذ سلطة ظالمة، تستطيع القضاء عليها في أي وقت. وبالفعل فقد فكرت قريش باغتيال الرسول (ص) وقتل دعوته في مهدها، لكن الله أنجاه، وأشار عليه بالهجرة إلى المدينة.

ولما رأى الرسول (ص) أن مكة لم تعد صالحة للبقاء فيها، بل أصبحت هي الخطر عليه وعلى أصحابه، غادرها إلى (يثرب) المدينة، والتي كان قد عقد مع مسلميها تحالفاً دينياً وسياسياً يقضي بالدفاع عنه في حالة تعرض للخطر أو هجوم عدو. لقد بنى (ص) قواعد إيمانية فيها قبل هجرته إليها وذلك في بيعتي العقبة الأولى والثانية. واستطاع (ص) أن يؤسس دولة ينطلق منها لترسيخ الدعوة الإسلامية، ويبني المجتمع الإسلامي الجديد. ولم يعد إلى مكة إلا ظافراً فاتحاً.

القرآن يتكلم بالله يبرر التهاجر

يتحدث القرآن الكريم عن الهجرة كحل وسبيل لمواجهة ظروف القمع والإرهاب والظلم الذي يتعرض المسلمون له في بلادهم، وليس بغرض السياحة أو تغيير الجو، بل تبقى الهدفية من الهجرة أساساً يبرر شرعيتها، وتحمل نتائجها. يقول تعالى:

- (إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله، أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم) (البقرة: ٢١٨)

- (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفاتحون) (التوبة: ٢٠)

- (ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فُتِنُوا ثم جاهدوا وصبروا، إن ربك من بعدها لغفور رحيم) (النحل: ١١٠)

- (والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقاً حسناً، وإن الله هو خير الرازقين) (الحج: ٥٨)

فهناك ربط بين الهجرة وأسبابها ونتائجها. فالهجرة نتيجة للفتنة، والجهاد يرافق الهجرة. فهي هجرة تغيير مواقع للعمل والجهاد المستمر، وليست هجرة راحة واستجمام. هجرة مواجهة الظلم من أرض أخرى، هجرة بناء متواصل للنفس والأهل والمجتمع المهاجر، وليست هجرة

استرخاء وكسل وتبرير للواقع. هجرة «في سبيل الله» ودين الله وقضية شعب مسلم مظلوم، وليست هجرة «مناصب وامتيازات». ولا يعتذرون أحد بأن هجرته تواجه صعوبات ومشاكل أو قيود، فالساحة مفتوحة للعمل. وقد أكد القرآن على ذلك، يقول تعالى:

(ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة...) (النساء: ١٠٠)

فإنه تعالى يعد المهاجرين بظروف أفضل من بيتهم، وسعة وحرية في العمل والدعوة إلى الله. يقول العلامة الطباطبائي في تفسير هذه الآية «من يهاجر في سبيل الله، أي طلباً لمرضاته في التلبس بالدين علماً وعملاً يجد في الأرض مواضع كثيرة. كلما منعه مانع في بعضها من إقامة دين الله، استراح إلى بعض آخر بالهجرة إليه لإرغام المانع وإسخاطه، ويجد سعة في الأرض»^١.

الهجرة طريق النبياء والثوار

لم تكن الهجرات التي مارسها المسلمون في مقاطع تاريخية معينة حالة ترفية بل ضرورة، وسبيل لمواجهة الضغوط المسلطة عليهم، والممارسات القمعية التي تتحدى دينهم وعقيدتهم وأدائهم شعائرهم بحرية أو التعبير عن آرائهم الفكرية والسياسية دون عوائق أو صعوبات. والهجرة طريق الأنبياء (ع) حين ضاقت الأرض عليهم في بقعة معينة، فتركوها ليجدوا السبل مفتوحة أمام دعوتهم. وفي حين فشلت الدعوة أو تم تحجيم تأثيرها في أفراد قلائل في منطقة معينة، إلا أن الهجرة فتحت أمامها أبواب الانطلاق والانتشار حتى غيرت مجرى التاريخ مثل هجرة النبي إبراهيم (ع) إلى فلسطين، وهجرة النبي إسماعيل (ع) وأمه هاجر إلى مكة المكرمة، وهجرة موسى (ع) من مصر، وهجرة الرسول محمد (ص) إلى المدينة المنورة. وهناك هجرات أخرى اضطرت إليها الثوار والمجاهدون وخاصة من العلويين في فترات القمع السياسي في العهدين الأموي والعباسي. فذهبوا إلى بلاد الله الواسعة فاحتضنهم أهلها، وآمنوا بالإسلام وخط أهل البيت (ع)، فانتسخت بذلك رقعة تأثيرهم، في حين كانت السلطات الظالمة تعتقد أنها تخلصت منهم بمغادرتهم الحجاز أو العراق. ولعل الدولة الإدريسية أصدق مثال على ذلك. فقد فر إدريس بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب إلى المغرب بعد فشل ثورة أخيه الحسين بن علي بن الحسن في واقعة فُخ في ١٦٩ هج / ٧٨٥ م. واستطاع أن ييث دعوته، ويجمع الأنصار، وأسس دولة الأدارسة عام ١٧٢ هج / ٧٨٨ م. فأسس «أول دولة شيعية في تلك البقعة النائية من بلاد المغرب، وثبت دعائمها بسرعة هائلة مذهلة. ثم خلع طاعة العباسيين، وأحدث في خلافتهم هزة عنيفة زعزعت كياناتها، وأوجدت فيها صدعا بليغاً بعد أن بايعه الناس على الإمارة والقيام

١ - محمد حسين الطباطبائي، «الميزان في تفسير القرآن»، ج ٥ / ص ٥٣، مطبعة إسماعيليان، الطبعة الخامسة، قم: ١٩٩٢

والإقتداء به في صلواتهم وسائر أحكامهم وغزواتهم^١. وقام المهاجرون المسلمون بتغيير تاريخي في بنية بعض البلدان. فقد دخلت إندونيسيا الإسلام عن طريق التجار المسلمين يرافقهم دعاة وفقهاء ومتصوفة. فقد وفد المسلمون على سومطرا في القرن السادس الهجري (١٣ ميلادي) وهبطوا جاوة في القرن التاسع الهجري (١٥ ميلادي).^٢ وتوغل المسلمون في أدغال تلك المنطقة الاستوائية لينقذوا أهلها من الشرك وعبادة الأرواح إلى التوحيد ونور الرسالة الإسلامية، فانتشر الإسلام في الفلبين وجزائر جاوة وما جاورها.^٣

التحكم اللامعني في اللجوء إلى الغرب

إن التجربة التاريخية للمهاجرين المسلمين لم تنطلق من فراغ بل تعتمد على أسس تشريعية وقواعد فقهية تشجع الهجرة في حالة عدم تمكن المرء من ممارسة شعائره وتعاليمه الإسلامية بحرية دون ضغط أو تقييد. فالقرآن الكريم يدعو المسلمين إلى رفض الرضوخ للظلم والكفر والقمع، بحجة ضيق ذات اليد أو قلة الحيلة أو العجز عن مقامة السلطات الظالمة، فيرسم لهم طريق الهجرة في أرض الله الواسعة كحل نهائي لمواجهة الظروف الصعبة، ولا يستثنى من الهجرة إلا الضعفاء والبسطاء من الناس، يقول تعالى:

(إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم، قالوا: فيم كنتم؟ قالوا: كنا مستضعفين في الأرض. قالوا: ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها، فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً، إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم، وكان الله عفواً غفوراً) (النساء: ٩٧-٩٨)

يقول العلامة الطباطبائي في تفسير هذه الآية: المراد بالظلم هو ظلمهم لأنفسهم بالإعراض عن دين الله وترك إقامة شعائره من جهة الوقوع في بلاد الشرك والتوسط بين الكافرين حيث لا وسيلة يتوسل بها إلى تعلم معارف الدين، والقيام بما تندب إليه من وظائف العبودية... وأن الملائكة تسألهم (فيم كنتم؟) سؤالاً عن الحال الذي كانوا يعيشون فيه من الدين، ولم يكن هؤلاء المسؤولون على حال يعتقد به من جهة الدين فأجابوا بوضع السبب موضع المسبب، وهو أنهم كانوا يعيشون في أرض لا يتمكنون فيها من التلبس بالدين لكون أهل الأرض مشركين أقوياء فاستضعفوهم، فحالوا بينهم وبين الأخذ بشرائع الدين والعمل بها. فتجيهم الملائكة بأنه كان باستطاعتهم تغيير ذلك الواقع بالخروج والهجرة من تلك الأرض، وأن أرض الله أوسع مما وقعوا

١ - نجيب زيبب، «دولة التشيع في بلاد المغرب» / ص ١٠٠، دار الأمير للثقافة والعلوم، الطبعة الأولى، بيروت: ١٩٩٣

٢ - أنور الجندي، «العالم الإسلامي والإستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي» / ص ١٢٧، دار الكتاب اللبناني، بيروت: ١٩٨٣

٣ - لوثروب ستود دارد، «حاضر العالم الإسلامي» / ج ١ / ص ٣٥٨، الطبعة الرابعة، دار الفكر، بيروت: ١٩٧٣

فيه. فكان يمكنهم أن يخرجوا من حالة الاستضعاف بالهجرة. فهم لم يكونوا بمستضعفين حقيقة لوجود قدرتهم على الخروج من قيد الاستضعاف، وإنما اختاروا هذه الحالة بسوء اختيارهم^١. ورغم أن السيد الطباطبائي يحرص الخروج من البلد الذي يسيطر عليه المشركون، وأن المسلم لا يستطيع ممارسة شعائر دينه فيه، إلا أن ذلك لا يمنع من التأكيد على أصل تقييد حرية المسلم في ممارسة عقيدته فكراً وسلوكاً وشعائر في وجوب أو إباحة الهجرة من ذلك البلد حتى لو كانت السلطات الحاكمة تدعي الإسلام أو تنتسب إلى الإسلام اسماً وشكلاً. تاريخياً نجد أن المسلمين الثوار والمجاهدين بادروا إلى الهجرة ومغادرة البلاد الإسلامية حين كانت تحكمها حكومات ظالمة، تلاحق وتسجن وتعذب وتقتل معارضيها السياسيين والفكرين أو ممن لا يرون مذهب السلطة. من جانب آخر، لا تقيّد الآية القرآنية المذكورة ممارسة الاستضعاف بالمشركين أو الكافرين بل يذكر الجانب المستضعف حيث يقول بلسان حالهم (كنا مستضعفين في الأرض) ولم يذكر طبيعة وماهية وهوية السلطة التي تستضعفهم. وهذا ما يراه بعض الفقهاء المعاصرين حيث يقول سباحة السيد محمد حسين فضل الله:

« أن الإسلام لا يمنع من حيث المبدأ من أن يسافر إلى أي بلد في العالم، بل ربما يوجب عليه في بعض الحالات الخروج من بلده إذا كان بقاءه فيه يجعله خاضعاً للمستكبرين المسيطرين على الناس في هذا البلد، بحيث قد يؤدي ذلك به إلى الانحراف الفكري والعملي ليكون بوقاً لهم وأداة من أدواتهم التي يركّزون فيها سلطتهم ويظلمون من خلالها الناس، فلا يميز له البقاء في هذا البلد، وهذا ما توحى به الآية المذكورة (النساء: ٩٧-٩٨)^٢. »

إذن فما يتعرض له المسلمون من ضغوط وذل وقهر وقمع حرياتهم في بلدانهم يجعل حالة الهجرة ومغادرة تلك البلدان إلى بلدان أكثر أمناً، وتمنح حريات العقيدة وحق التعبير الفكري والسياسي، وتحترم عرضهم وكرامتهم وأموالهم، سواء كانت مسلمة أم كفاية أو كافرة، طالما أنها ملتزمة باحترام مبادئها وقوانينها. وأن الهجرة من ذلك البلد الإسلامي شعباً، الكافر حكومة، قد تصبح واجبة في بعض الأحيان. يقول السيد فضل الله:

« إن البقاء في بلد الكفر الضاغط على العقول والنفوس أمرٌ محرّم إلا لمن لا يستطيع حيلة ولا يهتدي سبيلاً، بحيث لا يملك الخروج من بلده إلى أي مكان آخر. وفي ضوء ذلك فإن الهجرة من المسائل التي لا يقف الإسلام منها موقفاً سلبياً، بل ربما يقف منها موقفاً إيجابياً، وهذا قوله سبحانه وتعالى (ومن يهاجر في سبيل الله فيجِدْ مِرَاحِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً) (النساء: ١٠٠). ويعطي المهاجر في سبيل الله الفار بدينه المتفتح على مواقع القوة في الأرض الأخرى ويمنحه أجراً كبيراً

١ - محمد حسين الطباطبائي، «الميزان في تفسير القرآن» ج ٥ / ص ٥١

٢ - محمد حسين فضل الله، «دنيا الشباب» / ص ١٠٨، مؤسسة العارف للطبوعات، بيروت ١٩٩٥

ويعطيه ثواباً عظيماً فيها إذا قَدَّرت له الوفاة وهو في هجرته: (ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله، ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله) (النساء: ١٠٠).

فإن معنى ذلك أن المرء عندما يعيش الظرف القاسي الذي يدور أمره فيه بين أن ينحرف في بلده أو يخرج فإن من الطبيعي في هذه الحال أن يخرج من بلده فراراً بدينه، ولكن لا يفر بدينه ليقع فيما فر منه^١.

١- مفهوم الهجرة في الإسلام

ليست الهجرة واللجوء إلى الغرب والإقامة في بلاد الغرب خالية من النهي الشرعي، إذ يجب أن لا تصيح الهجرة غاية بحد ذاتها، من أجل التخلص من الضغوط في البلد الأصلي والتي تبرر مغادرته ذلك البلد، وهي الفتنة في الدين. وأنه ينتقل من بلد إلى بلد آخر كي يأمن على نفسه وعرضه وماله ودينه. وكي لا تفقد الهجرة هدفيتها وغرضها الأساسي، فيكون الهرب من الفتنة والضلال إلى الوقوع في الفتنة في بلد الهجرة. يطرح الفقهاء المسلمون مصطلح «التعرب بعد الهجرة»، ويُحذرون من الوقوع في دائرته من خلال ترك البلد الإسلامي إلى البلد الكافر. والتعرب مفهوم يسلب الهجرة هدفها وقيمتها لتتحول إلى حالة مناقضة لقيم الدين ومبادئ الشريعة والعقيدة.

يوضح السيد فضل الله هذا المفهوم فيقول:

”يقف الإسلام من الهجرة موقفاً سلبياً بحيث يجرمها إذا كانت الهجرة تؤدي إلى ضعف في الدين، سواء إلى ضعف في دينه أو دين عائلته من حيث أن البلد الذي يهاجر إليه بلد غير إسلامي، ولا تتوفر فيه الشروط المضادة للنمو الإسلامي، ففي هذه الحال قد تأخذ الهجرة عنوان (التعرب بعد الهجرة) وهذا أمر مرفوض شرعاً. فالإسلام لا يريد للمسلمين أن يتحولوا ضعفاء في الثقافة والسلوك الديني بعد أن كانوا يملكون من هذا وهذا العنصر الذي يمنحهم القوة في الفكر وفي العمل“^٢.

ويبيد بعض الفقهاء تشدداً أقل في تطبيق مفهوم التعرب على هجرة المسلمين إلى الغرب حتى مع وجود احتمال قوي بأن أولادهم سيتأثرون بالأجواء المنحرفة. سئل السيد أبو القاسم الخوئي السؤال التالي:

التعرب بعد الهجرة، هل يصدق على الذي يهاجر إلى بلاد أوروبا أو أمريكا للسكن مع الظن القوي بتأثر أطفاله بأجواء تلك البلاد المنحلة؟ ومتى يكون ذلك السفر أو تلك الهجرة جائزة؟

١ - محمد حسين فضل الله، «دنيا الشباب» / ص ١٠٩

٢ - المصدر السابق / ص ١١٠

فأجاب السيد الخوئي: لا يترتب على ذلك أحكام التعرب إذا كان يتمكن من العمل بوظائفه الدينية في تلك البلاد. والله العالم.^١

المسألة الثانية: في لزوم الهجرة إلى بلاد الغرب

إن الهجرة إلى بلاد الغرب تتضمن مخاطر كثيرة على المهاجرين المسلمين وأولادهم، وتمثل في التباين الواضح بين الخلفية الفكرية والاجتماعية والثقافية والفلسفية والعقائدية بين الإسلام والأنظمة المادية الرأسمالية. وإذا كانت هذه الدول تتمتع بالديمقراطية واحترام الحريات العامة بكافة أنواعها، مما يجعل المسلم قادراً على ممارسة شعائره والتمسك بتعاليم دينه أمراً يسيراً، لكن ذلك لا يعني عدم وجود تحديات أخلاقية وفكرية تهدد بنية الأسرة المسلمة والعلاقات الأسرية والاجتماعية والمنظومة الأخلاقية الإسلامية والقيم العليا والمفاهيم النابعة من الإيمان بالعبودية والتعاليم الإسلامية. وليس باستطاعة كل المهاجرين مواجهة هذا التحدي والإغراءات والانحرافات الثقافية والاجتماعية، فيتعرضون إلى هزات فكرية وسلوكية، وترتبك لديهم منظومة القيم بين ما يحملونه من تراث وعقيدة وبين ما ينهرون به من مفردات الحضارة الغربية، فتحدث إنحرافات أخلاقية وفكرية في أوساط المهاجرين وخاصة أبنائهم ممن تربوا ونشأوا في بيئة غربية. ولا يمكن مواجهة هذه الحالة وتحصين المهاجرين المسلمين من الوقوع فيها إلا «بوجود نشاطات إسلامية وثقافية وتربوية تحتضن الإنسان المسلم وأهله وأطفاله في محضن إسلامي يحميه من كل التأثيرات السلبية المنحرفة التي تؤدي إلى الضلال الفكري والعملية، بحيث يذهب الإنسان المسلم إليها مؤمناً ملتزماً ليتحول إلى إنسانٍ فاسقٍ منحرف. وهذا مما يوجب حرمة الهجرة إلى تلك البلاد».^٢

ولا يعني ذلك عدم وجود أولويات في تقدير اتخاذ قرار الهجرة حتى بوجود المخاطر الأخلاقية والفكرية. إذ أن بعض المهاجرين المسلمين يتعرضون لخطر يهدد حياتهم أو يجعلهم يعيشون في ظروف صعبة جداً مثلاً الهرب من أعين السلطة في الجبال أو الأهواز أو تحت الأرض. ولا يوجد ملجأً آخر له سوى اللجوء إلى البلدان الغربية. يذكر السيد فضل الله بعض الحالات الخاصة المستثناة من الحكم الشرعي المتعلق بالتعرب:

- ١- تعرض حياته للخطر في بلده في ظل حكم الظالم.
- ٢- تعرضه للحرَج الشديد البالغ حد الخطر.
- ٣- عدم وجود ملجأً آخر في بلاد إسلامية تمنحه فرصة العيش الكريم.

١ - أبو القاسم الخوئي، «المسائل الشرعية، إستفتاءات» / ج ٢ (المعاملات) / ص ٣٣١، الطبعة الثانية، ١٩٩٦

٢ - محمد حسين فضل الله، «المسائل الفقهية» / ج ٢ / ص ٣٢٩، دار المللك، بيروت: ١٩٩٦

٤- وجود مصلحة إسلامية تفرض عليه ذلك، كالحاجة إلى العمل في مجال الدعوة إلى الإسلام في تلك البلاد.

٥- توعية المسلمين الساكنين هناك، وحميتهم من الضلال والانحراف.

٦- مصالح تجارية أو سياسية تفرض الهجرة إلى هناك.

٧- ضغوط الحاجة المادية، والحاجة إلى وثائق رسمية إذا كان الوضع يؤدي إلى حرج شديد في حياة المسلم.^١

ولا يعني ذلك التحلل من الالتزامات الشرعية وتحمل مسؤولية نتائج الهجرة إلى الغرب حيث يفترض بالمهاجر امتلاك المناعة القوة ضد الانحراف بحيث يعلم من نفسه أنه قادر على حماية نفسه من أية مؤثرات سلبية في مسألة الالتزام. ومن دون أن تكون هناك أية مخاوف على الإيوان والالتزام هو وعائلته. من الطبيعي أن تقدير ضرورة الهجرة أو اتخاذ قرار طلب اللجوء إلى الغرب مسألة تعود إلى الخبرة الشخصية « لأن المسألة تتعلق بتكليفه الشخصي في قناعته بهذا أو ذلك. أما إذا لم يكن من أهل الخبرة في ذلك فلا بد له أن يرجع إلى أهل الخبرة الذين يحددون له طبيعة المصلحة والمفسدة أو حجمها في هذا الجانب».^٢

تقسيم النظرية الكلاسيكية العالم إلى قسمين، دار الإسلام ودار الحرب:

تقسيم النظرية الكلاسيكية العالم إلى قسمين، دار الإسلام ودار الحرب:

دار الإسلام:

وتعرف دار الإسلام: هي البلاد التي يسود فيها الحكم الإسلامي تشريعاً وتنفيذاً، وتكون القوة والعزة فيها للمسلمين، سواء كانوا أكثرية السكان بها من المسلمين، أم غير المسلمين.^٣ واشترط بعض الفقهاء أن تكون الأكثرية فيها للمسلمين، حتى لو غلب عليه غير مسلم.^٤ ويعرفها بعض الفقهاء المعاصرين بأنها « الأرض التي يمثل فيها المسلمون الأغلبية الساحقة، ويبارسون فيها التزاماتهم وشعائرتهم الإسلامية بحيث يكون الطابع العام الغالب عليهم إسلامياً، سواء أكان ذلك من خلال المجتمع في حركته، أو خلال الدولة في قوانينها».^٥

١ - المصدر السابق / ص ٣٢٩

٢ - محمد حسين فضل الله، «دنيا الشباب» / ص ١١١

٣ - محمد الصادق عفيفي، «الإسلام والعلاقات الدولية» / ص ١٢٨، دار الرائد العربي، بيروت: ١٩٨٦

٤ - محمد أبو زهرة، «العلاقات الدولية في الإسلام» / ص ٢٧٧، من كتاب (المؤتمر الأول لجمع البحوث الإسلامية) في الأزهر، القاهرة: آذار/ مارس ١٩٦٤

٥ - أجاز سباحة المرجع الديني السيد محمد حسين فضل الله على أسئلة الكاتب برسالة مؤرخة بتاريخ ٢٣ كانون الثاني ١٩٩٥

ويمكن من خلال هذا التعريف وضع الشروط التي لو توفرت في البلد أصبح دار إسلام وهي:

- ١- أن تكون أكثرية الشعب من المسلمين.
- ٢- أن يمارس الشعب الشعائر الإسلامية.
- ٣- أن تكون قوانين الدولة إسلامية.

دار الحرب:

وتعرف دار الحرب: وهي الأراضي التابعة لغير المسلمين خارج دار الإسلام. وهذا تعريف عام، لكن بعض الباحثين يرى: هي البلاد التي لا تكون فيها السيادة والمنعة للحاكم المسلم، ولا يقوى فيها المسلمون على تطبيق الأحكام الإسلامية^١. ويعرفها آخرون «بأنها الأرض التي يمثل فيها الكفار القوة القاهرة بحيث تعيش تحت تأثير المنهج الكافر للحياة على مستوى الدولة والمجتمع»^٢.

إذن يشترط في دار الحرب توفر الشروط التالية:

- ١- أن تكون الأكثرية من الكفار، أي غير المسلمين على الإطلاق.
- ٢- أن تتبع في قوانينها المنهج الكافر، أي غير الإسلامي، سواء على مستوى الدولة أو الشعب.

التعريف القانوني للسلطان العثماني

ورغم أن هذا التقسيم لم يرد في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية بل هو مجرد تقسيم وصفي افترضه فقهاء العصر العباسي لتمييز الدولة الإسلامية عن غيرها ويعتبره الفقهاء المعاصرون صحيحاً، إلا أن هذه التعريفات والمصطلحات ما زالت تثير الإشكالات والتساؤلات حول مصاديقها وتطبيقاتها في العصر الحالي. ومن هذه الأسئلة: أي الدول الإسلامية تعتبر دار إسلام وفق التعريف الفقهي؟ يتساءل الشيخ فيصل المولوي (لبناني سني):

« ما هو المعيار لسلطان الإسلام وتنفيذ أحكامه وإقامة شعائره؟ هل هو إقامة أحكام الإسلام بشكل كامل؟ هذا معناه أن أكثر بلاد المسلمين لم تعد اليوم دار إسلام. هل يكفي أن تطبق أحكام الأحوال الشخصية الإسلامية دون سائر القوانين؟ هذا معناه أيضاً أن تخرج بلاد إسلامية عريقة من دار الإسلام كتركيا (وتونس) (يطبق في تركيا القانون السويسري الخاص بالأحوال الشخصية). هل يكفي أن يقيم المسلمون شعائر الإسلام بحرية كالصلاة والصيام

١ - عفيفي / مصدر سابق / ص ١٣٠

٢ - رسالة السيد محمد حسين فضل الله إلى الكاتب / السؤال رقم ٢

والحج والزكاة لتعتبر دار إسلام بناء على استمرار الماضي، هذا معناه أن أكثر بلاد المسلمين تعتبر اليوم دار إسلام، ولكن ما الحكم في كثير من البلاد غير الإسلامية التي يأمن فيها المسلمون ويقيمون شعائرهم بحرية أكثر من بعض بلاد المسلمين؟ طبعاً لا يمكن اعتبارها دار إسلام، ولكن من حيث الواقع ليس هناك فرق بينها وبين الكثير من بلاد المسلمين التي لا تطبق أحكام الإسلام، وإن كانت تسمح بإقامة الشعائر الإسلامية.^١

إن القضية الرئيسية في هذا الموضوع هي الوضعية الشرعية للبلدان غير الإسلامية، أوربية وأمريكية وأفريقية وآسيوية. فهل تعتبر دار حرب، وما هي الأسس المعتمدة في ذلك التصنيف؟ يرى آية الله السيد كاظم الحائري، من كبار الأساتذة في الحوزة العلمية في قم، «أن الدول الغربية الحالية هي دار حرب»^٢. أما المرجع الديني آية الله السيد محمد حسين فضل الله فيرى أن «البلاد الغربية والدول المحايدة الكافرة الأخرى تعتبر (دار كفر)، ولكن لا يجوز - في رأينا - الاعتداء على أهلها، وذلك لأننا نستوحي من قوله تعالى (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم، إن الله يحب المقسطين)، فهو يدعو إلى البر بهم والعدل معهم فلا ينهاهم عن ممارسة ذلك. ونحن نعرف أن كلمة (العدل) تفرض وجود حق هؤلاء على المسلمين لا بد لهم من قيامهم به ومحافظتهم على إيصاله إليهم، وعلى هذا الأساس، فإننا نستوحي من ذلك أن العدل إذا جاز وجب.

وفي ضوء ذلك كانت فتوانا - التي نختلف فيها مع مشهور الفقهاء - هي أن الأصل حرمة كل إنسان في نفسه وماله وعرضه، إلا المحارب ومن بحكمه من الذين يخرجون المسلمين من ديارهم، ويساعدون على إخراجهم انطلاقاً من قوله تعالى (إنما ينهاكم عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون).^٣

فإذا كانت الدول الغربية تعتبر دار حرب فما هو المعيار لاعتبار بلد ما دار حرب؟ هل مجرد أن أهلها كفار تصبح دار حرب؟ يتساءل فيصل المولوي ثم يجيب «طبعاً الجواب لا، لأن الكفار قد يدخلون في عهد مع المسلمين لا يدفعون فيه الجزية ولا يخضعون لدار الإسلام فتعتبر بلادهم دار عهد كما يرى الإمام الشافعي»^٤. ثم يستنتج المولوي أن بلاد الغرب ليست بدار حرب، حيث يناقش القضية من جوانب أخرى. إذ يعتبر عدم وجود حرب فعلية معها ووجود معاهدات بين

١ - فيصل المولوي، «الأسس الشرعية للعلاقات بين المسلمين وغير المسلمين» / ص ٩٩-١٠٠، دار الرشد الإسلامية، بيروت: ١٩٨٧.

٢ - أجاب السيد كاظم الحائري على أسئلة الكاتب برسالة مؤرخة بتاريخ ٣٠ حزيران ١٩٩٦ / سؤال رقم ١١ .

٣ - رسالة السيد فضل الله إلى الكاتب / ص ٤

٤ - فيصل المولوي / مصدر سابق / ص ١٠٠-١٠١

الدول الغربية والدول الإسلامية شروطاً تخرجها عن دائرة (دار الحرب)، فيقول: «إننا نستطيع أن نستتج مما تقدم أن المسلمين في أوروبا وغيرها من بلاد الغرب ليسوا في دار حرب:

أولاً: لأنه ليس هناك من حكامنا من أعلن الحرب.
ثانياً: لوجود معاهدات بين دولنا وهذه الدول ونحن ملزمون بهذه المعاهدات شرعاً طالما أنها لا تُلزمننا بمعصية. فإذا أردنا الالتزام بالتقسيم الفقهي للعالم إلى دار إسلام ودار حرب ودار عهد فنحن هنا في دار عهد»^١

في الدول

إذن نحن أمام قسم ثالث ساء الفقهاء بدار العهد، فما هي شروط دار العهد؟ يعرف الفقهاء دار العهد بأنها: «بلاد غير إسلامية عقد أهلها الصلح مع المسلمين دون أن تؤخذ منهم جزية. فدارهم لا تخضع لأحكام الإسلام فليست من دار الإسلام، وليس بينهم وبين المسلمين حرب فليسوا دار حرب»^٢. ويعرفها بعض الفقهاء بأنها «الأرض التي يغلب عليها الكفار الذين صالحهم المسلمون على البقاء فيها ودخلوا معهم في معاهدة سلام على أن تكون الأرض لأهلها، وتسمى (دار الصلح)»^٣.

ومن الفقهاء الشيعة الذين يرون الدول الغربية دار عهد هو الشيخ محمد علي التسخيري، الذي يرى «إن الدول الغربية ليست من ديار الحرب، إلا إذا دخلت حرباً مع العالم الإسلامي، بل هي من ديار العهد»^٤.

ويضيف التسخيري بأنه «لا مانع من توقيع معاهدة عدم اعتداء مع دولة غير مسلمة، بل أن القبول بميثاق الأمم المتحدة يعني ذلك عموماً»^٥. ويؤيد المراجع العظام كالسيد عبد الهادي الشيرازي والسيد محمد رضا الكلبايكاني وغيرهم «أن دخول البلاد الإسلامية مع الدول الأخرى في ميثاق الأمم المتحدة يلزم تلك البلاد باحترام تلك الدول في أهلها ونظامها»^٦. ورغم أن السيد محمد حسين فضل الله يعتبر البلاد غير الإسلامية دار حرب إلا أنه يرى أنه لا مانع من عقد معاهدات صداقة وسلام معها. فقد سألته عن الدول غير الكتابية كإندونيسيا وكوريا

١ - المرجع السابق / ص ١٠٣-١٠٤

٢ - المرجع السابق / ص ٩٨

٣ - رسالة السيد فضل الله إلى الكاتب / ص ٢

٤ - رسالة الشيخ محمد علي التسخيري إلى الكاتب مؤرخة بتاريخ ١٠ آب ١٩٩٦ / ص ١٦

٥ - رسالة الشيخ التسخيري إلى الكاتب / سؤال رقم ٥

٦ - رسالة السيد فضل الله إلى الكاتب / سؤال رقم ٦

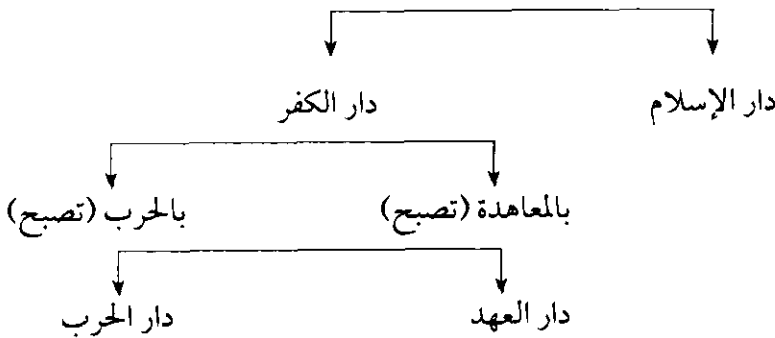
والصين فأجاب:

« هي دار حرب، ولكن الواقع الحاضر الذي لا يمثل المسلمون فيه قوة قاهرة، لا تترتب آثار الحرب عليها بالمعنى العملي، فيمكن الدخول معها في معاهدة عدم اعتداء أو صداقة أو تبادل تجاري أو أممي أو ثقافي مما تفرضه المصلحة الإسلامية العليا، ولكنها لا تمثل دار العهد بالمعنى المصطلح لأنه لا موضوع لذلك في خصوصيات الواقع »^١.

إن التقسيم التقليدي الذي يصنف الدول خارج دار الإسلام بأنها دار حرب لا يعتمد أي قاعدة أو معيار لذلك التقسيم وقد ذكرنا في الفصل السابق أن الصفة العامة التي تميزت بها الدول المعادية للإسلام في العصر العباسي هي العداء والحروب المتواصلة، قد جعلت هناك ملازمة بين إطلاق كلمة الحرب ودار الحرب على كل ما هو خارج الدولة الإسلامية. ومع أن بعض الفقهاء يستخدم أحياناً مصطلح دار الكفر إلا أن الغالبية تعتمد مصطلح دار الحرب. ومن ناحية لغوية فإن (دار الحرب) لا تكون مخالفة ل(دار الإسلام) بل ل(دار السلم)، إن كان يتضمن المعنى الإصطلاحي لكلمة الإسلام. ولغرض توضيح هذه الفكرة، ومعرفة دلالة كل مصطلح استناداً إلى معيار معين، سيكون التقسيم حسب ما يلي:

- | | | | |
|---------------------------------|-------------|---------|-----------|
| ١- على أساس المعيار الأيديولوجي | دار الإسلام | تقابلها | دار الكفر |
| ٢- على أساس المعيار الأمني | دار السلم | تقابلها | دار الحرب |
| ٣- على أساس المعيار السياسي | | | دار العهد |

والشكل التالي يوضح العلاقة بين هذه المصطلحات:



١ - المرجع السابق / ص ٦

ويذهب بعض الباحثين والإسلاميين بعيداً في تطبيق هذه المصطلحات على الواقع الحالي للدول الغربية، فالباحث المغربي عبد العزيز بن الصديق يصف الحريات التي يتمتع بها المسلمون والأعداد الغفيرة من المؤسسات الدينية (مساجد، معاهد، مراكز ومدارس وغيرها) التي أسسها المسلمون المقيمون في أوروبا وأميركا، وكذلك الدعوة إلى الإسلام واعتناقه من قبل الأوربيين والأميركيين، ليستنتج « أن أوروبا وأميركا، من هذه الناحية أصبحت بلداناً إسلامية مستوفية كل الخصائص الإسلامية. وأن المقيم فيها مقيم في دولة إسلامية، حسب المصطلح اللغوي للفقهاء المسلمين ». ¹ ويؤيد ذلك راشد الغنوشي زعيم حركة النهضة الإسلامية التونسية، حيث صرح عام ١٩٨٩ في مؤتمر اتحاد المنظمات الإسلامية في فرنسا ((UOIF)، « أن فرنسا أصبحت دار إسلام ». وقد قبلت المنظمات الإسلامية ذلك الطرح وأصبح محل الرأي السابق الذي يقول « بأن فرنسا جزء من دار العهد ». ²

التساؤل الشرعي للإقامة في الغرب

هناك رأيان يبرران الأساس الشرعي لإقامة المسلم في البلدان الغربية سواء كانت دار كفر أو دار عهد،

الأول: يرى أن دخول المسلم من خلال طلب سمة الدخول (الفيزا) والتي تشابه «عقد الأمان» في الفقه الإسلامي. إذن دخول المسلم إلى تلك البلاد وإقامته فيها يتم من خلال عقد فردي مع تلك الدولة، تمنحه فيها حق الدخول أو الإقامة والعيش فيها. يقول السيد محمد حسين فضل الله: «لا يمكن اعتبار البلاد الغربية دار عهد بالمعنى المصطلح من ناحية عامة، ولكن لا بد للمسلم - من الناحية الفردية - أن لا يسيء إلى أهلها ونظامها - بما لا ينافي التزامه الإسلامي - انطلاقاً من العهد الفردي بينه وبينهم من خلال التزامات سمة الدخول التي يلزم فيها نفسه بالمحافظة على عنصر السلام في وجوده في داخل البلد. وفي ضوء ذلك يمكن أن ينطبق هذا الحكم على المجموعات الإسلامية المتواجدة في تلك البلد بلحاظ التزام كل واحد منهم. فيجب عليهم الوفاء بالتزاماتهم العقدية وشروطهم حتى مع الكفار انطلاقاً من «أوفوا بالعقود» و «المؤمنون عند شروطهم». ³

ويتفق المرجع الديني السيد علي السيستاني، إذ يعتبر الفيزا بمثابة عقد أمان يستوجب الإيفاء

1 P. S. van Koningsveld " Islam as a Minority Religion in Europe" p. ٧١

2 P. S. van Koningsveld " Islam as a Minority Religion in Europe" p. ٨٢

٣ - رسالة السيد فضل الله إلى الكاتب / سؤال ٣

بالتزاماته وشروطه. يقول سماحته:

«إن كان دخول المسلم إلى البلاد الغربية بالطريق الرسمي ومن خلال وثيقة الجواز، فإن هذه الوثيقة تتضمن شرطاً دولياً بالأمان، بحيث لا يجوز قانوناً لداخل البلاد مخالفة قوانينها». ويقول في موضع آخر: «لا تجوز السرقة من أموالهم (الغربيين) الخاصة والعامة وكذا إتلافها إذا كان ذلك يسيء إلى سمعة المسلم أو المسلمين بشكل عام. وكذا لا يجوز إذا لم يكن كذلك ولكن عُدَّ غدرًا ونقضاً للأمان الضمني المعطى لهم حين طلب رخصة الدخول في بلادهم أو طلب رخصة الإقامة فيها لحرمة الغدر ونقض الأمان بالنسبة إلى كل أحد.»^١

الثاني: أن دخول المسلمين وإقامتهم في البلدان الغربية يستند إلى المعاهدات المعقودة بين الدول السلامية والبلدان الغربية سواء كانت معاهدات ثنائية أو معاهدات دولية من خلال منظمة الأمم المتحدة. فهذه المعاهدات تمنح المسلمين حق الدخول أو الإقامة في تلك البلدان الغربية. يقول القاضي الشيخ فيصل المولوي: «إننا نحن المسلمين الموجودين في بلاد الغرب إنما أتينا هنا بناء على هذه المعاهدات، وحصلنا على التأشيرة اللازمة»^٢.

تنظم اتفاقية جنيف عام ١٩٥١ وبروتوكول نيويورك ١٩٦٧ إجراءات طلب اللجوء السياسي وحقوق اللاجئين وصلاحيات وواجبات الدول المضيفة. تعرف الاتفاقية المذكورة اللاجئين السياسي بأنه:

هو الشخص الذي يشعر بالخوف، لأسباب معتبرة، من الملاحقة له شخصياً من قبل دولته بسبب أصله أو جنسه، ديانته، جنسيته، أو ينتمي إلى مجموعة اجتماعية معينة أو ذات نهج سياسي واضح. ولا تتوفر له حماية كافية.

وقد وقعت على اتفاقية جنيف أكثر من مئة دولة، تعتبر دول مفتوحة لقبول طلبات اللاجئين. ولا يحق للدول الموقعة الامتناع عن منح اللاجئين حق تقديم طلب اللجوء، بينما يعود إليها القرار في قبوله أم رفضه. كما يجب على الدول المضيفة توفير الخدمات اللازمة للاجئين كالسكن والطعام والملابس والصحة والتعليم وتوفير الأمن لهم وبقية الخدمات الإنسانية والاستشارات القانونية وإجراءات قضائية عادلة. وتركت الاتفاقية للدول المضيفة اتخاذ الإجراءات اللازمة وتحديد طلبات اللجوء، من حيث نسبتها وعددها أو الجنسيات التي تفضلها. كما يعود للدول تقدير الحالات الإنسانية التي تمنح فيها اللجوء لأسباب إنسانية.

١ - فتوى خطية للسيد علي السيستاني مورخة في ٣ شعبان ١٤١٤

٢ - فيصل المولوي، «الأسس الشرعية للعلاقات بين المسلمين وغير المسلمين» / ص ١٠٢

وتقوم المفوضية العالية للاجئين التابعة للأمم المتحدة UNCHR بمتابعة تطبيق الاتفاقيات الدولية المتعلقة باللاجئين في الدول الموقعة. كما تقوم المفوضية بالاتفاق مع الدول باستضافة لاجئين من مناطق معينة. ويجري استدعاء وقبول هؤلاء اللاجئين وفق اتفاق خاص من حيث عددهم وجنسياتهم. فعلى سبيل المثال تمت دعوة واستقبال أكثر من ٢٥ ألف لاجئ عراقي من السعودية والأردن وسوريا إلى الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وأستراليا وبريطانيا وهولندا والسويد وفنلندا وغيرها.

طاعة القوانين العينية

يعيش خمسة عشر مليون مسلم في بلدان أوروبا الغربية، يتمتعون بحرية تامة في ممارسة عباداتهم وشعائرهم. ومن الطبيعي أن يحترم هؤلاء المهاجرون المسلمون قوانين البلدان التي يقيمون فيها، وعدم الإساءة إلى النظام العام والأمن، واحترام غير المسلمين وأموالهم، باعتبارهم دخلوا البلاد وفق عقد أو قانون يحتوي ضمناً على مبدأ احترام قانون الدول المضيقة. ومن الطبيعي أن يكون المسلم عند عهده.

يرى بعض المراجع الشيعة كالسيد محمد حسين فضل الله أنه «لا ينبغي للمؤمن أن يسيء إلى نظام البلد الذي يعيش فيه، وإلى أمنه، للمفاسد الكثيرة المترتبة على ذلك، ولزوم هتك حرمة المسلمين، بل ربما يحتمل أن هناك التزاماً بينه وبين هذا البلد بأن يحافظ على نظامها وأمنها من خلال (الفيزا) التي تمنحها له»^١.

وقد سألت السيد محمد حسين فضل الله حول رأيه الآنف الذكر، وأن دخول المسلم إلى بلد وحصوله على الفيزا يعني التزاماً ضمناً باحترام القوانين، فهل تعتبرون وجود المسلم في بلدان الغرب هو التواجد في دار عهد؟ وما هي واجباتهم الشرعية فيما يتعلق بذلك الأمر؟ فكان جواب سباحته كالتالي:

«لا يمكن اعتبار البلاد الغربية دار عهد بالمعنى المصطلح من ناحية عامة، ولكن لا بد للمسلم - من الناحية الفردية - أن لا يسيء إلى أهلها ونظامها العام - بما لا يناهز التزامه الإسلامي - إنطلاقاً من العهد الفردي بينه وبينهم من خلال التزامات سمة الدخول (الفيزا) التي يلزم فيها نفسه بالمحافظة على عنصر السلام في وجوده في داخل البلد، وفي ضوء ذلك يمكن أن ينطبق هذا الحكم على المجموعات الإسلامية المتواجدة في تلك البلد بلحاظ التزام كل واحد منهم، فيجب عليهم الوفاء بالتزاماتهم العقدية وشروطهم حتى مع الكفار إنطلاقاً من «أوفوا بالعقود»

١ - محمد حسين فضل الله، «المسائل الفقهية» / ص ١٧٤

و «المؤمنون عند شروطهم». وعليهم - من خلال ذلك- الحفاظ على النفوس والأموال والأعراض والنظام العام في ذلك البلد»^١.

وللسيد علي السيستاني رأي مشابه يقول فيه «إن الدخول الرسمي للدول الغربية من خلال وثيقة الجواز، فإن هذه الوثيقة تتضمن شرطاً دولياً بالأمان، بحيث لا يجوز قانوناً لداخل البلاد مخالفة قوانينها»^٢. ويقول سماحته أيضاً «لا تجوز السرقة من أموالهم (الأوربيين) الخاصة والعامّة وكذا إتلافها إذا كان ذلك يسيء إلى سمعة المسلم أو المسلمين بشكل عام. وكذا لا يجوز إذا لم يكن كذلك، ولكن عُدّ غدرًا ونقضاً للأمان الضمني المعطى لهم حين طلب رخصة الدخول في بلادهم أو طلب رخصة الإقامة فيها لحرمة الغدر ونقض الأمان بالنسبة إلى كل أحد».

وهذا رأي صائب إذ أنه من المعلوم عرفاً أن من يدخل بلد ما عليه احترام قوانينها، سواء كانت إقامته قصيرة أو طويلة. ولو أنه عند الدخول قال لسلطات الحدود بأنه يؤمن بمخالفة قوانين الدول غير الإسلامية فلا يسمح له بالدخول. إن احترام قوانين البلدان يعتبر من العرف الدولي. ويؤكد السيد محمد حسين فضل الله على أهمية احترام القوانين والسلوك الإسلامي القويم فيقول «لا بد للمسلم أن يكون أميناً على أموال الآخرين مسلمين كانوا أو غير مسلمين... وأنه لا ينبغي للإنسان المؤمن أن يفعل ذلك (أي سرقة الكافر أو بيعه المخدرات أو إعطاؤه عملة مزورة) لاسيما في العملة المزورة، لأنه لا بد أن يكون مثال الأمانة مع كل الناس وفي جميع الأشياء، حتى يكون النموذج الإنساني الكامل في علاقته بالناس، من دون فرق بين أن تكون الفتوى بالحلية أو بالحرمة، أما رأينا فهو الحرمة في الجميع»^٣.

ويتفق الشيخ فيصل المولوي في ذلك الأمر إذ يقول «إن من واجبتنا الشرعي أن نلتزم بقوانينهم فيما لا معصية فيه. إن حقوقنا في هذه البلاد هي ما تعطينا قوانينهم من حقوق، ولا يجوز لنا أن نتجاوز هذه القوانين باحتيال أو كذب أو خديعة أو غدر»^٤. أما المفكر الإسلامي كليم صديقي، بريطاني من أصل هندي، فيقول «على المسلمين في الدول الغربية أن يدفعوا الضرائب للسلطات غير المسلمة. ويجب عليهم طاعة القوانين طالما كانت هذه القوانين لا تعارض التزامهم بالإسلام وارتباطهم بالأمة»^٥.

١ - رسالة السيد محمد حسين فضل الله إلى الكاتب / س ٣

٢ - فتوى خطية لساحة السيد علي السيستاني مؤرخة في ٣ شعبان ١٤١٤

٣ - محمد حسين فضل الله، «المسائل الفقهية» / ص ١٧٢-١٧٣

٤ - فيصل المولوي / مصدر سابق / ص ١٠٩

٥ - van Koningsveld "Islam as a Religion in Europe" p. ٨٥

تعرف الجنسية **Nationality** بأنها "رابطة سياسية وقانونية بين الفرد والدولة. وهناك من يضيف إلى هاتين الرابطين رابطة ثالثة هي الرابطة الاجتماعية وخصوصاً عندما يكون شعب الدولة مكوناً من أمة واحدة".^٢ فهي علاقة سياسية تنشئها الدولة بمحض إرادتها، علاقة سياسية ضرورية تربطها برعاياها فتمنحها لمن تشاء وتحرمها ممن تشاء وفق ظروفها السياسية والاقتصادية والاجتماعية. فهذه الظروف مجتمعة أو منفردة تملئ عليها سياسة معينة في مسائل الجنسية. فقد تكون رغبة في كثرة شعبها فتأخذ حينئذ بحق الإقليم بالإضافة إلى حق الدم، فتعتبر كل من ولد في إقليمها متمتعاً بجنسيتها ولا تكفي فقط بحق الدم. وبجانب هذين الأساسين تذهب أكثر من ذلك فتشجع الدخول في شعبها من الأجانب وذلك يفتح باب التجنس وتخفيف شروطه وإجراءاته. وعلى العكس من ذلك تضيق في سبيل الحصول على جنسيتها متى كانت غير رغبة في تزايد شعبها فتقتصر في منح جنسيتها لمن ولد لأصل يحمل هذه الجنسية أي تقتصر على الأخذ بالدم".^٣ والجنسية في القانون هوية خاصة لكل دولة، وهي ترجمة للفظ.

وهي علاقة قانونية حيث يرتبط طرفاها بروابط قانونية، إذ تفرض على كل منها التزامات للآخر وتقرر له حقوقاً قبله. فهي علاقة قانونية متبادلة أي مزدوجة الأثر. فللشخص حق الحماية لشخصه وماله ولعرضه وتهمي له سبل الحياة لتقيه بالوسائل المتاحة لها شر الفقر والمرض والجهل، ولها عليه مقابل ذلك واجب الولاء والطاعة وتنفيذ أوامرها المشروعة. وتعتبر الجنسية المعيار لتحديد صفة الأجنبي داخل كل دولة وما يترتب على هذه الصفة من آثار من حيث التمتع بالحقوق داخل الدولة، حيث لا يتمتع الأجنبي بالكثير من الحقوق العامة وخاصة الحقوق السياسية.

يعيش في أوروبا الغربية حالياً أكثر من ١٥ مليون مسلم. وتواجد المسلمين في البلدان الغربية واستقرارهم فيها يطرح عدة مشاكل شرعية أمام الأقليات الإسلامية المقيمة. وبعض هذه المشاكل تتعلق مباشرة بوضعيتهم واندماجهم في المجتمعات الغربية، كالتجنس والمشاركة في الحياة السياسية. ويرى بعض المسلمين أن الحصول على جنسية تلك البلدان يسهل الحياة في تلك المجتمعات، إذ أنه يفتح أمامه الأبواب في المشاركة في القضايا العامة والتدرج في الوظائف الحكومية، بل وتمثيل الشعب الغربي ودخول البرلمانات الأوروبية، كما هو حاصل في بعض

١ مجلة النور الصادرة في لندن - العدد: ١١٣ - تشرين الأول ٢٠٠٠

٢ - عبدالرحمن عبد العزيز القاسم، «القانون الدولي الخاص وأحكامه في الشريعة الإسلامية» / ص ٢٥

٣ - المرجع السابق / ص ٢٧

الأحيان. كما أن بعض فئات المسلمين قدمت إلى البلدان الغربية طلباً للجوء السياسي، وبسبب أوضاع بلدانها، فقدت كل وثائقها القانونية وأوراقها الثبوتية، إضافة إلى أن حكومات تلك الدول لا تمنحها وثائق جديدة أو تزود أولاد المهاجرين بوثائق قانونية كجوازات السفر أو شهادات الجنسية. كل ذلك يجعل الحصول على جنسية البلد الغربي أمراً مطلوباً في ذاته، وكذلك لحل العديد من المشاكل القانونية.

وللعلماء المسلمين وجهات نظر مختلفة حول التجنس بجنسية غربية. ومع أن الجنسية لا تحمل بعداً عقائدياً بل هي مجرد إثبات للإنتماء القانوني إلى بلد ما، إلا أن بعض العلماء يعتبرها معياراً للعقيدة والدين، فيعتبر حصول المسلم على جنسية دولة غير مسلمة بمثابة ترك المسلم لدينه، وفك ارتباطه بالعالم الإسلامي. وهذا معيار غير دقيق ويتضمن العديد من الإشكالات منها أن هناك أقليات غير إسلامية تعيش في البلدان الإسلامية وتحمل جنسيتها، فهل يدل ذلك على أنها تركت دينها وأصبحت مسلمة؟ وهناك أقليات إسلامية تعيش في بلدان كافرة، كتابية أو وثنية، وتحمل جنسيتها، فهل يعني أنها غير مسلمة؟ وهناك من يعتقد الإسلام من الغربيين، وبالطبع فهم يحملون جنسية بلدانهم، فهل يُطعن في إسلامهم إذا بقوا حاملين لها؟

التجنس في تونس والجزائر

هناك بعض الحالات التاريخية أعتبر فيها الحصول على الجنسية بمثابة مغادرة الإسلام والارتباط بالأجنبي المحتل، كما حدث في تونس والجزائر حيث كانت الحكومة الفرنسية المستعمرة تشجع المسلمين هناك على الحصول على الجنسية الفرنسية لأسباب سياسية وقانونية من خلال ضم تلك البلدان إلى الدولة الفرنسية باعتبارهم مواطنين فرنسيين. وكانت السلطات الفرنسية تجند اليهود الجزائريين لتكثير عدد الفرنسيين وللإعتماد عليهم في إدارة البلاد والمهيمنة على تجارتها. ولما كانت حركة الجهاد الإسلامي موجهة ضد الاحتلال الأجنبي ومن يتعاون معه، فجرى اعتبار من يتجنس بالجنسية الفرنسية ملتحقاً بخدمة الكفار، ومرتبداً عن الدين الإسلامي، ورفض دفته في مقابر المسلمين. من جانب آخر فإن المتجنس يطبق عليه القانون الفرنسي حتى في الأحوال الشخصية كالنكاح والطلاق والموارث.

وبقيت نظرة الفقهاء التونسيين والجزائريين والمغاربة سلبية نحو التجنس بسبب الخلفية التاريخية والتجربة السياسية، وبسبب فهمهم الخاص للمسألة للأسباب التي ذكرناها.

لقد طرحت مسألة التجنس بجنسية غير إسلامية في وقت مبكر من القرن العشرين، فقد سأل بعض التونسيين علماء الأزهر حول «تجنس رجل مسلم بجنسية أمة غير مسلمة إختياراً منه،

والتزم أن تجري عليه قوانينها بدل أحكام الشريعة الغراء^١، فأجابه الشيخ يوسف الدجوي من هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف بما يلي: «إن التجنس بالجنسية الفرنسية والتزام ما عليه الفرنسيون في كل شيء حتى الأنكحة والمواثيق والطلاق ومحاربة المسلمين والانضمام إلى صفوفهم معناه الإنسلاخ من جميع شرائع الإسلام ومبايعة أعدائه... وأما حليف الفرنسيين الخارج من صفوف المسلمين طوعاً وإختياراً مستبدلاً لشريعة بشرية، وأمة بأمة مقدماً ذلك على إتباع الرسول بلا قاسر ولا ضرورة فلا بد أن يكون في اعتقاده خلل، وفي إيمانه دخل... فلسنا نشك في أن هؤلاء المتجنسين بالجنسية الفرنسية على أبواب الكفر وقد سلكوا أقرب طريق إليه»^٢.

وواضح أن ظروف التجنس ونتائجه تستدعي ذلك الرأي خاصة إذا ذكر أن المتجنس بجنسية غير إسلامية ينسلخ عن الشريعة الإسلامية، فمما لا شك فيه أن أي فقيه مسلم سيكون ذلك رأيه. كما أن الظروف السياسية واضحة في مضمون الفتوى وغايتها التي تهدف مساعدة حركة الجهاد وقطع الطريق أمام السلطات المحتلة باستخدامها هذه الوسيلة لإغراء المسلمين للانضمام إليها وخدمة مخططاتها وأغراضها في تغيير هوية البلد الإسلامي، واعتبار الجنسية جسراً لعبور أبناء البلد إلى الخندق الآخر.

وتم توجيه سؤال من قبل أحد التونسيين المقيمين بمصر إلى جمعية الهداية الإسلامية في القاهرة حول التجنس بالجنسية الفرنسية، «فبحثت المسألة، فرأت أن الأدلة القائمة على ردة المتجنس قاطعة، فكتبت فتوى بذلك وقدمتها إلى مجلس إدارة الجمعية، فقرر نشرها بالصحف تحذيراً للمسلمين من الوقوع في هاوية الارتداد عن الدين»^٣ وقد تضمن السؤال عن التجنس «والتزام المتجنس بأن تجري عليه أحكام قوانين الأمة غير المسلمة بدل أحكام الشريعة حتى في الأحوال الشخصية، ويدخل في صفوفها عند محاربتها لأمة إسلامية، كما هو الشأن في التجنس بالجنسية الفرنسية الآن في تونس. فهل يكون نبذه لأحكام الشريعة الإسلامية، والتزامه لقوانين أمة غير مسلمة طوعاً منه ارتداداً عن الدين، وتجري عليه أحكام المرتدين، فلا يُصلى عليه، ولا يُدفن في مقابر المسلمين، أو كيف الحال؟ وإذا كان خلع أحكام الشريعة عن عنقه، والتزامه لقوانين أمة غير مسلمة ردة، فهل ينفعه أن يقول بعد هذا الالتزام أني مسلم أشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؟ أفقونا».

١ - محمد بن عبد الله بن سبيل، «التجنس بجنسية دولة غير إسلامية» مقال منشور في مجلة المجمع الفقهي الإسلامي / العدد الرابع / ص ١٤٩، (١٩٨٩)

٢ - المرجع السابق / ص ١٥٠-١٥٤

٣ - المرجع السابق / ص ١٥٥

وطبيعي أن صيغة السؤال وما تضمنه من عبارات تسيّر باتجاه تكفير المتجنس، تجعل الفقيه لا يرى أبعد من ذلك، ويتفاعل مع السؤال، إضافة إلى الجو الإسلامي العام المناوئ للإستعمار والدول الاستعمارية المحتلة، خاصة وأنها دول غير مسلمة، فكانت فتوى اللجنة المذكورة كالتالي:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه. أما بعد فإن التجنّس بجنسية أمة غير مسلمة على نحو ما في السؤال هو تعاقد على نبذ أحكام الإسلام عن رضا واختيار، واستحلال لبعض ما حرم الله، وتحريم لبعض ما أحل الله، والتزام لقوانين أخرى يقول الإسلام ببطلانها، وينادي بفسادها. ولا شك أن شيئاً واحداً من ذلك لا يمكن تفسيره إلا بالردة^١، ولا ينطبق عليه حكم إلا حكم الردة، فما بالك بهذه الأربعة مجتمعة في ذلك التجنّس الممقوت؟

أما النطق بالشهادتين مع التردّي في هذه البؤر الخبيثة الموجبة للردة، ومع عدم الإقلاع عنها والتبرؤ منها والندم عليها، هذه الشهادة لا تنفع صاحبها وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم، لأن الشهادتين إنما كانتا دليلاً على الإسلام باعتبار أنها عقد بين العبد وربّه على احترام أحكام دينه، والرضا عنه وعن تشريعه، وعدم تحطيه إلى شريعة أخرى...^٢
التوقيعات

أمين اللجنة
محمد عبد العظيم الزرقاني
من علماء الأزهر

رئيس اللجنة
علي محفوظ
المدرس بكلية أصول الدين بالأزهر

شبكة المصطفى - تونس - ٢٠١٥

تعرض بعض الفقهاء المعاصرين إلى موضوع التجنّس، بعد تغير الظروف وتطور الأوضاع السياسية للبلدان الإسلامية والغربية معاً. وبعد ما أخذت أعداد هائلة من المسلمين تذهب إلى الغرب طلباً للرزق والعمل والإقامة، فأصبحت قضية التجنّس واحدة من القضايا الهامة التي لا بد للإسلام أن يعطي رأيه فيها. فقد نشر الشيخ محمد الشاذلي النيفر، عضو المجمع الفقهي الإسلامي برابطة العالم الإسلامي (تونس)، بحثاً حول التجنّس، يميز فيه أولاً بين ظروف المتجنّسين، فيقسم التجنّس إلى قسمين:

١ - أغلب التشريعات في الدول الإسلامية هي تشريعات غير إسلامية، وحتى قوانين الأحوال الشخصية تتضمن إحكاماً غير إسلامية، مثلاً يمنع القانون التونسي تعدد الزوجات، أما القانون التركي للأحوال الشخصية فهو بكامله قانون سويسري. ومع ذلك فلا أحد يعتبر أولئك المسلمين مرتدين.

٢ - راجع النص الكامل للسؤال والفتوى في مجلة المجمع الفقهي الإسلامي / العدد ٤ / ص ١٥٦-١٦٠

١- التجنس الإضطراري، مثل الأقليات المسلمة التي تقيم في دول غير إسلامية، وهي بالأصل من سكان تلك المناطق، كالمسلمين في روسيا والهند والصين وكوريا وبولونيا وبلغاريا واليونان، حيث يقول: إن « حكم هؤلاء الجارية عليهم الأحكام غير الإسلامية، حتى اعتبروا متجنسين بجنسية غير إسلامية أنهم مسلمين غير عاصين ». ^١ الجدير بالذكر أن ثلث المسلمين في العالم يعيشون كأقليات في بلدان غير إسلامية أي أن أكثر من (٤٠٠) مليون مسلم أي بنسبة ٤٠٪ من مجموع أكثر من ١ و١ مليار مسلم في العالم.

٢- التجنس الاختياري، ويقصد به أولئك المتجنسين المقيمين في البلاد الأجنبية دعتهم أعمالهم ووجودهم في بلد استوطنوه فاختاروا جنسيته لكنهم لم ينسوا إسلامهم وعملوا لبقائه في أنفسهم وتقدموا في ذلك فأنشأوا مؤسسات إسلامية. ويناقش مدى انطباق قوله تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)، ثم يستنتج أنها لا تشمل المسلمين بل هي تخص الكفار، « وبمقتضاه لا يحكم بكفر من دخل تحت أحكام غير إسلامية لأنه ليس مشمولاً لما ورد في الآيات ». ^٢ ويضع الشيخ النيفر شروطاً يجب استيفاؤها من قبل أولئك المقيمين في الدول الغربية، وهي:

١- أن لا تكون إقامة المسلم في الأرض المحكومة لغير المسلمين إقامة هوان و ذلة.

٢- حرية إقامة الشعائر الإسلامية (الصلاة والزكاة والصيام والحج).

٣- الأمن على النفس والولد والمال.

٤- الإحترام من الفتنة في الدين. ^٣

أما الشيخ محمد بن عبدالله بن سبيل، إمام الحرم المكي الشريف، فيرى « أن المسلم الذي يقبل الانتظام في سلك الجنسية يستبدل أحكامها بأحكام القرآن فهو ممن يتبدل الكفر بالإيمان ». ويستنتج أن « طلب الجنسية الذي من لوازمه أن يصير المتجنس تابع لقوانين وضعية نصوصها صريحة بالحكم بغير ما أنزل الله، وإباحة الزنا وتعاطى الخمر وارتكاب الفجور وتحليل الربا والاكتماب من طرق غير مشروعة. ومنع تعدد الزوجات، واعتبار ما زاد على الواحدة من قبيل الزنا المعاقب عليه (؟!) وإنكار نسب ما ولد له من زوجة أخرى حالة وجودها عنده، ولا حق له في نفقة ولا إرث.. وكون المتجنس مجبوراً على الخدمة العسكرية في جيش الدولة التي انتمى إليها بهذه الجنسية، واستعداده للقتال في أي وقت تقوم حرب على دولته، حتى ولو كان على دولة مسلمة.. يتضح من ذلك أن من يطلب الجنسية من دولة كافرة ميلاً إليهم، ومحبة في القرب

١- المرجع السابق / ص ٢٣٠

٢- المرجع السابق / ص ٢٣٩-٢٤٠

٣- المرجع السابق / ص ٢٤٦-٢٤٧

منهم، والانضمام إليهم، والدخول في سلوكهم، والرضا بسيطرته عليه وعلى ذريته فإنه داخل تحت قول تعالى (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) وقوله (ومن يتوهم منكم فإنه منهم) ^١.

ولا يخلو هذا الطرح من إشكالات من حيث التعميم وافترض أن هناك تلازماً بين التجنس وارتكاب المعاصي وكأن التجنس هو الدافع لارتكابها وليست الإقامة في هذه الدول، إذ يقيم في الغرب آلاف الفقهاء والعلماء المسلمين، وبعضهم يشرف على المؤسسات الدينية والمساجد، كما أن بعضهم يحملون جنسيات وجوازات غربية، فهل يطعن بإسلامهم والعياذ بالله.

ويرفض أحد المشايخ في فرنسا، محمد بن عبد الكريم الجزائري، الجنسية الغربية ويعتبرها ردة عن الدين الإسلامي حيث أصدر كتيباً بعنوان (تغيير الجنسية ردة وخيانة) ^٢. أما الخمليشي عبدالله الطائي، إمام مسجد مغربي في أمستردام فيقول «إن المسلم الذي يقبل جنسية دولة غير مسلمة يحرم نفسه من انتمائه لدولته المسلمة بكل ما في ذلك من امتيازات وقدرات، يريد أن ينتهي مرتداً. فقد يُجبر هو أو أولاده على أداء الخدمة العسكرية ومحاربة إخوانه المسلمين أو الدول الإسلامية. إن التجنس يتضمن القبول بالقوانين الأجنبية. وهذا القانون هو الذي ورد ذكره في القرآن وسماه بالطاغوت، ونهى الله تعالى المسلمين عن موالاته. وفوق ذلك فإن التجنس يتضمن تقوية الكفار بما نهى الرسول (ص) عنه ^٣.

وللشيخ يوسف القرضاوي رأي آخر، حيث ينظر لتواجد المسلمين في الغرب أنهم إزاء مسؤولية كبيرة هي الدعوة إلى الله، وأن حصولهم على الجنسية سيسهل أعمالهم ونشاطاتهم، فيقول «إن تواجد المسلمين خارج العالم الإسلامي هو شرط أساسي لأداء الدعوة إلى الإسلام، وبإمكانه دعم أولئك الناس الذين يعتنقون الإسلام. وفي عالم اليوم، لاشك أن حصول المسلم على جنسية البلد المضيف يتضمن فوائد كثيرة، وبهذه الطريقة سيزداد تأثيره. أما من ناحية مضارها، فلا أحد يزعم أن الجنس يتضمن نوعاً من الركون أو الولاء للكفار، والذي يحرمه القرآن الكريم. فالقرآن يحرم الركون والولاء للكفار الذين يحاربون الإسلام. وهذا لم يعد قائماً في هذا العصر، عصر الثقة المتبادلة والحل السلمي، إنه عصر التعايش بين الأيديولوجيات ^٤.

أما الدكتور سيد درش، إمام مسجد لندن المركزي السابق، فيرى «أن المسلم الذي يحصل على الجنسية البريطانية يجب أن يقسم على الولاء للملكة. وهذا الولاء يمكن أن يترجم قانونياً بأنه طاعة القوانين والسلم والعيش بطريقة محترمة في المجتمع البريطاني، طالما أن الملكة تمثل هذه

١ - مجلة المجمع الفقهي الإسلامي / العدد ٤ / ص ١٦٣-١٦٤

٢ - van Koningsveld *Islam as Minority Religion* p. ٨٢

٣ - المصدر السابق / ص ١٢

٤ - van Koningsveld *Loyalty to a non-Muslim Government* p. 104-114

هذه الفقرة مترجمة من الإنكليزية، ولم نحصل على النص العربي الأصلي، لذلك قد يختلف التعبير والألفاظ، لكن المعنى هو نفسه، بإذن الله.

الصفات». ^١ ويرى علماء آخرون أن اكتساب الجنسية الغربية ليس سوى قضية أوراق ولا تؤثر على الهوية الإسلامية أو تمسكه بالتعاليم الإسلامية.

ولا يرى فقهاء الشيعة إشكالاً في حصول المسلم على الجنسية الغربية في ذاتها على أن لا تؤدي إلى ما هو خارج الدين والشريعة. يقول المرجع الديني السيد محمد حسين فضل الله (حصول المسلم على جنسية دولة غير مسلمة أمر ليس محرماً في ذاته، تماماً كما لو كان الإنسان يسكن في بلد غير إسلامي. وإذا عرفنا أن الدول التي تسمى بالإسلامية قد تتضمن بعض القوانين المخالفة للإسلام. لذلك فإن وجود قوانين غير إسلامية في هذه الدولة لا يغير شيئاً من طبيعة تكليف الإنسان المسلم. ولا بد أن يدرس المسلم القضية: هل أن هذه الجنسية التي يأخذها تؤدي إلى ضلال أولاده وابتعادهم عن الإسلام في المستقبل؟ أو أن نخدم قضاياها السياسية من خلال وجودنا المنفتح على حقنا في أن يكون لنا موقف أو موقع في هذا الجانب أو ذاك). ^٢

ويقول السيد كاظم الحائري «يجوز اكتساب الجنسية على أن لا يستفيد منها ما هو محرم عليه؛ مثلاً كما لو كانت امرأة فأخذت من الإرث بقدر ما يساوي سهم أخيها المسلم. فمع تجنب أمثال ذلك من المحرمات لا تحرم الاستفادة من جنسية البلدان الكافرة». ^٣

أما المرجع الديني آية الله لطف الله الصافي فيؤيد رأي الحائري في ضرورة أن لا يؤدي اكتساب الجنسية إلى الوقوع في المعاصي أو ارتكاب المحرمات، ويعتبر مسألة الحصول عليها من حالات الاضطرار التي يتوقف عليها أمر هام لا يمكن للشريعة أن تتغاضى عن استيفائه، فيقول في سؤال وجهته لساحته حول التجنس بجنسية غربية، ما يلي: «إن كان الحصول على الجنسية موجباً لفرض القوانين الكافرة على الشخص المسلم ومستلزماً لها بحيث يوجب وقوعه في المعاصي والمحرمات فلا يجوز ذلك. نعم لو اقتضت الضرورة وتوقف حفظ مصلحة مهمة لا يرضى الشارع بإهمالها، فالضرورات تقدر بقدرها». ^٤

ويتفق الشيخ محمد علي التسخيري مع ذلك الرأي حيث يقول «التجنس بجنسية البلاد الكافرة في نفسه لا مانع منه، إلا إذا ترتب عليه عمل محرم، فيجب ملاحظة المستلزمات في ذلك. والحقيقة أن هذه المستلزمات موجودة، فإذا أمكنه التخلص منها فلا مانع، وإلا فلا يجوز، إلا أن تكون ضرورة». ^٥

١ - المصدر السابق / ص ١٠٤

٢ - عادل القاضي (الهجرة الاغتراب) للسيد محمد حسين فضل الله / ص ٨٢-٨٣، الطبعة الأولى، بيروت: ١٩٩٩

٣ - رسالة آية الله السيد كاظم الحائري إلى الكاتب

٤ - رسالة آية الله الشيخ لطف الله الصافي إلى الكاتب

٥ - رسالة آية الله الشيخ محمد علي التسخيري إلى الكاتب.

تختلف التشريعات القانونية في الدول الإسلامية تجاه اكتساب جنسية دولة أخرى. فبعض الدول (كالعراق) ينص الدستور على سقوط جنسية المواطن بمجرد حصوله على جنسية دولة أخرى، غير أن بعض البلدان (المغرب وتركيا) تسمح بالحصول على جنسية أخرى دون أن تسقط الجنسية الأصلية. وقد يؤدي اكتساب الجنسية الغربية إلى حرمان حاملها من بعض الحقوق المدنية في بلده الأصلي كحق الإرث والنفقة والحضانة واستمرار ملكيته للعقارات والأراضي، إذا كان القانون يمنع تسجيلها للأجانب.

إن الحقائق تشير إلى أن أكثر من ٤٠٪ من المسلمين المقيمين في أوروبا الغربية حاصلين على جنسيات هذه البلدان. ففي بريطانيا اكتسب غالبية المسلمين جنسيتها. وفي فرنسا هناك أربعة ملايين مسلم من مجموع خمسة ملايين حصلوا على الجنسية الفرنسية. وفي ألمانيا هناك أكثر من مئة ألف مسلم حاصل على الجنسية الألمانية، أي بما يمثل ١٠٪ من مجموع المسلمين هناك البالغ ثلاثة ملايين مسلم. وفي الدانمارك حصل عشرون ألفاً من المسلمين على الجنسية الدانماركية أي ما يمثل ٢٠٪ من مجموعهم. وفي النرويج حصل ألفان وسبعمئة مغربي ومثلهم من الباكستانيين على الجنسية النرويجية عام ١٩٩٠ أي ما يمثل ١٣٪ من المسلمين المقيمين هناك. وفي هولندا بلغ عدد المتجنسين ارتفع عدد المتجنسين من ثلاثة عشر ألف عام ١٩٩٠ إلى ثلاثة وثمانين ألف عام ١٩٩٦، من بينهم ثلاثين ألف تركي، وخمسة عشر ألف مغربي، وعشرين ألف إيراني وعشرة آلاف عراقي.

لعله لا يوجد شعب يعاني من حرمانه من حق طبيعي هو جنسية بلده وجواز سفره مثلما يعاني العراقيون. وقد يبدو الأمر لغير العراقيين مبالغ فيه لأنه لم يعرفوا حرمان هذا الحق. إن واحدة من أهم المشاكل التي يعاني منها العراقيون أثناء الهجرة هي عدم امتلاكهم لجواز سفر نافذ المفعول أو ربما يفقدون أية وثيقة أخرى كالجنسية العراقية أو شهادة الجنسية. وهي وثائق هامة في المعاملات المدنية. كما أنها تثبت هوية الشخص واسمه وتاريخ ميلاده وبلده. وهناك قسم من العراقيين صودرت وثائقهم، إضافة إلى ممتلكاتهم، من قبل السلطات العراقية قبل تهجيرهم إلى إيران. وهناك منحهم السلطات الإيرانية وثائق مؤقتة تسمى بـ(الكارت الأخضر) التي هي مجرد إثبات الشخصية، ولا يمكن استخدامها في شراء سيارة أو عقار أو الحصول على إجازة سوق أو أية معاملة مدنية عادية. كما لا يمكن السفر بها إلى خارج إيران. وهناك قسم من العراقيين قد خرج من العراق بجواز سفر لكن هذه الوثيقة قد نفذ تاريخها وصارت باطلة، لذلك يجب إمام

تدبيرها إذا كانت صالحة لذلك أو الحصول على أخرى جديدة مكانها. وفي كلتا الحالتين يجب مراجعة السفارات العراقية. الأمر الذي يثير الرعب في نفوس العراقيين الهاربين من جحيم النظام، لما يترتب على ذلك من تعرف أجهزة النظام عليهم وعلى أماكن تواجدهم، وقد يسبب ذلك مشاكل لأهلهم وذويهم داخل العراق. أما في الدول الأخرى كالأردن وسوريا فيشترط على العراقي إمتلاك جواز سفر نافذ المفعول كي تحدد فيه تاريخ الدخول ومدة الإقامة.

وبسبب وضع العلاقات السيئة بين العراق والدول العربية عموماً والأجنبية، صار السفر بالجواز العراقي مصحوباً بالمشاكل والصعوبات. كما أن بعض الدول وحتى العربية كمصر ولبنان ودول الخليج وشمال أفريقيا تمنع دخول العراقيين بجواز سفر عراقي، كما لا تمنحهم سمة لدخول (الفيزا). ولا يوجد دولة عربية واحدة تمنح العراقيين جواز سفرها إلا في حالات نادرة ولبعض السياسيين والأشخاص المحسوبين على تلك الحكومات.

يضاف إلى ذلك أن المهاجرين العراقيين قد زاد عددهم بفعل الولادات، لكن أولادهم الذين ولدوا في المهجر لا يمتلكون أية وثائق سوى بيانات الولادة التي لا يمكن بواسطتها اكتساب الطفل أو الشاب، الذي ولد في هذه الدولة، على جنسية أو جواز سفر هذه الدولة. الأمر الذي يزيد من صعوبات انتقائهم أو سفرهم من بلد إلى آخر. ويعرقل أحياناً متابعة دراساتهم أو العلاج في الخارج أو زيارة أقاربهم في هذه الدولة وتلك.

كل هذه العوامل وغيرها جعلت العراقيين في بلدان الهجرة يتوقون إلى امتلاك هوية وجنسية وجواز سفر من أي بلد يمنحها إياهم. ولما كانت الدول العربية وإيران لا تمنحهم هذه الوثائق مها أقاموا فيها، لذلك اتجه كثيرون منهم إلى البلدان الغربية التي تمنحهم الأمن والاستقرار وهذه الوثائق. إن الحصول على الجواز الغربي صار حلاً ليراود الكثيرين لأنهم بواسطته ينتمون إلى بلد يعترف بهم وبأصلهم وبشخصيتهم، ويساوي بينهم وبين مواطنيه في الحقوق والواجبات. ويمكنهم تجديد هذه الوثائق عندما ينتهي تاريخ سريانها دون مشاكل أو كفالة أو إجراءات طويلة ومعقدة. كما أنه باستطاعتهم السفر إلى البلدان الأوربية دون الحاجة إلى الفيزا. أما البلدان العربية فليست لديها مشكلة مع جوازات السفر الغربية، حيث كثير من الدول العربية مثل مصر وتونس والمغرب وسوريا والأردن، لا تشترط حصول الفيزا قبل الدخول بها.

ولذلك تجد أن العراقي منذ اللحظة التي يحصل فيها على الإقامة وجواز اللجوء (سياسي أو إنساني)، يبدأ بالتفكير ويعد السنوات للحصول على الجنسية الغربية والتي تعني الحصول على جواز سفر غربي من أجل التمتع بامتيازات هذا الجواز والسفر به إلى أنحاء العالم. وهناك قسم من العراقيين حصلوا على الجنسية الغربية وجواز السفر الغربي ثم عادوا للإقامة في بعض

البلدان العربية كسوريا والأردن ودول الخليج وإيران. وهذا يشير إلى أن المشكلة الحقيقية التي كانوا يعانون منها وثائق السفر.

لعل الكثيرين لم يسألوا أنفسهم: هل يجوز اكتساب الجنسية الغربية؟ وهل يعتبر ذلك ولاءً للحاكم غير المسلم أو الدولة غير المسلمة؟ وهل يعتبر اكتساب الجنسية الغربية بمثابة الركون إلى الظالم، المنهي عنه؟

هذه الأسئلة قد لا تتبادر إلى ذهن المسلم الذي يعتبر الحصول على الجنسية الغربية يهدف بالأساس تسهيل معاملاته اليومية والقانونية مثل شراء عقار أو فتح حساب في البنك أو تسجيل أولاده في المدارس والجامعات أو الحصول على وظيفة حكومية أو أية أغراض أخرى. أما فقهاء الإسلام فلديهم وجهات نظر متفاوتة حول هذه القضية. ومع أن الجنسية لا تحمل بعداً عقائدياً بل هي مجرد وثيقة تثبت الانتماء القانوني إلى بلد ما، إلا أن بعض العلماء (من أهل السنة) يعتبرها معياراً للعقيدة والدين. إذ يعتبر حصول المسلم على جنسية دولة غير مسلمة بمثابة ترك المسلم لدينه، وفك ارتباطه بالعالم الإسلامي. وهذا معيار غير دقيق، ويتضمن العديد من الإشكالات، منها أن ثلث المسلمين في العالم يعيشون كأقليات في دول غير مسلمة ويحملون جنسيتها. فهل نطعن في إسلامهم أو نعتبر غير مسلمين أسوة بمواطنيهم من نفس الدولة؟ كما في الهند والصين وروسيا وغيرها. وهناك طائفة من علماء الشيعة والسنة كالسيد محمد حسين فضل الله والسيد كاظم الخائري والشيخ يوسف القرضاوي، ترى أنه من الجائز اكتساب الجنسية الغربية إذا كان ذلك يخدم قضايا المسلمين والدفاع عن مصالحهم.

تختلف قوانين البلدان الأوروبية في كيفية منح الجنسية للأجانب، فبعضها يشترط إقامة شرعية لمدة خمس سنوات كما في هولندا، أو أكثر أو أقل. كما يشترط بعضها أن يكون لطالب التجنس عمل ثابت ويجيد لغة البلد الذي يطلب جنسيته. كما تختلف البلدان الأصلية التي جاء منها المهاجرون في تعاملها مع اكتساب الجنسية الأجنبية. ففي العراق ومصر مثلاً ينص الدستور على سقوط جنسية المواطن بمجرد حصوله على جنسية دولة أخرى. أما المغرب وتونس وتركيا مثلاً فهي تسمح لمواطنيها بالحصول على جنسية أخرى دون أن تسقط الجنسية الأصلية. وقد يؤدي اكتساب الجنسية الغربية إلى حرمان حاملها من بعض الحقوق المدنية في بلده الأصلي كحق الإرث والنفقة والحضانة واستمرار ملكيته للعقارات والأراضي، إذا كان القانون يمنع تسجيلها للأجانب.

لا بد من الإشارة إلى قضية هامة هي استخدام المهاجرين العراقيين أسماء غير اسمائهم الحقيقية لأسباب تتعلق بالنواحي الأمنية أو الظروف التي قد تضطره لذلك مثلاً أنه قد تم طلب اللجوء في بلد أوروبي

وتم رفض طلبه، فغادره إلى بلد آخر وقدم طلباً باسم آخر. إن هذه القضية قد تحدث مشاكل معقدة مستقبلاً مثلاً قد يحرم المهاجر من إرثه في العراق لأن اسمه في الوثائق الغربية غير اسمه الحقيقي، مما لا يمكنه إثبات نسبه. وهذه المشكلة قد يواجهها الجيل الثاني أو الثالث الذي ولد في المهجر ولا يعرف شيئاً عن أهل والده أو والدته شيئاً، فسيكون من الصعب عليه إثبات نسبه. كما قد تحدث حالات مجهولية الأنساب بحيث قد يتزوج المسلم العراقي من امرأة تكون محرمة عليه لكونه يحمل اسماً ونسباً غير اسمه ونسبه الحقيقي. لذلك يجب على كل من يكتسب جنسية بلد أن يبادر إلى استخدام اسمه الحقيقي ويتخلى عن اسمه المزيف، خاصة وأن القوانين الغربية تسمح بتغيير الاسم.

١٠-١٢-١٣-١٤-١٥-١٦-١٧-١٨-١٩-٢٠-٢١-٢٢-٢٣-٢٤-٢٥-٢٦-٢٧-٢٨-٢٩-٣٠

يعتمد وجود الجالية الإسلامية في الغرب على خمس ركائز هي:

- ١- المؤسسات الإسلامية (مساجد، مراكز، مدارس، مقابر وجمعيات ومنظمات).
- ٢- القوة الاقتصادية والمشاركة الفعالة في مجمل النشاط الاقتصادي والتجاري في الغرب.
- ٣- القوة السياسية عبر المشاركة في الحياة السياسية (أحزاب، تصويت، ترشيح، مجموعات ضغط، نواب برلمان، وزراء، أعضاء مجالس بلدية، ومناصب حكومية).
- ٤- مؤسسات إعلامية (صحف، مجلات، قنوات تلفزيونية وإذاعية، شبكة إنترنت)
- ٥- مؤسسات ثقافية وفكرية (جمعيات ثقافية، مراكز بحوث ودراسات، ندوات ومؤتمرات متخصصة)

تعتبر هذه الركائز حيوية في وجود ونفوذ الجالية الإسلامية، وكل واحدة منها تكمل الأخرى ولا غنى عنها، لأن غياب أحدها يشكل عجزاً في الأداء السياسي والديني والفكري والاجتماعي للجالية المسلمة في البلد الغربي. ولعل الركيزة الأولى أي بناء المؤسسات الإسلامية قد تطور بشكل سريع خلال العقدين الماضيين لسهولة تأسيس المنظمات والجمعيات الإسلامية وعدم وجود قوانين صارمة. أما القوة الاقتصادية فهي في طور نمو وتكامل رغم التأخر الملحوظ وارتفاع نسبة البطالة بين المسلمين عموماً. وإن كانت هذه القضية تختلف من بلد أوروبي إلى آخر. ومع ذلك فهناك نشاط اقتصادي إسلامي متزايد ومشاركة لا بأس بها في الاقتصاد الغربي وإن كان أغلبه يتركز على الخدمات (مجلات بقالة، دكاكين، تصريف عملات، تجارة جملة ومفرد، مقاهي، فنادق) لكن برزت بعض الوجوه المسلمة في ميادين المصارف وشركات المقاولات والتأمين والسياحة. أما الجانبيين الإعلامي والفكري فبحاجة إلى دراسة ورصد لتقويم أدائها ومدى تأثيرها في الرأي العام الإسلامي والغربي.

عدا أمريكا، ما زالت قوة المسلمين السياسية ضعيفة في الغرب عموماً بسبب تأخر مؤسسات ومنظمات المسلمين عن المشاركة في الحياة السياسية الغربية. ولا يكاد يظهر صوتهم في الانتخابات التشريعية أو المجالس البلدية رغم أن عددهم يزيد على كثير من الأقليات الدينية والعرقية الناشطة في الغرب. كما أنه من النادر أن تجد مطالبهم أو آمالهم مدرجة في أي برنامج لحزب سياسي غربي لأنهم لا يشكلون ثقلًا انتخابياً أي أن أصواتهم غير منظمة فلا يعتد بها. ولا يعني ذلك أن بعض الأحزاب وخاصة اليسارية لم تلتفت إلى ضرورة تعبئة الجاليات الإسلامية لصالحها ودفعها للتصويت لها طالما أن اليمين لا يغازلها أو يرفع شعارات ضد الأجانب عموماً والمسلمين خصوصاً.

الديمقراطية الغربية هي نظام أحزاب سياسية تتنافس على كسب أصوات الشعب من خلال طرح سياسة حزبية مقبولة وتقوية التنظيم الحزبي والحملات الانتخابية. يساعدها في ذلك مؤسسات مالية واقتصادية وإعلامية ومراكز ضغط (لوبي). تشكل الأحزاب السياسية قطب الرحى في النظام السياسي في البلدان الغربية. فهي التي تضع الخطط وترسم السياسات وتطرح مشروعات القوانين وتناقشها وتسنها في البرلمانات. ولذلك تعتبر الأحزاب أقوى المؤسسات في التأثير على القرارات والمواقف الحكومية.

وطالما تتأثر الجاليات الإسلامية بالقرارات الحكومية أو التشريعات القانونية التي تسنها الدول الغربية. وقد تتضرر مصالح المسلمين بسبب عدم وجود من يعرض رأيهم وموقفهم أو يدافع عن مصالحهم أثناء مناقشة القرار. ولذلك لا بد للمسلمين أن يعوا أهمية المشاركة في الحياة السياسية، على الأقل لأجل مصالحهم. والمشاركة في الحياة السياسية الغربية تعني الانتماء إلى أحد الأحزاب السياسية والتي من خلالها يتمكن المسلمون بلوغ مراتب عليا في الحزب ومن ثم في المؤسسات البرلمانية والحكومية. وللأسف ما زالت نسبة المسلمين ضئيلة في الأحزاب الغربية.

ولعل هذه الظاهرة تعود إلى أسباب منها:

- ١- عدم الإيحاء بأهمية العمل السياسي أصلاً إما لأن التجارب الحزبية في البلدان الإسلامية كانت منقوصة في الغالب أو ارتبطت بالأنظمة الحاكمة وما رافقها من ظلم وقمع.
- ٢- عدم وجود مؤهلات مناسبة وكافية للخوض في الحياة السياسية الغربية وما تتطلبه من وعي سياسي ولغة جيدة وثقافة عالية ودراسة أكاديمية ذات تدعيم العمل السياسي.
- ٣- الاعتقاد بحرمة الانتماء للأحزاب السياسية والعمل الحزبي. وهذا الرأي قد ينبع من تصورات وآراء فقهية معينة، لكن هناك فقهاء يرون جواز أو ضرورة العمل الحزبي.

والتجارب السياسية في العالم الإسلامي تشير بوضوح إلى عمق تجربة الحزب السياسي الإسلامي. فحركة الإخوان المسلمين تأسست عام ١٩٢٨ ولها حضور في الساحة السياسية في مصر. وكذلك تأسس حزب الدعوة الإسلامية في العراق عام ١٩٥٧ من قبل مرجع ديني هو السيد محمد باقر الصدر، ويضم الحزب مجموعة من علماء الدين. كما أن الجمهورية الإسلامية في إيران تشهد تكتلات حزبية تتوزع على عدة تيارات سياسية إسلامية. وفي السودان والمغرب والأردن ولبنان والكويت واليمن والجزائر حركات سياسية إسلامية. كل هذا يشير إلى وجود قطاع كبير من المثقفين الإسلاميين والفقهاء ممن يؤمنون بالعمل الحزبي الإسلامي كوسيلة لتحقيق أهداف الإسلام.

٤- الاعتقاد بحرمة الانتفاء للأحزاب السياسية الغربية إما لأنها مسيحية فيكون دعمها تأييداً لغير الإسلام أو علمانية فيكون الانتفاء إليها تقوية للإلحاد واللا دينية أو يكون الانتفاء إليها ركوناً إلى الظالمين. وهذا الأمر يقودنا إلى البحث عن مسوغات شرعية للانتفاء للأحزاب الغربية طالما أنها الوسيلة الفعالة وربما الوحيدة في الوقت الحاضر لتحقيق حضور إسلامي هام في الحياة السياسية الغربية.

٤-١- أسباب الانتفاء للأحزاب السياسية الغربية

بلا شك هناك آراء متفاوتة للفقهاء تعتمد على رؤيتهم ومنهجهم ووعيمهم لأهمية تقوية بناء الجالية الإسلامية. وسنعرض لآراء بعض الفقهاء المعاصرين الذين يؤيدون الانتفاء في الأحزاب السياسية الغربية والأسباب التي يعولون عليها في دعمهم لها.

يرى المرجع الديني السيد علي السيستاني جواز الانتفاء للأحزاب السياسية بناء على المصلحة العامة للجالية الإسلامية في الغرب. ويشترط سباحته أن تحديد من يتتمي ويرشح لهذا الحزب أو ذاك هو من صلاحية أهل الخبرة دون أن يحدد شروطهم، ولكن يتوقع من يكون لهم وعي سياسي وحركي بشكل يقدرّون الظروف والشروط المناسبة للانتفاء ونوعية الأفراد المسلمين وقدراتهم في خوض غمار الحياة السياسية الغربية بنجاح. يقول سباحته (قد تقتضي رعاية المصالح العليا للمسلمين في البلدان غير الإسلامية الانتفاء للأحزاب (السياسية الغربية)، والدخول في الوزارات، والمجالس النيابية. وعندئذ يجوز للمسلمين ذلك حسبما تقتضيه المصلحة التي لا بد لتشخيصها من مراجعة الثقة من أهل الخبرة).^١

أما المرجع الديني السيد محمد حسين فضل الله فيرى ضرورة انفتاح المسلمين في الغرب على

المجتمعات التي يعيشون فيها، ويتفاعلون من خلال المشاركة السياسية والاجتماعية والثقافية والإعلامية، وخدمة قضاياهم السياسية والدفاع عن مصالحهم ومطالبهم. ويؤكد سباحته على أهمية حضور المسلمين في الساحة السياسية وضرورة وصولهم إلى مواقع ذات مسؤوليات عالية. ويضرب مثلاً فيقول (في فرنسا ما يقارب أربعة ملايين مسلم من الحائزين على الجنسية الفرنسية، ولكنهم (أي الفرنسيين) لا يسمحون لهم بالحرية السياسية، أو أن المسلمين لا يستطيعون احتلال أي موقع سياسي).^١

وإذا كان السيد السيستاني يشترط مشورة أهل الخبرة في تحديد المصلحة الإسلامية فإن السيد فضل الله يحدد أهل الخبرة بشكل نوعي أولاً عندما يفترض أنهم جماعة إسلامية ذات تنظيم سياسي إسلامي، حيث يشترط أن يكون المسلم مرتبطاً بحركة إسلامية ترسم برنامجاً وتخطط له مساره ومقرحاته داخل الحزب السياسي الغربي. وعندما سألت سباحته عن هذا الشرط وأهميته أجابني قائلاً:

(إنه شرط واجب في الخط العام، لسبب بسيط وهو أن الإنسان عندما يكون فرداً ويدخل في حزب غير إسلامي فإنه سوف يذوب مع هذا الجو فيأخذ التيار، بينما لا يجوز له من الناحية الشرعية الأولية أن ينتمي إلى أي حزب غير إسلامي وإلى تجمع غير إسلامي لاسيما إذا كان هذا الحزب أو التجمع يحمل بعض الخطوط السياسية التي قد تتحول إلى خطوط سلبية ضد الإسلام إذا كان خاضعاً لاتحاد محوري دولي معين قد يصطدم مع المسلمين في بعض المواقع وبلحاظ بعض الأمور. لكنه إذا كان متممياً إلى حركة إسلامية تخطط له وترعاه وتراقب وجوده ومسيرته هنا وهناك فإن وجوده في هذا التجمع أو هذا الحزب سوف يكون خاضعاً للتخطيط الذي تخطط له الحركة الإسلامية مما يجعله إيجابياً للمصلحة الإسلامية بدلاً من أن يكون سلبياً تجاه هذه الأحزاب).^٢

وهذا الشرط يفترض وجود حركة إسلامية ذات نضج وبعد نظر وقدرة على متابعة ورصد حركة الأحزاب السياسية الغربية ومن ثم رسم سياسة معينة للمسلم المنتمي لأحدها. أما تأكيد سباحته على قضية ذوبان المسلم في جو الحزب السياسي الغربي فهو صحيح إلى حد ما، حيث يلاحظ أن غالبية الذين ينتمون لأحزاب سياسية غربية أنهم علمانيون وليبراليون، وعندما يتحدثون عن الاعتدال يستخدمون نبرة غربية واصفين المسلم الملتزم بدينه بالتشدد والأصولية. لكن ذلك لا يعني أنهم لا يدافعون عن حقوق المسلمين الدينية، ولكنهم ينظرون إليها باعتبارها جزءاً من الهوية الثقافية التي من حق الأجانب المحافظة عليها.

١ فضل الله (الهجرة والاعتراب) / ص ٨٤

٢ فضل الله (الهجرة والاعتراب) / ص ١٠٦-١٠٧

ويتفق السيد فضل الله مع السيد السيستاني على دور (أهل الخبرة في تحديد المسلمين الذين يراد إدخالهم في هذا الحزب أو هذا التجمع). وبعد أن يحدد مواصفات أهل الخبرة يدعو سباحته لعمل سياسي فعال ومنظم من أجل تشكيل جماعة ضغط إسلامية داخل الحزب السياسي الغربي فيقول (وأن يكونوا من أهل الخبرة في السياسة الإسلامية وغي السياسة الدولية وفي السياسة المحلية للتخطيط في كيفية دخول المسلمين في هذا الحزب أو ذلك بحيث يشكلون (لوبيًا) حزبيًا في الإطار التنظيمي ليكون (لوبيًا) إسلاميًا في المضمار السياسي العام). وكي لا تبقى القضية في مجال الفكر النظري يدعو السيد فضل الله إلى (دراسة ميدانية إلى جانب دراسة سياسية وحركية في هذا المجال. ولكننا نؤكد ضرورة وجود لوبي إسلامي في أي موقع من مواقع الغرب حتى نستطيع من خلال ذلك تأييد ودعم قضايانا الإسلامية ووجودنا الإسلامي هناك من خلال التأثير السياسي على الواقع).^١

وأما الشيخ جاد الحق شيخ الأزهر السابق فقد أباح الانتهاء للأحزاب السياسية الغربية. فقد سئل من قبل جماعة من المسلمين في الدنمارك فأجاب:

(إذا كانت الأحزاب السياسية قد برزت في العصر الحالي كوسيلة للتنافس على الوصول إلى الحكم في أغلب دول العالم وكذلك الجمعيات والمؤسسات التعاونية الأخرى والنقابات، كل ذلك لخدمة أغراض اجتماعية أو فئوية أو سياسية، وكلها تدور مع المصالح الذاتية والعامّة لأعضائها في نطاق النظام العام للدولة. إذا كان كذلك، فإنه لا حرج على مسلم أو أكثر من الانضمام إلى أي من الأحزاب المعترف بها من الدولة بالرغم من علمانيتها، أو نصرانيتها ما دامت لا تمس العقيدة الإسلامية أو المصالح الأساسية للمسلم. ومن ثم كان من المباح في الإسلام انضمام المسلم -فرداً كان أو جماعة - إلى أي حزب من الأحزاب السياسية ذات الكيان القانوني في الدولة التي يقيم المسلم على أرضها، وفي نطاق قوانينها، قصداً إلى التمكن من ترشيح نفسه في انتخابات المجالس البلدية أو المجالس النيابية).

ويؤكد فضيلته على أهمية مشاركة المسلمين في العملية الانتخابية والتصويت لصالح حزب غربي معين بل والتحالف معه إذا اقتضت الضرورة ومن أجل إيصال مرشحي المسلمين للدفاع عن قضاياهم ومصالحهم مشروطاً باستمرار الالتزام بالأحكام الشرعية في السلوك واتخاذ القرارات فيقول:

(ومن المباح -كذلك- للمسلم وللمسلمين كافة في أية دولة، الإدلاء بأصواتهم في الانتخابات لصالح حزب دون التحالف معه أو مع التحالف، للاستعانة بكل ذلك على تحقيق مصالح

١ فضل الله (الهجرة والاعتراق) / ص ١٠٧-١٠٨

المسلمين وحمايتها والدفاع عن الحقوق المشروعة لهم بالذمة والصدق. وعلى المسلمين - في هذه الدول - أن يسلكوا هذه الطرق المشروعة، وفي نطاق قوانين تلك البلاد، ليكون لهم صوت يحمي مصالحهم، أينضموا إلى حزب أو أثر حسبما يرون، ويصوتوا في الانتخابات لحزب أو أكثر، ما دام ذلك في صالحهم في موطنهم بشرط أن لا يضر هذا بالإسلام عقيدة أو شريعة. وعلى من يكون من المسلمين عضواً في المجالس البلدية أو النيابية ألا يصادق على أمر معروض ضد عقيدة الإسلام أو ضد مصالح المسلمين، فلا يصادق على إياحة أمر محرم في الإسلام أو يناهض أصول العقيدة الإسلامية).^١

ويؤيد الشيخ يوسف القرضاوي انتفاء المسلمين للأحزاب السياسية الغربية معتبراً ذلك قوة لهم من أجل الدفاع عن حقوقهم وأوضاعهم هناك. ويرد فضيلته على اعتراض البعض بأن الانتفاء للأحزاب السياسية الغربية يعني موالاته غير المسلمين فيقول (إن الأمر ليس كذلك، والمسلم ينتمي بهدف معين، ولا يستلزم موالاته لهم). ويرد فضيلته على إشكال آخر يتلخص بأن الفقهاء في البلدان الإسلامية يحرمون الانتفاء إلى الأحزاب العلمانية، فكيف يجللون الانتفاء إليها في الغرب؟ فيجيب (الفتوى تتغير بحسب الظروف والمواضع. وأنه في البلد الإسلامي شيء وفي البلدان الغربية شيء آخر).^٢

١- جاد الحق علي جاد الحق (بحوث وفتاوى إسلامية في قضايا معاصرة) / ج ٤ / ص ٣٤٦

تسمح بعض قوانين الدول الغربية للأجانب المقيمين في أراضيها بالتمتع بحق التصويت في الانتخابات المحلية أما الحائزين على جنسية البلد الغربي فيمكنهم التصويت والترشيح في الانتخابات البرلمانية. ففي السويد صدر قانون عام ١٩٧٦ يسمح للأجانب المقيمين قانونياً لمدة لا تقل عن خمس سنوات بالمشاركة في الانتخابات المحلية.^٣ وفي هولندا قرر البرلمان الهولندي عام ١٩٩٠ منح الأجانب المقيمين لفترة لا تقل عن خمس سنوات حق المشاركة في التصويت والترشيح في انتخابات المجالس البلدية. بالطبع من حق الحاصلين على الجنسية الترشيح والتصويت في الانتخابات التشريعية.

ومع تزايد أعداد المسلمين في أوروبا الغربية حيث يبلغ حوالي خمسة عشر مليون مسلم، وارتفاع عدد المتجنسين منهم بالجنسيات الغربية، صارت الأحزاب السياسية تعير أهمية لأصواتهم لأنهم

١ جاد الحق علي جاد الحق (بحوث وفتاوى إسلامية في قضايا معاصرة) / ج ٤ / ص ٣٤٦

٢ حديث للشيخ يوسف القرضاوي في قناة الجزيرة الفضائية بتاريخ ٢ آذار ١٩٩٧.

٣ A. Sander The Road from Musalla to Mosque in Shadid & van Koningsveld (1991) (eds.) The Integration of Islam (and Hinduism in Western Europe p. 84 (note nr. 6

باتوا يشكلون نسبة لا بأس بها قد ترجح فوز بعض الأحزاب خاصة في حالات تقارب أصوات المتنافسين. كما سعت الأحزاب اليسارية والديمقراطية والخضر والبيثة إلى كسب أصوات المسلمين طالما أنهم يساهمون في دعم موقف الأحزاب إنتخابياً. وأخذت بعض الأحزاب، كما في هولندا، بوضع أسماء لامعة من المسلمين في قوائم مرشحيها. كما تولي هذه الأحزاب التجمعات الإسلامية اهتماماً أثناء الحملات الانتخابية، فترى مسؤولي الأحزاب يزورون المساجد والمراكز الإسلامية لتعبئة أصوات المسلمين لصالحهم.

وقد أثمرت هذه الجهود المشتركة، أي فتح الأحزاب السياسية الغربية أبوابها للمسلمين، واندفاع بعض المسلمين في العمل السياسي عبر الانتماء لهذه الأحزاب وعرض كفاءاتهم وقابلياتهم في المناقشة والحوار والمقترحات بشكل لا يقل عن زملائهم الغربيين. وهذا ما يؤكد بقاء بعض المسلمين في بعض البرلمانات الغربية لعدة دورات متعاقبة، وصعود بعضهم إلى درجات عالية في الحزب. ويتوزع المسلمون عادة على عدد من الأحزاب كي يكون لهم حضور في أي حزب يصل للسلطة، أي لا يضعون البيض في سلة واحدة.

ففي البرلمان الهولندي الحالي يوجد سبعة نواب مسلمين، من مجموع ١٥٠ نائباً، يتوزعون على أحزاب اليمين واليسار والخضر، وهم أربعة مغاربة (بينهم سيدتان)، وتركية وإيرانية وسورينامي. وفي انتخابات المجالس البلدية لعام ١٩٩٨ فاز ٧٥ مسلماً بمقاعد في المجالس البلدية. وأغلب هؤلاء النواب والأعضاء علمانيون مع خلفية إسلامية، يؤمنون بوجهة النظر الغربية وأصول الديمقراطية الغربية ولكنهم يشعرون بالمسؤولية في الدفاع عن قضايا الأجنبي بصورة عامة والمسلمين بشكل خاص.

وفي بريطانيا كان في عام ١٩٨١ ثلاثة أعضاء في مجلس بلدية برادفورد، كلهم من حزب العمال. وفي عام ١٩٩١ ارتفع عددهم إلى تسعة أعضاء Councilors يلعبون دوراً هاماً في الدفاع عن مصالح مرشحيهم المسلمين. ويوجد حالياً على الأقل عضوان في مجلس اللوردات البريطاني، إذ تمكن اللورد نظير of Rotherham والبارونة بولا الدين of Bethnal Green من الوصول إلى هذا المنصب العالي. ولم يتم اختيار أي مسلم لمنصب وزير في أي بلد أوروبي غربي في حين يحتل العديد من غير المسلمين مناصب وزارية ومسؤوليات عالية في البلدان العربية والإسلامية. ولعل أعلى منصب وصل إليه مسلم في الغرب هو السيد عثمان صديق الذي عين في ١٧/٨/١٩٩٩ سفيراً للولايات المتحدة الأمريكية في جزيرة فيجي، وهو من أصل بنغالي. أما سفير ألمانيا السابق في المغرب مراد ويلفرد هوفمان فقد استمر بمنصبه عدة سنوات بعد اعتناقه الإسلام عام ١٩٨٠.

يشعر بعض المسلمين في الغرب أن الأحزاب السياسية الغربية قد لا تلبّي طموحاتهم بقدر ما تحاول الاستفادة من أصواتهم في حملاتها الانتخابية، إضافة إلى وجود ثوابت ومبادئ داخل بعض الأحزاب لا تتوافق وأحكام الشريعة الإسلامية، وقد يكون مجال التنافس مع الأعضاء الغربيين شديداً بحيث تبدو فرص المسلمين ضئيلة في تحقيق أهدافهم أو تستغرق وقتاً طويلاً. يضاف إلى ذلك يسعى بعض المسلمين المهتمين بالعمل السياسي إلى تطوير برامج ورسم سياسات ذات مضمون إسلامي تعتمد أحكام الإسلام وتعاليمه كأرضية تقف عليها، وتطرح الخيار الإسلامي كبديل قابل للتحقيق في المجتمعات الغربية. كل ذلك جعلهم يفكرون بإنشاء أحزاب سياسية إسلامية تعتمد بصورة رئيسية على أصوات المسلمين. وهي تجربة تبدو جديدة وبحاجة إلى نضج وتطوير. كما أنها تواجه عقبات واقعية منها استمرار محدوديتها واقتصارها على المسلمين فقط دون بقية أفراد المجتمع الغربي الذين لا يجدون فيها ما يثير الاهتمام، ويعتبرونها أحزاب مهاجرين أو أجنبيات. كما أن توزع المسلمين على عدة قوميات وأعراق وجنسيات تجعل من الصعب توحيدهم والافتتاع بالتصويت على حزب إسلامي مهما كانت عناصره كفوءة لأن الحس القومي والشعور الوطني والمذهبي ما زال قوياً بين المسلمين. ومع ذلك فهي تجربة رائدة تستحق الاهتمام والمتابعة ضمن الأداء السياسي للجاليات المسلمة في الغرب.

تم تأسيس أول حزب إسلامي خارج العالم الإسلامي، في الغرب، عام ١٩٨٩ حين تأسس الحزب الإسلامي لبريطانيا. فبعد قضية سلمان رشدي شعر المسلمون البريطانيون بأهمية تمثيلهم سياسياً للدفاع عن مصالحهم بعد أن وجدوا تعاطف الإعلام والأوساط السياسية والصحفية والأدبية والأكاديمية مع رشدي. وأن التظاهرات والضغط السياسي لم يعد مجدياً للمسلمين في بريطانيا. فقام مجموعة من المسلمين الإنكليز بتأسيس الحزب الإسلامي في بريطانيا Islamic Party of Britain بزعامة مسلم ألماني الأصل هو صاحب مستقيم بليهر Bleher. وهو شاب اعتنق الإسلام عام ١٩٨٠ وكان يعمل في الصحافة وبع إسلامه أسس مطبعة صغيرة في بريطانيا وهو يعمل حالياً مترجماً حيث قام بترجمة العديد من المؤلفات من العربية إلى الإنكليزية، وهو الأمين العام للحزب حالياً. والشخصية الأخرى في الحزب هو ديفيد موسى بدكوك، Pidcok وهو إنكليزي من شيفلد (مواليد ١٩٤٢). اعتنق الإسلام عام ١٩٧٥، ومتخصص في الشؤون الاقتصادية والمالية، وهو زعيم الحزب حالياً.

وتقول أدبيات الحزب الإسلامي في بريطانيا أنه أول منظمة إسلامية سياسية في بريطانيا، وأول حزب إسلامي يتأسس في العالم الغربي غير المسلم. ويهدف الحزب إلى مساعدة المسلمين لخوض النقاشات السياسية بثقة، والاستجابة للإسلامية للقضايا المعاصرة، وطرح سياسات مجدية بصدد الاقتصاد والصحة والبيئة والشؤون الاجتماعية والسياسة الخارجية. ويأمل الحزب في أن يكون للمسلمين صوت في بريطانيا فيما يتعلق بقضاياهم ومستقبل المجتمع البريطاني.^١ كما يهدف الحزب إلى تشكيل مجموعة ضغط (لوبي) تدعم أعضاء المجالس البلدية والنواب المسلمين في القضايا ذات العلاقة بالمسلمين، ومواجهة الإعلام بكفاءة عالية وتصحيح عدم الدقة التاريخية والأحكام المسبقة، والسعي من أجل تأمين تسهيلات مصرفية ومشاريع تجارية وشركات تأمين وتوظيف أموال لاربوية، وتقديم برامج وخطط لمواجهة المشاكل، التي يعاني منها المجتمع البريطاني، على أسس العدل والخير والتسامح، بعد أن فشلت الأيديولوجيات الرأسمالية والشيوعية.^٢

وقد شارك الحزب في الانتخابات العامة عام ١٩٩٢ لكنه مني بالفشل حتى في المنطقة ذات الكثافة الإسلامية العالية مثل برادفورد Bradford. ففي غرب برادفورد التي يقدر عدد المصوتين المسلمين بستة عشر ألفاً، حصل زعيم الحزب بدكوك على ٤٧١ صوتاً فقط. وفي شمال برادفورد ذات السبعة آلاف صوت مسلم، لم يحصل مرشح الحزب سوى على ٣٠٤ أصوات. ويعزى هذا الفشل إلى أن قيادة الحزب هم من الغربيين في حين الأرضية التي اعتمدوا عليها في برادفورد هي هندية وباكستانية.^٣ هذه القضية جعلت الحزب يعيد تشكيلته قيادته حيث تشكل القيادة الحالية من أربعة أعضاء، إثنان غربيان هما بدكوك وبلير، والآخران أحدهما باكستاني هو محمد نسيم (مواليد ١٩٢٤) وهو طيب، والآخر مصري هو محمد هاني الشستاوي وهو طيب أيضاً. وكان أحد الأعضاء وهو كليم محمد ألين Alleyne وهو الناطق في مجال الشؤون الاجتماعية وهو من باربادوس، قد توفي عام ١٩٩٧، وكان قد اعتنق الإسلام عام ١٩٧٨. وهناك ناطق رسمي لكل مجال معين، فعبد الرحيم غرين Green ناطق في مجال النقل والتعليم، وعبد السلام هانكن Hankin ناطق في مجال الاقتصاد.^٤

ويصدر الحزب مجلة دورية هي Common Sense تتضمن مقالات إسلامية معمقة ومتابعات لأهم الأحداث والقضايا وموقف الحزب الإسلامي منها. كما قام سكرتير الحزب صاحب

١ راجع صفحة الحزب الإسلامي في بريطانيا على شبكة الإنترنت: <http://islamicparty.faithweb.com/>

٢ جعفر عبد الرزاق (المسلمون الإنكليز بين السياسة والتصوف) / صحيفة (المنبر) الصادرة في لندن / العدد: ٦٢ / ص ١٠

٣ Philip Lewis (١٩٩٤) Islamic Britain p ٢٣٥

٤ Conversion to Islam p (١٩٩٦) Ali Kose ٢٣

مستقيم بليهر بترجمة جديدة للقرآن الكريم جاء في المقدمة (أن اللغة تتطور باستمرار، وأن لغة الأمتس تشكل عائقاً لفهم قارئ اليوم. فمعظم المترجمين كانوا يسعون إلى تعزيز قيمة وجمال القرآن باختيارهم لغة مميزة ومعقدة. والنتيجة أن القارئ العادي فقد الرسالة. يضاف إلى ذلك أن المترجمين سعوا إلى إحراز أكبر قدر من الدقة. ورغم أهمية هذا الهدف خاصة في التعامل مع كلمات الله لكنه غالباً ما يشوه وضوح التعبير كنتيجة نهائية).^١ كما يقوم بعض أعضاء الحزب مثل بدكوك وبلير وكين بالمرتون بإلقاء محاضرات فكرية وثقافية وسياسية.

١١-١٢-١٣-١٤-١٥-١٦-١٧-١٨-١٩-٢٠-٢١-٢٢-٢٣-٢٤-٢٥-٢٦-٢٧-٢٨-٢٩-٣٠

تأسس هذا الحزب في شباط ١٩٩٩ في بروكسل من قبل رضوان أروش Ahrouch، وهو شاب مغربي ولد في بروكسل عام ١٩٧٠. وكان المجلس التأسيسي يتألف من ١٧ عضواً، من بينهم ثلاث نساء. وتم استبدال اسم المجلس إلى الأمانة العامة التي تختار الأمين العام وهو الآن السيد رضوان والذي يترأس جلساتها. وإلى جانب الأمانة العامة يوجد مجلسان استشاريان، الأول: مجلس فقهي يضم سبعة علماء مسلمين، ويسمى مجلس الحكمة، ويتولى اتخاذ القرارات في القضايا الفقهية والمقترحات التشريعية ومدى مطابقة أعمال الحزب مع الشريعة الإسلامية. والثاني: مجلس المحامين ويضم خمسة شخصيات حقوقية يتولون مناقشة القضايا واتخاذ القرارات في مدى مطابقة المقترحات التشريعية مع الهيكل الدستوري للدولة. وكل هؤلاء يعملون طواعية، إذ لا يستلم الحزب أي دعم مالي لا من الحكومة البلجيكية ولا من الخارج.

ويصنف الحزب نفسه (بأنه ليس من اليمين ولا من اليسار بل هو الوسط. حزب يبقى مخلصاً لبرنامج في الخضوع للأحكام الإسلامية ولأعضائه وأنصاره. حزب لا يدافع فقط عن المسلمين بل عن جميع البلجيكين، حزب ذو مستقبل طالما أن الناس يعيشون تحت الظلم).^٢

ويتضمن البرنامج السياسي للحزب ٤٠ فقرة تناول مختلف القضايا الهامة في الشؤون الاقتصادية والحقوقية والإدارية والتعليم والصحة والضرائب، والدعوة إلى إلغاء والمعاقبة على الإجهاض وقتل الرحمة ومنع القمار بكل أشكاله والبغاء، ومحاربة كافة أشكال العنصرية. ويدعو الحزب إلى فرض ضريبة دخل تساوي ٢٠٪ أي خمس الدخل الصافي. ويرفض الحزب استمرار بلجيكا على النظام الفيدرالي الذي تم تطبيقه منذ عام ١٩٧٠ ويطالب بأن تكون ولايات متحدة. الجدير بالذكر أن بلجيكا تتألف من ثلاثة كانتونات متحدة فيدرالياً وتتحدث أربعة لغات. كما يدافع الحزب عن بقاء بروكسل عاصمة الاتحاد الأوروبي لما تمثله المؤسسات الأوروبية من تشغيل الأيدي العاملة.

Bleher The Wise Quran ١

٢ الحزب الإسلامي نور (حزب ليس كالأخرين) / في صفحة الحزب على الإنترنت بالفرنسية: <http://noor.ovh.org>

وشارك الحزب في الانتخابات التشريعية البلجيكية في ١٣ حزيران ١٩٩٩ حيث حصل على ١٢٤٤ صوتاً أي ما يعادل ١٦,٠٪ من أصوات الناخبين في مقاطعة بروكسل وضواحيها. ويرى الحزب أن هذه النسبة الضئيلة جاءت بسبب حداثة ولادة الحزب أي قبل أربعة أشهر من موعد الانتخابات، وضيق الوقت في القيام بحملة تعبوية للناخبين، وإلى الموقف العدائي الذي وقفه الإعلام البلجيكي تجاهه باعتباره حركة سياسية إسلامية. ويأمل الحزب من تحسين أداءه لجذب أصوات ٤٠٠,٠٠٠ مسلم يقيمون في بلجيكا.

العمل في المطاعم والمقاهي والبيوت الخمرية

على الرغم من المساحة الواسعة للعمل في البلدان الغربية لكن هناك إشكالات شرعية في ممارسة بعض الأعمال المحرمة. وهناك إثارات وشكوك حول شرعية ممارسة بعض الأعمال والمهن التي تجعل المسلم الملتزم يتردد في ممارستها. فقد أفتى بعض الفقهاء المسلمين بحرمة العمل في مصانع الخمر والبارات والمراقص الليلية والكاзиноهات ودور البغاء. كما يرى بعض الفقهاء كالسيد أبو القاسم الخوئي أنه لا يجوز بيع وشراء آلات اللهو والقمار ولحم الميت والخمر والخنزير والكلب.^١

كما أفتوا بحرمة العمل في المطاعم والمقاهي التي تقدم الخمر. وقد يرتبط العمل بجانب أخلاقي واجتماعي حيث يرى السيد علي السيستاني أنه (لا يجوز للمسلم أن يذل نفسه أمام أي إنسان، سواء أكان مسلماً أم كافراً. فإذا كان العمل الذي يقوم به المسلم مذلاً لنفسه أمام غير المسلم، فلا يجوز له ممارسة ذلك العمل المذل).^٢

ويحذر الفقهاء من التورط في المعاملات الربوية المنتشرة في الغرب. فقد أفتى السيد محمد حسين فضل الله بحرمة انخراط المسلم في المشاريع الربوية الغربية أو مؤسسات توظيف الأموال.^٣ وأفتى السيد الخوئي بحرمة العمل في البنوك والمؤسسات المصرفية التي تتعامل بالربا من دون فرق أن تكون حكومية أو أهلية. وقد استثنى من ذلك بعض المهن غير المرتبطة بالعمل الربوي نفسه كعامل التنظيف والحارس والسائق في هذه المؤسسات.^٤

أما العمل في الدوائر والمؤسسات الحكومية الغربية فلا مانع منه بحد ذاته بشرط عدم الاساءة للإسلام أو المسلمين. فالسيد السيستاني يشترط وجود مصلحة عامة في تسلم بعض المناصب أو

١ أبو القاسم الخوئي، (المسائل الشرعية)، ج ٢، كتاب البيع، الأسئلة ٣٢، ٣٣، ٣٤، و ٤٣، منشورات مؤسسة الخوئي: ١٩٩٦

٢ السيستاني، (الفتاوى للمفتين)، ص ١٧٨ و ١٧٩، إعداد عبد الهادي الحكيم، مؤسسة الإمام علي، لندن: ١٩٩٨

٣ محمد حسين فضل الله، (الهجرة والاعتراب)، ص ٣٧٨، إعداد عادل القاضي، دار الملاك، بيروت: ٢٠٠١

٤ أبو القاسم الخوئي، (المسائل الشرعية)، ج ٢، ص ٥١، منشورات مؤسسة الخوئي: ١٩٩٦

المشاركة في العمل السياسي حيث يقول (قد تقتضي رعاية المصالح العليا للمسلمين في البلدان غير الاسلامية، الانتفاء للأحزاب السياسية والدخول في الوزارات والمجالس النيابية، وعندئذ يجوز للمسلمين ذلك حسبما تقتضيه المصلحة التي لا بد من مراجعة الثقة من أهل الخبرة).^١ ويتفق السيد فضل الله مع السيد السيستاني في ضرورة وجود مصلحة إسلامية عليا في العمل في المؤسسات الحكومية الغربية لكنه يشترط أمرين:

الأول: سياسي-اجتماعي، إذ يرى أن لا يؤدي العمل في وظيفة معينة أو دائرة معينة إلى الاساءة للإسلام والمسلمين، أو علاقة هذه الدولة بالمسلمين.

الثاني: فقهي-شرعي، وهو أن لا يتضمن العمل نفسه ممارسات محرمة في الاسلام كالربا والتجسس والقتل والتعذيب، أو أن تخل بالتزامات المسلم الشرعية.^٢

أما بالنسبة للعمل في المؤسسات الأمنية والعسكرية فيرى البعض أنها قد يؤدي إلى التورط في معاونة الظالم بشكل عام أو قد يندرج في باب الركون إلى الظالم. ويرى بعض الفقهاء جواز العمل في مؤسسات الجيش والشرطة الغربية ولكن بشروط. فالسيد محمد حسين فضل الله يضع معياراً عاماً في أية وظيفة هو عدم ظلم الناس، سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، لأن المسلم أولى بالعدل والتمسك به. ويرى سماحته (أن المسألة لا بد أن تدرس من خلال المصلحة النوعية لأنه لا يجوز لانسان أن يقوم بوظيفة يشعر فيها أنه يظلم بعض الناس من خلال وظيفته حتى في حكومات المجتمعات الاسلامية). لكنه يؤيد التوظيف في هذه المؤسسات (إذا كان يحقق مصلحة للجالية المسلمة المقيمة في ذلك البلد الغربي). ويرى أهمية الدخول في هذه الوظائف فيضيف سماحته (إذا فرضنا أن المسلمين كانوا جالية كبرى، وكان ابتعادهم عن الوظائف الأمنية والادارية يسيء إلى قوة وجودهم، او كانت مشاركتهم تفيدهم فائدة كبرى، فلا مانع من ذلك من الناحية الشرعية).^٣

١ السيستاني، (الفقه للمفتريين)، ص ١٦٩

٢ فضل الله، (الهجرة الاغتراب)، ص ٩١

٣ المصدر السابق، ص ٩٢

معظم الجاليات الإسلامية قدمت إلى الغرب من أجل البحث عن الرزق ولقمة العيش، يضاف إلى قسم كبير من اللاجئين السياسيين الذين جاءوا بحثاً عن ملجأ آمن بسبب الظروف السياسية الصعبة أو الحروب التي تشهدها بلدانهم. وطالما أن المسلمين المهاجرين قد استقروا في البلدان الغربية فمن الطبيعي أن يكون لهم عمل أو مهنة يكسبون منها رزقهم وعدم الاعتماد على مساعدات مؤسسات الشؤون الاجتماعية ودوائر البطالة. لقد حصل تحول قانوني يتمثل في اكتساب قسم كبير منهم الجنسية الغربية. هذا الأمر يؤدي إلى نتائج شرعية تتمثل في الإلتزامات الجديدة تجاه الدولة الغربية. كما نشأت أجيال مسلمة لا تعرف غير البلدان الغربية وطناً لها، فهي قد ولدت وترعرعت وتعلمت في الغرب، وتريد ممارسة حياتها الطبيعية وعلاقاتها الاجتماعية والثقافية مع المجتمع الغربي. يواجه المسلمون في الغرب تحديات جديدة في مجال العمل والنشاط الاقتصادي. إذ أن هناك إشكالات شرعية في ممارسة بعض الأعمال المحرمة. وهناك إثارات وشكوك حول بعض الأعمال والمهن تجعل المسلم الملتزم يتردد في الاشتغال بها. ولولا القدرة الكامنة للفقه الإسلامي وقابليته على التطور والتكيف في المجتمعات الإسلامية التي دخلها الإسلام لما استطاع الإسلام الانتشار والبقاء كمكون ثقافي وفكري وعقائدي لشعوب مسلمة كثيرة في آسيا وأفريقيا وقسم من أوروبا. واليوم يشهد الفقه الإسلامي تطوراً ملحوظاً في البيئة الأوروبية من خلال اجتهادات الفقهاء لحل المشاكل التي يواجهها المسلمون في الغرب.

فقهياً، في الأصل كل الأشياء مباحة حتى يوجد نص أو حكم بحرمتها. وعليه يفترض أن ممارسة غالبية الأعمال والمهن حلال طالما أنها مستوفية للشروط الشرعية، كأن يكون عقد العمل صحيحاً والمعاملة شرعية، وأن يأخذ أجراً على عمل مشروع أو في مكان يجوز شرعاً العمل فيه. وقد أفتى الفقهاء المسلمون بحرمة بعض الأعمال في المصانع والشركات والخدمات، فلا يجوز العمل في مصانع الخمر والبارات والكاзиноهات والمراقص ودور البغاء وغيرها. وفي مجال البيع والشراء هناك أمور لا يجوز التعامل بها عند بعض الفقهاء مثل بيع أو شراء آلات اللهو والقمار واللحم الميت والخمر والخنزير والكلب وغيرها^٢. كما أفتوا بحرمة العمل في المطاعم التي تبيع الخمر. وقد يرتبط العمل بجانب أخلاقي واجتماعي إذ يرى بعض الفقهاء كالمراجع الديني السيد

١ مجلة النور - العدد: ١٢٠ - أيار ٢٠٠١

٢ راجع الخوئي (المسائل الشرعية) / الجزء الثاني / كتاب البيع (الأسئلة: ٣٢، ٣٣، ٣٤ و ٤٣).
وأنظر السيستاني (الفقه للمغتربين) / ص ١٧٨ و ١٧٩

السيستاني أنه (لا يجوز للمسلم أن يذل نفسه أمام أي إنسان، سواء أكان مسلماً أم كافراً، فإذا كان العمل الذي يقوم به المسلم مذلاً لنفسه أمام غير المسلم، فلا يجوز له ممارسة ذلك العمل المذلل).^١ ويحذر الفقهاء من التورط في المعاملات الربوية المنتشرة في الغرب فقد أفتى المرجع الديني السيد فضل الله بحرمة انخراط المسلم في المشاريع الربوية مع البنوك الغربية أو مؤسسات توظيف الأموال.^٢ كما يحرمون العمل في المؤسسات الربوية كالبنوك والمصارف وبيوت الإقراض وغيرها، إذ أفتى السيد أبو القاسم الخوئي بحرمة العمل في البنوك والمؤسسات المصرفية التي تتعامل بالربا دون فرق أن تكون حكومية أو أهلية. وقد استثنى من ذلك بعض المهن غير المرتبطة بالعمل الربوي كالكناس والحارس والسائق.^٣

١.٢.٢.٣. دور الدولة الإسلامية في العمل السياسي

أما العمل في الدوائر والمؤسسات الحكومية الغربية فلا مانع منه بحد ذاته بشرط عدم الإساءة للإسلام أو المسلمين. فالسيد السيستاني يشترط وجود مصلحة عامة في تسنم بعض المناصب أو المشاركة في العمل السياسي حيث يقول (قد تقتضي رعاية المصالح العليا للمسلمين في البلدان غير الإسلامية، الانتماء للأحزاب والدخول في الوزارات والمجالس النيابية، وعندئذ يجوز للمسلمين ذلك حسبما تقتضيه المصلحة التي لا بد لتشخيصها من مراجعة الثقة من أهل الخبرة).^٤ أما السيد فضل الله فيتفق مع السيستاني في وجود مصلحة إسلامية عليا في العمل لدى المؤسسات الحكومية لكنه يرى أن ذلك يتسع ليشمل كل المؤسسات الرسمية لكنه يشترط أمرين:

الأول: سياسي - اجتماعي، إذ يرى أن لا يؤدي العمل في وظيفة معينة أو دائرة معينة إلى الإساءة للإسلام والمسلمين أو علاقة هذه الدولة بالمسلمين. الثاني: فقهي - شرعي، أن لا يتضمن نفس العمل ممارسات محرمة في الإسلام كالربا والتجسس والقتل والتعذيب أو تخل بالتزامات المسلم الشرعية، وكنت قد سألته فقال (نحن نجيز العمل بقدر ما يتصل بالمصلحة الإسلامية العليا للمسلمين الموجودين هناك (في الغرب) أو بالقضايا الإسلامية الكبرى. فليس هناك مانع من أن يعمل المسلمون في دوائر الحكومات غير الإسلامية سواء في المجالات العلمية أو الإدارية أو الصناعية والزراعية وغير ذلك، بما لا يسيء إلى الواقع الإسلامي العام في علاقة هذه الدولة بالمسلمين، وبما لا يبتعد عن الحكم الشرعي الشخصي الذي يتصل بالممارسات المحرمة).^٥

١ السيستاني (الفقه للمفتين) / ص ١٧٧

٢ فضل الله (الهجرة والاعتراب) / ص ٣٧٨ والخوئي (المسائل الشرعية) / ج ٢ / ص ٥١

٣ الخوئي (المسائل الشرعية) / ج ٢ / ص ٥١

٤ السيستاني (الفقه للمفتين) / ص ١٦٩

٥ فضل الله (الهجرة والاعتراب) / ص ٩١

تثير قضية العمل في المؤسسات الأمنية والعسكرية جملة من الإشكالات قد يرتبط بعضها كما يرى المعارضون للعمل فيها، أنها تتورط في قضية معاونة الكافر بشكل عام أو قد تندرج في باب الركون للظالمين الذي يحرمه القرآن الكريم (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون) (هود: ١١٣). ويرى بعض الفقهاء جواز العمل في الشرطة والجيش الغربيين ولكن بشروط تتفاوت من فقيه إلى آخر. فالسيد فضل الله يضع معياراً عاماً في أية وظيفة هو عدم ظلم الناس، سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، لأن المسلم أولى بالعدل والتمسك به. وكنت قد سألته عن التوظيف في سلك الشرطة فقال (أن المسألة لا بد أن تدرس من خلال المصلحة النوعية لأنه لا يجوز لإنسان أن يعمل في وظيفة يشعر فيها أنه يظلم بعض الناس من خلال وظيفته حتى في حكومات المجتمعات الإسلامية). ثم يؤيد هذا العمل إذا كان يحقق مصلحة للجمالية المسلمة المقيمة في ذلك البلد الغربي، إذ يضيف (لكن إذا فرضنا أن المسلمين كانوا جالية كبرى وكان ابتعادهم عن الوظائف الأمنية والإدارية سيء إلى قوة وجودهم أو كانت مشاركتهم تفيدهم فائدة كبرى فلا مانع من ذلك من الناحية الشرعية)^١.

أما بالنسبة للعمل في المؤسسة العسكرية الغربية أي الجيش بكل أصنافه ومستوياته فهناك تحفظات ملحوظة لدى الفقهاء الشيعة فالسيد فضل الله يرى عدم الجواز إلا إذا كانت هناك مصلحة إسلامية تكون أكثر أهمية من كون المسلم منخرط في الجيش الغربي، وتقدير ذلك لا يرجع لنفس المسلم الذي يريد الانخراط في الجيش الغربي، بل عليه أن يرجع إلى المختصين في الشؤون الإسلامية في ذلك البلد أو مراجع الدين لمناقشة القضية من كل جوانبها وتحديد المصلحة التي يجب استيفاؤها. يقول السيد فضل الله (الأصل هو أن لا يجوز إلا فيما يترتب عليه مصلحة إسلامية أكثر أهمية من الانتماء إلى جيش قد يظلم الشعوب أو يتعرض الإسلام للأذى، ولا بد في ذلك من الرجوع إلى أهل الخبرة في المصالح الإسلامية)^٢.

أما الشيخ محمد علي التسخيري فيرى أن القضية ترتبط باحتمال ارتكاب عمل محرم أثناء العمل، وإن كان يعتقد بوجود ذلك. وكنت قد سألته عن هذه القضية فأجاب (الأمر لا مانع منه في نفسه، إلا إذا ترتب عليه عمل محرم، فيجب ملاحظة المستلزمات في ذلك. والحقيقة أن هذه المستلزمات موجودة، فإذا أمكنه التخلص منها فلا مانع، وإلا فلا يجوز، إلا أن تكون ضرورة)^٣.

١ فضل الله (الهجرة الاغتراب) / ص ٩٢

٢ فضل الله (الهجرة الاغتراب) / ص ٩٣

٣ رسالة خاصة بالكاتب إلى الشيخ التسخيري

يلاحظ أن الشيخ التسخيري يضع شروطاً في جواز الانتماء للجيش الغربي:

١- أن لا يرتكب عمل محرم في وظيفته

٢- يمكنه العمل إذا أمكنه التخلص من بعض الأمور أو الممارسات المحرمة أثناء وظيفته

٣- يجوز العمل حتى مع ارتكاب العمل المحرم إذا كانت هناك ضرورة.

هذه الشروط ناقشها بعض الفقهاء السنة وتوصوا إلى جواز الانتماء إلى الجيش الغربي. فالدكتور سيد متولي درش المقيم في بريطانيا قد سئل عن ذلك وهل يجوز للمسلم أن يقاتل أخيه المسلم إذا نشب قتال بين الدولة الغربية التي ينخرط في جيشها وبلد مسلم فقال (الانخراط في الجيش البريطاني أمر طوعي والمسلمون غير مجبرين على العمل فيه. ولكن طالما كانوا ينتمون لهذا المجتمع واكتسبوا جنسيته وأصبحوا مواطنين لدولته، فمن واجبه أيضاً الدفاع عن هذا البلد (بريطانيا) الذي يعيشون فيه. وفيما يتعلق بقتال الدول المسلمة مفترضين وجود بلد معتدي، كما يحدث بين حين وآخر، عندما نرى أن بلداً مسلماً احتل بلداً مسلماً آخر بالقوة وضد إرادة شعبه، وأن البلد المعتدي عليه طلب من بريطانيا العون، فعلى المسلمين في الجيش البريطاني السعي لمساعدة إخوانهم كما لو كانوا في جيش مسلم ينهض للمساعدة في مواجهة العدوان. ولكن لو كان القتال ضد بلد مسلم دون وجود مبرر شرعي، فيمكننا القول من خلال الظروف الحالية ومن منطلق إعلان حقوق الإنسان وبالخصوص المعاهدة الأوربية لحقوق الإنسان، يسمح للمسلمين بدافع الضمير في الامتناع عن المشاركة في ذلك القتال. وأما لو اعتدي على البلد الغربي الذي يحمل المسلم جنسيته فمن واجبه الدفاع عنه).^١ فهنا يؤكد السيد درش على أهمية شعور المسلم بأنه جزء من هذا المجتمع، يتمتع برفاهه كما أنه يدافع عنه أثناء الأزمات والعدوان، فلا يتخلى عن مسؤولياته لأنها جزء من حق المواطنة، والتزامه تجاه البلد الذي اكتسب جنسيته ويحترم قوانينه. أما بالنسبة للإمتناع عن المشاركة في الحروب العدوانية فقد مارس كثير من الغربيين ذلك مفضلين السجن على الدخول في عدوان ضد شعب بريء. ففي أمريكا أثناء حرب فيتنام امتنع كثير من محبي السلام والرافضين للهيمنة الأمريكية الإنخراط في الخدمة العسكرية في الجيش الأمريكي وتعرضوا للسجن مثل الرياضي المسلم محمد علي كلاي. ومن حق العسكريين المسلمين في الجيوش الغربية الامتناع عن المشاركة في العدوان على بلد مسلم أو قتاله دون مبرر شرعي.

الجدير بالذكر أن بعض الدول الغربية أخذت تهتم بالعسكريين المسلمين في قواتها. ففي أمريكا تم تعيين أول ضابط مسلم برتبة إمام لتولي المهام الروحية والصلاة والقضايا الدينية للمجنود المسلمين. كما توفر بعض الدول كهولندا الطعام الحلال لجنودها المسلمين وتوفير برنامج خاص

في شهر رمضان. وهناك مشاريع بمنح الجنود المسلمين إجازات في الأعياد الإسلامية أو ساعات محدودة لأداء صلاة الجمعة.

أما بالنسبة لقتال الجنود المسلمين في الجيش الغربي لجيش مسلم أو بلد مسلم، فإذا كان الجيش المسلم هو المعتدي فيجب قتاله وردعه عن العدوان، وكون أفراد مسلمين ليس مبرراً بالاعتداء على بلد آخر سواء كان مسلماً أو غير مسلم. ويؤيد هذا الرأي الشيخ يوسف القرضاوي حيث يقول (لا ضير في أداء الخدمة العسكرية التي تتبع الحصول على الجنسية، فاحتمال اضطراب حمل السلاح ضد الأخوة المسلمين في العالم الإسلامي نفسه، ويمكن توضيح ذلك في الحروب الأخيرة بين المسلمين كالحرب العراقية-الإيرانية أو حرب الخليج).^١ والواقع الإسلامي يشير إلى تورط الجيوش الإسلامية في حروب مع بعضها البعض، ففي حرب الخليج في الكويت عام ١٩٩١ شاركت قوات عسكرية مسلمة (من مصر وسوريا والسعودية والكويت والامارات والباكستان والمغرب والسنغال) إلى جانب قوات الحلفاء الغربية ضد الجيش العراقي. كما أن حكومات البلدان المسلمة ما زالت تستخدم هذه الجيوش لقتل المسلمين من شعوبها في قمع المعارضين لها أو إخماد الانتفاضات الشعبية ضد السلطات الحاكمة، أو في الاعتداء على شعب أو بلد مجاور، فما هو الوضع الشرعي هؤلاء الجنود والضباط؟

هل يجوز لجنود الدول الغربية التوجه للمشاركة في الحروب الإسلامية؟

في ظل جهودها المكثفة لمواجهة التهديدات الأمنية بعد أحداث ١١ أيلول / سبتمبر أعلنت الوكالات الأمنية الأمريكية عن حاجتها لتجنيد مسلمين وأشخاص من أصول عربية للمساعدة في التحقيقات ضد الإرهاب. وقد أثار هذا الإعلان ردود أفعال متباينة بين المسلمين في شرعية هذا العمل. وهل يمكن أن يكون فعلاً لاصطياد المسلمين؟ أم يمكن أن يكون خطأ دفاعياً لصالحهم في مثل هذه المؤسسات الخطيرة التي باتت تهدد كل المسلمين في أمريكا؟ كما إن القضية مطروحة أيضاً في أوروبا التي تنسق خططها مع أمريكا ويعاني فيها المسلمون من بعض المضايقات إضافة إلى ما شهدته من اعتقالات عديدة لمسلمين متهمين بالانتماء لمنظمات إسلامية متطرفة تهدد الأمن الأوروبي أو التي صنفت على أنها منظمات إرهابية.

١ جعفر عبد الرزاق (شرعية الهجرة واللجوء إلى الدول الغربية) / مجلة التوحيد / العدد: ١٠٣ (٢٠٠٠) / ص ٨٢

٢ صحيفة (صوت العراق) الصادرة في لندن - العدد: ٢٦٩ في ١١/٩/٢٠٠٢

يتفق العلماء المسلمون على أمرين يتعلقان بالعمل في المؤسسات الغربية عموماً وهما:
الأول: أن لا يؤدي العمل في وظيفة معينة أو دائرة معينة إلى الإساءة إلى للإسلام والمسلمين أو علاقة هذه الدولة بالمسلمين.

الثاني: أن لا يكون العمل في نفسه محرماً في الإسلام كالتجسس والقتل والتعذيب والإهانة والظلم أو أن تخل بالتزامات المسلم الشرعية كالصلاة والصوم والتقوى والعفة واجتناب المحرمات. فإذا ما تم ضمان هذين الشرطين جاز للمسلم في الغرب العمل في المؤسسات الغربية.

يرى سباحة آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله إن قضية الانتفاء للمؤسسات الأمنية الغربية ليست قضية عامة يمكن السماح بها في كل مكان وزمان بل (لا بد أن تدرس من خلال المصلحة العامة النوعية) أي أن القضية مرتبطة بوضعية الجماعة المسلمة في هذا المجتمع الغربي أو ذاك والنتائج الإيجابية التي يمكن أن يحققها العمل في هذه المؤسسات على الجالية المسلمة (لأنه لا يجوز لإنسان أن يتوظف في وظيفة يشعر فيها أنه يظلم بعض الناس من خلال وظيفته حتى في حكومات المجتمعات الإسلامية. لكن لو فرضنا إن المسلمين كانوا جالية كبرى وكان ابتعادهم عن الوظائف الأمنية والإدارية يسيء إلى قوة وجودهم أو كانت مشاركتهم تقيدهم فائدة كبرى فلا مانع من ذلك من الناحية الشرعية) (الهجرة والاعتراب / ص ٩٢).

إن ما تقدم يشير إلى (جواز) العمل في المؤسسات الأمنية ولكن هل هناك ما يدعو إلى (وجوب) العمل فيها؟ وهل أن تحقيق تلك المصلحة الإسلامية منوط بوجوب العمل في هذه المؤسسات؟ إن تقييم ذلك يأتي من اعتبار القضية خاضعة لمصلحة الجالية الإسلامية التي تقيم في هذا البلد الأوربي. فالمسلمون في الغرب أنفسهم هم الذين يحددون وجود هذه المصلحة من عدمها. فإذا ما وجدوا مصلحة إسلامية حقيقية في الانضمام لهذه المؤسسات فيصبح العمل فيها واجباً كفاثياً بقدر ما يحقق هذه المصلحة. ولا نتصور إن القضية يمكن أن تترك لكل فرد في تحديد موقفه من العمل في المؤسسات الأمنية الغربية أو أنه لوحده يحدد وجود المصلحة الإسلامية من عدمها بل يفترض الرجوع إلى ذوي الخبرة والاختصاص من المسلمين الواعين المثقفين والعارفين بشؤون المجتمع والدول الغربية ولهم خبرة وإطلاع كاف يجعلهم مؤهلين للبت في هذه القضايا. فقضية المصلحة ليست قضية فقهية أو شائناً أصولياً نحتاج فيه إلى الفقيه رغم حرصنا على أخذ رأيه بنظر الاعتبار بل هي من شؤون الحياة العامة التي يستطيع غير الفقهاء النظر فيها.

هناك آراء متناقضة في هذه القضية وتعتمد هذه الآراء على خلفية وثقافة ووعي أصحابها وخبرتهم في المجتمعات ونظرتهم وتقييمهم لدروس الأمور بعيداً عن الانفعال والتشنج والإحساس بالدونية وكذلك حرصهم على مستقبل الإسلام والمسلمين في بلدان الغرب. فبعض المسلمين يرى ضرورة مشاركة المسلمين والعمل في المؤسسات الأمنية لأسباب منها:

١. إن العمل في المؤسسات الأمنية يساعد على زيادة الوعي بالإسلام ورسائله داخل هذه المؤسسات وخاصة كبار الموظفين.

٢. وجود المسلمين في هذه المؤسسات سيساهم في تخفيف وطأة التحامل على المسلمين وما يؤدي هذا التحامل من معاملة قاسية للمسلمين أو وضع خطط أمنية لمراقبتهم ومراقبة مساجدهم ومدارسهم ومؤسستهم الأخرى. فتخفيف التحامل يمكن أن يؤدي إلى مزيد من الاحترام للمسلمين أثناء الاعتقال أو التحقيق سواء في الأزمات أو في الحالات العادية كدوائر الشرطة والحدود والهجرة.

٣. بسبب الحاجة النوعية إليهم سيجد المسلمون وظائف جيدة تساهم في رفع البطالة المنتشرة بينهم.

٤. إن وجود المسلمين في هذه المؤسسات الأمنية سيجعلهم شهوداً على ما يحدث فيها من انتهاكات أو تعليقات ضد المسلمين سواء المعتقلين أو غير المعتقلين وبالتالي الكشف عن أية ممارسة لا قانونية ضدهم لأنهم يتحدثون من داخل هذه المؤسسات ولديهم أدلة قاطعة. كما يمكنهم رفع الحيف والظلم الواقع على المسلمين أثناء تعاملهم مع الدوائر الأمنية.

٥. إن وجود المسلمين في دوائر الشرطة سيؤدي إلى تجنب الكثير من المسائل التي تنتج عن سوء فهم أو عدم الإطلاع على الثقافة الإسلامية. كما يمكن لرجل الشرطة المسلم أن يوضح الكثير في حالة إثارة أية أسئلة تتعلق بالممارسات الدينية الإسلامية. فموظفو مكتب التحقيقات الفيدرالية مثلاً لا يعرفون الكثير عن الممارسات وكيفية التعامل مع المجتمعات الإسلامية. وفي أحد المرات سبب دخول بعض أفراد الشرطة الهولندية بأحذيتهم إلى أحد المساجد مشكلة كبيرة. كما أن بعض أفراد الأمن والشرطة لا يفهمون قضية خلع أحذيتهم عند دخول منازل المسلمين وقد يؤدي ذلك إلى مشكلة مع صاحب المنزل.

أما المعارضون لفكرة انتماء المسلمين إلى المؤسسات الأمنية الغربية فيعتمدون الأسباب التالية:

١. إن الانضمام إلى هذه المؤسسات فيه حرج شرعي لكونه يمثل نوعاً من الركون إلى الظالمين ومولاة المشركين المنهي عنه في القرآن الكريم.

٢. تواجد المسلمين في هذه المؤسسات يجعلها تبرر أعمالها التعسفية ضد الجالية المسلمة. كما إن هذه الدوائر تستخدمهم لقمع المسلمين أو التحقيق معهم أي يصبحون غطاء لكل الممارسات غير الصحيحة مع المسلمين.

٣. ترك قضية تحديد المصلحة الإسلامية في الانتفاء لهذه المؤسسات بشكل عام ومبهم يجعل كل فرد ينطلق من منطلق مصلحته الشخصية ويسوغ له مبررات كثيرة من أجل الحصول على وظيفة جيدة

ذات مرتب مناسب. ونسمح بذلك لذوي النفوس الضعيفة ليمارسوا نزعاتهم المريضة ضد الجالية الإسلامية فيسود الشك والانتقام والعداوة بين أبناء الجالية.

٤. السماح للمسلمين بدخول المؤسسات الأمنية يعد مسرباً كبيراً لتجنيد الجواسيس والمخبرين داخل الجالية الإسلامية في مساجدها ومؤسساتها يحصلون عليها أنفاسها يدونون تقارير ضدها أو ضد القيادات الإسلامية. فهؤلاء العملاء لن يظهروا علناً كموظفين في دوائر الأمن بل سيتسللون وكأنهم أشخاصاً عاديين. وهم بذلك يقدمون خدمة كبيرة للمؤسسات الأمنية التي تسعى لتشويه سمعة المسلمين وإدانة المؤسسات الإسلامية والعاملين فيها. كما أن هذه الدوائر الأمنية لن تجد عائقاً في اختراق صفوف الجالية المسلمة ولن تحتاج إلى وقت ريثما تحصل على رخص قضائية لدخول المساجد أو المراكز الإسلامية لأنها تمتلك عيوناً فيها وتعلم كل ما يجري داخلها.

٥. إن وجود هؤلاء الجواسيس داخل المؤسسات الإسلامية سيؤدي إلى عرقلة أعمالها وبث الخوف والدعر بين أبنائها. الأمر الذي يؤدي إلى توقفهم عن التردد إلى المساجد والمراكز والمدارس الإسلامية خشية أن يكتب عنهم تقرير يهدد وجودهم أو إقامتهم أو يعرضهم لمساءلة قانونية كانوا في غنى عنها أو لا تعلم بها السلطات لولا هؤلاء الجواسيس. يضاف إلى ذلك إن العديد من القضايا والمحاكمات لاتصل إلى نتيجة بسبب عدم وجود أدلة كافية لكن التسجيلات السرية للتصريحات والأحاديث داخل المساجد أو المؤسسات الإسلامية والاعترافات البريئة في الجلسات العادية ستقدم أدلة ضد المسلمين المشتبه بهم. وقد يؤدي إلى إدانتهم والحكم عليهم بعقوبات شديدة.

٦. إن انتهاء بضعة أفراد من المسلمين لن يغير أساليب أو سياسة هذه المؤسسات الأمنية. كما لن يسمح لأحدهم بتولي مناصب عالية تتولى صنع القرار فيها. لذلك لن يكون لهم دور سوى في جمع المعلومات عن المسلمين أو التحقيق مع المشتبه بهم.

في عام ١٩٩٣ أقيم احتفال خاص في البيت الأبيض بمناسبة تعيين أول ضابط مسلم برتبة إمام في الجيش الأمريكي هو النقيب جوليان عبد الرشيد محمد. وارتفع تعيين الائمة إلى ١٤ إماماً مسلماً ٨ في الجيش ٣ في سلاح الطيران و٣ في مشاة البحرية وآخرهم هو جيمس بي وهو أمريكي من أصل صيني اعتنق الإسلام في الكلية ويبلغ عدد العسكريين المسلمين حوالي (١٥) ألفاً أغلبهم من السود، وبينهم العرب والآسيويون مع بعض البيض ممن اعتنقوا الإسلام. ويتوزعون على مختلف صنوف الجيش الأمريكي، بعضهم يعمل على حالات الطائرات والقواعد الجوية. ويقوم الائمة بإمامة الصلاة والإشراف على أمورهم الدينية.

١٠-١-٣ موقف أمريكا من الإرهاب

ما إن اتخذت أمريكا قرارها بشن الحرب على أفغانستان حتى صارت تفكر جدياً بقضية موقف العسكريين المسلمين في الجيش الأمريكي وكيفية التعامل مع هذه القضية الحساسة دون إثارة استياء أو رفض الجنود المسلمين، فقام وزير الدفاع الأمريكي رامسفيلد بالطلب من عبد الرشيد محمد فتوى تميز مشاركة المسلمين بالحرب. ولما كان عبد الرشيد ليس بفتوى أو مفتي فقد قام بتحويل الطلب إلى الدكتور طه جابر العلواني رئيس المجلس الفقهي لأمريكا. وقام الأخير باستئناس آراء بعض الفقهاء والمفكرين الإسلاميين قبل إصدار الفتوى. اجتمع عدد من الفقهاء والمفكرين أمثال الدكتور سليم العوا والمستشار طارق البشري والدكتور هيثم الخياط وفهمي هويدي والشيخ يوسف القرضاوي.

١٠-١-٤ موقف أمريكا من الإرهاب

ناقش الفقهاء والمفكرون هذه القضية من جوانبها المختلفة وتوصلوا إلى ما يلي:
أولاً: إن الإسلام يحرم الدماء والأموال ولذلك يجب أن يكون المسلمون يداً واحدة ضد الذين ارتكبوا الاعتداءات على نيويورك وواشنطن الذين يروعون الأمن ويستحلون دماء غير المقاتلين بغير سبب شرعي. فلذلك يجب البحث عن الفاعلين الحقيقيين لهذه الجرائم وعلى المشاركين فيها بالتحريض والتمويل والمساعدة وتقديمهم لمحاكمة عادلة تنزل بهم العقاب. وهذا كله من واجب المسلمين المشاركة فيه بكل السبل الممكنة.

ثانياً: إن الحرج الذي يصيب العسكريين المسلمين في مقاتلة المسلمين الآخرين مصدره أن القتال

يصعب أو يستحيل التمييز فيه بين الجناة الحقيقيين المستهدفين به وبين الأبرياء الذين لا ذنب لهم فيما حدث. وإن الحديث النبوي الصحيح (إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فقتل أحدهما صاحبه فالقاتل والمقتول في النار. قيل: هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: قد أراد قتل صاحبه).

ثالثاً: إن هذا الحديث الشريف يتناول الحالة التي يملك فيها المسلم أمر نفسه فيستطيع أن ينهض للقتال ويستطيع أن يمتنع عنه وهو لا يتناول الحالة التي يكون المسلم فيها مواطناً وجندياً في جيش نظامي لدولة، يلتزم بطاعة الأوامر الصادرة إليه وإلا كان ولاؤه لدولته محل شك مع ما يترتب على ذلك من أضرار عديدة. يتبين أن الحرج الذي يسببه نص هذا الحديث الصحيح إما أنه مرفوع وإما أنه مغتفر بجانب الأضرار العامة التي تلحق بمجموع المسلمين في الجيش الأمريكي بل وفي الولايات المتحدة بوجه عام إذا أصبحوا مشكوكاً في ولائهم لبلدهم الذي يحملون جنسيته ويتمتعون فيه بحقوق المواطنة وعليهم أن يؤديوا واجباتهم.

رابعاً: أما الحرج الذي يسببه كون القتال لا تمييز فيه فإن المسلم يجب عليه أن ينوي بمساهمته في هذا القتال أن يحق الحق ويبطل الباطل. وإن عمله يستهدف منع العدوان على الأبرياء أو الوصول إلى مرتكبيه لتقديمهم إلى المحاكمة وليس له شأن بما سوى ذلك من أغراض للقتال قد تنشئ لديه حرجاً شخصياً لأنه لا يستطيع وحده منعها أو تحقيقها والله تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها. والمقرر عند الفقهاء أن ما لا يستطيعه المسلم وغير ساقط عنه لا يكلف به. وإنما المسلم هنا جزء من كل لو خرج عليه لترتب على خروجه ضرر له ولجماعة المسلمين في بلده أكبر من الضرر الذي يترتب على مشاركته في القتال.

خامساً: إذا كان العسكريون المسلمون في الجيش الأمريكي يستطيعون طلب الخدمة مؤقتاً أثناء هذه المعارك في الصفوف الخلفية للعمل في الخدمات كالمطبخ والنقل والتنظيف والصحة والمخازن وغيرها من دون أن يسبب لهم ذلك ولا لغيرهم من المسلمين الأمريكيين حرجاً ولا ضرراً فإنه لا بأس عليهم من هذا الطلب. أما إذا كان هذا الطلب يسبب ضرراً وحرماً يتمثل في الشك في ولائهم، أو تعرضهم لسوء ظن أو لاتهام باطل أو لإيذائهم في مستقبلهم الوظيفي أو للتشكيك في وطنيتهم وأشباه ذلك فإنه لا يجوز عندئذ هذا الطلب. وفي معرض رده على منتقديه قال الشيخ القرضاوي: إن القاعدة العامة في الإسلام لا تسمح للمسلمين أن يجاربوا غيرهم من المسلمين، ولكن على المسلمين أيضاً أن يدافعوا عن أنفسهم ضد من يعتدي عليهم. المسلمون الموجودون في بلد غير إسلامي مطالبون بطاعة قانون البلد الذي يعيشون فيه طالما لا يعارضون أحكام الإسلام.

وشرح الدكتور طه جابر العلواني: إن الجنود المسلمين مثل باقي المواطنين الأمريكيين، لهم حقوق يضمنها الدستور الأمريكي ذاته؛ فمن حقهم التجنيد طالما شعروا أن الحرب غير عادلة؛ ومن واجبنا كأمركيين أن ندافع عن بلادنا المسلم وغير المسلم، طالما تعرضت لعدوان، وذلك يقتضي أن نضع المجرم أمام العدالة والقانون الذي يجب أن يأخذ مجراه قبل كل شيء.

ويرى بعض العلماء عدم جواز مشاركة العسكريين المسلمين الأمريكيين في الحرب ضد أفغانستان. فقد أكد الشيخ محمد الحانوتي أن المشاركة جائزة بشرط توافر بينة قامت عليها إدانة لشخص ما أو جماعة أو دولة. وأكد د. صلاح سلطان أن الأصل في ذمة الإنسان البراءة، وهذا يقين لا يزول بالشك. ومن ثم لا بد من التيقن عبر تحقيق قضائي، وإلاّ تعتبر الحرب على أفغانستان حرباً جائزة، لا يجوز المشاركة فيها. وأضاف:

إن الضرر الخاص يتحملة لصالح رفع الضرر العام، ومن ثم فالعقوبة التي ستقع على الجندي الأمريكي المسلم لرفضه الاشتراك في حرب غير عادلة، هي - على أبعد تقدير - الرفض أو السجن المؤقت، وهو ضرر خاص يمكن تحمله لصالح رفع الضرر العام عن عموم المسلمين في أفغانستان. وأفتى الشيخ فيصل المولوي بوجود استقالة الجندي المسلم الأمريكي في حالة اكرهه على الاشتراك في حرب ظالمة.

ويرى بعض العلماء أمثال د. علي جمال ود. احمد الريسوني ان المشاركة في الحرب حرام معتمدين على النصوص الشرعية التي تحرم اقتتال المسلمين.

وأن على الجندي المسلم الاعتذار عن المشاركة في الحرب التي تختصم فيها دولة غير مسلمة مع دولة مسلمة، علماً بان القانون الأمريكي يسمح بمثل هذا الاعتذار، فأن لم يكن الاعتذار مستطاعاً فليقتصر الجندي المسلم على الأعمال الإدارية والإعاشة. وأفتى د. جمعة بوجود استقالة الجندي المسلم من جيش الدولة غير المسلمة في حالة عدم استطاعته تجنب المشاركة في العمليات العسكرية.

كما أفتى بان اضطرار المسلم للاشتراك في هذه الحرب يجعله ملتزماً بان لا يقتل مسلماً بسلاحه، وإلاّ عليه الدية والكفارة إذا قتل مسلم خطأ، وإذا كان متعمداً تحمل إثم القتل عمداً.

تثير هذه الفتاوى مجموعة من التساؤلات لدى المسلمين المقيمين في الغرب وموقفهم من الدولة التي يقيمون فيها فالفقهاء الذين يجيزون مشاركة الجندي المسلم في حرب ضد دولة مسلمة يعتمدون على قاعدة نفي الضرر والحرَج وهي قاعدة شرعية في الفقه ولها تطبيقات عملية كثيرة. لكن تبرير الفتوى يعتمد على قضية الولاء للوطن الغربي من قبل المسلمين الذين يحملون جنسيته ويتمتعون بحقوق المواطنة فيه وان التشكيك بهذا الولاء قد يؤدي إلى الضرر والحرَج من قبل المجتمع أو الدولة يطرح بعداً فقهيّاً جديداً في طبيعة التعامل بين الأقليات المسلمة وبين الدول الغربية المضيفة لها. فهؤلاء الفقهاء يرون أن الولاء الوطني في هذه الحالة يفوق الولاء الديني أي الامتناع عن قتال المسلم ولو تحت إطار نفي الضرر والحرَج. ولا نعلم من الذي يقرر الضرر، الفقيه أم المكلف نفسه؟ أي أن القضية فردية تتعلق بكل جندي أمريكي، فهو الذي يقرر تكليفه الشرعي أو حجم الضرر الواقع عليه أو على جماعة المسلمين في أمريكا. الحفاظ على مصلحة الأقلية المسلمة

ويأتي اختلاف الفقهاء من تقدير الضرر والمصلحة للأقلية المسلمة في الغرب. فالشيخ القرضاوي يرى أن تصنيف المسلمين في الغرب بان ولاءهم لغير الوطن الذي يعيشون فيه خطر على الأقلية ومصيرها ووجودها الديني والدعوي وقد يؤدي إلى ضياع جهود عشرات السنين من الجهود الدعوية والتربوية الهائلة التي بذلت من أجل تقوية الوجود الإسلامي وتشبيته واعتبار المسلمين جزءاً لا يتجزأ من مجتمعهم يجب أن يندمجوا فيه حضارياً ولا يذوبوا فيه دينياً فلا يجوز أن يتصرفوا تصرفاً يجعلهم مشبهين أو مشكوكاً فيهم بحيث يعتبرهم المجتمع العام (طابورا خامسا). ولا ينبغي للأفراد أن يريحوا ضمائرهم بالتخلف عن الحرب إذا كان ذلك سيضر بالمجموعة الإسلامية كلها فان القاعدة الشرعية: إن الضرر الأدنى يُتحمل لدفع الضرر الأعلى وحق الجماعة مقدم على حق الأفراد.

يشكل الجانب القانوني واحداً من التحديات والصعوبات التي يواجهها المسلمون في الغرب. فهناك الكثير من القضايا الإدارية والحقوقية والعائلية ترتبط بالمؤسسات القضائية من أجل استيفائها. ولما كانت الجاليات المسلمة في الغرب تفتقد لمؤسسات قضائية تعني بقضاياهم الشرعية والشخصية والحقوقية لأن الإسلام غير معترف به في أغلب البلدان. وحتى في

البلدان التي تعترف رسمياً بالإسلام كأسبانيا والنمسا وألمانيا وبلجيكا لا يعترف الدستور بأية ثنائية قانونية بل يجري تطبيق قانون واحد على الجميع بما فيه الأقليات الدينية والعرقية. ومع أن هذه الدساتير تضمن للمسلمين حرياتهم الدينية والسياسية والحقوقية كمواطنين أو مقيمين إلا أنها لا تسمح بوجود مؤسسات قانونية تخص المسلمين وحدهم أو تطبق القانون الإسلامي.

والاستثناء الوحيد هو وضع المسلمين الرسمي في اليونان. فقد وقعت اليونان مع تركيا معاهدة لوزان عام ١٩٢٣ التي تضمن احترام قانون الأحوال الشخصية الإسلامي وتطبيقه على المسلمين المقيمين هناك. كما توجد إدارة أوقاف خاصة بالمسلمين تشرف على مساجدهم ومدارسهم الدينية وبقية الأملاك الوقفية. وتعين الحكومة اليونانية مفتين يتولون المسائل المرتبطة بقضايا الزواج والطلاق والإرث. ويتقاضى هؤلاء المفتون رواتبهم من الدولة اليونانية. ورغم وجود التزامات قانونية كثيرة تجاه المسلمين لكن الحكومة لا تحترمها، فما زالت الكنيسة الأرثوذكسية تلعب دوراً هاماً في اتخاذ القرارات المتعلقة بالمسلمين. فحتى عام ٢٠٠٠ لم تكن الكنيسة مستعدة لبناء مسجد جديد في اليونان منذ مائتي عام، حيث وافقت هذا العام على بناء أول مسجد في أثينا رغم وجود مئات الآلاف من المسلمين هناك.

طالما أن المسلمين قد اتخذوا قرارهم بالبقاء في الدول الغربية فعليهم التكيف مع الأوضاع القانونية المعمول بها، فهل يتقاضون أمام المحاكم الغربية عند بروز أي خلاف أو خصومة؟ وهل يميز الفقهاء المسلمون التقاضي لدى محكمة غير إسلامية أو قاضي غير مسلم يحكم بقانون غير إسلامي؟

هناك إجماع بين الفقهاء المسلمين على حرمة التحاكم لدى المحاكم غير الإسلامية، لكنهم يميزون ذلك في حالة واحدة هي الضرورة أي عدم إمكانية أخذ الحق من الخصم إلا عبر المحكمة غير الإسلامية. يقول الشيخ جاد الحق علي جاد الحق، شيخ الأزهر السابق:

(المسلمون إذا كانوا أقلية في بلد غير إسلامي يرجعون إلى تعاليم الإسلام بتوجيه علماء المسلمين في عباداتهم ومعاملاتهم وأحوالهم الشخصية، وكل ما يعرض لهم من أمور دينهم. وإذا عيّن الحاكم غير المسلم قاضياً غير مسلم في شؤون الأحوال الشخصية الإسلامية أو من يقوم بإدارة أمورهم لم يجز هذا في قول عامة الفقهاء حيث لا يصح أن يتقلد إلا المسلم المؤهل لذلك بالشروط المقررة لمثله. ومن ثم فلا يحل للمسلمين التحاكم إلى قاض غير مسلم إلا عند الضرورة. وعلى الأقلية الإسلامية في هذه الحال العمل على الخلاص إما باستقلال أو بهجرة أو بالتحاكم إلى

محكمين مسلمين علماء وبرضاهم المتخاصمون لاسيا في مسائل الحلال والحرام، ومنها أمور الأحوال الشخصية من زواج وطلاق ونسب وميراث).^١

ويرى المرجع الديني السيد محمد حسين فضل الله أيضاً إذ يقول (الأصل أن لا يجوز للإنسان المسلم أن يتقاضى لدى أي حاكم لا يحكم بحكم الله، ولكن إذا توقف الحصول على حقوقه الشرعية بالتقاضي عن القاضي المسلم فيجوز ذلك. والواقع الموجود في الغرب الآن هو هذا، ولاسيما إذا كان التقاضي مع شخص غير مسلم فإننا نستطيع هنا أن نطبق قاعدة الإلزام (الزموهم بما ألزموا به أنفسهم) بحيث لو حكم بغير ما يلتزم به المسلم مما يلتزم به الطرف الآخر، فإننا نستطيع أن نعامله على هذا الأساس).^٢

والله اعلم بالصواب

طالما أن اللجوء إلى المحاكم الغربية غير جائز ابتداءً لفض المنازعات الحقوقية والشخصية والمالية بين المسلمين في الغرب فيجب أن تكون هناك بدائل تستوفي حاجات المسلمين وحل خلافاتهم، ويبقى اللجوء لدى المحاكم الغربية أمراً استثنائياً عند الحاجة أو فشل الأساليب الشرعية الأخرى في انتزاع الحق.

من ناحية واقعية هناك عدة خيارات أمام المسلمين لحل النزاعات الحقوقية والشرعية:

١- الاتفاق بين المتخاصمين أنفسهم على حل مشاكلهم، وهذا الأمر يستلزم بث الوعي الفقهي والحقوقية بين المسلمين، لإدراك أهمية التفقه في الدين والتعرف على الأحكام الإسلامية فيما يتعلق بشؤونهم وقضاياهم ومعاملاتهم. فالأفضل الصلح ورد الحقوق لأصحابها والامتناع عن التعدي على حقوق الآخرين أو ظلمهم فهذا أمر يغضب الله تعالى، ويجعل المسلمين متباغضين ومتفرقين.

٢- اللجوء إلى تحكيم الأشخاص من ذوي الخبرة والعلم بالفقه، يرضى بهم المتخاصمون ويقبلون قرارهم. ويكون حل الخلاف أحياناً بالتراضي عندما يكون المحكم ذو مكانة اجتماعية مؤثرة على المتخاصمين. هذا الأمر يشجع على تبلور شخصية الجالية من خلال رجوعها إلى أهل الخبرة في هذا المجال كما يمنع إلى حد ما التعدي أو تجاوز الحدود، إضافة إلى أنه يشجع الرقابة الاجتماعية بين المسلمين لأن بإمكان أي صاحب حق أن يشتكي على المدعى عليه في نفس الوسط الاجتماعي الذي يعيشه.

٣- اللجوء إلى حاكم الشرع أو الفقيه في بلد إسلامي وعرض الأمر عليه، وهذا الأمر يتطلب وقتاً وجهداً لا يتسنى لكل أحد. فإذا كان للمرجع الديني ممثل في ذلك البلد أو بلد أوربي آخر

١ - جاد الحق (بحوث وفتاوى إسلامية في قضايا معاصرة) / ج ٣ / ص ٣١٧-٣١٨

٢ فضل الله (الهجرة والاعتراب) / ص ٩١

- فستكون القضية أسهل طالما أن بإمكان الوكيل أو الممثل حلها أو رفعها إلى المرجع للبت فيها.
- ٤- تأسيس محاكم إسلامية يتقاضى عندها المسلمون في الغرب ويلتزمون بقراراتها طوعاً. هذا الأمر تمارسه الجالية اليهودية حالياً، حيث أنها مثل الجالية المسلمة لديها أحكام خاصة في قضايا الأحوال الشخصية أو الحقوقية، ولا ترغب في عرضها على القضاء المسيحي أو العلماني، ولذلك قامت بإنشاء (محاكم حاخامية Rabbinical Courts) يشرف عليها رجال دين يهود (حاخامات) للبت في شؤون الجالية اليهودية التي تلتزم بأحكامها.^١
- فيمكن للمسلمين في الغرب تأسيس (محاكم إسلامية) تطبق الشريعة الإسلامي في أحكامها وإجراءاتها وقراراتها، وأن يلتزم بها المسلمون طواعية لحل خلافاتهم ونزاعاتهم وقضايا الزواج والطلاق والحضانة والنفقة والإرث وغيرها. فكما توجد هناك مؤسسات ومراكز ومدارس إسلامية ينبغي إنشاء محاكم إسلامية لتلبية احتياجات المسلمين القضائية.
- ٥- يمكن اللجوء إلى (القانون الدولي الخاص) في تطبيق قانون الأحوال الشخصية للبلد الذي ينتمي إليه المسلم أصلاً. ويسمى هذا بالتنازع القانوني لوجود عناصر أجنبية في النزاع. ويشترط تسامح قانون الدولة وإفساح المجال لتطبيق القوانين الأجنبية.^٢ وهذا الأمر بحاجة إلى إجراءات خاصة وظروف معينة، منها أن يكون المسلم يحمل جنسية بلده الأصلية ولم يكتسب جنسية البلد الغربي، أو تكون هناك اتفاقية قضائية بين البلد الغربي الذي يقيم فيه والبلد الأصلي بحيث يصادق البلد الغربي على الأحكام التي تصدرها محاكم البلد المسلم بصدد القضايا المرفوعة من مسلمين مقيمين في البلد الغربي. وهذا الأمر يتطلب إجراءات طويلة قد تستغرق سنيًا طويلة وترجمة الوثائق ومصادقة السفارات ثم المحاكم الغربية عليها حتى تكتسب الصبغة القانونية.
- ٦- وهناك قضية طالما شهدتها شخصياً هي زواج بعض المسلمين بغربيات سواء كن مسلمات أو غير مسلمات. فعند بروز أي خلاف تلجأ بعضهن إلى المحاكم الغربية للمطالبة بالطلاق أو حق الحضانة أو غيره. والواقع أن بعض الغربيات المسلمات رفضن اللجوء للمحاكم الغربية إلا كآخر خيار أمامهن بعد أن رفض أزواجهن المسلمين المهاجرين الالتزام بحكم الفقيه أو المرجع الديني أو وكيله. فيجب أن يكون معلوماً أن الإسلام قد أباح الزواج بالكتبايات لكن الزواج نفسه يتم وفق الشريعة الإسلامية، وأن تطبق أحكامها على الحياة الزوجية وحقوق الأطفال طالما أن الزوج مسلم. ويستتبع ذلك أن جميع آثار الزواج والعلاقة بين الزوجين وذريتهما تخضع لأحكام الإسلام.

Shadid & van Koningsveld (1995) *Religious Freedom and the Position of Islam in Western Europe* p. 70 1

٢ عبد الرحمن عبد العزيز القاسم (القانون الدولي الخاص وأحكامه في الشريعة الإسلامية) / ص ١٥٦

أحدثت انفجارات الحادي عشر من أيلول (سبتمبر) إرباكاً واضحاً سياسياً وشرعياً في أوساط الأقليات الإسلامية في الدول الغربية. ففي الوقت الذي يجمع فيه علماء الإسلام على حرمة الإضرار بأموال وأرواح ودماء وأعراض غير المسلمين في الغرب لأسباب شرعية وإنسانية وأخلاقية كانت مواقف بعض المسلمين تبدي الشائنة أكثر مما تندد بالاعتداءات. وأخذت تسرب أفكار وتبريرات حاولت اكتساب صيغة شرعية عبر الاعتماد على تفسيرات واجتهادات مجتزأة من سياقاتها التاريخية والشرعية في التاريخ الإسلامي. كما برزت تساؤلات حول الموقف الشرعي لمرتكبي الاعتداءات الذين دخلوا أمريكا بصورة شرعية ثم ارتكبوا هذه الجرائم المروعة.

ما أن سمع العالم بخبر الاعتداءات الآثمة على المدنيين في مدينتي نيويورك وواشنطن حتى سارع علماء الإسلام إلى التنديد بالحادث واعتبروه جريمة منكرة يدينها الإسلام والمسلمون. فقد وصفها مفتي السعودية الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ بأنها «ضرب من الظلم والجور والبغي وان مثل هذه التصرفات محرم ومن كبائر الذنوب. وهي من الأعمال التي لا تقرها شريعة الإسلام وليست من هذا الدين ولا تتوافق مع أصوله الشرعية».

وفي معرض نفيه لشرعية هذه العمليات التي تستهدف المدنيين قال الشيخ يوسف القرضاوي بأن «ما حدث لا يمكن بحال من الأحوال أن يصدر عن مسلم عاقل ملتزم بدينه».

كما دان الأزهر الشريف على لسان الشيخ محمد سيد طنطاوي العمليات الانتحارية التي تمت ضد المركز التجاري العالمي في نيويورك ووزارة الدفاع الأمريكية. وأعرّب السيد محمد حسين فضل الله عن رفضه للعمليات قائلاً: «لا نقبل أن يتعرض شعب من الشعوب لمثل ما تعرض له الشعب الأمريكي وبهذه الأساليب التي لا يقرها دين ولا تقبلها رسالة. نشعر بالفظاظة والدهشة أمام هذه العمليات التي لا يمكن أن يوافق عليها أي دين أو أي منطلق إنساني أو أي مبرر سياسي». ولسنا بصدد مناقشة الجانب السياسي لتلك البيانات ولكن سنركز على الجانب الشرعي والقواعد الفقهية التي اعتمدها علماء الإسلام في إدانة تلك العمليات:

١- حرمة استهداف الانسان المسلم: انطلاقاً من قوله تعالى ((لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين)) (المتحنة: ٨). والقسط ألا نعتدي على حياة هؤلاء الناس ولا على أموالهم ولا على

أعراضهم. يقول الشيخ صالح اللحيدان رئيس مجلس القضاء الأعلى السعودي ((إن مثل هذه الجرائم التي تقع ولا تفرق بين رضيع وامرأة ومسن ومريض وصحيح وتأتي على المال وأهل المال تعد من الجرائم العظام والفواحش الخطيرة لأن هذا ينظر إليه في شريعة الاسلام بأنه من الفساد في الأرض وإهلاك الحرث والنسل وهذا أمر حرمه الاسلام)).

كما يؤكد السيد فضل الله ((إن ما حدث كان ضد الأمنين في الطائرات الذين لا علاقة لهم بسياسة الإدارة الأمريكية كما انه موجه ضد المتواجدين في مركز التجارة العالمي الذين هم من جنسيات متعددة ولا علاقة لهم بسياسة الإدارة الأمريكية)). وأضاف ((لا يجوز لنا استهداف إنسان مسلم في أي مكان في العالم حتى أمريكا)).

٢- من غير الصحيح القول إنهم مدنيون أمريكيون ينتخبون الحكومة الأمريكية ويؤيدونها ويدفعون الضرائب إليها ولما كانت أمريكا تدعم إسرائيل وتضرب بعض البلدان الاسلامية كالعراق وليبيا والسودان فيجوز ضربهم وقتلهم وسلب اموالهم. أولاً: الإسلام ينهى عن قتل نفس بغير حق ((ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق)) (المائدة: ٣٢) والنفس هنا تشمل المسلم. وقد أذن الله في قتل النفس في العقوبات على جرائم منصوص عليها وبعد إجراء محاكمة عادلة لكن لم يرد الإذن الشرعي بقتل أي إنسان بسبب عمل أو جريمة قام بها غيره لأن القاعدة الشرعية المتفق عليها والتي ينص القرآن الكريم عليها «لا تزر وازرة وزر أخرى» (النجم: ٣٨). ثانياً: إن رسول الله (ص) قد نهى عن قتل المدنيين والجرحى والنساء والأطفال والرهبان. كما منع (ص) عن قطع الأشجار وتسميم الآبار وغيرها من الجرائم. هذا في حالة الحرب وفي ميدان المعركة. إن قتل أناس أبرياء وتحميلهم مسؤولية موقف حكومتهم فعل محرم.

٣- الإقدام على خطف طائرات مدنية يوجد عليها نساء وشيوخ وأطفال مسلمون وغير مسلمين وهو في الأصل حرام لأنه ترويع للناس وهو لا يجوز إلا أثناء القتال وضد المقاتلين فقط.

٤- إن ما حدث ليس دفاعاً عن النفس، ولم يحدث في حالة حرب ليوضع في موضع الاضطرار الذي يبرر بعض الحرام شرعاً في قوله تعالى « فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه» (البقرة: ١٧٣). فنحن لسنا في حالة حرب مباشرة مع الولايات المتحدة الأمريكية على رغم ما نشكوه من مواقفها المنحازة لأعداء الاسلام والمسلمين ومساندتها المستمرة للكيان الصهيوني عسكرياً وسياسياً وإعلامياً واقتصادياً. فما دمنا لسنا في حالة حرب مباشرة فلا تترتب أحكام الجهاد والقتال المنصوص عليها في الشريعة. بالطبع يمكن اتخاذ وسائل أخرى كالمقاطعة الاقتصادية.

٥- النهي عن محاربة غير المقاتلين وحتى لو كنا في حالة حرب مباشرة مع أمريكا. فالفقهاء يميزون بين الكافر الحربي أي غير المسلم الذي ينتمي للدولة التي تشن الحرب على بلد إسلامي أو التي يعلن البلد الإسلامي الجهاد عليها. فليس كل كافر هو حربي كما يسميه الفقهاء. وأمرنا الله بقتال الذين يقاتلوننا فقط، «وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين» (البقرة: ١٩٠). فهذا نهى عن محاربة غير المقاتلين أي غير العسكريين فيجوز قتل الكافر الحربي في ساحة المعركة أو لمشاركته والأعمال القتالية. (وحتى الكافر الحربي لا يُقتل لمجرد كفره بل يُقتل حين يحارب المسلمين وتسبب محاربهه القطيعة) كما يرى الشيخ فيصل المولوي.

٦- ولا يجيز الاسلام قتل غير المقاتلين إلا في حالات استثنائية مثلاً حين شن الغارات على العدو أو رمية من بعيد لأنه لا يمكن التفريق بين المقاتل وغير المقاتل وطبيعة هذه الحروب قد تقتضي شن مثل هذه الغارات وهذه كلها عند نشوب حرب فعليه معلنه بحيث لا يقع فيها غدر.

٧- لو دخل الكافر الحربي إلى بلد مسلم بعقد أمان فلا يجوز قتله فجميع الغربيين وغير المسلمين الذين يدخلون بلداننا بسمة دخول (فيزا) لا يجوز الاعتداء عليهم أو مس أموالهم أو أعراضهم أو دمائهم. لذلك لا يجوز الاعتداء على الغربيين عسكريين أو مدنيين الذين يعملون أو يتواجدون في البلدان الإسلامية.

٨- إن الذين ارتكبوا تلك الجريمة قد دخلوا الولايات المتحدة بتأشيرة رسمية وهي تعتبر من وجهة النظر الفقهية عقد أمان ولا يحل للمسلم خيانتهم في شيء لأنهم أعطوه الأمان مشروطاً بتركه خيانتهم وان لم يكن ذلك باللفظ فهو معلوم في المعنى فلا تحل خيانتهم لأنها غدر ولا يصلح الغدر في الاسلام.

فيجب على المسلم احترام العقد الذي دخل به بلاد غير المسلمين فيحترم قوانينهم ونظامهم وممتلكاتهم وأرواحهم. ولو ارتكب ما يخالف ذلك يكون قد نقض العهد والله تعالى يقول « والموفون بعهدهم إذا عاهدوا » (البقرة: ١٧٧) « والذين لأماناتهم وعهدهم راعون » (المؤمنون: ٨) فأولئك الجناة قد استغلوا العهد المتضمن في تأشيرة الدخول ودخلوا أمريكا بنية خرق العهد وعدم احترامه فذنبهم عظيم عند الله ولا يبرر لهم الشعارات التي يرفعونها بحجة حماية الاسلام أو نصرة المسلمين أو الدفاع عن قضاياهم.

خلال المناقشات والحوارات التي تثار في وسائل الاعلام والفضائيات العربية جرى ذكر بعض القضايا والأمور التي يعتقد أصحابها انه ربما تكون مبرراً لتبرير الاعتداءات على نيويورك وواشنطن مثل:

انتحاريون وليس استشهاديون: يرى البعض أنها عملية استشهادية تشابه العمليات التي يقوم بها الفلسطينيون ضد الاسرائيليين والتي تحظى بتأييد علماء الاسلام. يقول السيد محمد حسين فضل الله: «هناك فرق بين ما يمارسه المجاهدون الفلسطينيون في فلسطين وبين ما حدث في أمريكا لأن الفلسطينيين في حالة حرب مع إسرائيل التي تستخدم أقوى الأسلحة لإبادة الشعب الفلسطيني بمختلف الوسائل العسكرية ولا يملك الفلسطينيون في رد ذلك أو للتخفيف من ذلك إلا القيام بالعمليات الاستشهادية. إن ما حدث في أمريكا كانت المشكلة فيه انه وجه إلى جماعات من سائر أنحاء العالم لا علاقة لها بالسياسة الأمريكية وهو ما يجعل المسألة تفقد الشرعية بالنسبة إلى هؤلاء الأبرياء». واعتبرهم الشيخ يوسف القرضاوي «منتحرين لا إستشهاديين» وعلل ذلك بأن «الاستشهادي يستشهد ضد من يغزو أرضه ويحتلها لا خارج أرضه. كما أن الاستشهادي يفجر نفسه في عدوه وفي أرضه. أما هؤلاء فقد فجروا أنفسهم في الأبرياء ممن ركبوا الطائرة. وأن الاستشهادي يستخدم جسده قبله في عدوه وهؤلاء قنابل في أيدي آخرين لا حربيين. فالفرق واضح بين هؤلاء المنتحرين بهذه العملية والاستشهادي. فرق في الهدف وفرق في الوسيلة إن هدف الاستشهادي نكاية العدو الغازي لا أرضه ووسيلته جسمه أما هؤلاء فهدفهم ترويع الأمنين ووسيلتهم أجسامهم وأجسام غيرهم.

خسارة إسلامية عربية: يعتقد البعض أن هدف العملية هو الاضرار بالمصالح الأمريكية. وهذا الرأي يحاجه إلى تمعن في النتائج السياسية والاعلامية والعسكرية والاقتصادية لتحديد من الخاسر أمريكا أم المسلمون. بالنسبة إلى أمريكا لم تفقد من قدرتها العسكرية والاقتصادية ما يستحق الذكر نظراً إلى حجم اقتصادها الهائل. فما زالت أساطيلها وطائراتها وأسلحتها تهيمن على العالم. كما لم تصب بنيتها الاقتصادية والمالية والبشرية، فبعد أسبوعين تمكنت من حشد قواتها لتبدأ حرباً شاملة ضد أفغانستان. كما استعادت نفوذها وهيبتها من خلال التلويح بمعاوية من لا يتحالف معها ضد الارهاب. وتوحد الشعب الأمريكي خلف حكومته ورئيسه للمضي في سياستها، وخلقت عطفاً عالمياً على أمريكا، وأنها ضحية الارهاب والعدوان. أما ما خسره المسلمون فكثير، سياسياً سارعت الدول العربية والاسلامية لتقديم كل التسهيلات والمعلومات المخبرانية لأمريكا. وخسرت القضية والانتفاضة الفلسطينية بسبب تحول الرأي العام العالمي عنها والانشغال بالحدث الأمريكي. كما بات الاسلام هدفاً لهجوم غربي لم يسبق له مثيل، وتعرض المسلمون والمؤسسات الاسلامية في الغرب إلى اعتداءات كثيرة، وسقط بعضهم قتلى. كما تم تعزيز الحواجز النفسية والفكرية والعقائدية والاجتماعية والسياسية بين الغربيين والاسلام والمسلمين بشكل كبير جداً.

حرب غير مشروعة: إن العمليات التي جاءت من باب الجهاد على أعداء المسلمين. إن الجهاد على نوعين: الأول: الجهاد الدفاعي الذي يوجب على أهل ذلك البلد الخروج لمحاربة الغزاة. ويرى بعض العلماء أن هذا النوع واجب عيني على أهل البلاد وعلى المسلمين القريبين منها المستطيعين ذلك. ولا يحتاج هذا الجهاد إلى إذن من احد. وهو ما يحدث في فلسطين والشيخان وكوسوفو. الثاني: الجهاد الابتدائي أي مهاجمة غير المسلمين في ديارهم. وهذا لا يصح إلا بإذن الإمام المسلم، وعند الشيعة بإذن الإمام المعصوم (ع)، أي يعتبر عملياً هذا النوع متوقفاً في ظل الظروف الحالية. إن عدم وجود إمام للمسلمين لا يبرر لأي فرد من أفراد المسلمين أو أي تنظيم إسلامي أن يعلن هذا الجهاد لأنه قد يؤدي إلى توريث المسلمين في معركة غير محسوبة، ولا هم قادرون على تحمل النتائج. وتعتبر هذه التفجيرات حرباً غير مشروعة إذ لم يأمر بها إمام حاكم مسلم، وليست من قبيل الدفاع عن النفس كما في البلدان المذكورة أعلاه.

اتفاقات وعهود تمنع الاعتداء: إن العملية جاءت نصرة للمسلمين المظلومين في فلسطين و العراق، وهذا غير مبرر أيضاً لأن أهل هذه البلدان يجب عليهم القتال إذا تعرضوا لاعتداء خارجي. ويمكن نصرتهم بأشكال عديدة مادية وسياسية. ولا يجوز الدخول في قتال مع أعدائهم إذا كانت هناك اتفاقيات وعهود تمنع الاعتداء. يقول تعالى «وان استنصروكم في الدين فعليكم بالنصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق» (الانفال: ٧٢). فقد أباح الله للمسلمين عدم نصرة إخوانهم إذا كانوا مرتبطين بميثاق مع أعدائهم الكافرين. ولما كان لا يجوز نقض الميثاق فلا يجب مقاتلة ذلك العدو. والدول المسلمة لها اتفاقيات سياسية ودبلوماسية واقتصادية مع امريكا. كما أن بعض الفقهاء يعتبر التوقيع على ميثاق الأمم المتحدة والعضوية فيها يلزم الدول المسلمة بمبادئ الميثاق مثل مبدأ التعايش السلمي (المادة الاولى) ومبدأ الحل السلمي للنزاعات الدولية (الفقرة ٣ من المادة ٢) ومبدأ عدم استخدام القوة (الفقرة ٤ من المادة ٢) ومبدأ عدم التدخل (الفقرة ٧ من المادة ٢). (راجع: جعفر عبد الرزاق «الاسلام والأمم المتحدة» مجلة الفكر الجديد/ ١٧-١٩٩٨).

تأتي عمليات نيويورك وواشنطن من باب المقابلة بالمثل لأن أمريكا تضرب بعض الدول الإسلامية وتقصف المدنيين والأبرياء. وهذا الأمر يمكن تبريره إذا كانت هناك حرب فعلية مع أمريكا. ففي حالة الحرب الفعلية تطبق أحكام الحرب والجهاد ويتم تطبيق هذه الأحكام تحت إشراف الدول المسلمة وحكوماتها وعلماؤها، وليس من حق أي فرد أن يقرر أنه في حالة حرب أو يعلن الجهاد من طرفه من دون موافقة حكومة ذلك البلد المسلم. نعم ندين الأعمال اللاإنسانية والمخالفة للقوانين الدولية والأعراف التي تقوم بها أمريكا، ولكن لا يعني ذلك ممارستها على

إطلاقها في الاسلام. بل إنها مقيدة بشروط أخلاقية. ولقد رفض الشيخ القرضاوي هذا التبرير قائلاً: « لو هتك العدو عرض مسلمة فهل تقوم بالشيء نفسه تجاه غير مسلمة؟ ». « قافلة قريش »: اعتبر البعض إن مركز التجارة العالمي بمثابة « قافلة قريش » التي خرج الرسول (ص) لمهاجرتها والاستيلاء عليها كغنيمة. وكانت بينهما مناوشات وقاتل، فأراد الرسول (ص) أن يسدد ضربة اقتصادية لأعدائه. كما اعتبروها تعويضاً عما قامت به قريش من مصادرة لأموال المسلمين المهاجرين التي تركوها في مكة واستطاع قائد القافلة أبو سفيان إنقاذ القافلة عبر تغيير مسارها. ويرى الشيخ القرضاوي « إن القياس خاطئ فقد مات في مركز التجارة العالمي قرابة ألف مسلم من كل أنحاء العالم. وخسر فيه المسلمون والعرب عشرات المليارات من الدولارات » إذ كانت هناك عشرات الشركات والمؤسسات التي يملكها عرب ومسلمون في مركز التجارة العالمي. كما أن الرسول (ص) وقريش كانوا في حالة حرب في حين لا تنطبق هذه الحالة على الوضع الراهن مع أمريكا. يضاف إلى ذلك أن العملية لم تقتصر على الأضرار الاقتصادية بل شملت فقدان ستة آلاف من الأرواح والاسلام لا يتساهل مع الدماء.

٧- دعوة لا قتال: إن الظروف التي يعيشها المسلمون اليوم في أكثر بقاع الأرض هي ظروف دعوة وليس قتال وأن اللجوء إلى القتال في مثل هذه الظروف يضر ضرراً بليغاً بالدعوة بحيث أخذ كثيرون منهم يتعاطفون مع الاسلام ودخل بعضهم فيه واعتنقه فجاءت هذه التفجيرات لتعلن الحرب على الشعوب وليس على الحكومات وتحقق ما أراده أعداء الاسلام في إيقاف مسار الدعوة وتشويه الاسلام ووصفه بالارهاب والعنف والقسوة والوحشية مما يشكل حاجزاً أمام الدعوة وهو أثقل في الميزان الشرعي من شهوة الانتقام ضد الإدارة الأمريكية الظالمة.

أبدت نقابة الأطباء الهولندية وجمعية قتل الرحمة Euthanasie إرتياحها إثر تقديم الحزب الليبرالي D66 مقترح للبرلمان يقضي بوضع شروط لقتل الرحمة وعدم معاقبة من يقوم به، أي سن قانون يجوز قتل الرحمة. فما هو قتل الرحمة؟ وما رأي الإسلام به؟ يعرف قتل الرحمة بأنه الإسراع بموت شخص مصاب بمرض يستحيل شفاؤه ويعاني من آلام فظيعة ولا يرغب بالحياة. القانون الحالي يحرم قتل الرحمة، ويعاقب من يرتكبه، رغم تغاضيه عن بعض الحالات التي

بيدي فيها المريض رغبته بالموت وتحت إشراف طبي صارم. وزيرة الصحة السيدة Borst تؤيد المشروع. أما وزيرة العدل السيدة Sorgdrager فلا تبدي تحمساً له. وقد انقسم البرلمان الهولندي بين مؤيد ومعارض. فهناك أقلية تؤيد المشروع تتألف من حزبي D66 و PvdA، وهما من الإئتلاف الحكومي الثلاثي، والحزب المعارض اليسار الأخضر. في حين تعارضه بقية الأحزاب ومنها الحزب الديمقراطي المسيحي.

تُلقب السيدة بورست بالرحمة

إن نظرة الغربيين لموضوع قتل الرحمة والتسامح في قتل الإنسان نفسه لأسباب صحية ناتج من الفلسفة الوضعية التي تؤمن بحرية الإنسان في سلوكه وتصرفاته في ما يملكه ومنها نفسه وحياته. وأن من حق كل إنسان أن ينهي حياته، وأن قرار ذلك بيده هو. فالروح والجسد هي ملك الإنسان وهو حر بما يفعل بهما. هذه النظرة وليدة الأفكار الوضعية بعيداً عن الإيمان والدين والقيم الأخلاقية والإنسانية. لذلك نجد أن الديانات تحرم الانتحار والإجهاض وقتل الرحمة، فكلها مظاهر لقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق.

إن قتل الرحمة يعني إنهاء حياة إنسان قبل وفاته الطبيعية. والديانات السماوية لا تتسامح في القتل حتى لو كان بدافع الرحمة بالمريض. فالله تعالى وحده يملك قرار الحياة والموت. إن الحياة هبة عظيمة للبشر، ولا يمكن التصرف بها بهذه السهولة أو تحت حجج واهية.

إن القائلين بقتل الرحمة بسبب مرض مستعص أو آلام مبرحة يائسون من المستقبل والتطور العلمي والطبي الذي يتكرر يومياً علاجاً لمرض مستعص أو أسلوباً في معالجة الأمراض الصعبة أو دواءً لحالات ميئوس منها. وأن التسامح في قتل المرضى قد يستدرجنا إلى السماح بقتل المعاقين والمصابين بأمراض ولادية كالشلل الدماغية أو نقص الأعضاء أو المنغولية أو اللوكيميا. وفي الوقت الذي يُعالج المصابون بالأيدز وغيره، وتنفق عليهم مليارات الدولارات من أجل معالجتهم لأن الرأي العام الغربي متعاطف معهم، نجد أن المصابين بأمراض مستعصية وخاصة من كبار السن تتخذ بحقهم قرارات الموت بذريعة الرحمة!!

يحرم الإسلام المساس بالجسد والإضرار به، كما يحرم قتل النفس الإنسانية سواء كانت جنيناً أم طفلاً أم بالغاً. وعلماء الإسلام متفقون على حرمة قتل الرحمة، ولكن هناك تفصيلات في هذا الأمر. يقول المرجع الديني السيد محمد حسين فضل الله:

■ إذا كان المقصود من الموت الرحيم، الموت الذي يريح المريض، باعتبار أن الآلام تصل إلى

- حد لا تطاق عادة، فإن هذا لا يجوز. فإن قتل الإنسان حتى لو كان ذلك رافة به لا يجوز.
- وإذا كان المراد بالموت الرحيم، هو قتل المريض تخفيفاً على أهله من جهة أنه ميؤوس منه، باعتبار أنه سيموت بعد يوم أو يومين أو ثلاثة قطعاً، فهذا لا يجوز أيضاً، لأنه لو بقيت لهذا المريض ساعة من الحياة، لما جاز لنا أن نسلبها هذا الإنسان.
 - أما إذا كان المراد بالموت الرحيم حالة الموت الدماغي، كما لو افترضنا أن المريض مات طبيياً، بمعنى توقف الدماغ بالطريقة التي لا مجال فيها ولو بنسبة ١٪ بعودته إلى العمل. ففي هذه الحالة نرى أنه لا يجب وضع الجهاز الذي يطيل أمد الحياة للجسد بمعنى حركة القلب. ولا يجرم إزالة الجهاز، لو كان موجوداً في هذه الحالة. وهذه المسألة يرجع تحديدها للطبيب المشرف على المريض، كما أنها تكليف الأهل لتمكين الطبيب من ذلك، حيث لا سلطة للطبيب على أن ينهي حياة هذا الإنسان أو ينهي هذا النوع من الحياة، لأن للمريض ولياً، ولا بد للطبيب من مراجعته في هذا الشأن. حيث يجوز للولي نتيجة تشخيص الحالة من قبل الطبيب أن يسمح له بإجراء هذه العملية. ولعل الأساس في ذلك أن الأدلة التي تدل على وجوب إنقاذ حياة المريض لا تشمل هذا النوع من الحياة التي هي حياة خلايا لا حياة الإنسان، تماماً كما هو مظهر الحياة في ذنب الأفعى أو الوزغ بعد الموت. كما أن الدليل الذي دلّ على حرمة إنهاء الحياة للإنسان بالقتل لا يشمل هذا المورد. وليس الأساس هو صدق الموت على الموت الطبي، لأن ذلك ليس محرزاً بحسب الأدلة الشرعية والله العالم.
 - ولا يجوز للمريض نفسه أن يضع حداً لحياته ويأمر الطبيب بقتله، لأنه ليس له سلطة على إنهاء حياته.

من الظواهر المألوفة في المهجر زواج المسلمين بفتيات غير مسلمات بسبب ظروف حياة الاختلاط وأن الإسلام يسمح بالزواج من الكتابيات. ولكن هل تختلف الفتاة المسلمة عن الشاب المسلم إذ لا يسمح لها بالزواج من غير المسلم؟ وما هي الحكمة في ذلك؟ هذا ما يراود العديد من الفتيات المسلمات حيث لا يجدن جواب سوى إن الإسلام يحرم ذلك. فما هي أسباب هذا التحريم؟ وما ظروفه؟ وما حكمته؟

لقد أعاد الإسلام للمرأة كرامتها وإنسانيتها واعتبرها مساوية للرجل في الخلق والخطاب والجزاء

والعقاب. فمن حيث الطبيعة خلق الله المرأة من نفس آدم (ع) حيث يقول تعالى (هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها) (الزمر: ٦) فهي من نفس الرجل وليست أقل منه كما هو المشهور في اليهودية والمسيحية. كما إن الإسلام لا يعتبر المرأة مسؤولة عن طرد آدم من الجنة كما يرى اليهود والنصارى بل إن آدم (ع) هو المسؤول عن ذلك وهي قد تبعته (فوسوس إليه الشيطان قال: يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى فأكلا منها) (طه: ١٢٠) وطالما أنها تابعته في تصرفه وأكلت من الشجرة المحرمة فقد تحملت العقوبة معه وهي النزول من الجنة. والقرآن يجعل المرأة بمقام الرجل في المجتمع من حيث المسؤولية والواجبات والطاعات (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) (التوبة: ٧١).

١٠- الزواج في الإسلام

شرع الله تعالى الزواج كي يأنس المرء وزوجه ويستقر نفسياً واجتماعياً وينتج الذرية التي تعمر الأرض وتقام بها المجتمعات البشرية. ومن شروط الزواج الكفاءة وأول ما يفترضه الإسلام في الزوج المناسب أن يكون ذا دين وعفة وتقوى لأن الالتزام يمنع التعدي على حقوق الله وما فرضه من أحكام ويمنع الظلم والتعسف والأذى. ثم تأتي الشروط الأخرى كالنسب والمال والجاه والتعليم وغيرها. ولأن الإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله للبشرية وختم به الرسالات السماوية فهو الأحق بالإتباع (إن الدين عند الله الإسلام) (آل عمران: ١٩). ولذلك حرم الزواج بالمشرك والمشركون معاً موضحاً السبب (ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون) (البقرة: ٢٢١). كما اعتبر الإسلام أن إسلام أحد الزوجين المشركين يعني فسخ النكاح فوراً. كما أمر بتطبيق الكافرات في قوله تعالى (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) (المتحنة: ١٠).

وقد أباح تعالى الزواج بالكتائيات أي اليهوديات والمسيحيات (اليوم أحل لكم الطيبات، وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم، وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) (المائدة: ٥). وهذه الإباحة وردت حصراً على الرجال المسلمين دون النساء. ويلاحظ وجود تدرج في الحكم كما يلي:

- ١- منع زواج المسلم والمسلمة من مشرك أو مشركة في سورة البقرة وهي من أوائل السور المدنية.
 - ٢- منع زواج المسلم والمسلمة بالكافرة والكافر في سورة (المتحنة: ١٠) وهي سورة مدنية وترتيبها في النزول ٩١. وكلمة الكافر تشمل المشرك والكتابي في كثير من آيات القرآن.
- الترخيص بزواج المسلم بالكتابية فقط دون المشركة في سورة (المائدة: ٥) والسورة ترتيبها في

النزول ١١٢. وبقي تحريم زواج المشرك والمشاركة والتزويج إليهم قائماً وكذلك بقي تحريم زواج المسلمة بالكتابي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أجمع فقهاء المسلمين على أنه لا يحل لمسلمة إن تنكح غير مسلم (كتابي أو غير كتابي) ونصوا على بطلان هذا الزواج كما نصوا على فسخ نكاح من أسلمت وزوجها كتابي أو مشرك لم يسلم معها. فالمذهب الحنفي يرى أن الإسلام "حرم نكاح المشركين أي تزويجهم بالمسلمات لقوله تعالى (ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا) (القرة: ٢٢١) لأن في إنكاح المؤمنة الكافر خوف وقوع المؤمنة في الكفر لأن الزوج يدعو إلى دينه والنساء في العادة يتبعن الرجال فيما يؤثروا من أفعال ويقلدونهم في الدين. والنص وإن ورد في المشركين لكن العلة وهي الدعاء إلى النار يعم الكفرة أجمع فيتعمم الحكم بعموم العلة فلا يجوز إنكاح المسلمة بكتابي وكما لا يجوز إنكاحها الوثني والمجوسي لأن الشرع قطع ولاية الكافرين عن المؤمنين بقوله تعالى (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً) (النساء: ١٤١)" (من كتاب بدائع الصنائع/ ج ٢/ ص ٢٧١-٢٧٢).

والمذهب الحنبلي يرى "إن أسلمت الكتابية قبله وقبل الدخول تعجلت الفرقة سواء كان زوجها كتابياً أو غير كتابي إذ لا يجوز لكافر نكاح مسلمة" (المغني ج ٦ / ص ٦١٧).

وقال الإمام الشافعي: "فإذا أسلمت المرأة أو ولدت على الإسلام أو أسلم أحد أبويها وهي صبية لم تبلغ حرم على كل مشرك كتابي ووثني نكاحها بكل حال". (كتاب الأم/ ج ٥/ ص ٧). وقال أيضاً: "ويحل نكاح حرائر أهل الكتاب لكل مسلم لأن الله تعالى أحلهن بغير استثناء وأحب إلي لو لم ينكحهن مسلم".

ويرى السيد الخوئي أنه (لا يجوز للمسلمة أن تنكح غير المسلم. ولو ارتد أحد الزوجين قبل الدخول انفسخ العقد وكذلك قبل الدخول إذا ارتد الزوج عن فطرة) (منهاج الصالحين/ ج ٢/ ص ٢٦٣).

الزواج معاشرة دائمة تأثر وتأثير تناغم وتفاهم ووظيفة ودور حقوق وواجبات. وهذه بحاجة إلى انسجام واحترام متبادل بين الزوجين. ولما كان الإسلام يريد لأتباعه أن لا يقعوا في ذل واحتقار أتباع الديانات الأخرى فجرى تحريم زواج المسلمة بغير المسلم لأن المرأة عادة هي الجانب الأضعف في البيت ولذلك يجب أن لا تتعرض لأي إهانة في دينها أو مقدساتها. في حين إن المسلم يعتبر الإيمان بالكتب السماوية والأنبياء الآخرين جزءاً من عقيدته (آمن الرسول بما

أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير) (البقرة: ٢٨٦).

يرى السيد سابق (رحمه الله توفي في ٢٧/٢/٢٠٠٠) أن حكمة تحريم زواج المسلمة بغير المسلم (ذلك أن للرجل حق القوامة على زوجته وأن عليها طاعته فيما يأمرها به من معروف وفي هذا معنى الولاية عليها. ما كان لكافر أن يكون له سلطان على مسلم أو مسلمة. ثم أن الزوج الكافر لا يعترف بدين المسلمة بل يكذب بكتابتها ويحدد رسالة نبيها ولا يمكن لبيت أن يستقر ولا الحياة إن تستمر مع هذا الخلاف الواسع. وعلى العكس من ذلك إذا تزوج المسلم بكتابتها فإنه يعترف بدينها ويجعل الإيثار بكتابتها وبنبيها جزءاً لا يتجزأ لإيثاره إلا به) (فقه السنة/ ج ٢/ ص ١٨٢).

ويميل السيد فضل الله إلى نفس هذا الرأي حيث يقول (لعل الفرق بين الرجل والمرأة هنا هو أن المسلم يعترف بالكتابي وبالتالي فإن الزوج المسلم يحترم دين المرأة الكتابية سواء كانت يهودية أو نصرانية ويحترم مقدساتها العامة لأنه يعترف بكل الأنبياء والرسل بينما لا يحترم اليهودي والنصراني مقدسات المرأة المسلمة لأنه لا يرى محمداً نبياً ولا يرى القرآن كتاب الله. ولهذا فإن الزواج يجب أن يقوم على أساس احترام كل من الطرفين لمقدسات الآخر أو على احترام الرجل لمقدسات المرأة على الأقل باعتبار أنه الجانب الأقوى في العلاقة الزوجية وهذا ما يتوفر من زواج المسلم من الكتابية ولا يتوفر في الزواج المعاكس لأن عقيدة المسلم تمنعه من أي شيء يطال التوراة أو الإنجيل أو موسى ومريم وعيسى بكلام غير مسؤول بينما لا تردع العقيدة الدينية للمسيحي واليهودي بعيداً عن اللياقات الاجتماعية من الإساءة إلى القرآن وإلى النبي محمد (ص) وإلى ما تقدسه المسلمة من رموز). (دنيا المرأة/ ص ٢٥٣).

ترددنا كثيراً قبل تناول هذا الموضوع نظراً لما اعتاده القارئ المسلم في ثقافته وتقاليدته الاجتماعية من تجنب الخوض في المسائل الجنسية. هذا مع العلم أن القرآن الكريم الذي يتلى آناء الليل والنهار في المساجد والمدارس والبيوت والأماكن العامة يتضمن آيات صريحة وكنيات وأسماء ذات صلة مباشرة بالعملية الجنسية. وطالما أن المقولة المعروفة (لا حياء في الدين) كانت الباب الذي يفتح أمام المسلمين أهمية تناول مختلف القضايا حتى التي قد تخدش الحياء لأن تعلمها وفهمها من منطلق شرعي وعلمي أهم من الآثار النفسية أو الاجتماعية التي ترافق تناول هذه القضايا، والتي لا أرضية شرعية لعدم تناولها سوى العرف والعادات.

تناول القرآن الكريك قضية الشذوذ الجنسي من خلال آيات عديدة توزعت على عشر سور قرآنية، تسع منها مكية (الأعراف، هود، الحجر، الشعراء، النمل، العنكبوت، الصافات، الذاريات، القمر) وواحدة مدنية (التحریم).

يتناول القرآن الكريم هذه القضية من خلال سرده لقصة النبي لوط (ع) والذي ارتبطت العملية بقومه باعتبارهم أول من مارس الشذوذ الجنسي (اللواط) إذ يقول تعالى (ولو طأ إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين) (الأعراف: ٨٠). أي أن أول من مارسها هم سكان منطقة الشرق الأوسط قبل أربعة آلاف عام.

لقد واجه النبي لوط (ع) أشد انحذار أخلاقي يصيب مجتمعاً بشرياً. وبذل جهوداً كبيرة من أجل إصلاحهم وتقويم سلوكهم باعتبار أن الشذوذ الجنسي يتعد بالفطرة الإنسانية عن تلبية الحاجات وفق قنواتها الطبيعية، وانحرافاً عن غاياته في استمرار النسل البشري وتعمير الأرض. لكنهم رفضوا سماع نصائحه ومواعظه، ورفضوا الحوار معه، وسخروا من دعوته (وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريبتكم إنهم أناس يتطهرون) (الأعراف: ٨١).

لقد استغرق قوم لوط في إشباع غرائزهم الجنسية فابتدعوا ممارسة اللواط بين الرجال. وقد وصل الأمر بهم أنهم كانوا يمارسون الشذوذ في الأماكن العامة والنوادي بشكل علني. يقول تعالى (أننكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر) (العنكبوت: ٢٩). أي لم تعد ممارستها في السر وخلف الأبواب المغلقة بل خرجت إلى العلن والشارع والأماكن العامة لتصير مظهراً من مظاهر العادات الاجتماعية والانحراف السلوكي في ذلك المجتمع.

وبلغت القضية أوجها عندما زار مجموعة من الملائكة على شكل بشر النبي لوط (ع) حيث جاءوا يبشرونه بأن الأمر الإلهي قد قضى بتدمير هذا المجتمع المنحرف صباحاً. فلما وصل خبر قدوم الملائكة على منزل لوط، تجمع أهل المدينة حول المنزل فقد جاءتهم هذه الغنيمة الجديدة التي يستطيعون من خلالها إشباع رغباتهم الجنسية الشاذة، فربما كانوا يعيشون حالة جوع جنسي إلى نوع جديد من البشر، بعد أن استهلكوا أنفسهم في هذه الفعلة. وقد يكون الملائكة الذين جاءوا إلى لوط في صورة فتیان صباح الوجوه، يحركون الشهوة، وهم في موقع ضعف، لأنهم ضيوف لوط الذي كان ضعيفاً في قومه لأنه لم يكن لديه أخ أو عشيرة لأنه جاء من بابل مع عمه إبراهيم (ع) إلى فلسطين في القرن ١٩ قبل الميلاد وأقام في وادي الأردن.

فوجئ لوط بتجمع أهل المدينة حول منزله، وهو يعرف نواياهم، فشرع بحرج شديد لاسيما بعد أن اطلع على شخصيتهم الملائكية المتمثلة في صورة بشر، وأنهم قد لا يستطيع حمايتهم أو الدفاع عنهم فقال لهم (قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون. واتقوا الله ولا تحزنوا) (الحجر: ٦٨ و ٦٩). فلما رأى إصرارهم وعنادهم عرض عليهم أن يتزوجوا بناته إن كانوا مصرين على ممارسة الجنس ولكن عبر العلاقة الإنسانية الطبيعية وبطريقة مشروعة، لكنهم رفضوا هذا العرض أيضاً. فهددهم بعذاب الله الذي سيصيبهم عن قريب لكنهم استهزءوا بوعيده معتقدين أنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً (فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين) (العنكبوت: ٢٩). عندها (قال رب انصرني على القوم المفسدين)، واستجاب الله دعاءه.

أوصى الملائكة لوط بمغادرة المدينة ليلاً هو ومن آمن معه إلا زوجته التي هلكت معهم لأنها كانت تؤيد قومها ضد لوط (لننجيه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين) (العنكبوت: ٣٢). جاءهم العذاب عند شروق الشمس حيث حدث زلزال عنيف قلب المدينة رأساً على عقب ثم أمطرت السماء حجارة تصيب من بقي منهم، فقضت عليهم أجمعين (فأخذتهم الصيحة مشرقين. فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل) (الحجر: ٧٣ و ٧٤).

وتذكر بعض التواريخ أن مدينة لوط كانت تسمى سدوم وتقع على نهر الأردن. فلما وقع الزلزال انخسفت الأرض بها بشكل مفاجئ، وتكون في الانهيار الأرضي البحر الميت حيث تجمعت فيه المياه. ومستوى سطح البحر الميت هو أقل مستوى لبحر في العالم، ومياهه مالحة جداً لا تعيش فيه سوى بعض الأعشاب والطفيليات. (ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون) (العنكبوت: ٣٥).

ورد ذكر النبي لوط (ع) في التوراة حيث جاء (وأقام لوط في مدن السهل حيث نصب خيامه بجوار سدوم. وكان أهل سدوم متورطين في الشر وخاطئين جداً لدى الرب) (التكوين ١٣: ١٢-١٣). وجاء أيضاً (وقال الرب: لأن الشكوى ضد مظالم سدوم وعمورة قد كثرت وخطيتهم قد عظمت جداً) (التكوين ١٨: ٢٠).

وحول زيارة الملائكة له جاء في التوراة (حاصر رجال مدينة سدوم من أحداث وشيوخ البيت، ونادوا لوطاً: أين الرجلان اللذان استضفتها الليلة؟ أخرجهما إلينا لنضاجعهما. فخرج إليهم

لوط بعد أن أغلق الباب خلفه، وقال: لا تتركبوا شرأياً إخوتي. هوذا لي ابنتان عذراوان أخرجتهما إليكم فافعلوا ما يحلو لكم. أما هذان الرجلان فلا يسيئوا إليهما لأنها لجا إلى حمى منزلي. فقالوا: تنح بعيداً، وأضافوا: لقد جاء هذا الإنسان ليتغرب بيننا، وها هو يتحکم فينا. الآن نفعلك بك شراً أكثر منها. وتدافعوا حول لوط وتقدموا ليحطموا الباب، غير أن الرجلين مدا أيديهما واجتذبا لوطاً إلى داخل البيت، وأغلقا الباب، ثم ضربا الرجال، صغيرهم وكبيرهم، الواقفين أمام البيت بالعمى، فعجزوا عن العثور على الباب) (التكوين ١٩: ٤-١١).

وتستمر التوراة بسرد نهاية المدينة والعذاب الذي نزل عليها بشيء من التفصيل يشابه كلياً ما ورد في القرآن. (وما أن أطل الفجر حتى طفق الملاكان يلحان على لوط قائلين: هيا انهض وخذ زوجتك وابتئيك اللتين هنا، لئلا تهلك بإثم المدينة... وما أن أشرقت الشمس على الأرض حتى كان لوط قد دخل إلى صوغر، فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتاً وناراً من عنده من السماء وقلب تلك المدن والساكنين فيها، والسهل المحيط بها وكل مزروعات الأرض. وتلفتت زوجة لوط السائرة خلفه وراءها، فتحولت إلى عمود من الملح) (التكوين ١٩: ٢٣-٢٦).

وحول تحريم الشذوذ الجنسي جاء في التوراة (لا تضاجع ذكراً مضاجعة امرأة، إنها رجاسة) (اللاويين ١٨: ٢٢). وورد (وإذا ضاجع رجل ذكراً مضاجعة امرأة، فكلاهما يُقتلان لأنها ارتكبا رجساً) (اللاويين ٢٠: ١٣).

وجاء في الإنجيل (لهذا السبب أسلمهم الله إلى الشهوات المخزية. فإن إنانهم تحولن عن استعمال أجسادهن بالطريقة الطبيعية إلى استعمالها بطريقة مخالفة للطبيعة. وكذلك تحول الذكور أيضاً عن استعمال الأثى بالطريقة الطبيعية، والتهبوا شهوة بعضهم لبعض، مرتكبين الفحشاء ذكوراً بذكور، فاستحقوا أن ينالوا في أنفسهم الجزاء العادل على ضلالهم) (الرسالة إلى مؤمني روما ١: ٢٦-٢٧). إذن كل الديانات السماوية تحرم ممارسة الشذوذ الجنسي لأنها تعتبره خروجاً عن الفطرة السليمة التي خلق الناس بها ولأجلها.

عرفت أغلبية المجتمعات بضمنها المسلمة هذه الظاهرة. ففي العصر العباسي انتشرت بشكل فظيع بين الطبقات الحاكمة والشعراء والمغنين والمترفين. كما لا تخلو المجتمعات المسلمة حالياً من هذه الظاهرة لكنها تمارس بشكل سري في أوساط اجتماعية منحرفة. وتعود أسبابها إلى:

أولاً: غياب التربية القائمة على الفهم الصحيح المرين للإسلام، والبعيد عن مظاهر الكبت والقهر والاضطهاد والاحباط، وتحريم كل أنواع العلاقات الانسانية - ما لم يجرمها الدين - بين الرجال

والنساء بصرف النظر عن نوعها، أي الفصل الجنسي المطلق. مما يربي في الجنسين حساسية العلاقة بالجنس الآخر، واستبشاع أي علاقة معه.

ثانياً: أصدقاء السوء الذين يزينون للفرد الانحراف أو ممارسة الشذوذ أمامه أو بعلمه. وتكرار العملية يفقد الفرد مناعته ومن ثم انجرافه معها.

ثالثاً: قد يتعرض بعض الأطفال في سن قبل البلوغ أو خلال فترة المراهقة إلى الاعتداء الجنسي فيؤدي إلى كسر كبريائه بين أقرانه. وبتكرار الاعتداء عليه يدخل عالم الانحراف والشذوذ، فيتحول إلى شاذ لا يعرف متعة إلا من خلال الممارسة الشاذة.

رابعاً: عدم توجيه الأولاد والبنات إلى وظيفة الجنس في الحياة والأساليب المشروعة لتلبية الغريزة الجنسية، والحكمة في تحريم العلاقات الجنسية بغير الطرق المشروعة، وحكم الشريعة في عقوبة الشذوذ، وتعارض هذه العلاقات مع الحياة الطبيعية للإنسان.

خامساً: عدم الاهتمام بتلبية حاجات الجنسين ومطالبهم وحرمانهم من المال لأن هذا الحرمان كثيراً ما يؤدي إلى الانحراف لحاجتهم إلى المال.

سادساً: عدم مراقبة الآباء لأبنائهم في سلوكهم، إضافة إلى الإهمال والتطرف في إطلاق الحرية لهم أو التعتن في منعهم من كل شيء فيؤدي بهم إلى العزلة والانحراف. فيجب على الوالدين توجيه أبنائهم في اختيار أصدقائهم، وبناء شخصياتهم لجعلهم أفراداً مسؤولين ومحترمين وصالحين.

سابعاً: عدم تبين عواقب ممارسة هذه الفاحشة من أمراض جسدية ونفسية وصحية، وغضب الله عليهم، والحكم الشرعي بالقتل لمن يمارسها.

تعتبر المقبرة الإسلامية واحدة من المؤسسات التي تلبى متطلبات دينية وشرعية، إضافة إلى المسجد والمدرسة والجامعة الإسلامية. وبات إنشاء المقابر الإسلامية في البلدان الغربية أمراً ضرورياً بسبب الحاجة الماسة لها في ظل تزايد أعداد المسلمين الذين يرغبون بالبقاء والاستقرار في هذه البلدان لأسباب تتعلق برغبتهم في الدفن في هذه البلدان أو لأنهم لا يستطيعون العودة إلى بلدانهم. والحالة الأخيرة تنطبق بصورة أكبر على اللاجئين المسلمين.

يسمح القانون الهولندي بإنشاء مقابر خاصة للمجموعات الدينية. كما أن القانون يجيز إنشاء مقابر للطوائف الصغيرة والمذاهب. و وافق البرلمان الهولندي على تفاصيل خاصة بالمقابر

الإسلامية مثل عدم الدفن في تابوت كما هو المتعارف بين المسيحيين أو إمكانية منح رخصة بالدفن خلال ٢٤ ساعة من الوفاة.

وكانت الجمعية الثقافية العراقية قد اتفقت مع شركة AVVL على إنشاء مقبرة إسلامية دائمة للعراقيين الراغبين بالدفن فيها. وهو أمر غير متحقق في أغلب المقابر لأنها مؤقتة رغم أن عمرها قد يبلغ مئة عام، لكنها ستزال بعد ذلك.

٤-١-٢-٣-٤-٥-٦-٧-٨-٩-١٠-١١-١٢-١٣-١٤-١٥-١٦-١٧-١٨-١٩-٢٠-٢١-٢٢-٢٣-٢٤-٢٥-٢٦-٢٧-٢٨-٢٩-٣٠

ولأنه من غير المسموح به شرعاً دفن المسلم في مقابر غير المسلمين، رغم وجود حالات اضطرارية كثيرة، فقد احتل التفكير في إنشاء مقابر إسلامية جانباً من اهتمام المساجد والمؤسسات الإسلامية في هولندا. وتم إنشاء عدة مقابر إسلامية في عدة مدن لحد الآن. وفي مدينة دوردريخت بدأ الاهتمام بالموضوع منذ الثمانينات ولكن عدم جدية المتابعة ومماطلة السلطات المحلية حال دون تحقيق ذلك حتى تمت الموافقة على إنشاء مقبرة إسلامية من قبل المجلس البلدي عام ١٩٩٤، وتم تخصيص الميزانية اللازمة لذلك. واستغرقت العملية خمس سنوات حتى تم التوقيع رسمياً على إنشاء المقبرة في ١٠/٣٠/١٩٩٩ وافتتاحها في نفس اليوم. وتتألف المقبرة من أرض بمساحة ٦٠٠ متر مربع تسع حوالي ٣٠٠ قبر. علماً بأنه يسكن في مدينة دوردريخت حوالي سبعة آلاف مسلم من الأتراك والمغاربة والعراقيين والصوماليين.

وقد استفتت الجمعية الثقافية العراقية سماحة المرجع الديني السيد محمد حسين فضل الله حول هذه المقبرة كالتالي:

سؤال: بتاريخ ١٩٩٩/٥/٢٥ شاركت الجمعية الثقافية العراقية في اجتماع لمناقشة المقبرة الإسلامية، وبحث تفصيلات المشروع والقوانين الخاصة بها. وعلمنا أن هناك نوعين من القبور:

الأول: قبر خاص، إيجار لمدة ٣٠ عاماً قابلة للتمديد عشر سنوات أخرى.

الثاني: قبر عام لمدة ١٥ عاماً توضع فيه جنازتان وغير قابل للتمديد. وبعد انتهاء المدة يجري نقل الرفات إلى مقبرة جماعية توضع فيها بقايا الأموات.

جواب السيد فضل الله:

أولاً: يجب دفن الميت من خلال مواراته في باطن الأرض. ولا مشكلة في دفن أكثر من ميت بالنحو المذكور في مفروض السؤال ما دام لا يستلزم نبش القبر السابق، ولكن لا يجوز اختياراً نقل الرفات الموجودة إلى مكان آخر.

ويستوي في ذلك الأطفال والبالغين، فإذا كان أولياء الميت قادرين على استئجار الأرض بنحو يمنع من النبش والنقل وجب عليهم ذلك، بل قد يجب ذلك على عامة المسلمين على نحو الوجوب الكفائي. ثانياً: إذا كانت هذه المقبرة (التي نقلت إليها الرفات بعد انتهاء مدة الإيجار) خاصة بالمسلمين ولا يدفن معهم أحد، وكانت تتميز عن المقبرة العامة، فلا مشكلة في ذلك. ثالثاً: لا يجوز حرق الجثث أبداً.

(٣ ربيع الأول ١٤٢٠ توقيع)

وفي مراسم الافتتاح تحدث السيد المستشار القانوني للبلدية فقال: إن بلدنا قد استضاف المسلمين منذ عقود طويلة، وساهموا في بناء هذا البلد. وكانوا في السابق لا يدفنون موتاهم هنا بل ترسل الجناز إلى بلدانهم الأصلية. وعندما نشأ الجيل الثاني في هولندا، باتت حياة الاستقرار تتطلب من الأسر المسلمة الكبيرة البقاء معاً، أي الجيل الأول والجيل الثاني وربما الثالث. وأصبح الآباء يرغبون في الدفن قريباً من أولادهم كي يزورهم في المواسم والأعياد. وهذه مشاعر إنسانية عالية نحترمها ونقدرها. ومن الحق المسلمين كغيرهم الحصول على تسهيلات تتعلق بديانتهم وطريقة دفن موتاهم وكانت خلف المستشار لوحة مضيئة تتضمن الفقرة الأولى من الدستور الهولندي التي تقول (يعامل جميع الموجودين في هولندا معاملة متساوية. والتمييز ممنوع على أساس الديانة أو المعتقد أو الاتجاه السياسي أو العرق أو الجنس أو على أية أرضية أخرى).

ثم تحدث مدير مركز الأجانب في دوردريخت عن هذا المشروع وكيف قامت عدة مؤسسات ومساجد تركية ومغربية وعراقية وصومالية في تحقيق ذلك عبر التنسيق فيما بينها. وقد قام بتسمية هذه المؤسسات ومنها الجمعية الثقافية العراقية. وقد ترجمت كلمته إلى التركية والعربية.

ثم قام المشاركون والمسؤولون بإزاحة الستارة عن لوحة المقبرة التي كتبت باللغتين العربية والهولندية. ثم قام إمام المسجد التركي بقراءة آيات من الذكر الحكيم، وتمت ترجمة معانيها إلى اللغة الهولندية. وبعد الإطلاع على مكان المقبرة التي تحيط بها الأشجار، توجه المشاركون لمشاهدة بقية مرافق المقبرة والتي تضم صالة تغسيل الموتى (المغسل) التي جهزت بأحدث الأجهزة والمستلزمات، منها جهاز لرفع الميت من التابوت إلى طاولة التغسيل، التي صنعت من مادة الألمنيوم. وأنشئت بجانبها صالة الصلاة على الميت، حيث تم نقش اتجاه القبلة على الأرض. وهناك ثلاجة وصالة للتواييت، إضافة إلى مستلزمات للزائرين من أماكن جلوس، وصالة تعزية

وشرب القهوة والشاي. وفي الختام قام الشيخ إدريس إمام المسجد المغربي بتلاوة آيات من القرآن الكريم على الحاضرين، ثم تم توزيع البقلاوة التي تبرع بها الأتراك الحاضرين.

المقبرة في هولندا

أصدرت إدارة المقبرة كراساً باللغات الهولندية والعربية والتركية يوضح كيفية وطريقة وتكاليف الدفن في هذه المقبرة. فهناك قبر عام يتم استئجاره لمدة ٣٠ عاماً ويكلف (٣٦٩٥ خلدة)، ويمكن تمديد الإيجار لمدة عشر سنوات أخرى بقيمة (١٤٧٨ خلدة). وهناك قبر عام يضم قبرين ولمدة ١٥ عاماً فقط لا يمكن تمديدتها يكلف (١١٨٠ خلدة). وهناك تعريفة لقبور الأطفال دون ١٢ عاماً.

الفصل الثالث

مشكلات العجوة في الغريب

خلال الخمسة عشر عاماً الماضية هاجر مئات الآلاف من العراقيين صوب الغرب وخاصة أوروبا الغربية وأمريكا وكندا. إن الانتقال من مجتمع شرقي مسلم إلى مجتمعات غربية غير مسلمة وذات ثقافات متعددة يترافق مع نشوء مشكلات نفسية واجتماعية وثقافية كثيرة. وتشهد الجماعات المهاجرة عادة حالة الذوبان التدريجي للكثير من التقاليد والأعراف والقيم والسلوكيات. ويلاحظ علماء الاجتماع أن الجيل الأول يبدي تمسكاً أقوى بالقيم والعادات التي يعتبرونها تمثل أسس الهوية والثقافة الأصلية في مواجهة تحديات الثقافة الجديدة. أما الجيل الثاني فيشهد تحولاً نحو الثقافة الجديدة وعادات المجتمع المضيف لأن هذا الجيل نشأ وترعرع في ظل الثقافة الغربية، وتعلم في المؤسسات التعليمية الغربية. أما اجيل الثالث الذي ولد في الغرب فلا يتاح له الاتصال بالثقافة الأصلية إلا بشكل محدود. لذلك لا يبدي اهتماماً بثقافته الأصلية خاصة وأن اللغة الغربية صارت لغته الأولى التي يكتب ويتفاهم ويتخاطب ويفكر بها.

في البداية نشير إلى أن هذه المشكلات تتعلق بالمهاجرين في الغرب. أما مشاكل الهجرة إلى الدول المجاورة للعراق مثل إيران وسوريا والأردن والسعودية وغيرها فهي تختلف عما في الغرب، كما ان لا ظروفها وبيئتها الخاصة.

تعتبر اللغة قناة الاتصال الرئيسية مع الآخر، وجسر التفاهم والتواصل مع المجتمع المضيف. وإذا كان العراقيون في المنافي العربي لا يعانون مشكلة لغة، فإن المهاجرين في الغرب عموماً يعانون من هذه اللغة، ولكن بدرجات متفاوتة. وبما أن غالبية الذين قد تعلموا في المدارس والجامعات العراقية قد درسوا اللغة الانكليزية فقد لا يجدون صعوبة كبيرة في التحدث بها في بعض البلدان الناطقة بالانكليزية مثل بريطانيا وأمريكا والقسم الانكليزي من كندا. ورغم ذلك فهم بحاجة إلى تقوية محدثهم بالانكليزية عبر الالتحاق في معاهد ودورات ومدارس متخصصة بتعليم اللغة الانكليزية. وتبدو الحاجة ماسة لاجادة اللغة الانكليزية كتابةً ونطقاً وفهماً عندما يكون إمام المهاجر يقتصر على شؤون بسيطة أو مفردات محدودة غير كافية للتفاهم أو النقاش مع المجتمع

في مختلف شؤون الحياة وقضايا السياسة والاجتماع والصحة والدين وغيرها من الأمور التي لم يعتد من قبل على تناولها أو التحدث فيها.

أما بقية البلدان الغربية فكل بلد يتحدث لغته الوطنية عادة كالألمانية والفرنسية والهولندية والإيطالية والاسبانية والبرتغالية والسويدية والدانماركية والفنلندية والنرويجية. وهناك لغات أوروبية مشتركة تتحدث بها بضع بلدان. فالهولندية متداولة في هولندا وشمال بلجيكا، والفرنسية سائدة في فرنسا وسويسرا والقسم الجنوبي من بلجيكا، والألمانية متداولة في بلجيكا وسويسرا والنمسا. إن هذه اللغات تعتبر غريبة عن ثقافة العراقي إلا الذين درسوا أو عملوا في تلك البلدان قبل منتصف الثمانينات. لذلك يحتاج المهاجرون إلى هذه البلدان إلى بذل جهود كبيرة لتعلم هذه اللغات لأنهم يفقدون أية خلفية لكلماتها وعباراتها وقواعدها. وتوفر معظم هذه الدول دورات تعلم اللغة على نفقة الدولة. ففي هولندا تتضمن دورات المواطنة تعلم اللغة الهولندية لمدة ستمائة ساعة للقادمين الجدد من اللاجئين أو الملتحقين بعائلاتهم.

إن تعلم اللغة الجديدة يعتمد على المستوى الدراسي والسن والقابلية على التعلم والرغبة في التعلم ومدة الهجرة. وعلى العموم لا يعاني الأطفال والشباب الذي قدموا إلى الغرب قبل سن العشرين مشاكل في اللغة إلا في حالات نادرة تعود إلى صعوبات في النطق أو تخلف في التعلم. ويبقى كبار السن أكثر معاناة ومواجهة للمشاكل بسبب صعوبة التعلم في سن متأخرة وضعف القابلية على حفظ المفردات الجديدة.

يواجه العراقيون مشاكل متنوعة في تعلم اللغة بعضها يعود إلى أن اللغة معقدة أو نطق بعض حروفها صعب. فاللغة الهولندية مثلاً تتضمن أصواتاً وحرفاً مثل *ui eu ch u g* بحاجة إلى تدريب متواصل لنطقها بشكل صحيح. كما أن قواعدها واستخدام حروف الجر مع الأفعال والأسماء تزيدها تعقيداً. وفي دراسة قمت بها وجدت أن ١٠٪ من العراقيين أبدى عدم رغبته بتعلم الهولندية لصعوبتها. فيما ذكر ٦, ٢٢٪ أنهم يواجهون صعوبة قليلة، و٥٣٪ يواجهون صعوبة متوسطة، و١٧٪ يواجهون صعوبة كبيرة. وحول الدافع لتعلم اللغة ذكر ٣, ١١٪ أن الدافع هو البحث عن عمل، فيما أوضح ٥٥٪ منهم الرغبة في اكمال دراستهم. وذكر ١٩٪ الرغبة في التعرف على المجتمع الهولندي، في حين ذكر ٥, ٢٤٪ أسباباً أخرى^١.

وهناك مشاكل أخرى تعوق تعلم اللغة الجديدة فبعض المدارس أو المعاهد المتخصصة في تعليم اللغة تعاني من مشاكل مثل عدم كفاءة المدرسين أو افتقارهم الخبرة في تعليم الأجانب، أو

١ صلاح عبد الرزاق، (العراقيون والاندماج في المجتمع الغربي) / ص ١١١، مجلة (دراسات عراقية)، العدد المزدوج ٢٠ و ٢١، أيار ٢٠٠٢، ص ١٠٣-١٣٠.

استخدام وسائل ومناهج لا تتناسب مع مستواهم الدراسي. إذ يجري أحياناً تعيين مدرسي لغة لأنهم من أهل البلد ويتحدثون لغته بطلاقة. وهذا غير كافي لأن المدرس بحاجة إلى استخدام أساليب تعليمية وفق منهج علمي وخطة مدروسة. فهناك من يستخدم أساليب لتعليم الأجنبي تستخدم عادة لتعليم الأطفال. كما يعاني الدارسون من قلة التواصل الشفوي مع المعلم بسبب ازدحام الصف بالطلاب. يضاف إلى ذلك يواجه قسم من العراقيين مشكلة في التدرب على اللغة حيث يفترض طرف هولندي يتحدث معه لتقوية إجادته للغة. وبناء علاقة مع الغربيين عادة ليس سهلاً خاصة أن موقفهم تجاه الأجنبي عموماً والمسلمين خصوصاً ليس إيجابياً، لذلك على المهاجر بذل جهود أكبر من أجل تعلم اللغة الجديدة. إن بعض العراقيين قد أتقنوا اللغات الأجنبية حتى صاروا يتخذون من الترجمة وظيفة لهم، حيث يعمل بعضهم في وزارات ومؤسسات ذات علاقة بالأجنبي مثل وزارات العدل والصحة والشرطة.

ويعاني المهاجرون العراقيون مشاكل كثيرة بسبب عدم إجادتهم لغة المجتمع الذي يعيشون فيه. ففي السنوات الأولى لقدومهم يعانون من عدم فهم ما تتضمنه الخطابات والرسائل القادمة من مختلف المؤسسات الحكومية وقوائم الكهرباء والماء والهاتف، ورسائل شركات التأمين والضرائب والصحة، ورسائل المدارس التي يدرس فيها أبنائهم. وقد تفوتهم مواعيد أو تواريخ محددة في الإبلاغ عن شيء ما أو دفع مبلغ ما فيتلقون غرامات مضاعفة. كل ذلك بسبب عدم إجادتهم للغة. وفي العادة يلجأ هؤلاء إلى مهاجرين آخرين من أبناء وطنهم ليساعدوهم في الترجمة أو في إملأ الاستشارات والطلبات. كما توفر بعض البلديات دوائر خاصة لمساعدة الأجنبي في فهم الرسائل أو متابعة معاملات معينة تتعلق بمؤسسات الشؤون الاجتماعية أو الضريبة أو الصحة أو غيرها. إن تعلم اللغة يفتح الطريق أمام العراقي المهاجر لبناء علاقات مع أفراد من المجتمع ومناقشة كثير من القضايا الهامة معهم، والتعرف على عاداتهم وتقاليدهم. كما تكون اللغة الجسر الذي تعبر بواسطته إليهم مواقفنا ومفاهيمنا وعاداتنا، إضافة إلى أهمية الدعوة إلى الإسلام وتوضيح أحكامه وتاريخه للغربيين. وإجادة اللغة الأجنبية تساهم بشكل فعال في متابعة وسائل الاعلام الغربية من صحف ومجلات وراديو وتلفزيون، مما يتيح التعرف على ثقافة وتاريخ المجتمع المضيف.

١٠٤ - اللغة الكردية والتركمانية والآشورية

يتكلم العراقيون عدة لغات كالعربية والكردية والتركمانية والآشورية، إضافة إلى وجود كتب دينية مكتوبة بلغات أخرى كالسريانية والأرمنية والمندائية. ومن الطبيعي أن يسعى هؤلاء المهاجرون على المحافظة على لغاتهم الأصلية في المهجر لأنها تمثل الخزان الطبيعي للثقافة بكل ما تتضمنه من مفردات وعبارات وأمثال تختزن فيها تجارب آبائهم وأجدادهم وتاريخهم وعاداتهم وتقاليدهم.

وتبدأ مشكلة اللغة في المهجر منذ الطفولة عندما يكون الحديث باللغة الأجنبية هو الطاغى في الحياة اليومية. وهذا شيء طبيعي لأن اللغة الأجنبية هي اللغة المهيمنة في المدرسة والشارع والتلفزيون والكتاب والمجلة وغيرها من وسائل الثقافة. ويحرص الأبوان عادة على التحدث باللغة الأصلية في المنزل باعتباره الحد الأدنى الذي يوفر جواً ملائماً للأطفال للتعود عليها وإجادتها. لكن هناك قسم من الوالدين يتساهلان أو أحياناً يشجعان أطفالهما على التحدث باللغة الأجنبية. فالبعض يتفاخر بأن أولاده يتكلمون لغة أجنبية وأنهم لا يعرفون العربية أو غيرها. ففي دراسة قام بها الباحث عبد الرحمن الوائلي جاء فيها أن ٣٢٪ من العراقيين يفرضون على أبنائهم التكلم باللغة الأصلية. في حين ذكر ٥٨٪ أنهم لا يفرضونها، بينما قال ١٠٪ أنهم يفرضونها أحياناً^١. وهذا يشير إلى أن غالبية المهاجرين لا يعي خطورة القضية أو ربما تكون هذه الأرقام غير دقيقة لأن التكلم باللغة الأصلية داخل الأسرة العراقية أمر اعتاد عليه العراقيون، حيث لا يجدون ضرورة للتكلم بلغة ثانية. من جانب آخر، كما يشير الباحث، أن الكثير من الآباء والأمهات يحرصون على ما يفكر به أبنائهم وما يدور بينهم وبين أصدقائهم، لذلك لا يسمحون لهم بالتحدث بغير اللغة الأصلية.^٢

وبسبب حرص العراقيين على تعليم أبنائهم اللغة الأصلية فقد أنشأوا مدارس رسمية كما في بريطانيا والسويد والبنارك، أو يرسلون أبناءهم إلى مدارس إسلامية كما في هولندا. كما أسست معظم الجمعيات الإسلامية والنوادي الثقافية العراقية مدارس أسبوعية ينتظم فيها الطلاب يوم الأحد حيث يتعلمون لغتهم الأصلية إضافة إلى مبادئ الدين الإسلامي بالنسبة للمسلمين.

يلاحظ أن العراقيين القادمين من مناطق مختلفة من العراق وسكنوا في بلدة غريبة واحدة هو أمر جديد على العراقيين. فإضافة إلى وجود اختلاف ولو محدود في العادات بين منطقة وأخرى، هناك اختلاف واضح في اللغة العراقية الدارجة ومفرداتها وتعابيرها. فالقادمون من الجنوب العراقي مثلاً لديهم مفرداتهم المحلية وهي تختلف أحياناً عن مفردات اللغة لدى أهل بغداد أو ديالى مثلاً. ولذلك صار عادياً تبادل مفردات وعبارات من اللهجة الدارجة بين العراقيين. مما زاد في فهمهم واقترابهم مع بعضهم البعض أكثر فلاكثر، ونشوء لهجة عراقية أكثر وطنية وأقل محلية. كما أن أطفالهم باتوا يستخدمون مفردات ليست بالضرورة من المفردات التي يستخدمها والديهم، بل اكتسبوها من أقرانهم العراقيين القادمين من منطقة أخرى في العراق. ويلاحظ أيضاً اختفاء العديد من مفردات اللهجة العراقية بسبب عدم وجود مصاديق لاستخدامها أو الشؤون ذات الصلة بها، مثلاً أسماء أدوات الزراعة أو أسماء بعض النباتات والحيوانات أو بعض الأطعمة العراقية أو الملابس أو العادات التي انقرضت في المهجر.

١ عبد الرحمن الوائلي، (منظومة القيم الاجتماعية العراقية في الغرب بين الثابت والمتغير: هولندا نموذجاً)، ص ٣٧، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة روتردام الإسلامية، مخطوط.

٢ المصدر السابق، ص ٣٧

تبرز مشكلات الهجرة من خلال تغير بعض العادات وظهور عادات جديدة متأثرة بالبيئة الاجتماعية الجديدة. وهي بيئة تختلف كلياً عن البيئة العراقية بكل تفاصيلها وعلاقاتها وتقاليدها. قد يغير المرء عاداته قسراً وموقتاً كما يحدث في بعض مراحل اللجوء حيث يقيم اللاجئ العراقي مع لاجئين آخرين من دول وثقافات مختلفة. كما أن النظام العام في مركز استقبال اللاجئين يخضع لضوابط في أوقات الطعام ومواعيد الدخول والخروج إلى المركز، إضافة إلى محدودية الحركة. ويسمى هذا بالتكيف القسري الذي يمثل رد فعل طبيعي تجاه تغير ظروف البيئة. كما يبدي المهاجر تكيفاً ملحوظاً خارج مركز اللاجئين حين يستقر في مسكن خاص به هو وعائلته. فهناك العديد من الأنظمة العامة مثلاً نظام المرور وحركة القطارات والباصات ومراجعة الطبيب والصيدلية ومراجعة الدوائر الحكومية والمؤسسات. إذ غالباً ما يسبق المراجعات تحديد موعد مسبقاً، وأهمية الحضور في الوقت المحدد بالضبط. كما أن تفاعل المهاجر مع البيئة الثقافية والاجتماعية الغربية يجعله يلاحظ النواحي الايجابية فيها. وهي قيم وسلوكيات يجذب الإلتزام بها قدر المستطاع. ففي دراسة حول العراقيين في هولندا، ذكر ٤١٪ منهم أن شخصيتهم شهدت تغيرات أثناء أقيمتهم في البلد.^١ أما أهم التغيرات التي ذكروها فهي: احترام المواعيد، الإلتزام بالقوانين والمقررات، الحرية، الأمان، الاتصال بمجتمع جديد، الاستقرار، الثقة بالنفس وحرية إقامة الشعائر الدينية. كما ذكروا جوانب سلبية مثل الوحدة والغربة والعزلة. وتوجد تغيرات أخرى في الاهتمامات الشخصية مثلاً صار بعض العراقيين يهتم بشراء مفكرة يومية يسجل فيها مواعيده. و صار الاهتمام أكثر بحالة الطقس ودرجات الحرارة لليوم التالي أو في عطلة الأسبوع. كما بات كثير من العراقيين يحرص على السفر خارج البلد الغربي الذي يقيم فيه، حيث يأخذ عائلته إلى دول الشرق مثل سوريا وإيران والأردن أو دول الخليج. وهناك من يحرص على أداء فريضة الحج كل عام. وكل هذه نشأت بفعل تحسن الظروف المادية في المهجر عموماً، وانفتاح آفاق جديدة في العمل والعلاقات.

وتغيرت بعض عادات العراقيين مثلاً في تناول وجبتين يومياً بدلاً من ثلاث وجبات كما اعتادوا

١ صلاح عبد الرزاق، (العراقيون والاندماج في المجتمع الغربي) / ص ١٣٠، مجلة (دراسات عراقية)، العدد المزدوج ٢٠ و ٢١، أيار ٢٠٠٢، ص ١٠٣-١٣٠.

في العراق. وبسبب الظروف المالية الصعبة التي مروا بها قبل هجرتهم وأثناءها، خاصة وأن كثيرين منهم قد استدانوا أموالاً لسد نفقات الهجرة والمهرين وغيرها، مما جعلهم يميلون للتوفير والحرص على النقود بشكل مفرط أحياناً. الأمر الذي قد أثر على عاداتهم الاجتماعية أو المشاركة في النشاطات العامة التي لا تخدم مصلحتهم الشخصية. وقد أدت البطالة التي يعاني منها كثير من العراقيين، والاعتماد على رواتب الشؤون الاجتماعية المقدمة من الدولة المضيئة، إلى تغير بعض عاداتهم. فهناك من اعتاد السهر حتى وقت متأخر من الليل والاستيقاظ متأخراً وأحياناً منتصف النهار لأنه غير مرتبط بعمل يلزمه الاستيقاظ والخروج في موعد محدد. إن الفراغ والبطالة وبقاء الوالد في المنزل أغلب ساعات اليوم أدى إلى حدوث مشاكل مع الزوجة أو مع الأطفال. وينعكس ذلك على الأولاد حيث يشعرون بالحنين أو القلق عندما يسألهم أقرانهم عن عمل أبيهم، فإما أن يقولوا أنه عاطل، وهذا أمر معيب في المجتمع، وإما يضطرون للكذب، وهذا أمر مشين.

ومن العادات الجديدة هي الانتهاء للجمعيات الإسلامية والثقافية والمشاركة في نشاطاتها وبرامجها، لأن هذه التجمعات تمثل الرثة الاجتماعية التي يتنفس بها المهاجر الذي يشعر بالوحدة والغربة. فأجواء الاحتفالات والمناسبات الدينية توفر له متنفساً للإتصال بالآخرين، إضافة إلى تلبية حاجات نفسية واجتماعية ودينية. وصارت هذه الجمعيات مكاناً للإجتاع اليومي وأداء الصلاة وتبادل الأحاديث ومعرفة أخبار العراق وغيرها. وصار قسم من العراقيين أعضاء في هذه الجمعيات يقدمون اشتراكات مالية شهرية من أجل سد نفقات هذه الجمعيات أو النوادي لما لها من أهمية لديه.

وتغيرت ممارسة بعض العادات الاجتماعية مثلاً الخطبة أو الزواج الذي صار يتم بدون حضور أهل الزوج لأنهم في العراق، أو مراسم الختان التي صارت تجرى في المستشفيات الغربية، ويحتفى بها بشكل أقل. كما أن مراسم الوفاة تغيرت، حيث يجري نقل جثمان المتوفى إلى خارج البلد، فلا يحضر مراسم الدفن وأصدقائه ومعارفه في البلد الذي كان يقيم فيه، ويدفن غالباً في غياب أهله وذويه. وتقام مراسم الفاتحة في الجمعيات والحسينيات من قبل أصدقائه ومعارفه وأحياناً بعض أقربائه.

تتميز البيئة الغربية بالحرية الشخصية الواسعة وقيم الفردية والعلمانية وفصل الدين عن الدولة. ولذلك تتسم الحياة الاجتماعية والثقافية الغربية بمساحة كبيرة من الحرية في تناول وتداول مختلف الأمور والقضايا وحتى الحساسية منها بالنسبة للمهاجرين ذوي الخلفية الشرقية والإسلامية. فمن العادي جداً في المجتمع الغربي أو في وسائل اعلامه مناقشة القضايا الجنسية ذات الخصوصية دون أن يكون ذلك مدعاة للخجل أو استخدام أسلوب التورية. كما أن الخوض في الأمور العقائدية والدينية لا يمنعه عائق أو محرمات، حتى أنه باستطاعة الفرد الغربي الإيمان بأي دين أو عقيدة، أو يتحول من دينه إلى دين آخر دون أن يتوقع حكماً بالردة أو بالتكفير، لا من الدولة ولا من الكنيسة. وهذا الأمر جعل أكثر من ١٠٠,٠٠٠ أوروبي يعتنق الإسلام عن قناعة، دون خشية المجتمع أو العائلة.

إن الأوساط العراقية المتدينة تعاني عادة من قلة المشاركة في النشاطات الاجتماعية للمجتمع الغربي. إذ عليهم مراعاة مجموعة من القواعد والأحكام الإسلامية التي لا تتسجم مع قيم وأعراف المجتمعات الغربية مثلاً إمتناع المسلم عن مصافحة المرأة الأجنبية أو المسلمة عن مصافحة الرجل الأجنبي، أو الجلوس على مائدة فيها خمر، أو الرقص والغناء والموسيقى. كما يتردد الشباب المتدين ذكوراً وإناثاً من بناء علاقات مع الجنس الآخر لأسباب دينية واجتماعية. وتردد المسلمات المتحجبات من المشاركة في بعض النشاطات أو دخول جمعيات أو نوادي مختلطة، أو بسبب نظرة الاستغراب والمضايقة وأحياناً الازدراء التي تواجهها في مثل تلك الأماكن. أما غير المتدينين من المسلمين وكذلك من أتباع الديانات الأخرى فلا يجدون حرجاً في ذلك، ولديهم علاقات جيدة وقوية وصادقات متينة مع المجتمع الغربي.

إن الانفتاح الغربي يشكل تحدياً للأخلاق والقيم التي اعتاد عليها العراقي في بلده. لذلك بات من الواضح أن هناك صراعاً يتبلور حول التناقض بين قيم الثقافة الأصلية وبين قيم الثقافة الغربية. وهذا الأمر يعاني منه الآباء والأمهات، كما يعاني منه أولادهم من الذكور والإناث. فهناك العديد من الأمور لا يستطيع الوالدان السماح بها مثلاً السباحة في المسابح المختلطة أو على الساحل، أو القيام بسفريات مختلطة يبيت الأولاد فيها خارج المنزل، أو ارتياد المراقص والملاهي والنوادي الليلية، أو اتخاذ البنت صديق أو الولد صديقة ترتفع الصداقة بينهما إلى مستوى المعاشرة

الزوجية. هذه الممنوعات عادة توضع أمام الأبناء دون تربية إسلامية مسبقة أو تكريس للقيم الأصلية توضح أهميتها ودورها في المحافظة على شخصية الفرد وارتباطه بالجالية العراقية التي هو عضو فيها. الأمر الذي يجعل الشباب يواجهون خيارين، الأول: إخفاء علاقاتهم مع أصدقائهم من الجنس الآخر عن والديهم. والثاني الانعزال عن المجتمع وما يترتب عليه من نتائج نفسية وثقافية سيئة على الشباب. ويزيد الأمر تعقيداً أن المسلمين يتعرضون يومياً إلى هجمات متواصلة من قبل وسائل الاعلام الغربية التي تتهم الاسلام والمسلمين بالتخلف والرجعية والوحشية. كما يتعرض هؤلاء الشباب في مدارسهم إلى ضغوط نفسية سواء في رغبتهم بالتكيف مع أقرانهم ومع الثقافة الغربية لكن ثقافة والديهم أو التزامهم الديني يمنعهم من بناء علاقات مع الجنس الآخر، الأمر الذي يجعلهم عرضة للسخرية والتهكم من قبل زملائهم الغربيين، وهذا يشكل ضغط نفسي لا يطاق أحياناً إذا لم يكن الشاب أو الفتاة ذا وعي وإدراك كافيين لمواجهة هذه المواقف، أو مخالفة قيم وثقافتهم الأصلية والانسياق وراء رغباتهم الثائرة. وقد يؤدي ذلك إلى شعورهم بالذنب، وهو أمر يسبب لهم ضغطاً نفسياً من نوع آخر.

يلاحظ الباحث مارتن كاسترز ظاهرة انعزال الأطفال المسلمين عن المجتمع ويعللها بفشل الآباء في توصيل العقيدة الاسلامية إلى أبنائهم فيقول (عوضاً عن أن يرغب الآباء المسلمون في تطوير وتعميق مشاعر أطفالهم الدينية وذلك بإعطائهم إسلاماً قوياً يستطيعون من خلاله المشاركة بحرية في المجتمع الهولندي، فإن كثيراً منهم يرغبون فقط في حماية أطفالهم من الآثار الضارة للمجتمع الهولندي. ونتيجة لهذا يميل المسلمون إلى عزل أنفسهم عن محيطهم غير المسلم).¹ وقد يكون الحرص على أخلاق الأولاد هو الدافع الرئيسي لهذا السلوك لكنه يبقى سلوكاً عفويّاً وانفعالياً لأنه لا يمكن للوالدين السيطرة على سلوك أولادهم في سن متقدمة وأحياناً حتى في سن المراهقة. فالقوانين الغربية تضمن حماية كبيرة للأطفال والمراهقين والشباب تجاه حالات العنف والقسر التي يتعرضون لها من قبل والديهم. وطالما حدثت حالات يؤخذ فيها الولد أو البنت إلى مركز إيواء خاصة، ويجرم والديه من رؤيته أو زيارته أو معرفة مكان سكنه. كما توجد حالات هروب من المنازل وخاصة بين الفتيات.

إن الوالدين عادة ما يواجهان مشاكل بسبب أبنائهم مما يتطلب منهم التدخل لحلها. وبسبب الصراع بين ثقافة الوالدين والثقافة الغربية يجد الجيل الثاني عادة صعوبات ومشاكل في التأقلم مع المجتمع أو في تلبية متطلبات ثقافة الوالدين التي تبدو وكأنها خارج هذا العالم المادي الغربي الذي يعيش فيه. ولذلك تشهد بعض ساحات المهجر بين الحين والآخر حالات اجتماعية مثل

Custers Muslims in the Netherlands p. 91 in Abdin S. Z. & Z. Sardar (1995) (ed.) *Muslim Minorities in the West* Grel Deal: London pp. 86-96

هروب الفتيات من منازلهن، انفصال الأولاد عن آبائهم، زواج غير شرعي مثلاً مسلمة تتزوج مسيحي، أو زواج غير مرغوب به من قبل الوالدين، جرائم قتل بدافع غسل العار، أو إجبار الفتيات على الزواج من أشخاص لا يرغبن بهم ليتخلص الآباء من عبء مراقبة أخلاقهن وسلوكهن، وغيرها.

ويسبب عدم تكافؤ نسبة الشباب البالغين والفتيات البالغات يضطر كثير من الشباب العراقي إما بجلب زوجة من دول الشرق. وهذا الأمر فيه تكاليف باهضة، وأحياناً مجازفة كبيرة إذا لم يكن الزوج يعمل، فيضطر إلى إيصالها إلى البلد الذي يقيم فيه بواسطة المهرين، كي تأتي وتقدم طلباً باللجوء. ويعاني الكثيرون من مشاكل اجتماعية في هذا الحل، فقد يرفض طلب الزوجة، أو تتأخر لعدة سنوات في مركز استقبال اللاجئين ريثما تحصل على الإقامة الشرعية. أما الحل الآخر فهو الزواج بغير عراقيات كالمغربيات أو اللبنانيات أو الأوربيات. فكثير من العراقيين تزوج بأوربية من البلد الذي يقيم فيه. ويعاني هذا الزواج من اختلاف العادات والتقاليد أي وجود ثقافتين مختلفتين في المنزل. وقد يؤثر على تربية الأطفال أو العلاقة بين الزوجين أو بين الزوجة وأهل الزوج. ولا ينكر وجود زيجات ناجحة من هذا النوع. ويلاحظ أن العراقيات نادراً ما يتزوجن بغير عراقيين سواء عرب أو مسلمين أو غربيين. ومع ذلك توجد حالات تزوجن فيها حتى من غربيين، بعضهم أعلن إسلامه، وبعضهم بقي على دينه!!

وتغير وضع المرأة العراقية في بعض النواحي، فصارت تدرس في مؤسسات وجامعات غربية، وتخرج للدوام في مدرسة اللغة الأجنبية في حين قد يكون زوجها في المنزل. وبعض النساء العراقيات حصلن على أعمال ووظائف في المعامل والشركات، مما ساهم في تحسين وضعهن المادي، وأحياناً الاجتماعي داخل المنزل باعتبارها توفر دخلاً للعائلة. وصارت غالبية العراقيات تمتلك حساباً مصرفياً خاص بهن، ينفقن منه على شؤونهن، ويساعدن أهلهن وذويهن في العراق أو سوريا أو إيران. وصار بإمكانهن السفر بمفردهن بين البلدان الأوربية أو إلى دول الشرق الأوسط أو لأداء فريضة الحج. وفسحت الفرص أمام البعض للقيام بنشاطات عامة والقاء محاضرات وحضور مناسبات إسلامية ومؤتمرات. وصار لبعضهن مساهمات في النشاطات الاجتماعية والثقافية في المؤسسات الإسلامية غير العراقية أو غير الإسلامية. وهذا تطور كبير في شخصية المرأة العراقية وتدعيم استقلالها المادي والمعنوي. ومع كل هذه الانجازات لازالت بعض النساء يعانين من تسلط الأب أو الزوج أو الأخ دون مبرر. كما أن بعض النساء تمارين في الحرية الممنوحة لهن في المجتمع الغربي فصرن يطلبن الطلاق عند أو خصومة، أو يتصلن

بالشرطة للإبلاغ ضد أزواجهن. وقد حدثت حوادث كثيرة تم فيها فصل الزوجة والأولاد عن الأب، وأخذوا إلى مكان لا يعرفه الزوج أو الأب، حيث توفر القوانين الغربية حماية كاملة للمرأة والأطفال.

ومن الظواهر الاجتماعية السلبية في المهجر هي ظاهرة الطلاق السوري، حيث يدعي الزوجان أنها تطلقاً أمام المحاكم الغربية، فتقوم دائرة الشؤون الاجتماعية بتوفير مسكن آخر للزوجة مع أطفالها، تدفع لها راتباً شهرياً. هذا مع العلم أن الزوج يراجع زوجته ويعاشرها لأنه طلاق صوري. وقد حدثت بعض الاحراجات عندما علمت السلطات بكذب الزوجين، أو حدوث حالة حمل، أو ثبوت مرافقة الزوج لزوجته في السفر أو غيره. وقد صدرت فتاوى من مراجع الشيعة كالمرجع الديني السيد محمد حسين فضل بتحريم مثل هذا الطلاق لأن فيه إساءة للمسلمين وتشويه سمعة المرأة المؤمنة، كما أنه نوع من الكذب له عواقب وخيمة وخاصة على الأطفال.

وهناك ظاهرة اجتماعية جديدة هي توزع العائلة العراقية في عدة بلدان مثلاً يعيش الأب والأم في بلد، وأبن آخر في بلد ثاني، وابنة أخرى في بلد ثالث، حتى أن بعض العوائل توزعت في ست أو سبع بلدان. وعندما يجتمع أفراد هذه العائلة في عطلة الصيف أو مناسبة معينة، تجد أولادهم كل واحد يتحدث لغة البلد الذي يقيم فيه. فإذا كانوا لا يجيدون لغة والديهم أو اللهجة العراقية فسيكون التواصل بينهم مستحيلاً، ويبقون غرباء عن بعضهم البعض. والأمر ينطبق أيضاً في عدم وجود رابطة بين هؤلاء الأبناء الذي لا يتحدثون لغة عراقية وبين أهلهم وأقاربهم في العراق.

يحتل قطاع التعليم اهتماماً كبيراً في الدول الغربية. فلا غرابة أن تأخذ ميزانية التعليم في هولندا مثلاً ثلث الميزانية العامة. وتتوفر للمهاجرين فرصاً كثيرة في متابعة مختلف الدراسات الأكاديمية والمهنية وبمختلف الاختصاصات. وقد حقق قسم من الشباب العراقي نجاحاً كبيراً حيث درسوا في الجامعات الغربية، ونالوا شهادات عالية وفي تخصصات علمية وأدبية متنوعة. الأمر الذي يشرف بلدهم وشعبهم. ويشير ذلك إلى حرص العائلة العراقية عموماً على تعليم أولادهم، والاهتمام بدخولهم الجامعات والحصول على شهادات عالية. مما يدل على إدراكهم لأهمية العلم وقيمة التعلم. ولذلك كانت نسبة الحائزين على شهادات جامعية وعالية بين المهاجرين العراقيين أكثر من بقية الجالية المسلمة المقيمة في الغرب.

أما المشاكل التي يعاني منها العراقيون في الغرب فيما يتعلق بالتعليم فهي تختلف من بلد إلى آخر، ومن شخص إلى آخر، لكن توجد مشتركات في هذه المشاكل، مثل:

١- تعلم اللغة، حيث إجادة اللغة الغربية تحتاج إلى وقت وبذل جهد كي يتمكن الطالب من إجادتها أولاً ثم إكمال دراسته في مدرسة أو معهد أو جامعة. وبسبب اللغة تكون الفرص محدودة أمام الشباب العراقي الذي يأتي إلى الغرب وعمره يتجاوز الستة عشر عاماً. إذ يجب عليه أولاً أن يتعلم اللغة، وقد تستغرق بضعة سنوات ريثما يكون مؤهلاً للدراسة.

٢- عندما يستغرق تعلم اللغة عدة سنوات قد يكون الطالب خلالها قد تجاوز السن القانوني الذي يسمح له بالدراسة في المدارس الثانوية العادية، فيجري إلحاقه في مدرسة مهنية. وهناك رغبة كبيرة لدى الحكومات الغربية في تشجيع الشباب الأجنبي على تعلم وممارسة المهن التي لا تتطلب جهداً ذهنياً كبيراً إذ أن غالبية هذه الدول بحاجة إلى أيدي عاملة نصف ماهرة.

٣- بسبب صعوبة الدراسة النظرية يجد كثير من الشباب صعوبة أقل في الدراسة العملية وتعلم مهنة مطلوبة في سوق العمل مثل السياقة والحدادة والنجارة واللحام وتأسيسات الأنابيب والتوصيلات الكهربائية وميكانيك السيارات وغيرها. وقد يكون قسم من هؤلاء قد تخرج من معهد أو كلية أو حائز على شهادة الاعدادية، ولكنه لا يستطيع الاستفادة من دراسته السابقة بل يضطر لتغيير توجهه والعمل في مهنة مناسبة.

٤- هناك قسم من العراقيين إما متخرجين أو لم يكملوا دراساتهم الجامعية في العراق. وعندما يريدون مواصلة دراساتهم يجدون موانع أخرى منها صعوبة الحصول على قبول في جامعة بنفس مستوى مرحلتهم السابقة بسبب عدم معادلة مستواهم أو شهادتهم الجامعية بما يساويها في الغرب. وغالباً ما يضطرون للدراسة في مراحل أقل أو أحياناً منذ السنة الأولى في الجامعة.

٥- ومن المشاكل التي تواجه قسم من الطلاب العراقيين الراغبين في مواصلة دراستهم الجامعية هي كلفة الدراسة العالية والتي لا يستطيع كثير منهم تحمل نفقاتها. كما أن القانون أحياناً قد يمنع الذين بلغوا سن معينة (في هولندا ٢٧ عاماً) من الدوام النهاري بل يشترط عليهم الدوام المسائي. كما يحرمهم من منحصات الطلاب التي تدفعها الدولة لتغطية نفقاتهم. وقد تمكن بعض العراقيين من حل هذه المشكلة أي نفقات الدراسة الجامعية، من خلال الحصول على مساعدات مالية تقدمها بعض المؤسسات للأجانب أو اللاجئين. وقد حصل بعضهم على درجات علمية عالية.

٦- يواجه بعض الطلاب العراقيين مشكلة السكن في المدينة التي يدرس فيها، حيث تزدحم المدن الجامعية بالطلاب، ويصعب الحصول على غرفة للسكن. وقد يضطر إلى دفع مبلغ غير قليل إيجاراً لغرفة عادية. وإذا لم يتمكن من الحصول على سكن فعليه تحمل نفقة الذهاب والاياب يومياً بالقطار. وهي ليست بالرخيصة بل قد تقطع جزء من دخله الشهري.

٧- وتواجه الطالبات المتحجبات مشكلة أخرى في المؤسسات التعليمية الغربية حيث يتعرضن لمشاكل مختلفة تتعلق بالحجاب. ورغم أن الدساتير الغربية تضمن حرية العقيدة الدينية وكذلك حرية التعبير الديني والتي تعتبر الحجاب جزء منها، لكن بعض المؤسسات التعليمية ترفض السماح لهن بذلك. كما تجد الطالبات حرجاً في المشاركة في دروس الرياضة والسباحة. وتزداد هذه المشاكل حدة في المدارس الابتدائية والثانوية بعكس الجامعات التي قلما تحدث فيها مشكلة حجاب مسلمة.

ففي مدينة زسيت الهولندية قررت إدارة المدرسة عام ٢٠٠٠ عدم السماح للطالبة العراقية زينب السعبري بالاستمرار بالدوام في المدرسة بسبب ارتدائها الحجاب. وحاول الأب نقل ابنته إلى مدرسة أخرى لكنها رفضت أيضاً. قام الأب بتوكيل محامي والذي اتصل بالبلدية فتم التوصل إلى حل وسط يقضي بنقل زينب إلى مدرسة إسلامية تبعد عشرين كيلومتراً عن منزلها. وعندما وصل الأمر إلى المستشار القانوني أعلن بأن مدير المدرسة

الأخرى قد أخطأ في قرار منع زينب من ارتداء الحجاب داخل المدرسة. كما قام بإقصاء المدير من منصبه، وأن إدارة المدرسة مستعدة لتصحيح خطأها. وصدر قرار من إدارة التربية إلى جميع المدارس يقضي بالسماح بارتداء الحجاب. وهناك مشاكل مستمرة مع إدارات المدارس حول دروس الرياضة والسباحة المختلطة حيث يمانع الآباء في مشاركة بناتهم فيها.

٨- بسبب رغبة الوالدين في تفادي مشاكل المدارس الغربية، يحرص بعض الآباء على إرسال أولادهم إلى مدارس إسلامية. وأغلب الدول الغربية لا تمول إنشاء مدارس إسلامية فيضطر بعض المهتمين بالعملية التربوية إلى تأسيس مدارس إسلامية خاصة مثل مدارس الجواد والزهاء (ع) التي تشرف عليها مؤسسة الخوئي في لندن، ومدرسة المسلم الانكليزي يوسف إسلام. وهذه المدارس الخاصة باهضة التكاليف لا يستطيع غالبية العراقيين أداءها خاصة لمن لديه طفلين أو أكثر. وتسمح قوانين بعض الدول الغربية كهولندا والسويد والدانمارك بتأسيس مدارس إسلامية تتولى الدولة أغلب نفقاتها. وقد تم تأسيس مدارس إسلامية عراقية في السويد والدانمارك (مدرسة الحكمة). الأمر الذي سمح للكثير من العراقيين المقيمين هناك الالتحاق بها.

٩- ولا تخلو هذه المدارس من المشاكل عن تلك الموجودة في المدارس الغربية (مسيحية أو علمانية) بل أن بعض المدارس الإسلامية تمارس التمييز الطائفي. ففي هولندا فتوجد ٣٧ مدرسة إسلامية رسمية لكنها كلها تسير وفق المذهب السني (حنفي بالنسبة للأتراك ومالكي بالنسبة للمغاربة). وقد تعرضت طالبتان عراقيتان في مدرسة (الايان) الإسلامية في مدينة (الميرا) إلى معاناة وضغط نفسي أجبرهما على الانتقال إلى مدرسة أخرى. فقد أصر معلم الدين، وهو أفغاني من تيار طالبان، على إجبار الطالبتين العراقيتين على الصلاة وفق المذهب السني لكنها رفضتا. كما أنه كان يسخر من المذهب الشيعي ويحرض طلاب الصف ضدّهما. وعندما اشتكى والدهما لدى إدارة المدرسة، رفضت مديرة المدرسة وهي هولندية اعتنقت الإسلام ومتزوجة من سعودي وهابي، السماح للطالبتين بالاستمرار في الدراسة.

١٠- يعاني الأطفال المسلمون عموماً من التمييز العنصري من إدارات المدارس أو السخرية من قبل الطلاب الغربيين بسبب دينهم وثقافتهم وعاداتهم. وغالباً ما تنعكس الحوادث والقضايا السياسية في العالم الإسلامي أو داخل الجالية المسلمة في الغرب على سلوك ومواقف الغربيين. وتختلف هذا الممارسات غير المتحضرة من بلد غربي إلى آخر حسب ثقافته

وتاريخه وعاداته وموقفه من الأجنبي والاسلام. وقد تسبب هذه المواقف ضغوطاً نفسية على الطلاب المسلمين، فيزداد التوتر مع الطلاب الغربيين ومع إدارات المدارس. وقد يضطر بعض الآباء إلى نقل أولادهم إلى مدارس أخرى.

يعاني غالبية المهاجرون العراقيون من البطالة في البلدان الأوربية. ويعود ذلك إلى مجموعة من العوامل بعضها يتعلق بالمهاجر نفسه وبعضها يتعلق بالقوانين والمقررات في البلد الغربي الذي يقيم فيه. فمن العوامل الذاتية نذكر منها:

- ١- عدم إجادة لغة البلد. وهذا لا ينطبق على الجميع، ففي هولندا تابع ٨٦٪ من العراقيين دورات في اللغة وحصلوا على شهادات بذلك. ١
- ٢- عدم البحث بجدية عن عمل لأن راتب العمل لا يزيد كثيراً عن الراتب الذي يستلمه العاطل عن العمل. فقد أظهر ٦٠٪ من العراقيين عام ١٩٩٨ أنهم يرفضون العمل براتب يساوي راتب العاطلين الذي يستلمه. ٢
- ٣- وأظهر ٤٤٪ منهم عام ٢٠٠٢ أنهم لا يريدون الدخول في دورات تدريبية أو مهنية تؤهلهم للحصول على عمل. ٣
- ٤- عدم الحصول على عمل مناسب، حيث أن غالبية الأعمال المعروضة هي أعمال جسدية في المعامل والمصانع والمخازن كالتعبئة والحمل والنقل والسياقة. هذه الأعمال قد تناسب الشباب من المهاجرين لكنها تبدو صعبة لمن هم فوق الأربعين عاماً. كما أن أصحاب التعليم العالي لا يجد نفسه مؤهلاً لمثل هذه الأعمال.
- ٥- هذا الوضع يختلف كلياً إذا كان هذا العمل غير رسمي أو كما يسمى (عمل أسود) لأن صاحبه يبقى معلناً أنه عاطل كي يستمر باستلام راتب العاطلين من قسم الشؤون الاجتماعية. فيلاحظ أن كثير من العراقيين يمارسون أعمالاً شاقة ومتعبة مثل تنظيف المعامل وغسل الصحون وإيصال وجبات البيتزا إلى المنازل والعمل في المزارع والحقول في ظروف سيئة أحياناً. كل ذلك من أجل جمع المزيد من المال ينفقه على عائلته أو يبعث به إلى أهله وأقاربه في العراق أو دولة أخرى. ففي هذه الحالة لا يستنكف العراقي من القيام بمثل هذه الأعمال، وحتى بعض أصحاب الشهادات العالية، لأن مردودها المادي أقوى من الهاجس الثقافي المتمثل في النظر بازدراء إلى الأعمال الوضيعة!

١ نشرة (النخيل) التي تصدرها الجمعية الثقافية العراقية في هولندا، العدد: ٧٩، أيلول ٢٠٠٢

٢ صلاح عبد الرزاق، (العراقيون والاندماج في المجتمع الغربي) / ص ١١٢، مجلة (دراسات عراقية)، العدد المزدوج ٢٠ و ٢١، أيار ٢٠٠٢، ص ١٠٣-١٣٠.

٣ نشرة (النخيل) التي تصدرها الجمعية الثقافية العراقية في هولندا، العدد: ٧٩، أيلول ٢٠٠٢

٦- وهناك من تورط في أعمال غير مشروعة قانوناً كالعمل (الأسود) أو المتاجرة ببطاقات الهاتف أو التهريب أو التزوير فعرض نفسه إلى العقوبات والغرامات والسجن. الأمر الذي أثر على وضعه العائلي ومكانته الاجتماعية داخل الجالية العراقية. وعلى العكس هناك من توفرت له فرصة العمل والكسب الشريف فتحسن وضعه المالي، وصار مهتماً بتربية أبنائه ورعاية عائلته.

وهناك عوامل موضوعية تتعلق بقوانين البلد وظروفه نذكر منها:

١- عدم الاعتراف بالشهادات العراقية (أو غيرها من بلدان العالم الثالث) أو معادلتها بدرجة أدنى. وغالبية المتخرجين تفرض عليهم الدراسة في جامعة غربية وأحياناً في الصف الأول! فالطبيب وطبيب الأسنان العراقي عليه أن يسجل نفسه في السنة الأولى في جامعة هولندية حتى لو كانت لديه خبرة تمتد لعشر سنوات^١. ولا تقتصر هذه المشكلة على ذوي الشهادات العالية فقط بل تشمل ذوي الدراسات المتوسطة والمهنية. كما أن كثيراً من الاختصاصات العلمية في العراق لا تنسجم كثيراً مع تلك التي في البلدان الغربية.

٢- تختلف البلدان الغربية في طبيعة قوانينها فيما يتعلق بالعمل، فبعضها يبدي تساهلاً من أجل تشجيع العاطلين على العمل بأية صورة ممكنة وبالقدر الذي يستطيعه. وهناك من يتشدد في ذلك ويشترط توفر مواصفات كثيرة، مثلاً في هولندا يجب على الذي يريد ممارسة مهنة الحلاقة أن يحصل على دبلوم في الحلاقة من مدرسة أو معهد هولندي. والدراسة قد تستغرق عدة سنوات وباللغة الهولندية، ويشترط أن يكون سنه دون ٢١ عاماً. كما أن تكاليف الدراسة باهضة والدروس نفسها ليست سهلة. هذه الشروط لا تشجع من مارس مهنة الحلاقة سنوات طويلة على العمل. أما من يريد أن يفتح بقالية أو يعمل قصاباً فعليه أن يدخل دورة إدارة أعمال ويدرس كيفية إمساك صندوق الحسابات، ويقدم خطة عمل باللغة الهولندية يوضح فيها إمكانية نجاح المشروع.

٣- حالة التمييز الذي يتعرض له الأجانب وخاصة المسلمون ومنهم العراقيون. إذ لا يستطيع هؤلاء الحصول على عمل يناسب كفاءاتهم حتى لو كانوا يجيدون اللغة الأجنبية ولديهم خبرة في الوظيفة التي يريدون إشغالها. وعند الترشيح لوظيفة معينة يجد بعض العراقيين

١ نشرة (النخيل) التي تصدرها الجمعية الثقافية العراقية في هولندا، العدد: ٧٩، أيلول ٢٠٠٢

أسباب كثيرة للإعتذار لهم من قبل الشركات والمؤسسات، مثلاً يقال له أن المواصفات التي كنت تستخدمها في بلدك تختلف عنها في هولندا، أو أن مستواك العلمي أعلى من متطلبات الوظيفة، وغيرها من الأعذار الواهية.

٤- وحتى الذين حصلوا على فرص للعمل يتعرضون لشتى المضايقات في العمل والمناقشات الطويلة حول الاسلام والارهاب والتخلف وغيرها. كما يسمعون اتهامات شتى وسخرية وتهكم من زملائهم. بالطبع هذا لا ينفي أن كثير من الشركات والمؤسسات تحترم العاملين فيها بغض النظر عن أصلهم ودينهم. كما يبدي بعض المسؤولين وأرباب العمل تعاطفاً مع المسلمين إذا شعروا منهم الصدق والاخلاص في العمل. ففي أحد المصانع الهولندي قام صاحب المصنع بتخصيص مكان للصلاة في نفس المصنع.

٥- بسبب طول الفترة بين مغادرة العراقي لوطنه وحتى وصوله إلى البلد الغربي ومروره ببلدان أخرى وفترات إنتظار، ثم انتظاره في البلد الغربي حتى الحصول على الإقامة، كل ذلك يعني مرور عدة سنوات عليه وهو منقطع عن عمله، أي يحدث لديه تراجعاً في خبرته ومستواه ومتابعته لآخر التطورات العلمية خاصة لدى أصحاب الاختصاص. ولا يقع ذلك على عاتقه لكن ظروفه حتى التي حالت دونه من أجل المحافظة على لياقته الجسدية ومستواه العلمي.

٦- ورغم هذه الصعوبات تمكن العديد من العراقيين في فتح محلات تجارية وشركات ومكاتب خاصة بهم. وقد توسع بعضهم لينافس الشركات الأوروبية. فهناك من يعمل في قطاع اللحوم والدجاج وتصنيعها وتعبئتها، وهناك من يعمل في تجارة الجملة في المواد الغذائية، وهناك من يعمل في الاستيراد والتصدير بين البلدان الأوروبية أو بينها وبين دول في الشرق. كما افتتح العديد منهم مقاهي ومطاعم فاخرة في المدن الأوروبية، في حين اتجه بعضهم إلى تجارة السيارات وتصديرها وتجارة الملابس والهدايا والتجهيزات المنزلية، أو العمل في مجال الفنادق والسياحة، أو في مجال البناء والمقاولات. وتخصص بعض العراقيين في إقامة حملات الحج والسياحة الدينية. ويعمل كثير من الصحفيين والاعلاميين والأدباء والكتاب العراقيين في صحف ومجلات عربية تصدر في أوروبا، أو في قنوات فضائية أو محطات إذاعية تبث في أوروبا. وافتتح بعض الأطباء والجراحين العراقيين عيادات خاصة بهم. لقد حقق بعض العراقيين نجاحاً كبيراً وصاروا من أصحاب الملايين والثروات.

٧- كما نجح كثير من العراقيين في الحصول على وظائف ومناصب بعضها عالية. إذ يعمل حالياً آلاف العراقيين كأطباء وجراحين ونفسيين وأساتذة جامعات وباحثين وحقوقيين في مختلف المؤسسات الغربية.

الأمراض النفسية والجسدية بالاجتصاب في العراق

يعاني المهاجرون من مختلف الأمراض النفسية والعصبية والجسدية بسبب الظروف القاسية التي عاشوها في العراق أو الأحوال التي ذاقوها في رحلة الهجرة. ورغم أن المؤسسات الصحية الغربية تقدم خدمات ذي مستوى عال من الخدمة الطبية والمعالجة النفسية لكن اللاجئين العراقيين عموماً يعانون من متخلف المصاعب النفسية بعضها يعود جذوره إلى الماضي وبعضها بسبب الظروف التي يعيشونها في البلدان الغربية، ويمكن تقسيمها إلى قسمين:

1- الأمراض النفسية والمشاكل التي يعاني منها قسم من المهاجرين ممن تعرضوا

للتعذيب والسجن والاعتقال أو الاغتصاب في سجون النظام العراقي. فلا يزال البعض منهم يتذكر ما جرى عليه من أحداث ومصائب فیتأثر كثيراً. ولا يزال بعضهم يعاني من كوابيس في النوم وقلق وتوتر عصبي واضطراب سلوكي. كما لا يزال البعض يحمل آثار التعذيب أو نتائجها كالتشوهات الجسدية والعايات أو الحرمان من الانجاب أو الأوجاع في الرأس وغيره أو حالات الكآبة والعصاب. وهناك من فقد أعزاء له في السجن فيكون تذكركم جزءاً من المعاناة النفسية الدائمة. كما أن الآباء والأمهات الذين فقدوا أولادهم في السجن أو أعدموا من قبل النظام، يبقون يعانون من الحزن والألم والحرقنة على أولادهم. وهناك فئة من العراقيين فقدوا بعض أهليهم أو أقاربهم أثناء رحلة اللجوء إلى الغرب.

فبعضهم فارقه ولا يعلم أين هو، وهل هو حي أم ميت، وبعضهم غرقوا أمام عينيه في البحر عندما غرق القارب الذي يقلهم، وبعضهم اختنق في جوف شاحنة أو حاوية في قعر سفينة، وآخرون تجمدوا على الحدود بعد أن مشوا ساعات وليال بين الجبال والثلوج حتى ضاقت بهم السبل فماتوا دون أن ينجدهم أحد.

كل هذه المآسي التي تهد الجبال تزيد من متاعب المهاجرين وحزنها وقلقهم. وكل ذلك يؤدي إلى أمراض نفسية كثيرة، وجسدية كالسكري وضغط الدم والقلب وقرحة المعدة وغيرها.

عندما يأتي اللاجئون إلى البلدان الأوروبية يكونون قد مروا برحلة محفوفة بالمخاطر ومشحونة بالمعاناة والمجازفة. وقد يكون بعضهم قد توقف في رحلته في بعض البلدان العربية أو الأوروبية، واضطر للتكيف مع ظروف قاسية أو وضع معيشي قاسي. وقد يكون قد اضطر للإختفاء عن أعين السلطات والشرطة مخافة انكشاف امره. وقد يكون قد قاسى الأهوال أثناء عبوره إلى بر الأمان. وكل هذه تشكل ضغوطاً نفسية قوية عليه وعلى أسرته وأطفاله.

هناك قسم من العراقيين جاءوا عبر رحلات مريحة دون أن يضطروا إلى سلوك طرق برية أو بحرية للوصول إلى أوروبا. كما أن بعضهم قد تم استقدامه من قبل الحكومات الغربية من خلال مفوضية اللاجئين التابعة للأمم المتحدة التي جلبت مئات العراقيين من سوريا ولبنان والأردن وغيرها، إضافة إلى آلاف اللاجئين العراقيين من مخيم رفحا في المملكة العربية السعودية. فهذا القسم قد منح اللجوء السياسي قبل قدومه إلى الغرب، لكن مع ذلك قد يعاني في بداية وصوله وأثناء إقامته في مركز خاص للاجئين. كما أنهم عانوا الكثير من ظروف سيئة في معتقلات صحراوية معزولة عن المناطق المأهولة، إضافة إلى الجوع القاسي.

عندما يصل اللاجئ إلى البلد الذي يريد تقديم طلب اللجوء إليه سيجري إسكانه في مراكز استقبال اللاجئين الذي يضم مئات اللاجئين الآخرين من جنسيات مختلفة. وتبدأ معه التحقيقات الطويلة من قبل الشرطة والاستفسار منه عن كل صغير وكبير، الأحداث والأسماء والأماكن والتواريخ وتفاصيل دقيقة لم تخطر على باله أبداً. وذلك كي تتأكد الدولة من حقيقة شخصيته وهويته وأنه فعلاً كان معرضاً للخطر في بلاده. وتصحب هذه التحقيقات الطويلة حالة من القلق العميق لأن ليس كل شخص يستطيع الاجابة على كل هذه الأسئلة، وخاصة أن الكثير من هذه القصص غير حقيقية ومفتعلة من الألف إلى الياء، لذلك تبقى تعاني من ثغرات يعرفها المحققون الذين يطلبون المزيد من التوضيحات والأدلة المادية على صحتها. ويجري مقارنة إفادة الزوج مع الزوجة فتكتشف من خلالها التناقضات بين الافادتين.

أما السكن في مركز اللاجئين فيجعل الفرد مجبراً على الاحتكاك بثقافات وعادات متنوعة، من آسيا وأفريقيا. وهي عادات غريبة عن الثقافة والعادات العراقية. وقد تحدث أحياناً مشاجرات بسبب سلوكيات غير مرغوب فيها. وتبقى العائلة العراقية الملتزمة في حرج كبير من الذهاب والإياب وتناول الطعام أو الاستحمام. طبعاً هناك بعض المراكز التي تفر نوع من الاستقلالية للعائلات حيث يتم إسكانها في بيوت صغيرة أو كرفانات، ولكن تبقى هذه استثناءات. وقد يجبر اللاجئون على الإقامة في هذه الظروف لعدة سنوات يرافقها القلق من احتمال رفض طلب

اللجوء. وتسبب هذه الضغوط كلها حالة من القلق والحزن والاكتئاب وأحياناً اليأس. فقد لوحظت بضع حالات انتحار في مراكز اللاجئين. كما يصبح اللاجئ مستفزاً بشكل دائم وأحياناً يتتبعه سلوك عدواني تجاه الآخرين وحتى أهله. ولذلك تكثر المشاكل داخل العائلة بسبب حالة عدم الاستقرار.

وعندما ينتقل اللاجئ إلى مسكن خاص به أو يمنح الإقامة في البلد يدخل في مرحلة لا تخلو من المعاناة النفسية. فرغم أن الوضع المادي جيد والخدمات الطبية والبلدية والأمن متوفر لكن المهاجر لا ينفلت من بعض الأمراض النفسية والاجتماعية في البيئة الجديدة. فبعض العراقيين في البلدان الباردة عموماً كالدول الاسكندنافية وكندا، التي يقصر فيها النهار، والجو دائماً غائم، وتساقط الثلوج لا يتوقف، يعانون من حالات الاكتئاب بسبب الجو. كما أن بعضهم يعيش في مدن متباعدة يجعل الالتقاء بعراقيين آخرين أمراً ليس باليسير. لذلك بات كثير من العراقيين يسعى للسكن في أماكن ومدن يتواجد فيها أبناء الجالية العراقية. وهذا بحد ذاته امر جيد لأنه يوفر لهم الجو الاجتماعي وحضور المناسبات الاجتماعية والمشاركة في النشاطات العامة وبناء صداقات جديدة وتوفير أجواء جيدة لأولادهم.

ولكن هذا لا يعني أن المشكلة قد تم حلها، بل تبقى فئات كثيرة تعاني من الوحدة كالشباب العازب الذي يبقى بحاجة إلى الزواج، لكن الظروف لا تسمح بذلك. أو يعاني البعض الآخر من العزلة والاعتراب والاكتئاب. كما أن أجواء الانحلال الأخلاقي ومشاهد الجنس والخلاعة في الأماكن العامة والتلفزيون وغيرها قد تشكل جواً ضاعطاً على المهاجرين لأنهم يرونها تتناقض مع مبادئهم وعاداتهم وأخلاقهم. وقد ينحرف البعض في هذه الأجواء الجذابة فينزلقون في علاقات خاطئة وسلوكيات مرفوضة أخلاقياً.

وبهدف مقارنة الوضع النفسي للاجئين العراقيين نستعين ببعض الدراسات القيمة التي تم القيام بها في هذا المجال. يستنتج الباحث د. سعد الامارة في دراسته حول عينة من العراقيين تبلغ المائة المقيمين في ست بلدان أوروبية بأن العراقيين في الغرب «يعانون من حالة من الاعتراب المرتفع رغم مضي أكثر من ثلاث سنوات على وجودهم في بلدانهم الحالية. كما أن بعضهم قد أمضى خمس سنوات وحصل على جنسية ذلك البلد... ويدل ذلك بالتأكيد على انخفاض حتمي في مستوى الصحة النفسية، لأنه لا يمكن أن يكون الفرد متمتعاً بصحة نفسية عالية وتكيفاً عالياً مع أعراض واضحة للإعتراب. فالإعتراب كما تدلنا الدراسات النفسية المتعددة من رؤى متنوعة أنها ترتبط إيجابياً بالاضطرابات والمعاناة النفسية وسوء التوافق. وهو ما تؤكد في الدراسة

الحالية. فالإغتراب وتصدع القيم يؤديان في جانبها السلبي إلى حالات الاضطراب النفسي. فالإغتراب إذن مؤشر من الناحية المستقبلية لظهور أعراض كبيرة من الأمراض، لاسيما وأن العرض يسبق المرض، والإغتراب يمثل عرضاً سابقاً للمرض»^١.

كما قام الباحث عبد الرحمن الوائلي بدراسة تغير القيم في المهجر حيث لاحظ تديلاً في نواحي عديدة من شخصية العراقي في المهجر. فقد ذكر ١٨٪ منهم أنهم بدأوا يهتمون بمظهرهم الخارجي (ص ٥١)، وتعلم ١٧٪ منهم الحرص على النقود (ص ٥٢)، وذهب ١٢٪ منهم إلى المسابح المختلطة (ص ٥٢)، وأن ٢٤٪ منهم لا يبلغون البنك إذا حدث خطأ لصالحه (ص ٥٤)، وأبدى ٦٠٪ منهم بأن بعض سلوكيات أبناءهم الأخلاقية لا تعجبه (ص ٥٤)، وأظهر ٣٩٪ منهم أنهم مضطرون للإنغماس في الظروف المادية تماشياً مع الحياة التي يعيشها في الغرب (ص ٥٧)، واعترف ٦٠٪ منهم بوجود قيم جديدة وسلوكيات جديدة لدى الأبناء (ص ٦٨)، وذكر ٤٥٪ منهم بأنهم صاروا يشركون زوجاتهم بأشياء لم يكن يشركوهن فيها في العراق (ص ٧٥)، وأجاب ٧٦٪ منهم بأنهم غير قادرين على التأقلم مع الأجواء التي يعيشها في هولندا (ص ٧٩)، وحرص ٧٢٪ منهم على زيارة بلد عربي رغم قلة الخدمات وسوء المعاملة في المطارات (ص ٨١)، في حين أيد ٨٦٪ منهم مغادرة هولندا إلى بلد عربي يضمن لهم العيش فيه دون الحصول على كل الامتيازات التي حصلوا عليها في هولندا (ص ٨١).

١ سعد الامارة، مستوى الاحساس بالإغتراب: ١٦٧

ربما من الصحيح القول أن غالبية العراقيين قد قرأوا أو سمعوا عن مفردات من الثقافة الغربية في شتى نواحي الحياة، الفكرية والاقتصادية والتكنولوجية والثقافية والاجتماعية، لكن قلة منهم من اطلع عليها مباشرة وعاش المجتمعات الغربية عن قرب. وهذه الفئة كانت تقتصر على الذين درسوا في الغرب أو استقروا فيه لأسباب العمل والزواج وغيرها. لكن الهجرة العراقية الأخيرة حملت شرائح اجتماعية متنوعة من المجتمع العراقي، ومن مختلف الطبقات الاجتماعية والمستويات والخلفيات الثقافية.

لقد كان رد فعل العراقيين متبايناً تجاه الحضارة الغربية. فالبعض انبهر بالتقدم التكنولوجي والرفاه المادي والتقدم العمراني. كما بهرته أخلاق الغربيين وتواضعهم وصدقهم وخاصة أولئك الذين يتعاملون مع اللاجئين. وقد أدى هذا الانبهار إلى ارتباك ثقافي وأحياناً عقائدي حين صار يقارن بين ما اعتاد عليه من ممارسات وأفكار وبين ما يجده لدى الغرب من تقدم. فصارت الصورة تهتز عنده شيئاً فشيئاً. لذلك انجرف بعض العراقيين وراء الحياة المادية بكل صنوفها ولذاتها مبرراً ذلك بأنه لا يمكن الوصول إلى ما هو أفضل من المجتمع الغربي. وأما الذين لم تكن لديهم خلفية إسلامية أو أخلاقية عراقية فقد وجدوا ما يريدون في المجتمع الغربي. وراحوا يدافعون عنه وعن قيمه.

والقسم الثاني لم ينكر اعجابه بالمجتمع الغربي المتطور لكنه انتبه إلى سلبياته كما أعجب بإيجابياته. الأمر الذي دعاه إلى التأكيد على الأخذ بالإيجابيات والابتعاد عن السلبيات، دون أن ينفي أن الاسلام والثقافة الأصلية يمكنها أن تقدم شيئاً وتثري الحضارة الغربية وخاصة في النواحي الروحية والأخلاقية والقيم العليا.

لقد سبق للاسلام أن تفاعل مع حضارات وثقافات أسيوية وأفريقية عديدة حين دخل إليها واعتنقه أهلها. فلم يقلل ذلك من نمو الإسلام وانتشاره في تلك البلدان رغم اصطباغه بلون ثقافي محلي. وهذا يعبر عن مرونة الفكر الاسلامي واستيعابه لتراث وعادات الشعوب التي

لا تختلف في جوهرها عن تعاليمه. هذا الأمر أدى إلى نشوء أشكال ثقافية مختلفة داخل العالم الإسلامي الذي يوحد شعوبه الانتفاء العقائدي. ولذلك يمكننا توقع شكلاً جديدة للإسلام في أوروبا، ربما يمكن تسميته الاسلام الأوربي الذي يمثل تفاعلاً بين القيم والعقائد والأفكار الاسلامية من جهة والمبادئ والمفاهيم الغربية من جهة أخرى. إن التمازج بين هذين الطرفين قد يتخذ مناحي وأشكالاً متعددة، وقد يستغرق وقتاً طويلاً حتى يتبلور بشكل راسخ في القارة الأوروبية. كما أنه بحاجة إلى تأصيل وتنظير يوفق بين الأصالة الاسلامية ومرونة الشريعة وبين السمات المميزة في الثقافة الغربية. يقول الباحث غالب حسن «إن إيجاد صيغة إسلامية أوروبية حاجة ضرورية لنا نحن كمسلمين وعراقيين أيضاً، لأننا نريد أن نسهم في بناء أوروبا الجديدة، من أجل خلق مستقبل أوروبي أفضل يعمل على تسييد السلام العالمي وتحرير الشعوب من الخوف وتعميق الاحساس بالديمقراطية. إننا مواطنون أوروبيون، نريد أن نعمل على خدمة الوطن انطلاقاً من مملكة الضمير الذي يؤمن بالقيم الروحية التي استلهمناها من الإسلام، ومن بعض ثقافتنا العراقية والشرقية في هذا الإطار وليس بوحى من منطلق المادة فقط»^١.

إن تطوير مفهوم المواطنة في المجتمع الغربي من منظور إسلامي يقتضي توصيف طبيعة العلاقة بين المهاجر المسلم والدولة غير المسلمة. وهذا يجبرنا إلى أمور أخرى مثل شرعية اكتساب الجنسية الغربية وطاعة القوانين الغربية والولاء للحاكم غير المسلم وشرعية العمل في المؤسسات غير المسلمة وغيرها. وهي أمور نناقشها فيما بعد. أما ما يتعلق بمواطنة المسلم في المجتمع الغربي فيرى بعض الفقهاء كالسيد علي السيستاني والسيد محمد حسين فضل الله أن المسلم إذا دخل بلداً غربياً فهناك تعهد ضمني من خلال الفيزا أو الإقامة يكون بموجبها خاضعاً ومطيعاً للقانون الغربي. إذن يوجد عهد شرعي يحدد طبيعة المواطنة والتزاماتها تجاه الدولة غير المسلمة. إن الكثيرين من العراقيين الذين اكتسبوا جنسية البلدان التي يقيمون فيها يتحدثون كثيراً عن الحقوق والامتيازات التي يوفرها اكتساب الجنسية باعتبارهم مواطنين، لكنهم بالمقابل قلما يتحدثون عن واجبات هذه المواطنة. فغالباً ما يتركز الحديث عن حقوق مثل بناء المساجد وتأسيس الجمعيات والمراكز الاسلامية والضمان الاجتماعي والحريات الدينية والحجاب والمظاهرات ومكافحة التمييز العنصري والديني دون التطرق إلى الواجبات أو المساهمة في حل المشاكل التي يعاني منها المجتمع الغربي كالجريمة والمخدرات وتلوث البيئة والبطالة وانحراف الشباب وغيرها.

١ غالب حسن، (الشباب العراقي ومسألة الاندماج في المجتمع الأوربي)، ص ١١٩، مجلة (دراسات عراقية)، العدد المزدوج: ١٦ و١٧، نيسان ٢٠٠١، ص ١١٨-١٤٥.

إن عدم الاهتمام بالمجتمع الغربي يبرر عدم اهتمام المجتمع الغربي بالمسلمين ومشاكلهم إلا التي تؤثر على المجتمع. من الواضح أن العزلة الاجتماعية التي يعيشها المسلمون في الغرب تبني الحواجز بينهم وبين المجتمع. فكيف يقتنع المواطن الغربي أن المقيم المسلم هو مواطن مثله، على الأقل أمام القانون، وهو يراه غير مهتم بنظافة الشارع الذي يسكن فيه، أو لا يحترم الممتلكات العامة، أو لا يحافظ على النظام العام، أو غير مبال بتلوث البيئة، أو غير مهتم بأية مشكلة لا تعنيه شخصياً. أو لا يحترم حريات الآخرين وراحتهم حين لا يبالي بالضوضاء التي يحدثها في حديثه أو استقباله لضيوفه. وكيف يقتنع الغربي بمواطنة المسلم وهو يراه غائباً عن النشاطات التطوعية الاجتماعية؟ والتي تشكل شطراً كبيراً في إدارة النشاطات الاجتماعية في الغرب مثلاً مساعدة المسنين أو النساء أو الأطفال المعاقين أو زيارة المرضى. وكثير من المهاجرين المسلمين يتمتعون بنشاطات تطوعية مثلاً هناك مؤسسات كبيرة تقدم خدمات متنوعة للاجئين، تبدأ من تعليم اللغة وتسجيل الأطفال في المدارس إلى مرافقتهم لزيارة الطبيب أو السوق أو المكتبة، أو تقديم استشارات قانونية أو ترجمة وثائق وغيرها.

هناك شعور لدى طبقة عريضة من العراقيين أنهم ما يزالون ضيوفاً في هذه المجتمعات، لذلك لا يريدون أي ميل نحو تأسيس مؤسسات دائمية، بل يعتبرون وجودهم مؤقتاً حتى لو مضى عليهم عقدان من الزمن. ربما يمكن تفهم هذا الشعور بسبب الحنين للوطن واحتمال العودة إليه بين لحظة وأخرى، لكن يبقى هذا الشعور غير منطقي لأن ليس من المعلوم أن غالبية العراقيين سيعودون إلى العراق بعد سقوط نظام صدام. وحتى لو استقامت الأحوال في العراق، فستبقى بعض العوائق التي تعيق عودة المهاجرين إلى العراق مثلاً سيبقى أولادهم من أجل إكمال دراساتهم، أو أن بعضهم لا يجيد اللغة العربية ولا يستطيع العودة، أو ربما أن وضعه المالي في العراق لن يكون جيداً فلا يشجعه على العودة، أو ربما يرى أن المستوى المعيشي والرفاه المتوفر له في الغرب أفضل من العودة، وربما لا يريد التنازل عن الجنسية الغربية التي يعتقد أنها توفر له الأمان في ظروف التقلبات السياسية في العراق. صحيح أن هناك أعداداً من العراقيين تفضل العودة لكن هذه الحالة ستكون تدريجية وتحتاج إلى وقت من الزمن.

لقد أغنى مجيء المهاجرين العراقيين الساحة الثقافية العربية والاسلامية في الغرب. إذ تعتبر الجالية العراقية من أكثر الجاليات الإسلامية تعليماً وثقافة. ففي بحث للدكتور سعد الإمارة جاء فيها أن نسبة المعلمين من أفراد الجالية العراقية في بريطانيا نسبة عالية حيث بلغت نسبة الذين

يحملون شهادات مدرسية وجامعية ٧٥٪، ونسبة الذين يحملون شهادات عالية ٣٣٪ للذكور و٩٪ للإناث.^١

وتوصل إلى نسبة مقارنة الباحثان هاري و جون من جامعة نايميخن وبطلب من وزارة الداخلية الهولندية في بحث ميداني عن الجالية العراقية في هولندا حيث ذكرا أن ٦٧٪ من العراقيين حاصلين على شهادات مدرسية و١٩٪ حاصلين على شهادات جامعية^٢ كما أن الباحث صلاح عبد الرزاق قد ذكر أن ٦٨٪ حاصلين على شهادة مدرسية و ٢٢٪ حاصلين على شهادة جامعية و٩٪ على شهادة عليا (ماجستير أو دكتوراه). وهي أرقام تتقارب مع نسب التعليم في المجتمع الهولندي الذي يعد من المجتمعات المتطورة.^٣

إن نشاط الجالية العراقية متميز في أغلب الدول الغربية حيث يتمتعون بالحياة والنشاط والابداع. فقد أسسوا المراكز الإسلامية والنوادي والجمعيات الثقافية، وأصدروا الصحف والمجلات. ولا يكاد نشاط أدبي أو فني أو ثقافي في أي بلد غربي يخلو من مشاركة عراقية. إذ فيهم الطبيب والمهندس والمحامي والأديب والكاتب والمخرج والشاعر والرسام والنحات والصحفي والمؤرخ والباحث والمسرحي، رجالاً ونساءً. وبرز منهم من حاز على جوائز أدبية رفيعة في الدول الأوروبية، ومن وصل إلى البرلمان، أو من يلتقيه التلفزيون والصحف ليتحدث للغربيين عن آرائه ومواقفه تجاه الأحداث، وعن تجاربه وسيرته. وهناك من يلتقي ويخاطب كبار المسؤولين من رؤساء ووزراء وسياسيين أوروبيين.

١ سعد الامارة، (مستوى الاحساس بالإغتراب والصحة النفسية لدى العراقيين)، ص ١٥٦، مجلة (دراسات عراقية)، العدد ١٩، كانون الأول ٢٠٠١، ص ١٤٨-١٧١.

٢ Hary van den Tillaart & John Warner (٢٠٠٢) *Irakese Vluchtelingen in Nederland* ITS Stichting of Catholic University Nijmegen The Netherlands.

٣ صلاح عبد الرزاق، (العراقيون والاندماج في المجتمع الغربي) / ص ١٢٢، مجلة (دراسات عراقية)، العدد المزدوج ٢٠ و ٢١، أيار ٢٠٠٢، ص ١٠٣-١٣٠.

العلاقة بين الحياة الاجتماعية والحكومة الإسلامية

بعد مضي أكثر من عقد من السنوات على تواجدها الجالية العراقية في هولندا، لم تستطع تحقيق الحد الأدنى من الطموحات والأهداف المرجوة لخدمة الجالية. وهناك أسباب وعوامل كثيرة لا بد من الإشارة إليها، ورصدها وتقييمها كي يمكن التخطيط للمرحلة القادمة. هذه الأسباب بعضها ذاتي والآخر موضوعي.

التحديات الذاتية

- ١- حالة التشرذم والتفريق التي تسود أوساط الجالية عموماً. لا نقصد بالتفريق مثلاً وجود عدة جمعيات في عدة مناطق، فهذا شيء إيجابي لا سلبي، ولكن نقصد عدم وجود استعداد لدعم أية مبادرة جماعية تخدم الجالية أو تحقق شخصيتها وحضورها من خلالها. ونلاحظ ذلك في التظاهرات التي تخص القضية العراقية أو الاحتفالات العامة مثل احتفال الشهيد الصدر أو المولد النبوي الشريف.
- ٢- عدم الاهتمام بالحضور الإسلامي والنشاطات العامة، وتفشي حالة الانكفاء على الذات والتفوق في هموم المنفعة الشخصية البحتة. والابتعاد عن أية مشاركة مادية أو معنوية في أغلب النشاطات التي تقوم بها الجمعيات القائمة. أي أن العمل يقع بصورة رئيسية على عاتق بعض العاملين الناشطين في هذه الجمعيات.
- ٣- استمرار حالة تبرير التقاعس والكسل تحت شتى المعاذير الشرعية والسياسية والفئوية والمرجعية. والواقع أنها كلها أسباب للهروب من المسؤولية والعيش السهل دون التزامات أخلاقية أو دينية أو اجتماعية أمام الجالية.
- ٤- اختلاف الآراء والأمزجة والقناعات أمر طبيعي، ومن مشيئة الله تعالى (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة، ولا يزالون مختلفين) (هود: ١١٨). ولا أريد نفي قناعة أي شخص فذلك أمر خاص به، ولكن هل يعني ذلك التوقف عن الحوار والتعاون المشترك لخدمة الجالية بحجة اختلاف الآراء؟ إن أصحاب الهمم العالية والالتزام الهادف لن يجدوا صعوبة في العمل في سبيل هدف هام حتى عندما يختلفون مع بعضهم. فالاختلاف ليس في أمور الدين والعقيدة بل في الاجتهادات الشخصية حول الأولويات أو شكل وطريقة العمل. فهل نختلف على أهمية بناء مسجد أو مركز إسلامي أو مدرسة إسلامية؟ ولكن قد

١ كلمة أقيمت في المنتدى الإسلامي الثاني في هولندا ١٤ تشرين الأول ٢٠٠١

نختلف أين وكيف ومتى؟ وبالتفاهم في الأجواء المفتوحة البعيدة عن التعصب والانغلاق يمكننا مناقشة جميع القضايا والتوصل إلى حلول لها.

٥- بعد هذه السنوات نحن بحاجة إلى مراجعة للمسيرة وممارسة النقد الذاتي لا نقد الآخر فقط، فكلنا معرض للأخطاء والاشتباه. وأعتقد حان الوقت كي نللمم أطرافنا من أجل التوجه للعمل المشترك، والتنسيق بين الجمعيات والشخصيات المتصدية والحريصة على مستقبل الجالية. إن هذا الملتقى يوفر الإطار العام لبلورة عمل جماعي مشترك يخدم الجالية من خلال الفكرة والمشورة والنشاط والتخطيط. وأهنئ القائمين على هذا الملتقى على طول أناتهم وسعة صبرهم، خاصة في هذه المرحلة الهامة التي تعاني فيه الشخصية العراقية في المهجر من ضيق الأفق والتعصب المبالغ فيه والحساسية المفرطة.

١- نقص الخبرات والكوادر العاملة في الساحة. فنحن بحاجة إلى عدد أكبر من العاملين المؤهلين بكفاءات هامة كإجادة اللغة الهولندية والخبرة الادارية والاتصالات والاعلام. وللأسف لا زال الكثيرون ييخلون بجزء من وقتهم أو مهارتهم والتفرغ قليلاً لخدمة الجالية. ولا ننسى أن للعاملين القائمين اليوم مسؤوليات وأعمال وأسر وأطفال مثلهم مثل غيرهم، فليس من المعقول توقع أدائهم لمسؤوليات الجالية لوحدهم، بل هم بحاجة إلى الدعم والمساعدة والتأييد. ولعل توفير هذا الكادر يدخل في باب الواجب العيني لعدم وجود عدد كاف يضمن حالة الواجب الكفائي.

٢- قلة الاتصالات بين الجالية والحكومة الهولندية إلا فيما ندر أو يقتصر إما على مناطق محدودة أي أنه نشاط شبه فردي، أو مؤقت عند الأزمات أو المشاكل كما حدث عام ١٩٩٧ عندما اتهمت وزيرة العدل السابقة العراقيين بأنهم عصابات مافيا، فقمنا بتظاهرة وسلمناها مذكرة احتجاج، أو القيام بتظاهرة للمطالبة بتحسين ظروف طالب اللجوء عام ٢٠٠٠، أو المشاركة في مؤتمر حوار مع الهولنديين أو الاتصال ببلدية بريدا بعد حصول اعتداء على إحدى الأخوات العراقيات. ومع ذلك لا تزال اتصالات مجلس الجمعيات مثلاً تقتصر على منظمة اللاجئين VVN و اتحاد منظمات اللاجئين VON وبعض البلديات والمؤسسات. ولكننا نطمح للإتصال بالحكومة سواء رئيس الوزراء أو الوزراء. وهذا ما بدأنا به عندما مخاطبتنا الحكومة بعد الاعتداءات في امريكا. كما سنشارك في اجتماع دعت إليه وزارة الداخلية مع بقية المنظمات الإسلامية.

٣- إن التواصل مع المؤسسات الهولندية والحضور المستمر في الندوات والاجتماعات بحاجة إلى جهود دائبة وتفرغ مستمر كي يمكننا توقع نتائج إيجابية والحصول على اعتراف رسمي وما يستتبعه ذلك من مكاسب للجالية. ولذلك بحاجة إلى شبكة اتصالات مع بعضنا البعض كي يتم اخبار أمانة المجلس بكل ما يحدث في المدن والمناطق من قضايا ومشاكل وخدمات ونشاطات، لاطلاعها أولاً ثم تقدير الموقف ثانياً، وثالثاً اتخاذ ما يلزم سواء بالاتصال بالوزارة أو البلدية المعنية أو الذهاب إلى المنطقة إذا استلزم الأمر.

٤- من الضروري بلورة مطالب محددة في ظرف زمني معين، لأن كثرة المطالب يجعل من الصعب تليتها. لذلك يجب أن نحدد مثلاً ماذا نريد وكيفيته وسعته وفوائده للجالية. وذلك ضمن دراسة علمية وإحصائيات موثقة تجعل الطرف الهولندي يحترم الطلب ويتعامل معه على اساس من الجدية والاهتمام.

٥- من الضروري أن نتعرف الحكومة الهولندية على مواقفنا تجاه الأحداث وكذلك تجاه سياساتها ذات الصلة بالمسلمين والمهاجرين. ومن هذا المنطلق يجب أن تعرف الحكومة أن العلماء المسلمين يؤكدون مثلاً على أن احترام القانون الهولندي أمر واجب، ومن يخالف القانون يكون قد ارتكب أثماً لأنه ينقض العهد بينه وبين الدولة المضيفة. كما يدعم العلماء المسلمون عملية الاندماج بمعنى أن يكون للمسلمين دورهم المؤثر في المجتمع الهولندي من خلال مواقعهم وعملهم ومشاركتهم في الأنشطة العامة. فالعلماء يجيزون اكتساب الجنسية الهولندي، والانتفاء للأحزاب السياسية الغربية، والمشاركة في الانتخابات العامة والبلدية مرشحين ومصوتين، كما يجيزون تولي المناصب والمسؤوليات في الحكومة والمؤسسات. ويؤكدون على احترام أموال وأعراض وأرواح غير المسلمين وكذلك احترام النظام العام وعدم الاخلال به. وكل هذه العناصر تزيل الموانع الشرعية التي يعتقد البعض أنه تقف عائقاً دون مساهمة جادة في الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

٦- الاهتمام بالحوار مع المسلمين الذي تقترحه المؤسسات الهولندية وخاصة في مثل هذه الظروف.

٧- من الهام أيضاً طرح الأمور أو مناقشتها مع المسؤولين الهولنديين بما ينسجم وثقافتهم وطبيعة تصوراتهم وليس بما اعتدنا عليه، سواء في المخاطبة أو المناقشة، حيث نختار الأسلوب الأمثل ونتقي العبارات التي تناسب المقام، ونبتعد عن الصياح والانفعال بل بالكلام الهادئ الرصين، يجب أن يكون لنا حضور واضح ليس في المطالب والتظاهرات بل نساهم في الاجتماعات والندوات التي تناقش قضايا عامة تهم المجتمع كي يشعر الطرف الهولندي

أننا حريصون على أمنه ونظامه ومواجهة المشاكل التي يعانون منها. كما يجب أن لا نتكاسل من الأعمال التطوعية وخاصة في المجالات الاجتماعية كخدمة اللاجئين والمسنين وبرامج المؤسسات الثقافية والرياضية والاجتماعية في المحلة والحى والمدينة. فالعمل الطوعي ذو قيمة عالية في المجتمع الهولندي.

العراقيون والاندماج في المجتمع الهولندي

يقدّر عدد اللاجئين العراقيين في هولندا حوالي ٣٥ ألف (١٩٩٨)، إذ لا توجد إحصائيات رسمية توضح العدد الحقيقي لسبيين، الأول: أن هناك قسم كبير ما زال يقيم في مراكز اللاجئين ولم يحصل على الإقامة بعد. وهذا العدد غير ثابت بسبب مجيء لاجئين جدد وخروج أعداد صغيرة إلى دول أخرى تكون فيها إجراءات اللجوء أسهل وامتيازاتها أفضل. والثاني: أن جميع العراقيين الذين اكتسبوا الجنسية الهولندية، يجري نحو أسماهم من سجلات الأجانب، لتدرج في سجلات المواطنين الهولنديين.

أما التركيبة القومية والمذهبية للجالية العراقية في هولندا فهي تشابه إلى حد ما تركيبة الشعب العراقي عدا أن نسبة الأكراد العراقيين في هولندا أكبر من نسبتهم في العراق لأسباب منها سهولة وصول اللاجئين من شمال العراق إلى أوروبا مقارنة بالقدوم من الجنوب. وتشير آخر الإحصائيات (تموز ١٩٩٩) بأن عدد سكان العراق يبلغ ٢٢٥ مليون نسمة، تبلغ نسبة العرب ٧٥٪-٨٠٪، ونسبة الأكراد ١٥٪-٢٠٪ وبقية الأقليات التركمانية والآثورية وغيرها ٥٪. أما التركيبة الدينية فتبلغ نسبة المسلمين ٩٧٪ (الشيعة ٦٠٪-٦٥٪ والسنة ٣٢٪-٣٧٪) والمسيحيين والصابئة واليزيديين ٣٪.^١

الحياة الثقافية للجالية العراقية

لقد أغنى مجيء المهاجرين العراقيين الساحة الثقافية العربية في هولندا، إذ تعتبر الجالية العراقية من أكثر الجاليات الإسلامية ثقافة وتعلماً. ففي دراسة أعدتها الجمعية الثقافية العراقية في آذار ١٩٩٨ بعنوان (العلاقة بين الجالية العراقية والمجتمع الهولندي: بحث ميداني في مدينة دوردريخت) والتي قدمتها إلى إحدى المؤسسات الهولندية المهتمة بالاندماج، كانت النتائج كالتالي مقارنة بالأقليات الأخرى والهولنديين:^٢

المغاربة	الأتراك	الهولنديون	العراقيون	مستوى التعليم
٪٣١	٪٤١	صفر٪	صفر٪	التعليم الابتدائي
٪٦	٪٨	٪١٩	٪١٥	التعليم المتوسط VBO
٪٩	٪١٥	٪٢٧	٪٢٤,٥	التعليم الثانوي HAVO
٪٣	٪٦	٪٢٣	٪٢٨,٣	التعليم العالي HBO
٪١	٪٢	٪١٨	٪٢٢,٦	التعليم الجامعي
٪١	٪١	٪٩	٪٩	ماجستير ودكتوراه

يتضح من الجدول أعلاه أن نسبة التعليم الجامعي والتعليم العالي للعراقيين تفوق أحياناً حتى نسبة الهولنديين. كما لا تقاس مستويات تعليم العراقيين بالجاليات الأخرى. إن هذه النسبة العالية من المتعلمين بين أوساط الجالية العراقية لا تشابه الوضع التعليمي والمستوى الأكاديمي داخل العراق لأن غالبية اللاجئين هم من ذوي المستويات العالية والذين اضطروا لمغادرة العراق لأسباب سياسية.

وتضم الجالية العراقية في هولندا أعداداً ملحوظة من المهنيين والتقنيين والأطباء المختصين والجراحين والإقتصاديين والصحفيين والمثقفين والأدباء والشعراء والفنانين والمسرحيين والسينمائيين، وطلاب جامعات وباحثين. إذ تبلغ نسبة المهنيين من حملة شهادة المعاهد التقنية ٣٤٪، ونسبة المهنيين من حملة التعليم العالي والجامعات ٢٦,٥٪.

رغم قصر فترة تواجدهم - بعد حرب الخليج ١٩٩١ - استطاع المهاجرون العراقيون تحقيق نهضة ثقافية وفنية في الساحة الهولندية، فهناك العديد من النشاطات الثقافية والفنية (معارض رسم ونحت، مهرجانات، ندوات، مسرحيات، أمسيات شعرية) تقام سنوياً في أماكن عديدة في المدن الهولندية. كما تصدر حالياً عدة مطبوعات ثقافية شهرية مثل (النخيل، الرسالة، الشباب، عطاء، البيت العراقي، صدى المنتدى). ولأول مرة في هولندا تصدر دوريات أدبية عربية متخصصة بالنقد الأدبي (مجلة الناقد الأدبي) والأدب الحديث (مجلة واحد). وتعد الجمعية الثقافية العراقية ندوات فكرية شهرية تدعو إليها العديد من المثقفين والسياسيين والأكاديميين من مختلف التيارات الفكرية والسياسية العراقية. ويشارك عراقيون في بعض

١ الجمعية الثقافية العراقية: (العلاقة بين الجالية العراقية والمجتمع الهولندي: بحث ميداني في دوردرخت)، يضم التعليم المهني للمعاهد التقنية المهن التالية: معلم، موظف، مصلح سيارات، مبرمج كومبيوتر، ربان سفينة، تقني، صاحب مزرعة دواجن، تاجر... أما المهن ذات التعليم العالي فتضم مدرس، طبيب، طبيب أسنان، مهندس، ميكرو بيولوجي، جيولوجي، أستاذ جامعي، من الذين شملهم البحث.

برامج الإذاعة والتلفزيون، حيث يجري استضافتهم للحديث والتعليق حول مختلف القضايا الفكرية والثقافية والسياسية. ويظهر الحضور العراقي في الإعلام الهولندي أثناء الأزمات الدولية مع النظام العراقي أو أحداث هامة داخل العراق. ولذلك لا تمر فترة دون وجود نشاط سياسي عراقي من خلال التظاهرات والمسيرات والندوات السياسية وصدور بيانات اعتراض أو إدانة أو غيرها.

العلاقات بين العراقيين والهولنديين

يمتاز الشعب العراقي بدمائة أخلاقه وسرعة بناء العلاقات مع الآخرين رغم فارق اللغة والدين. فالعراقي يميل عادة إلى تقوية علاقاته مع جيرانه، لأنه اعتاد في بلده على وجود أواصر قوية سواء داخل العائلة والأقارب أو مع الأصدقاء والجيران. لذلك سرعان ما يبدي ميلاً نحو بناء علاقة صداقة مع الآخرين، يزورهم ويدعوهم لزيارته، يستضيفهم ويقدم لهم أطيب طعامه. ويبقى استمرار العلاقة وقوتها على موقف الطرف الآخر، حيث أن المجتمع الهولندي لا يبدي ميلاً نحو بناء علاقات قوية مع الآخرين، كما أن علاقة الجوار ليس لها معنى في قاموس عاداته وتقاليده، بل تنشأ العلاقات بين الهولنديين من خلال زمالة الصف في الدراسة أو في محل العمل أو النادي الرياضي. ورغم ذلك فالمجتمع الهولندي معروف بالرقه والطيبة والمجاملة، فيبادل الآخريين تهنتهم في الأعياد، وإرسال بطاقات التهنته، وتبادل الهدايا في المناسبات كالولادة والزواج وغيرها، ويشارك المهاجرين في أفراحهم وأحزانهم. وقد أبدى ٣٨٪ من العراقيين أنهم يقيمون علاقات متواصلة مع الهولنديين، وأن ٣٠٪ منهم يتزاورون باستمرار مع الهولنديين دون مشاكل تذكر. وأهم المواضيع المتداولة مع الهولنديين هي هولندا، العراق، الدين، العادات، العمل، الدراسة وقضايا اللاجئين والسياسة.^١

وتصل العلاقة أحياناً إلى الزواج، حيث أن هناك عدداً من العراقيين متزوجون بهولنديات، وعدد أقل من عراقيات متزوجات بهولنديين. وتنشأ بذلك علاقات أوسع مع عائلات الزوج أو الزوجة، خاصة إذا رزق الزوجان أطفالاً.

تعتبر اللغة الجسر الذي يصل بين ثقافة المهاجر والثقافة الهولندية، فعبّر اللغة يمكن توصيل أفكارك وشرح عاداتك للآخرين، وفهم ثقافة وتقاليد الآخرين، ليحدث الفهم المتبادل بين المهاجرين والهولنديين. ويقبل العراقيون على تعلم اللغة الهولندية حيث أبدى ٩٠٪ منهم رغبتهم في تعلمها، في حين ذكر ١٠٪ عدم رغبتهم بتعلمها لصعوبتها. ويدرس حالياً ٧٠٪ منهم في معاهد ومدارس تعليم اللغة في حين أكمل منهم حوالي ٥٪. ويتابع ٨٠٪ من العراقيين

١ الجمعية الثقافية العراقية: (العلاقة بين الجالية العراقية والمجتمع الهولندي: بحث ميداني في دوردرخت)

التلفزيون الهولندي، بينما يستمع ٦٢٪ إلى برامج محطات الاذاعة الهولندية. وهذا أمر جيد إذا علمنا أن ٥٣٪ منهم يجدون صعوبة في تعلم الهولندية، و١٧٪ يجدون صعوبة كبيرة جداً في ذلك. إضافة إلى أن ٧٢٪ من العراقيين يمتلكون جهاز استقبال لمشاهدة القنوات الفضائية العربية.^١

ويشارك العراقيون مع الهولنديين في نشاطات مشتركة (ندوات، اجتماعات، مهرجانات ونشاطات اجتماعية أخرى). وتلعب الجمعيات والمنظمات العراقية دوراً كبيراً في دفع أبناء الجالية للمشاركة في النشاطات الهولندية. وتلقي الجمعيات عادة بمسؤولين هولنديين في الوزارات والمؤسسات والبلديات، كما تستضيف هولنديين في ندواتها ولقاءاتها ومهرجاناتها للتحدث أمام الجمهور العراقي أو المشاركة في النشاطات المتنوعة. وفي عام ١٩٩٨ شاركت الجمعيات والمنظمات العراقية في أول مؤتمر للحوار بين اللاجئيين والهولنديين، والذي استغرق يومين. وقد اعترفت ورقة المؤتمر بأن المنظمات العراقية تبدي اهتماماً بالاندماج، وتؤكد على دور الإسلام في عملية الاندماج. وجرت في المؤتمر مناقشات صريحة ومفتوحة بين الطرفين، عرضوا فيها وجهات نظرهم تجاه بعضهم البعض، وتطرقوا لإيجابيات وسلبيات الطرف الآخر.

العلاقة بين العراق والهولندا

لعله لا يوجد عراقي خارج وطنه وتعرض عليه جنسية بلد آخر ويرفضها. ويعود ذلك إلى الممارسات السيئة للنظام العراقي حيث اضطر ملايين العراقيين لمغادرة بلدهم، والنظام لا يمنحهم جوازات سفر لأنه يعتبرهم خارجين عليه وضده. كما أن السلطات العراقية قامت بتجريد أكثر من ١٠٠ ألف عراقي من الجنسية العراقية والجواز العراقي وطردهم إلى إيران منذ بداية الثمانينات. كما أن الذي استقروا في بلدان الهجرة عانوا الكثير هم وأولادهم بسبب نفاذ مدة الجوازات وعدم استطاعتهم الحصول على الجواز العراقي من السفارات العراقية لأسباب منها خوفهم على حياتهم إذا راجعوا أية سفارة عراقية. ولذلك بات الحصول على جنسية غير عراقية حلم بالنسبة للعراقيين، بل أن كثيراً منهم هاجر إلى الغرب لهذا السبب للتخلص من مشاكل جواز السفر والإقامة. ولذلك يحرص جميع العراقيين بلا استثناء على الحصول على الجنسية الهولندية واستحصال جواز سفر هولندي يمكنهم السفر به إلى جميع أنحاء العالم، خاصة إذا علمنا أن السفر بالجواز العراقي أصبح مشكلة، إذ لا تقبل غالبية الدول العربية دخول العراقيين إليها بجوازات عراقية، كما أن جميع بلدان العالم وخاصة الغربية ترفض منح الجواز العراقي فيزا دخول.

١ الجمعية الثقافية العراقية: (العلاقة بين الجالية العراقية والمجتمع الهولندي: بحث ميداني في دوردرخت)

إن الحصول على الجنسية الغربية يشكل عاملاً هاماً في الاستقرار والاحساس بالأمن والطمأنينة لدى العراقيين. كما أن ذلك يدفعهم للاندماج مع المجتمع الذي منحهم الأمن والسلامة والكرامة، ويوفر لهم سبل العيش الكريم، ويعاملهم بالعدل والمساواة أمام القانون مثل بقية أفراد الشعب. هذه المشاعر والظروف تدفع العراقي إلى المضي قدماً في عملية الاندماج عبر قنواتها مثل تعلم اللغة، والبحث عن عمل، اكتساب العلم لبناء مستقبل أفضل في هذا البلد، وبناء مؤسسات عراقية كالمدارس والمساجد والنوادي الثقافية والاجتماعية.

هعوقات الاندماج في المجتمع الهولندي

هناك عدة عوائق وعوامل ايجابية تحدد مسار الاندماج في المجتمع الغربي، فالمستوى العلمي والثقافي يسهلان تفهم الآخر والبحث عن قواسم مشتركة معه أو الاستفادة من إيجابيات المجتمع الغربي وتفاذي سلبياته. ولعل واحد من روافد الفهم المتبادل هو الاطلاع على العادات والتقاليد بشكل صحيح. فقد أظهر ٧٨٪ من العراقيين أنهم على اطلاع على تقاليد المجتمع الهولندي. وقد ذكر بعضهم بعض صفات الهولنديين كالفضول، مراعاة النظام، احترام المواعيد، قبول الرأي الآخر، تعويد الأطفال على النظام، الإجابة الكافية لكل سؤال، لا استقبال ضيوف دون موعد مسبق، البخل والاقتصاد. كما ذكر ١٤٪ منهم بأنه قد حصل تغيير في شخصيته وسلوكه ومشاعره منذ قدومه إلى هولندا، وأهم هذه التغييرات: الحرية، الأمن، الاستقرار، احترام الوقت، احترام القانون، الثقة بالنفس، الاتصال بمجتمع جديد، تحسن الوضع المادي، الوحدة والعزلة، وحرية ممارسة الشعائر الدينية. ومع ذلك تبقى هناك عوائق كبيرة تهدد عملية الاندماج مثل:

١- اللغة: يواجه اللاجئون الجدد و المهاجرون المقيمون مشاكل كثيرة بسبب صعوبة تعلم اللغة الهولندية التي تحتاج إلى سنوات لمن تجاوزوا العشرين عاماً. أما الشباب والأطفال فلا يجدون صعوبة في المدارس الهولندية العادية. وكثيراً من تكون اللغة هي الحاجز في التواصل الثقافي والاجتماعي مع المجتمع الهولندي، فيضطر العراقي إلى التردد في تقوية العلاقة أو فتح حوار أو زيارة هولندي. وقد يضطر الكثير من العراقيين لاستخدام اللغة الإنكليزية كأداة للحوار والمناقشة لأن غالبية الجامعيين العراقيين يجيدون الإنكليزية التي هي اللغة الأجنبية الأولى في العراق، وأداة التدريس في الكليات العلمية والتقنية.

وقد استطاع بعض العراقيين تجاوز هذا العائق حتى أنهم بدأوا يصدرون صفحات في صحفهم ومطبوعات باللغة الهولندية، ويزورون تجمعات ومؤسسات هولندية للتحديث أمام الهولنديين.

٢- التقاليد: يشعر الكثير من العراقيين بالحرج أحياناً تجاه بعض التقاليد الهولندية وخاصة في النشاطات الاجتماعية، حيث يجد المسلمون المتدينون مشاكل في مصافحة الأجنيبات أو تقديم الخمر على الموائد أو الرقص والموسيقى والغناء. ولذلك يجدون يترددون كثيراً في المشاركة في بعض النشاطات التي تتضمن سلوكيات تناقض تعاليم الإسلام. كما أن الشباب العراقي المتدين من ذكور وإناث لا يمكنهم بناء علاقات مع الجنس الآخر لأسباب دينية واجتماعية. وتردد النساء المحجبات من المشاركة في بعض النشاطات أو دخول جمعيات أو نوادي هولندي لأسباب منها نظرة الضيق والاستغراب وأحياناً الازدراء التي يواجههن البعض بها في تلك الأماكن.

٣- البطالة: يعاني غالبية العراقيين من البطالة حيث أن ٩٠٪ عاطلون عن العمل سواء المؤقت أو الدائم. وتنخفض هذه النسبة بمرور السنين، ودخول اللاجئيين دورات مهنية وتدريبية، يحصلون بعدها على عمل مناسب. فقد ذكر ٩٤٪ منهم أن الحصول على عمل مناسب أمر صعب، في حين ذكر ٥٦٪ منهم أنهم يبحثون بعجدة عن عمل. ولا يختلف في ذلك أصحاب الشهادات العالية أو المتوسطة، فالكل يعاني من البطالة، خاصة وأن الاجراءات الهولندية شديدة في معادلة الشهادات أو في توظيف الأجانب عموماً. يضاف إلى ذلك أن غالبية الأعمال المعروضة إمام صعبة أو ضمن الحد الأقل للرواتب. فقد ذكر ٢٨٪ فقط أنهم على استعداد للعمل براتب يساوي راتب الضمان الاجتماعي الذي يدفع للعاطلين عن العمل^١. وتؤدي البطالة إلى مشاكل نفسية واجتماعية واقتصادية تؤدي إلى بروز نظرة تشاؤم تجاه أي نشاط لا يخدم المصلحة الشخصية.

٤- الشعور بالغربة: المجتمع العراقي يختلف عن الكثير من الشعوب العربية، فهو يميل للإستقرار والإلتصاق بوطنه. فوجود الثروات النفطية والزراعية لم يفكر العراقيون بالهجرة من بلدهم بحثاً عن لقمة العيش وطلب الرزق. فمنذ قيام الجمهورية العراقية والقضاء على النظام الملكي في ١٤ تموز ١٩٥٨ حدثت موجات هجرة محدودة تضم بعض المثقفين والسياسيين المعارضين للحكومات المتعاقبة. كما استقر في المهجر بعض الطلاب الذين أنهوا دراساتهم في الغرب أو تزوجوا من أجنيبات فأثروا البقاء في الغرب

١ الجمعية الثقافية العراقية: (العلاقة بين الجالية العراقية والمجتمع الهولندي: بحث ميداني في مدينة دوردرخت)

على العودة. أما الهجرات الجماعية الكبيرة فقد بدأت منذ مجيء حزب البعث العراقي إلى السلطة في تموز ١٩٦٨. ففي عامي ١٩٦٩ و ١٩٧٠ طرد النظام مائة ألف عراقي إلى إيران بحجة أنهم ذوي أصول إيرانية، بعد مصادرة وثائقهم وجوازاتهم وأموالهم وعقاراتهم. والموجة الثانية بدأت في نيسان ١٩٨٠ وتلاحقت على عدة وجبات حيث طرد عشرات الآلاف من العراقيين إلى إيران للضغط على الجمهورية الإسلامية الوليدة. وبسبب سياسات صدام الخرقاء ودخوله في حروب مدمرة مع جيرانه، واستمرار الكبت السياسي والقمع الداخلي، والممارسات الوحشية ضد الأكراد والشيعية، هاجر مئات الآلاف خارج العراق بعد نشوب الحرب العراقية-الإيرانية منذ أيلول ١٩٨٠ وحتى عام ١٩٨٨. وبعد غزو الكويت وفرض الحصار الاقتصادي هاجر ملايين العراقيين إلى مختلف بلدان العالم. ولا يوجد بلد اليوم يخلو من وجود عراقيين في جميع القارات الست!

لقد أدى انفصال العراقي عن وطنه وتربته إلى بروز مشاعر لم يعتادها العراقي في بيئته الاجتماعية. فقد تبدلت الأواصر القوية في بلده بالجفاف الروحي والبرود الاجتماعي والعزلة والوحدة في المهجر. هذه الأحاسيس جعلته يتكفى على نفسه وأسرته الصغيرة، والإهتمام بهوموم ومشاكله العائلية، وتوفير مبلغ من المال يرسله إلى أهله الجائعين في العراق. وقد أدى الاستغراق في الهموم الشخصية إلى عدم متابعة الشؤون العامة والقضايا الهامة. فالشعور بالغرابة يزيد اليأس من العودة إلى العراق، كما يخدم أي نشاط يخدم الأهداف العامة. ولذلك يحتاج العراقي إلى وقت طويل كي تندمل جراح كرامته وكبريائه التي هدرها النظام العراقي، ثم بعد ذلك يستطيع العراقي الخروج من الدائرة الشخصية إلى الدائرة الاجتماعية.

٥- عدم الاكتراث بالقضايا العامة: بسبب الظروف القاسية التي مر بها العراقيون، وانتقالهم من مهجر إلى آخر، وبسبب تعقد الأوضاع السياسية سواء في بلدهم أو في بلدان الجوار العراقي، بات كثير منهم يميل إلى متابعة شؤونهم الخاصة، ومستقبل أولاده وأسرته، بسبب المحن والصعوبات التي واجهها قبل وصوله هولندا. لذلك تراه يبذل جهده للمحافظة على وضعه الحالي ومستواه المعيشي بعيداً عما يضر بهما، كما يظن. وهذه الهواجس أدت إلى نزوعه نحو عدم التفاعل مع الطروحات السياسية إلا بقدر تعلقها بالقضية العراقية (تظاهرة، مهرجان، احتفال، زيارة شخصية عراقية معارضة إلى هولندا). وحتى القضية العراقية باتت عند كثيرين غير ذات أهمية بسبب قناعته أن الدول الغربية تفضل بقاء النظام الحالي لحماية مصالحها، مما يعني أن جميع هذه النشاطات السياسية لن تؤدي إلى نتيجة مثمرة.

هذه النظرة والمشاعر أدت إلى انكفاء العراقيين داخل جمعياتهم الثقافية وAnteathem السياسية العراقية. يضاف إلى ذلك أن هناك شعور بالخوف لدى بعض الأوساط العراقية من أن استمرار معارضتهم للنظام قد يعرض أهاليهم في العراق إلى الأذى والاعتقال كما حصل لدى البعض. لذلك يفضل البعض السكوت والانكفاء على الذات بعيداً عن السياسة وهموماً.

لعل أول ممارسة ديمقراطية يقوم بها العراقي، بعد حصوله على الجنسية الهولندية، هي المشاركة في التصويت في الانتخابات البرلمانية والبلدية التي تجرى كل أربع سنوات. والكثير منهم لا يبدي ميلاً للممارسة هذا الحق لأنه لم يتعود على الانتخابات في العراق. كما أنه يعتقد أن تصويته أو عدم تصويته سواء، فالأحزاب الهولندية هي هي، تفوز أو تخسر دون أن يكون لصوته أي تأثير.

ونظراً للنضج السياسي والإهتمام بالسياسة بشكل عام، يتوقع أن يلعب العراقيون مستقبلاً دوراً أكثر أهمية من الوضع الحالي. فهناك نسبة كبيرة من المثقفين والسياسيين من مختلف التيارات، يبدون اهتماماً تدريجياً بالساحة السياسية الهولندية. ولدى قسم منهم علاقات مباشرة مع نواب البرلمان أو الشخصيات الحكومية أو المسؤولين في الأحزاب السياسية أو المؤسسات شبه الرسمية والمنظمات الانسانية والاجئين.

من جانب آخر لا يوجد مانع شرعي من المشاركة في الانتخابات سواء مرشحين أو منتخبيين. يقول المرجع الديني السيد محمد حسين فضل الله: "لقد أفتينا لبعض الناس الذين يحملون جنيات غريبة أنهم إذا رأوا بأن من مصلحة الإسلام بلحاظ القضايا الاسلامية أن يصوتوا لمرشح ضد مرشح آخر باعتبار أن هذا المرشح قد يدعم القضايا الاسلامية ضد الصهيونية وأعداء الاسلام، أو ربما يمكنه أن يرعى المسلمين أكثر من رعاية غيره لهم، فإننا نجزى المشاركة".

ويشجع سماحته الجالية الإسلامية على أهمية المشاركة في الحياة السياسية في الغرب من أجل خدمة مصالح الجالية أولاً، وتشكيل لوبي ضغط لخدمة القضايا الإسلامية، فيقول: "هناك مصلحة إسلامية للجالية الإسلامية التي تقيم هناك، أو للقضايا الاسلامية الكبرى من خلال العلاقة الانتخابية لهذا أو ذاك، أو من خلال سيطرة المسلمين على مفاصل المجتمع بالمستوى الذي يستطيعون فيه أن يتركوا تأثيرات ايجابية لمصلحة المسلمين على القرارات المتخذة، كما يفعل اليهود في أوروبا وأمريكا وغيرهما. إننا نؤكد على المسلمين أن يعملوا على أن تكون لهم المواقع

المتقدمة إذا كان وجودهم فيها موجباً لنصرة القضايا الإسلامية، أو لإبعاد الضرر عنها، أو لتقوية شوكة المسلمين الموجودين هناك»^١.

ويجيز السيد فضل الله للمسلم الانتماء للأحزاب السياسية الغربية بشرط أن يكون منتصباً لحركة إسلامية ترسم له برنامجاً وتخطط له. ويرى أن السبب لذلك «هو أن الإنسان عندما يكون فرداً ويدخل في حزب غير إسلامي فإنه سوف يذوب مع هذا الجو فيأخذه التيار، بينما لا يجوز له من الناحية الشرعية الأولية أن ينتمي إلى أي حزب غير إسلامي وإلى أي تجمع غير إسلامي لاسيما إذا كان هذا الحزب أو التجمع يحمل بعض الخطوط السياسية التي قد تتحول إلى خطوط سلبية ضد الإسلام، إذا كان خاضعاً لاتحاد محوري دولي معين قد يصطدم مع المسلمين في بعض المواقع وبلحاظ بعض الأمور.

لكنه إذا كان منتصباً إلى حركة إسلامية تخطط له وترعاه، وتراقب وجوده ومسيرته هنا وهناك، فإن وجوده في هذا التجمع أو هذا الحزب سوف يكون خاضعاً للتخطيط الذي تخطط له الحركة الإسلامية مما يجعله إيجابياً للمصلحة الإسلامية بدلاً من أن يكون سلبياً تجاه هذه الأحزاب»^٢. أما ما يعوق مشاركة العراقيين كمرشحين في الانتخابات البلدية أو البرلمانية غيرهم من الأقليات كالأتراك والمغاربة، حيث يوجد حالياً ستة نواب مسلمين يتوزعون على أحزاب كالخزب الليبرالي VVD اليميني، وحزب العمل PvdA واليسار الأخضر، فيعود إلى الأسباب التالية:

١- عدم انتمائهم إلى الأحزاب السياسية كي تدرج أسماءهم في اللائحة الانتخابية للحزب، متى ما اقتنع الحزب بكفاءة ودور المسلم المهاجر المنتمي له. إذ أن الانتخابات في هولندا تتم بناءً على القوائم الحزبية. ويحتاج العضو الجديد إلى فترة طويلة من الخبرة والتجربة والمشاركة الفعالة في برامج ونشاطات الحزب بما يؤهله للإرتقاء التدريجي وبلوغ درجات حزبية عالية. علماً بأن الأحزاب السياسية، عدا بعضها كالأحزاب الدينية، لا تمنع اصلاً في انتماء المسلمين إليها، بل وحتى الأحزاب اليمينية تضم أعضاء مسلمين أيضاً لدواعي انتخابية وللحصول على أصوات المسلمين الذين يبلغ عددهم حوالي مليون أي ٣,٥٪ من مجموع سكان هولندا.

٢- يعتمد الانتماء للأحزاب الغربية أولاً على قدرة كبيرة في استيعاب تفاصيل الساحة السياسية وخلفيات الأحزاب وبرامجها. وثانياً الاهتمام الجدي بالانتماء إليها، وإدراك واعٍ لطبيعة دورها وأهميتها في المجتمع والدولة والتشريعات القانونية وسياسة الحكومة تجاه جميع

١ عادل القاضي (الهجرة والاعتراب) لساحة السيد محمد حسين فضل الله / ص ٩٢

٢ عادل القاضي (الهجرة والاعتراب) لساحة السيد محمد حسين فضل الله / ص ١٠٦-١٠٧

القضايا وتأثيرها على المهاجرين والمسلمين. فالوعي بكل ذلك بحاجة إلى رغبة حقيقية بالمشاركة وخبرة مناسبة، إضافة إلى إجادة اللغة بصورة تامة. ولذلك لا يتوقع من الجيل الأول من العراقيين المشاركة في الحياة السياسية أو دخول المجالس البلدية أو البرلمان الهولندي، لكن الأمل كبير في الجيل الثاني الذي أكمل دراسته الجامعية والمهنية في هولندا، ولا يعاني من مشكلة اللغة.

٣- التشرذم السياسي: يعاني العراقيون من حالة التشرذم السياسي أي عدم وجود تيار أو تيارات قادرة على ضم الجالية العراقية كلها وجمع أصواتها باتجاه مرشح معين أو مجموعة مرشحين بحيث يمكن إيصالهم إلى المجلس البلدي أو البرلمان مستقبلاً. فكل فرد لديه رأيه واهتماماته، وليس من السهولة إقناعه بمرشح ليصوت له، حيث تدخل عوامل كثيرة تمنع التضامن باتجاه إيصال مرشح معين لأسباب تبدأ بالخلافات السياسية والعشائرية والطائفية والفئوية وتنتهي بالحسد ودعم الآخر كيداً بهذا المرشح أو ذاك، بل يتوقع أن يصوت البعض للمرشحين الهولنديين بدلاً من العراقيين نكاية به أو بحزبه أو بمنطقته أو مدينته في العراق. وهذه الحالة موجودة للأسف لدى الجاليات المسلمة الأخرى.

٤- عدم وجود إطار قانوني يضم التجمعات العراقية في مختلف المدن العراقية. صحيح هناك (مجلس الجمعيات العراقية) الذي يضم الجمعيات الإسلامية العراقية في هولندا والذي تأسس في كانون الثاني / يناير ١٩٩٧ ويشرف على بعض النشاطات الكبيرة، لكنه لا يضم جميع الجمعيات الإسلامية العراقية (يضم حالياً ١٤ جمعية إسلامية). كما أن تأثيره غالباً على المتممين للجمعيات، في حين أن قطاعاً كبيراً من العراقيين غير متممين لأي جمعية أو منظمة. بالطبع لا يمكن إنكار تأثير المجلس على الساحة خاصة في الأحداث الهامة وتسيير التظاهرات ومخاطبة المؤسسات الرسمية والدفاع عن مصالح الجالية العراقية. وهذا المجلس بحاجة إلى تطوير دوره وتأثيره ليصبح ممثلاً رسمياً للجالية أمام الحكومة الهولندية، وقادراً على تحقيق أهداف كبيرة مثل إيصال مرشحين عراقيين للمجالس البلدية والبرلمان.

(لم تعد الجالية العراقية تمثل الفئة الأرستقراطية بين اللاجئين في هولندا أي لاجئون سياسيون ذوي شهادات عالية لكنهم غير مندمجين بنجاح في المجتمع الهولندي). بهذه الكلمات افتتح مراسل صحيفة (تراو) تقريره عن مراسم تسليم دراسة عن (العراقيين في هولندا) التي قام بها باحثان من جامعة نايميخن. وجرى تسليم الدراسة الى مستشار وزير الداخلية لشؤون الأقليات الدكتور كولن في المركز الاعلامي المجاور للبرلمان في لاهاي في ٢/٧/٢٠٠٢. تضمنت الدراسة مقدمة عن العراق من حيث التاريخ السياسي والتركيب الديموغرافي للسكان ومجيء حزب البعث وحريه الأولى والثانية التي شنها ضد ايران ثم ضد الكويت. كما تناول الاقليات الدينية والقومية حيث جاء فيها أن العرب يشكلون ٧٥-٨٠٪ (منهم ٨٠٪ شيعة و ٢٠٪ سنة) والاكراد ١٠-٢٠٪ (٩٥٪ سنة و ٥٪ شيعة) والآشوريون ٤٪ والتركمان ٢٪.

وتضمنت الدراسة احصائيات كثيرة عن اللاجئين العراقيين في هولندا حيث جاء ٢٨٥٨ لاجئ عام ١٩٩٤ ٢٤٣١ (١٩٩٥) و ٤٣٧٨ (١٩٩٦) و ٩٦٤١ (١٩٩٧) و ٨٣٠٠ عام ١٩٩٨. كما أجرت الدراسة مقارنة بين العراقيين المقبولين في هولندا وبعض الدول الاوربية كفرنسا والمانيا والسويد، إذ تبين أنه في الفترة ١٩٩٢-١٩٩٦ تم قبول ١١٦٨٤ عراقي في هولندا و ١٧٢١٨ في المانيا و ٩٣٦٤ في السويد بينما قبلت فرنسا ٧٣٠ لاجئاً عراقياً فقط.

ولاحظت الدراسة أن تركيبة الجالية العراقية تختلف كثيراً عن مكونات الشعب العراقي. فقد انخفضت نسبة العرب من ٤٥٪ عام ١٩٩٣ الى ٣٦٪ عام ١٩٩٧. في حين ارتفعت نسبة الاكراد من ٣٥٪ عام ١٩٩٣ الى ٥٢٪ عام ١٩٩٧. أما من حيث التركيبة المذهبية للجالية العراقية فقد انخفضت نسبة الشيعة من ٣٧٪ عام ١٩٩٣ الى ٢٠٪ عام ١٩٩٧، أما السنة فقد ارتفعت نسبتهم من ٦٪ عام ١٩٩٣ الى ٤٢٪ عام ١٩٩٧. ويشكل المسيحيون نسبة ١٢٪ وبقية المذاهب ٦٪. الجدير بالذكر ان ٢٠٪ من العراقيين لم يذكروا مذهبهم الاسلامي بل ورد في ملفاتهم عبارة (الاسلام) فقط.

في ١/١/٢٠٠١ بلغ عدد العراقيين ٣٨١٩٠ فرداً يشكل الذكور ٦٠٪ منهم والانات ٤٠٪ كما أن نسبة المتزوجين منهم ٤٠٪، وهي أعلى نسبة بين بقية اللاجئين الآخرين التي تكون فيها نسبة العازبين عالية. ولاحظت الدراسة وجود نسبة ضئيلة جداً من المطلقين بين العراقيين.

اما الفئات العمرية فقد شكل الاطفال (٩.١ سنوات) ٢٠٪ والمراهقين (١٠-١٩ سنوات) نسبة ١٩٪ اي ما يقارب ٧٠٠٠ شاب وشابة بينما بلغ عدد من سن ٥٠ فما فوق هو ٢٤٠٠ شخصاً. اما كبار السن من عمر ٦٥ عام فما فوق فقد بلغت نسبتهم ١٪ فقط.

ولاحظت الدراسة ان غالبية العراقيين لا يسكنون في المدن الكبيرة بل يفضلون المدن المتوسطة والصغيرة كما لا يميلون الى تغيير أماكن سكنهم بالانتقال الى مدينة أخرى. وحتى ١/١/٢٠٠٠، يتوزع العراقيون على المحافظات الهولندية الاثني عشر كالاتي: خروونكن (١٢٣٥ شخصاً) فريزلاند (٢٢٨٠) درينته (١٢٣٥) أفرأيسل (٣٧٤٥) فليفولاند (١٣٧٥) خيلدرلاند (٤١٧٥) اوترينخت (٢٧٠٠) نورت هولاند (٥٥١٥) زاوت هولاند (٩٨٩٥) زيلاند (٨١٠) نورت برابانت (٣٤٤٠) وليمبورغ (١٧٨٦).

اما للنسبة للمستوى الدراسي فقد اعتبرت الدراسة ٢٨٪ من العراقيين من ذوي التعليم العالي حيث تبين ان ٥٩٪ منهم يحملون شهادات عالية من جامعات أو معاهد فنية. وهذه نسبة عالية جداً سواء بين اللاجئين او الأجانب عموماً.

وحول علاقة العراقيين مع الهولنديين أظهر ١٢٪ فقط أنهم حريصون على اقامة علاقات مع الهولنديين في حين أظهر ٢٠٪ رغبتهم في علاقات مع عراقيين و ٣٪ مع غير هولنديين. وأظهر ٦٤٪ منهم رغبتهم في اقامة علاقات مع الجميع أي ثلث العراقيين لا يريدون إقامة أية علاقات. وهذا ما دعا معدي الدراسة الى الاستنتاج بأن الجالية العراقية تبدو منعزلة الى حد ما عن المجتمع الهولندي.

محتوى مدني اسلامي في بلاد الغرب

تميز العقد الاخير من القرن العشرين بتحقق حضور إسلامي بارز ومتجذر في العالم الغربي (اوروبا وامريكا). وبدأت مفاعيل هذا الحضور تنعكس على العالمين الاسلامي والغربي. بالنسبة للعالم الاسلامي لأول مرة في تاريخه ينمو مجتمع مدني إسلامي خارج ديار الاسلام وفي ديار مسيحية تاريخياً وعلماً حاضراً. بالنسبة للعالم الغربي لأول مرة في تاريخه تعيش في داخله جماعات مدنية ودينية مسلمة تحافظ على هويتها وتنتمي تراثها مع حرصها على التفاعل والتواؤم مع المجتمعات الغربية.

اختزن الوجود الاسلامي في هولندا خلال عقد التسعينات العديد من الإنجازات والأحداث والتطورات. والنظرة العامة تشير الى تطور الأداء الإسلامي نحو الأفضل على مستوى الحضور السياسي والإعلامي واستمرار ترسيخ البناء المؤسساتي على الرغم من السلبيات التي رافقت بعض مظاهره.

ارتفع عدد المسلمين في هولندا بشكل ملحوظ خلال السنوات العشر الماضية وذلك لأسباب عدة منها:

١- استمرار تطبيق قانون جمع الشمل حيث التحق مئات الآلاف من عوائل وأبناء العاملين المقيمين في هولندا.

٢- استمرار تدفق اللاجئين المسلمين و خاصة من العراق وايران والصومال وأفغانستان و مسلمي البوسنة. فقد ارتفع عدد طالبي اللجوء في هولندا من (٢١٢٠٠) لاجئ العام ١٩٩٠ الى (٤٥٢٠٠) لاجئ العام ١٩٩٨، وغالبيتهم من المسلمين (الجدول رقم ٢).

٣- تزايد عدد المسيحيين الذين يعتنقون الاسلام وإن كان عددهم لا يشكل نسبة واضحة بين المسلمين. إذ ارتفع عددهم من (٢٥٠٠) العام ١٩٩٠ الى حوالي أربعة آلاف مسلم هولندي العام ١٩٩٩.

السنة	عدد المسلمين	نسبتهم في المجتمع الهولندي
١٩٩٠	٤٥٨٥٠٠	%٣٠١
١٩٩٣	٥٦٦٠٣٠٠	%٣٧
١٩٩٤	٦٠١٠٨٠٠	%٣٠٩
١٩٩٥	٦٢٧٠٩٠٠	%٤٠١
١٩٩٩	٧٠٠٠٠٠٠	%٤٠٥

جدول رقم (١): تزايد عدد المسلمين في هولندا

وينتمي المسلمون في هولندا الى جنسيات متعددة لكن الاثراك (٢٤١ الف) والمغاربة (١٩٦ الف) يشكلون الغالبية العظمى ثم يأتي الصوماليون والأفغان والايروانيون والعراقيون واللبنانيون والمصريون والاندونيسيون والسوريناميون والباكستانيون.

١٩٩٨	١٩٩٧	١٩٩٦	١٩٩٥	١٩٩٠	البلد
٨٣٠٠	٩٦٠٠	٤٤٠٠	٢٤٠٠	٤٠٠	العراق
١٧٠٠	١٣٠٠	١٥٠٠	٢٧٠٠	١٧٠٠	ايران
٢٨٠٠	١٣٠٠	١٥٠٠	٤٠٠٠	١٧٠٠	الصومال
٧١٠٠	٥٩٠٠	٣٠٠٠	١٩٠٠	٦٠٠	افغانستان
٨٠٠	٥٠٠	٤٠٠	٧٠٠	١٠٠	الجزائر
١٢٠٠	١١٠٠	٧٠٠	٧٠٠	٨٠٠	تركيا
٣٨٠٠	٢٠٠٠	١٠٠٠	٤٢٠٠	---	البوسنة
١٩٠٠	٧٠٠	٧٠٠	٦٠٠	١٠٠	السودان
٢٥٨٨٠	٢٢٤٠٠	١٣٢٠٠	١٧٢٠٠	٥٤٠٠	المجموع

جدول رقم ٢: إحصائيات عن اللاجئين المسلمين في هولندا

ويتوزع هؤلاء المسلمون على خمسة مذاهب إسلامية الشافعي (أندونيسيون وهنود وأكراد) والحنفي (أثراك وباكستانيون وسوريناميون وسنة عراقيون) والمالكي (مغاربة وجزائريون وتونسيون) والشيعية الاثني عشرية (عراقيون ولبنانيون وایروانيون) والعلويون المتمثلون بأكراد تركيا كما توجد طرق صوفية منتشرة بين المسلمين كالطريقة القادرية والنقشبندية والسليمانية والدردقاوية والسشتية وملي غورش.

في العام ١٩٩٠ أصدر البرلمان الهولندي تشريعاً يسمح للأجانب الذين مضى على إقامتهم خمس سنوات بالمشاركة في انتخابات المجالس البلدية كمصوتين أو مرشحين. ويمكن للحائزين على الجنسية الهولندية المشاركة في الانتخابات العامة. وكانت مشاركتهم في انتخابات العام ١٩٩٠ ضعيفة لكنها ارتفعت في انتخابات ١٩٩٤ حيث كان وصل عدد المسلمين في مجلس البلديات حوالي ٢٥ عضواً. وارتفع العدد في انتخابات ١٩٩٨ الى ٧٥ عضواً في المجالس البلدية. أما عدد النواب المسلمين في البرلمان الهولندي فقد ارتفع في انتخابات العام ١٩٩٤ من أربعة نواب إلى سبعة العام ١٩٩٨، أي أن نسبتهم في البرلمان ٦ ٤ في المئة من مجموع ١٥٠ عضواً وهذه النسبة تساوي نسبة المسلمين في هولندا. وهذا يعتبر أفضل أداء إسلامي سياسي في أوروبا الغربية وأمريكا. ولازال أمام المسلمين شوط كبير في تحسين تواجدهم في الأحزاب السياسية الغربية ومن أجل الحصول على مناصب أرفع. فلا يزال الغرب كله يرفض تعيين وزير أو سفير مسلم أو قاضي مهما كانت كفاءتهم ومؤهلاتهم.

حقق المسلمون في هولندا إنجازات مهمة من خلال برامج الحكومات الهولندية المتعاقبة. فخلال عقد التسعينات لم يتمكن أي حزب سياسي هولندي من الحصول على أغلبية برلمانية مما اضطر الأحزاب الكبيرة للعمل في الائتلاف الحكومي والائتلاف يعني اجراء تسويات سياسية بين أحزاب مختلفة أيديولوجياً: ففي الفترة ١٩٩٠-١٩٩٦ ترأس الحزب الديمقراطي المسيحي مع حزب العمل ائتلاًفاً حاكماً. وفي انتخابات العام ١٩٩٦ ترأس حزب العمل الائتلاف الذي ضم الحزب الليبرالي والحزب الديمقراطي. وأدى حضور حزب العمل في الحكومات خلال عقد التسعينات الى تشريعات تحدم العاملين الأجانب ومنهم المسلمون كقانون جمع الشمل وقانون الضمان الاجتماعي والتقاعد ومخصصات الاولاد.

واستمرت الحكومة الهولندية في تنفيذ برنامج اندماج الاجانب في المجتمع الهولندي والذي اعتمد على جملة من المحاور القانونية والثقافية والاجتماعية والدينية تمثلت بالاتي:

١- تسهيل اكتساب الجنسية الهولندية حيث ما تزال الإجراءات والشروط ذات طابع شكلي تتركز على قضاء مدة خمس سنوات إقامة شرعية. أما اشتراط اللغة والعمل مثل بقية الدول الأوروبية فقد تساهلت الحكومة فيها كثيراً وبقيت تمنح الجنسية للعاطلين عن العمل والذين لا يجيدون اللغة الهولندية. يضاف الى ذلك صدور قانون عام ١٩٩٠ الذي يتيح اكتساب

الجنسية الهولندية مع الاحتفاظ بالجنسية الاصلية مما شجع المهاجرين من المغاربة والأتراك على اكتسابها فارتفع عدد المسلمين الذين اكتسبوا الجنسية الهولندية من ١٣ الف العام ١٩٩٠ الى ٨٣ الف العام ١٩٩٦. وفي الفترة ١٩٩٥-١٩٩٩ بلغ عدد المسلمين المتجنسين حوالي ١٧١ الفاً. وهدف الحكومة هو جعل الاجنبي والمسلم يشعر أنه في بلده طالما أنه قرر البقاء والاستقرار في هولندا هو وأولاده وأحفاده.

٢- دعم المنظمات الثقافية والاجتماعية التابعة للمسلمين ودعم العديد من البرامج التي تيسر الاندماج مثل دروس اللغة الهولندية أو دورات المواطنة للتعرف على الحياة والثقافة الهولندية للقادمين الجدد ودعم نشاطات فنية وثقافية واجتماعية بل وحتى دينية أحياناً.

٣- محاربة البطالة المنتشرة بين المسلمين حيث انخفضت نسبة العاطلين عن العمل من ١٨ بالمئة العام ١٩٩٠ الى ١٦ بالمئة العام ١٩٩٧ والى ١٢٦ بالمئة العام ١٩٩٨. في حين أن البطالة بين الهولنديين كانت ٦٦ بالمئة العام ١٩٩٦ ثم انخفضت الى ٤١ بالمئة العام ١٩٩٨.

٤- انفتاح المؤسسات الرسمية وغير الرسمية على المسلمين من خلال تشغيل العاملين المسلمين لديها وخاصة النساء المحجبات في العديد من الوظائف من دون معارضة تذكر. بالطبع لم تخف بعض المظاهر العنصرية ضد المسلمين ووصل الامر أن الشرطة الهولندية اقترحت زياً خاصاً (حجاب) للشرطيات المسلمات العاملات لديها.

تشكل المؤسسات الاسلامية البنية التحتية التي يعتمد عليها الوجود الاسلامي فهي التي تسهل نشاطاتها وتلبي احتياجاتها الثقافية والدينية وتحافظ على هويته وشخصيته الاسلامية وسنعرض لاهم هذه المؤسسات:

تضمن المادة الاولى من الدستور الهولندي حرية الدين، وتمنع أي تمييز بين الساكنين في هولندا على أساس الدين واللون والعرق والقومية. كما تضمن المادة السابعة حرية التعبير الديني لكل أشكاله وحرية ممارسة الطقوس والشعائر الدينية ما لم تخل بالنظام العام والصحة. وفي العام ١٩٩٠ كان عدد المساجد والمصليات ٣٠٠ مسجد في هولندا تتوزع على ١٢٨ مدينة ارتفع عددها الى حوالي ٥٠٠ مسجد العام ١٩٩٩. ورغم الاجراءات الادارية المطولة فإن إنشاء المسجد يحظى بدعم السلطات المحلية، وغالباً بمساعدتها من خلال توفير الأرض اللازمة مثل مسجد (أيا صوفيا) في زاندام و (مسجد الفتح) في روتردام وآخر في آلفن.

تضمن المادة ٢٣ من الدستور الهولندي حق تأسيس المدارس الدينية لجميع الأديان والمذاهب وتحظى هذه المدارس بالدعم المالي الحكومي الكامل. في العام ١٩٨٨ تم افتتاح مدرستين إسلاميتين ابتدائيتين ثم ارتفع عددها في العام ١٩٩٩ إلى ٣٥ مدرسة إسلامية تدار وفق المذهبين الحنفي والمالكي.

وفي أيلول (سبتمبر) العام ٢٠٠٠ تم افتتاح أول مدرسة ثانوية إسلامية في روتردام تضم ٣٥٠ طالباً وطالبة. كما تمت الموافقة على إنشاء أخرى العام القادم في أمستردام. ومنذ العام ١٩٩٨ باشرت الجامعة الإسلامية عملها في روتردام. وهي مؤسسة أهلية تهتم بتخريج أئمة المسلمين.

٣-١-٢-٣ المقابر الإسلامية

بدأت الحاجة إلى إنشاء مقابر إسلامية في منتصف التسعينات بعد أن كان المسلمون ولا يزال قسم كبير منهم يرسلون جثث أمواتهم للدفن في بلدانهم الأصلية، حين أخذت بعض المقابر المسيحية تخصص قطعاً للقبور الإسلامية. ثم تطورت بمطالبة المسلمين بتخصيص مقابر خاصة بهم تتوفر فيها الشروط الخاصة بشعائر الدفن والتغسيل. وتم تأسيس مقابر إسلامية في مدن روتردام ودوردريخت وأوترخت وآرنم ولاهاي وخرنونكن وبيرخن أوب زوم وزوله.

٣-١-٣ الجمعيات

من أجل تنظيم شؤون المسلمين ومن أجل أداء أفضل والتمتع بالامتيازات التي يضمنها القانون باتت الحاجة ملحة لإنشاء جمعيات ومنظمات إسلامية وثقافية، بعضها يدير المساجد والمصليات، وآخر يهتم بالبرامج الثقافية ونشاطات الشباب والنساء وغيرها. ويرى بعض المراقبين أن عدد الجمعيات الإسلامية تتجاوز ١٥٠٠ جمعية ومنظمة ومؤسسة. وتتوزع المنظمات الإسلامية على العرقيات التي ينتمي إليها المسلمون. وترتبط غالبية المنظمات في اتحاد أو مجلس إسلامي للتنسيق فيما بينها، ومنها:

أ- المنظمات الاندونيسية التي شكلها المسلمون المولوك مثل (الجالية المولوكية المسلمة في هولندا) و(مؤسسة الشباب الاندونيسي المسلم في أوروبا).

ب- المنظمات الباكستانية والسورنامية كمنظمة (بعثة العالم الإسلامي) في أمستردام التي يديرها الشيخ نوراني من باكستان و(المنظمة الإسلامية العالمية في لاهاي) و(منظمة المسلمين العالمية) في لاهاي التي تضم ٢٨ مسجداً.

ج- المنظمات التركية، وأقدمها (منظمة المركز الاسلامي في هولندا) في اوترخت التي تأسست العام ١٩٧٢ وتضم ١٨ مسجداً و١٢ مركزاً للشباب. وتأسست العام ١٩٧٩ (منظمة الفيدرالية التركية الاسلامية) في روتردام وتضم ٩٦ مسجداً. وهناك (الفيدرالية الاسلامية الهولندية) التابعة لحركة (ملي غورش) التي تضم ٢٠ مسجداً و٤٠ منظمة شباب.

د- المنظمات المغربية وأقدمها (اتحاد المنظمات المغربية المسلمة) الذي تأسس العام ١٩٧٨ تساعده الحكومة المغربية وتدفع رواتب ٦٥ اماماً. وفي العام ١٩٩٠ تأسست (الفيدرالية الهولندية للمنظمات المغربية المسلمة) التي تضم ٢١ مسجداً.

هـ- المنظمات الاسلامية العراقية وأقدمها (الجمعية الثقافية العراقية) التي تأسست ١٩٩١ ثم ازداد عدد المنظمات الاسلامية العراقية حتى بلغ العام ١٩٩٩ حوالي ٢٠ جمعية تتوزع على مدن مثل (المركز الثقافي الاسلامي) في اوترخت، و (جمعية النور) في خروننكن، و (جمعية الحكمة في دنبوش)، و (جمعية اهل البيت) في الميرا، و (جمعية الرسول الاعظم) في آيباودن. وتضم حوالي ١٤ جمعية إسلامية عراقية في (مجلس الجمعيات العراقية في هولندا) الذي تأسس العام ١٩٩٦. ويقوم المجلس بالدفاع عن المسلمين العراقيين أمام الجهات الرسمية، كما ينظم نشاطات إسلامية وثقافية وسياسية وتسليم مذكرات احتجاج أو مطالب للجهات الرسمية والدولية.

و- المنظمات الاسلامية الهولندية مثل ((منظمة النساء)) للمسلمات الهولنديات في أمستردام و((مركز المعلومات الاسلامي في لاهاي)) للمسلمين الهولنديين.

لم تخل مسيرة الوجود الاسلامي في هولندا من المشاكل والصعوبات ما يعرقل حسن أداء الحالية وتماسكها من أجل أن يكون لها دور أكبر وتأثير أوسع في الحياة السياسية والاجتماعية. ويمكن الاشارة إلى بعض هذه العقبات والمشاكل:

لانضيف شيئاً لو قلنا بأن النظام الديمقراطي الغربي هو نظام مؤسسات. فكل نشاط أو حركة مهما كانت لابد لها من إطار قانوني ونظام داخلي يحدد أهدافها ووسائل لبلوغ هذه الاهداف وواجبات اعضاءها وصلاحيات مسؤوليها وميزانيتها وغير ذلك. وقد أخفق المسلمون لحد الآن في تشكيل إطار قانوني يمثلهم جميعاً أمام الحكومة الهولندية التي تصر على وجود مجلس يضم كل المسلمين على مذاهبهم وتياراتهم المختلفة كي يمكن التعامل والتشاور معه في شؤون المسلمين وكي يتم تجنب الطعن في التمثيل الاسلامي أو صلاحية الممثلين وتصبح مسؤولية

المجلس واضحة سواء تجاه المسلمين أو أمام الجهات الحكومية. ومنذ السبعينيات شعر المسلمون بحاجة الى مجلس إسلامي يمثل جميع المنظمات الاسلامية المختلفة على المستوى القومي. وقد أنشئت مجالس مغربية وتركية وسورينامية وهولندية بعضها مقتصر على جماعة ذات أصل معين وبعضها مشترك. وقد فشلت كل الجهود من أجل الاتفاق على إطار قانوني واحد لتمثيل المسلمين لأن أية صيغة تقترح يجري استبعاد بعض المنظمات الاسلامية منها لأسباب سياسية أو قومية أو مذهبية، بل يجري أحياناً تكفير بعض الفرق الاسلامية أو عدم الاعتراف بشرعيتها ورفض التعاون معها من قبل بعض الاطراف.



في بداية التسعينيات كانت الجالية المسلمة على موعد لخوض تجربة صعبة. فبعد اجتياح القوات العراقية للكويت في آب (أغسطس) ١٩٩٠ وبدء حشد دول الحلفاء وبعض الدول الاسلامية قواتها بهدف طرد القوات العراقية حدث إرتباك واضح في الموقف الاسلامي. فقد اصطف مسلمو شمال أفريقيا وبخاصة المغاربة والجزائريين إضافة الى الفلسطينيين ضد الدور الأمريكي وخرجت تظاهرات تندد بأمريكا والغرب.

هذا الموقف كان يتضمن خطأين: الاول أنه أعطى انطباعاً بأن المسلمين يقفون الى جانب العدوان على مسلمين آخرين واحتلال بلدهم. والآخر أن الرأي العام الغربي كان مع قرار الدول الغربية وأغلبية دول العالم بانسحاب القوات العراقية حتى لو كان بالقوة. فأصبح المسلمون متهمين بأنهم ضد مصالح الدول الغربية التي يعيشون فيها. هذا الموقف غير المحسوب جعل صورة المسلمين تزداد تشوهاً في الاعلام الغربي وفي ذهن المواطن الغربي.

وتكررت الحالة اثناء انتفاضة الاقصى العام ٢٠٠٠ حيث خرجت تظاهرات اسلامية تأييداً للانتفاضة لكن حدثت اخطاء اعطت نتائج عكسية بسبب رفع شعارات عنصرية ونازية ضد اليهود. استغلت الصحافة الهولندية هذه الأخطاء وشتت حملة ضد المسلمين الذين لا يحترمون القانون الذي يعاقب على رفع مثل هذه الشعارات.

وفي تطور جدير بالاهتمام أحرز المسلمون نجاحاً مهماً عندما استطاعوا مؤخراً الضغط على السلطات المحلية في روتردام لمنع أوبرا (نساء المدينة) التي تسيء لشخصية اسلامية كأم المؤمنين عائشة والسيدة فاطمة الزهراء (ع). فقد تمكن أعضاء مسلمون في المجلس البلدي من عرض القضية أمام المجلس وأن الاوبرا تمثل جرحاً للشاعر المسلمين وقد تثير غضبهم وتحث اضطرابات في المدينة فاستجابت بلدية روتردام طلبهم وألغت عرض الاوبرا.

٣- مازالت نسبة كبيرة من المسلمين تتورط في أعمال مخالفة للقوانين مما يؤدي الى سجنهم. اذ بقيت صورة الشباب المسلم من بلدان تحمل سمات العنف والتورط بتجارة المخدرات. فقد بلغت نسبة السجناء المسلمين ١٨٪ من مجموع السجناء في هولندا. وهذه النسبة عالية جداً اذا ما قورنت بنسبة المسلمين في هولندا البالغة ٤٥٪ أي نسبة السجناء المسلمين تبلغ أربع مرات نسبتهم في المجتمع الهولندي. وحدثت جرائم من نوع آخر ساهمت في الحملات الاعلامية ضد الاسلام حيث ارتكب بعض المسلمين جرائم قتل بنات وسيدات مسلمات تحت مبرر غسل العار والدفاع عن الشرف. وهي طريقة وحشية لا اسلامية في معالجة الخلل الأخلاقي لأنها تعتمد على الشبهة والتقول والاشاعة. وحتى لو ثبتت فلا يمكن أن ينصب كل واحد نفسه قاضياً ومنفذاً للقانون.

الفصل الرابع

فصلنا النظرية

يعيش في أوروبا الغربية حوالي عشرين مليون مسلم ينتمون إلى مختلف المذاهب واللغات والقوميات. ويشكلون أقلية كبيرة حيث صار الاسلام الدين الثاني في البلدان الأوربية بعد المسيحية. وتواجه هذه الأقلية الكبيرة مشاكل وتحديات كثيرة، بعضها يعود لأسباب ذاتية في أبناء الجالية وتقاليدها وثقافتها، وبعضها يعود إلى البيئة الأوربية والقوانين ونظرة المجتمعات المضيفة للإسلام والمسلمين.

الثقافة هي أنماط متكاملة من المعرفة والعقيدة والسلوك الانساني. ولذلك تعرّف الثقافة بأنها تتألف من اللغة، الأفكار، العقائد، الأعراف، المنوعات، القواعد، المفاهيم، الأدوات، التقنية، أو أعمال مثل الفن والشعائر والمراسيم وبقية العناصر. إن تطور الثقافة يعتمد على قدرة الانسان على تعلم ونقل المعرفة إلى الأجيال اللاحقة.¹

إن جذور الثقافة الأوربية تعود إلى عالم البحر المتوسط القديم، أي إلى الرومان واليونان، إضافة إلى المسيحية. ولكنتنا "مدينين قليلاً إلى الصين الغابرة والامبراطوريات الهندية والمنغولية، أو إلى المغول في الهند"، حسب ليمان.² تعود الثقافة الأوربية الحديثة إلى تفاعل العديد من العوامل التاريخية والسياسية والدينية والاجتماعية. لقد تأثرت الثقافة الأوربية بالحضارات الشرقية وخاصة الحضارة الاسلامية. ويعترف الكثير من الباحثين والمؤرخين الغربيين بدور الحضارة الاسلامية في ازدهار الحضارة الغربية. وحتى المصادر اليونانية التي اعتمد عليها المفكرون الأوربيون في العصور الوسطى في تطوير نظرياتهم وفلسفاتهم «كانت مترجمة من اللغة العربية ووصلت المسيحية عبر القسطنطينية وطليلطة، والتي هي نتاج أجيال من العلماء العرب».³ وهذا يعني أن الثقافة الغربية هي نتاج لعدة حضارات انسانية تبلورت ضمن الخصائص الأوربية.⁴ تاريخياً، بقيت أوروبا لقرون عديدة تحت تأثير الحضارات الأخرى. فالحضارة الغربية هي

The New Encyclopedia Britannica (1992) vol. 3 p. 784 1

2 Lehmann A. G. (1984) *The European Heritage: An Outline of Western Culture* p. 13

3 Lehmann A. G. (1984) *The European Heritage: An Outline of Western Culture* p. 64

4 Eisenstad S. N. (1987) *European Civilization in a Comparative Perspective* p. 47

نتاج لخليط من الهلينية والرومانية والشرق أوسطية والجرمانية مع الثقافات السابقة. ولا توجد أمة أوروبية حديثة تدعي سوى أنها نتاج لتزاوج ثقافي. فبريطانيا هي نتاج للهجرات النرويجية والسكسونية والنورمانية. كما أنه أغنيت بالمهاجرين المتأخرين الهولنديين والاطالين واليهود والبولنديين والأوكرانيين. وبامكان كل البلدان الأوروبية أن تعد قائمة مشابهة بالهجرات والاختلاط حيث يظهر تأثير العرب والهنود والباكستانيين والأترك وغيرهم من المهاجرين الذين يشكلون أرضية مباشرة للوجود الاسلامي في أوروبا المعاصرة.¹

بواجهة المسلمين تجاه الثقافة الغربية

يواجه المسلمون في أوروبا العديد من التحديات، فالبيئة الأوروبية التي يعيشون فيها، تتكون من مجموعة من الأعراف والتقاليد والقيم التي تحتزن عناصر القوة بفضل التقدم التكنولوجي والهيمنة السياسية والثقافية. لا حاجة للقول بأن المهاجرين المسلمين جاءوا غالباً من العالم الثالث الذي يعاني من أزمات ومشاكل اقتصادية وسياسية واجتماعية. ولعل هجرتهم إلى أوروبا تعود إلى هذه الأسباب والمشاكل في بلدانهم. فقد جاء معظمهم لتحسين أوضاعهم الاقتصادية. وكثير منهم قدموا من مناطق قروية وريفية وذوي مستوى دراسي منخفض.² وقد جلب هؤلاء المهاجرون «أمتعتهم الثقافية» معهم والتي تمثل مكوناً أساسياً في نظرتهم للبيئة الجديدة. كما أنه تمثل دافعاً لسلوكهم وفكرهم، على الأقل في المرحلة الأولى من استقرارهم في مدينة أوروبية.

إن ردود أفعالهم تجاه الثقافة الأوروبية تعتمد على مستوى التعليم والفترة التي يقضونها في أوروبا. إن الهجرة تترافق دائماً مع تغيير ديني. فعلى مستوى نظام الرمز الديني (العقيدة والشعائر) تكون هذه التغييرات تدريجية، وغالباً على مستوى الأفراد. وقد تحدث تغيرات راديكالية في العقائد الدينية والممارسات من جيل إلى آخر. ترى ما هي تأثيرات التغيرات في الأوضاع الاقتصادية والثقافية والاجتماعية للمسلمين المهاجرين؟ وما دورها في التأثير على دور الدين وأهميته باعتباره المكون الأساسي لثقافة المسلمين؟ فهل تؤدي إلى تقليص تدريجي لعلاقة المسلم بدينه؟ وهل تؤدي إلى تطوير بديل آخر لديه؟

يمكن تقسيم استجابة وتفاعل المسلمين في الغرب تجاه الثقافة الأوروبية إلى ثلاث أقسام:

1- رفض الثقافة الغربية

وهذا رد فعل طبيعي من أولئك الذين يعتبرون الثقافة الغربية تشكل تهديداً لثقافتهم الأصلية. وهذا الرد يمكن أن يعزى إلى الدور الهام الذي يلعبه الدين في المجتمعات

1 Nielsen J.S. (1992) Muslims in the West p. 150

2 Sander A. (1999) The Road from Musalla to Mosque p. 81

الإسلامية التي جاء منها المهاجرون. فالإسلام يمثل الوجه الرئيسي في هذه المجتمعات، وهو الذي يمنح الأفكار المركزية التي تحتل دوراً كبيراً في منظومات السلطة وروح الأمة. وفي العقدين الأخيرين أصبح الإسلام القوة الملهمة للآراء السياسية، كما صار له سلطة مهيمنة في المجتمعات المسلمة.

عندما يأتي المهاجرون المسلمون إلى أوروبا يتملكهم شعور عميق بالغرابة والعزلة والتمييز. وهذه تعود إلى عدة أسباب مثل الاختلاف في العادات والتقاليد والمحيط الاجتماعي وعدم القدرة على النطق بلغة المجتمع الجديد وضالة التواصل الاجتماعي مع الأوربيين. وتصدق هذه الحالة بشكل كبير على الجيل الأول من المهاجرين المسلمين. فالجيل الأول يكون عادة أكثر توجهاً نحو الدين، ويبدى اهتماماً كبيراً لبناء المساجد.¹ وهذا لا يعني أن المساجد قد فقدت جاذبيتها إلى حد معين بين الشباب المسلم أو الجيل الثاني. وتعزى هذه الظاهرة إلى استخدام لغة البلد الذي قدم منه المهاجرون في المساجد وهي اللغة التي لا يستطيع كثير من الشباب متابعتها أو فهمها. وتعود إلى الأساليب والمواقف التقليدية المتعلقة بكيفية التعامل مع القضايا الاجتماعية والثقافية المعاصرة في المجتمع الأوربي. وتعود أيضاً إلى تركيز المساجد وخطباء الجمعة على قضايا ومشاكل غير أساسية وخاصة تلك التي لا تحظى باهتمام الشباب مثل سنن الوضوء وآداب الصلاة وأحكام التلاوة وأخبار المجتمع الإسلامي في القرن السابع الميلادي.

إن الجيل الأول من المهاجرين يبدي نزعة نحو «الخارج» من أجل التمسك بقوة بثقافته ودينه باعتباره نوعاً من التعمير النفسي والاجتماعي.² فهم يتشبثون بعاداتهم ودينهم لأنهم يعتبرونها تمثل أسس هويتهم. وغالباً ما يدافعون عن عادات معينة ويعتبرونها إسلامية دون مبرر فقهي بل فقط لأنهم اعتادوا عليها. فهم يجردون العادات والقيم الأوربية خطرة على هويتهم الإسلامية. كما أنهم يرفضون الانحراف الأخلاقي أو الخروج من الطريق المستقيم. كما يجدون في النظام الأوربي العلماني والقيم المادية مخالفة كاملة للعقيدة الإسلامية.

وهناك فئة أخرى تعتقد بوجهة النظر أعلاه -أي رفض الثقافة الغربية- وهي بعض الحركات والمنظمات الإسلامية التي تنتمي إلى التوجهات السلفية.³ فهناك العديد من الحركات الدينية التي تنشط بين أوساط الأقليات المسلمة في أوروبا مثل حركة المهاجرون التي يقودها أبو حمزة المصري أو حزب التحرير التي يقوده مصطفى بكري في لندن أو حركة

1 Ooijn H. van (1991) Religion and emanhgkah: A Study of the Development of Moroccan Islamic Organizations in a Dutch Town p. 169

2 Sunier Th (1996) Islam in Beweging p. 5

3 Nielsen (1992) p. 114

الخلافة التي يقودها الشيخ صهيب في ألمانيا. وقد جاءت من بلدها الأصلي للإستمرار في حضورها ونشاطاتها في ظروف ملائمة توفرها البيئة الأوربية. ولدى هذه الحركات انتقادات كثيرة لكل أشكال التسوية بين الاسلام الأصيل والأعراف الاجتماعية المحلية. وهذا يعني رفض وهجوم شامل لكل أشكال التعبير الديني في الأوساط الشعبية والتي لا تجد لها أرضية في الشريعة. إن نشاطات وتعاليم هذه الحركات غالباً ما تتضمن نقداً شديداً وجدياً للمسلمين العاديين وخاصة أولئك الذين ينحدرون من الجيل المهاجر حيث يتناول النقد أسلوبهم الحياتي وورعهم الديني.¹

وقد يعود رفض الثقافة الأوربية إلى خلفيات دينية وسياسية. ففيما يتعلق بالدوافع الدينية يعيش المهاجرون المسلمون في بيئة مسيحية. وبالرغم من أن الدول الغربية مبنية على أساس أنظمة علمانية لكن المسيحية ما تزال تمتلك تأثيراً على النظام القانوني والحياة الثقافية والقيم الاجتماعية. ففي النظام القانوني الهولندي يوجد أكثر من ١٥٠ شرطاً قانونياً يوضح بأن المجتمع الهولندي ما يزال مبنياً بشكل كبير على المسيحية.² فمثلاً: العطلة الأسبوعية والعطل الرسمية غالباً ما تكون ذات أساس ديني أو مناسبة دينية مثل عيد الفصح وعيد الميلاد وسانت كلاس ورأس السنة وعيد القيامة وغيرها.

كما قد يُعزى رد الثقافة الأوربية إلى جذور الصراع التاريخي بين الاسلام والمسيحية وخاصة مع المسيحية الغربية التي تراكمت مع عهد الاستعمار الغربي للبلدان الاسلامية. بالاضافة إلى ذلك هناك حساسية معينة بين أوساط المسلمين تجاه المسيحية لصلتها بالنشاطات التبشيرية المسيحية. فكثير من المهاجرين المسلمين يعتقدون أن أي اتصال مع جماعة مسيحية يتضمن بالضرورة دعوة لتنصير المسلمين. فالمسلمون يوافقون ابتداءً بأن الهدف من الحوار مع المسيحية لا يقتضي ولا يمكن له أن يكون ذا هدف تنصيري. ولكنهم مقتنعون بأن كل أشكال الحوار ما هي إلا أساليب جديدة للتنصير.³ وهذا ما يفسر اهتمام بعض الأفراد والمنظمات الاسلامية في الجدل الديني مع المسيحيين الأوربيين.

إن الهيمنة الاقتصادية والسياسية الغربية على العالم الاسلامي أدت إلى ردود أفعال كبيرة ضد الغرب سواء بين المثقفين المسلمين أو الجماهير المسلمة، وسواء بين أوساط الحركات اليسارية الراديكالية أو الإسلامية الأصولية. وهم يرون بأن الغرب تدفعه نزعة قوية للسيطرة على البلدان الاسلامية سياسياً واقتصادياً. وقد جلب المهاجرون هذه الرؤية معهم عندما

1 Nielsen (1992) p. 114

2 Shadid W.A. & van Koningsveld P.S. (1991) Institutionalization and Integration of Islam in The Netherlands p. 110

3 Abdel Razaq S (1999) Islamic Anti-Christian Polemics in the West p. 5

استقروا في اوربا. كما أن وسائل الاعلام الاسلامية والقنوات الفضائية العربية والاسلامية التي الأقليات المسلمة تلعب دوراً رئيسياً في تركيز هذا الموقف تجاه الغرب. فقضية سلمان رشدي عام ١٩٩١ وحرب الخليج عام ١٩٩١ وأحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ ثم الهجوم على أفغانستان، ثم الحرب على العراق عام ٢٠٠٣ كلها تمثل محطات لتعبئة الجماهير المسلمة ضد الغرب. وتستخدم عادة في هذه الحملات الاعلامية مختلف الرموز الدينية والسياسية ضد الهيمنة الغربية.

وهناك دوافع نفسية واجتماعية تحث على رفض الثقافة الغربية وعلى الانعزال عن الحياة العامة في الغرب. فهناك قسم من المهاجرين تعتريه نزعة الشعور بالمرارة بسبب «انهيار الآمال بالمستقبل. فقد فقدوا كل امل بالعودة إلى بلدهم. كما أنهم يرون أبنائهم يكبرون دون قيم حقيقية. وبالنتيجة يكون هؤلاء الناس محبطين ولا يشعرون بأنهم جزء من التيار الاجتماعي الرئيسي، كما يشعرون بالعجز من تغيير الأوضاع»^١.

٢- الذوبان في الثقافة الغربية

يلاحظ بعض الباحثين بأن الجيل الأول من المهاجرين غالباً ما يصبحون أكثر نشاطاً للتدين منه في بلدانهم الأصلية، لأن الإلتزام الديني يحميهم من فقدان الهوية ومن الاغتراب. بالنسبة للجيل الثاني، على أية حال، يلاحظ أن الحاجة للتمسك بأهداب الدين تبدو أقل قوة. فهؤلاء يجتربون المجتمع المضيف وثقافته بطريقة تختلف عن طريقة آبائهم.^٢ وتعزى هذه الظاهرة إلى إثنية العقائد الدينية، فالتفكير المزدوج للديانات كالمسيحية والاسلام الذي يمثل مرحلة سابقة في التطور الديني. ويرى هؤلاء الباحثون بأنه في المجتمع الحديث [أن كل فرد عندما كان طفلاً قد تعلم عقيدتين مختلفتين، بينما سيواجه قليلاً أو كثيراً تعارضاً بين البناء الديني للواقع وبين النظرة العلمانية للعالم. في البيت وفي المسجد، يتعلم الشاب المسلم شكلاً من الاسلام حيث يتضمن أساطير بل وحتى عناصر سحرية والتي تحتل موقعاً هاماً. في حين يتعرض هذا الشاب المسلم في المدرسة الثانوية الغربية ومن وسائل الاعلام إلى مناخ ثقافي مادي وغير ديني، بل حتى ضد الدين.^٣

إن الابتعاد عن الدين الاسلامي، حتى في حدود ضيقة، لا يمكن أن يعزى إلى تأثير التعليم أو وسائل الاعلام فقط. فهناك الكثير من العوامل الاجتماعية والثقافية الأخرى. من هذه الأسباب

1 Ooijn H. van (1991) 171

2 Lans J.M. van der & Rooijackers M. (1992) Typs of Religious Belief and Unbelief among Second Generation Turkish Migrant p. 56

3 Lans J.M. van der & Rooijackers M. (1992) 57

هو غياب المعرفة الدينية التي على الوالدين والمنظمات الاسلامية توفيرها للشباب المسلم. فهذا الدور يبدو غائباً أو يحتل موقعا هامشياً في حياتهم.

إذن فالجيل الثاني سيبحث عن انسجام مع الثقافة والمجتمع الأوربيين. إن الثقافة الأوربية المهمة تمارس ضغطاً على الشباب المسلم بحيث تجعلهم يميلون إلى إظهار أنهم أنفسهم لديهم هوية أوربية. «إن غالبية الشباب المسلم يعتبرون الاندماج بأنه التكيف مع البلد الذي تعيش فيه بالقدر الذي يسمح به الاسلام. فعلى كل شخص أن يحترم قوانين ومقررات المجتمع، ولكن يجب أن يكون هناك مكان لبعض المقررات. فبعض القيم والتقاليد والأعراف الاسلامية تشكل جزءاً متكاملًا مع المجتمع»¹.

إن الواقع يشير إلى أن هؤلاء الشباب المسلمين، الذين يدافعون عن هذا الموقف، لديهم صلات ضعيفة تجاه ممارسة الشعائر الاسلامية. ففي هولندا على سبيل المثال يقوم ٤٪ فقط من الشباب المسلم بأداء الصلاة خمس مرات يومياً. في حين يرى ٢٢٪ منهم أن الاسلام لا يحتل أهمية في حياتهم الشخصية، بينما يرى ٨٧٪ منهم أنهم يميلون إلى المجتمع الهولندي. وغالبية هؤلاء الشباب يشعرون بأن لديهم العضوية الكاملة في الإلتناء إلى المجتمع الهولندي، فهم يحبون العيش في هولندا، وتعودوا على المجتمع الهولندي، وليس لديهم أي اعتراض للمساهمة مع الشعب الهولندي، ويشعرون أنهم مقبولون من قبله.² وغالبيتهم يريدون أن ينظر إليهم باعتبارهم مسلمين أوربيين وليس أجنب. وهم يعتقدون أن اكتساب الجنسية الأوربية يجعلهم مقبولين كأوربيين، وأن يحصلوا على نفس حقوق الأوربيين الأصليين.³

٣- التكيف عبر تطوير الفكر الاسلامي

مع زيادة أعداد الأقليات المسلمة في الغرب، أدرك بعض الشباب المسلم المتعلم جيداً بأنهم سيعيشون لفترة طويلة في أوربا. وأدركوا أيضاً بأن الأجوبة التقليدية المتوارثة من آباتهم على مشاكل معينة يمكن أن تؤثر فقط عندما يعزلون أنفسهم داخل جيب ثقافي ينظر لنفسه.⁴ هذه الحقيقة دفعتهم إلى البحث عن خيار ثقافي يمكن للعناصر الثقافية الأوربية أن تتفاعل فيه مع خلفيتهم الثقافية والدينية وتشكيل هوية ثقافية مشتركة Multicultural Identity فهم يبحثون عن منهج ينسجم مع البيئة الأوربية بحيث يسمح لهم بأن يكونوا أوربيين دون أن يقطعوا صلتهم بالاسلام. لقد بدأوا بتطوير بعض الأفكار والمفاهيم من خلال تغيير بعض

1 Sunier Th (1996) p. 178

2 Rooijackers M. (1992) pp. 69-71

3 Sunier Th. (1996) p. 178

4 Nielsen (1992) p. 113

التقاليد المحلية المتوارثة، مثل المشاركة بالعمل المنزلي أو العناية بالأطفال من قبل الوالدين معاً. وغالباً ما يجري تفسير هذه التغييرات على أنها إسلامية وشرعية، بل وأنها أكثر صحة، بالمصطلح الإسلامي، من عادات والديهم. ويعتقدون أن الاندماج Integration في المجتمع الأوربي لا يعني أن يفقد المسلمون دينهم وخلفيتهم الثقافية. وقد بدأ هؤلاء الشباب المتعلمون بمناقشة ودراسة النصوص الدينية التي تعتبر المصادر الهامة. فالقرآن الكريم والحديث الشريف يتعرضان للبحث والشرح والتنقيب وكأنهما نصوص معاصرة دون تدخل من قرون من الخبرة الإسلامية التي قام بها العلماء المسلمون. وبالنتيجة صارت النصوص تفسر على ضوء الحاجات والأساليب المعاصرة المبنية على الأدوات المعرفية المتحصلة من خلال التعليم في المدارس الأوربية.¹

ويتعامل هؤلاء الشباب المسلمون بوعي مع الأحكام الإسلامية معتمدين على فهمهم للنصوص الدينية. ولذلك فقد يواجهون الضلال وسوء الفهم وسوء التفسير لأن التعامل بعلمية مع هذه النصوص يحتاج إلى مؤهلات علمية وإطلاع ومعرفة بقواعد الفقه وأصوله، والتي غالباً ما يفقدونها. ولحسن الحظ فإن نزعة تطوير الفكر الإسلامي في الغرب تحظى بتأييد ودعم بعض الفقهاء المسلمين المتورين مثل الشيخ يوسف القرضاوي والشيخ محمد طنطاوي والسيد محمد حسين فضل الله والسيد علي السيستاني والسيد محمد سعيد الحكيم.² ويبيد هؤلاء العلماء وغيرهم اهتماماً ملحوظاً لمشاكل الأقليات المسلمة في الغرب. ومن خلال فتاواهم وآرائهم يقومون بتطوير العديد من الأحكام والمفاهيم الإسلامية بشكل تنسجم مع البيئة الغربية وتسهل حياة المسلمين هناك. فقد أصدرت فتاوى مثل جواز اكتساب الجنسية الغربية، وجوب طاعة القوانين الغربية، جواز العمل في أجهزة الشرطة والجيش والمؤسسات الغربية، جواز الانتماء للأحزاب السياسية الغربية، جواز التقاضي لدى المحاكم الغربية. وأكثر هذه القضايا حظيت بنقاشات طويلة بين أوساط المسلمين في الغرب، كما أن بعضها كانت ضمن المسائل الخلافية. لم تظهر هذه المشاكل في البلدان الإسلامية بل في بيئة علمانية ومسيحية مثل أوروبا.³

بالنسبة للمسلمين الملتزمين، لا يمكنهم ممارسة أو فعل الكثير من الأمور دون رخصة

1 Nielsen (1992) p. 113

2 في السنوات الماضية أصدر هؤلاء العلماء العديد من الفتاوى التي تهم الأقليات المسلمة في الغرب. كما أصدرت كتباً هاماً تعالج قضايا المسلمين في الغرب. أنظر: القرضاوي (2001) فقه الأقليات المسلمة، محمد حسين فضل الله (1999) الهجرة والاعتناق، علي السيستاني (1998) الفقه للمغتربين، محمد سعيد الحكيم (2002) مرشد المغترب.

3 يعاني بعض العمال المسلمين من مشاكل معينة مثل العمل في مصنع لتعليب لحم الخنزير، أو عدم وجود فرصة مناسبة لأداء صلاة الظهر والعصر أو بسبب عدم وجود مكان للصلاة. كما يعاني المسلمون عموماً من مشاكل أخرى مثل تأخر صلاة العشاء إلى منتصف الليل صيفاً، عدم إمكانية حضور صلاة الجمعة أثناء العمل، عدم الحصول على عطلة في الأعياد الإسلامية، عدم حصول النساء المحجبات على عمل بسبب ارتدائهن الحجاب، حدوث مشاكل مع المدارس بسبب الحجاب أو دروس السباحة والرياضة، عدم وجود طعام حلال في المستشفيات والسجون والتكنات العسكرية...

شرعية. إذ يجب أن يكون واضحاً بأن هذا العمل جوائز أم غير جوائز. ويبدل علماء الإسلام جهوداً كبيرة لحل المشاكل التي تواجه الأقليات المسلمة في أوروبا من خلال التوصل إلى حلول منسجمة مع البيئة الأوروبية. فقد منحوا الشرعية مثلاً للقضايا المار ذكرها أعلاه لكي يتم الإلتزام بها في محيط علماني. وقد استطاعوا بنجاح حل العديد من المشاكل المعقدة والقيود الموجودة في المجتمعات الأوروبية والتي تمنع المسلمين المهاجرين من المشاركة في هذه المجتمعات. بجهودهم ونظرتهم الثاقبة ووعيهم فتحوا الأبواب أمام المسلمين ليكونوا عناصر نشيطة في هذه المجتمعات.

يواجه المسلم المهاجر في الغرب حالة استثنائية لأنه يعيش في محيط غير محيطه الأصلي. إذ يعيش في بيئة علمانية ومجتمع مسيحي، وثقافة أوروبية تختلف عنه مكوناته الروحية والاجتماعية والأخلاقية. ويواجه تحديات يومية في الفكر والسلوك والانفعال والتكيف، وكلها تتطلب منها اجتياز الصعوبات، واحراز النجاح المنشود في حياته، مع المحافظة على دينه وقيمه.

المسلم المقيم

طالما أن المسلم المقيم في الغرب يعيش بين مجتمعات لا إسلامية فهو معني بأمرين أساسيين: الأول: وعي الذات: أي يجب عليه أن يعرف إسلامه وعقائده وتعاليمه وأحكامه. وأن يطلع على خلفيات ومبررات هذه الأحكام بشكل علمي وأصيل. وأن لا تقتصر معلوماته على الجوانب الفقهية فقط بل يجب أن يوسع دائرة معارفه لتشمل التاريخ والثقافة والفكر وكل ما يتعلق بالثقافة الإسلامية. فيجب عليه أن يحرص على اقتناء الكتاب الإسلامي أو المجلة الثقافية أو المحاضرة الهادفة أو الندوات التي تستضيف شخصيات علمية وإسلامية، كي يزداد علماً وثقافة وإطلاعاً. وأن لا يجعل الجانب المادي أهم من إطلاعه على دينه وعقيدته.

الثاني: وعي الآخر: أي الإطلاع المتواصل على المجتمع الذي يعيش فيه، يعرف عن عاداته وتقاليده وأديانه وطوائفه، وعقائدها ومشاكلها واختلاف بعضها عن الآخر. وأن يطلع على الوضع الاجتماعي وأحوال الأسرة والعلاقات العائلية والأخلاق المتعارف عليها، والمشاكل الاجتماعية التي تعانها. كذلك يطلع على الأوضاع السياسية والقانونية والثقافية وكل جديد فيها. ويتأتى ذلك من خلال متابعته لبرامج التلفزيون والصحف والمجلات الصادرة في هذا البلد. وإذا كان لا يجيد اللغة فيمكنه أن يسأل من يعرفها أو يطالب المسلمين المثقفين والواعين بالمجتمع الغربي أن يحدّثوه عنه، أو يتابع بعض المطبوعات التي تتابع أوضاع المجتمع الهولندي. وفي كل الأحوال يجب أن لا يتأفف من سماع محاضرة أو يتضايق من حديث ثقافي أو ديني لأن الحديث والمحاضرة يفيدوه هو أولاً لأن المحاضر يعرف ذلك قبله.

ولمواجهة هذه التحديات عليه أن يتسلح بالعلم والمعرفة والثقافة. أن يتعلم لغة المجتمع، كي يفتح على ثقافته وتاريخه وأخلاقه وعاداته. فيستطيع أن يتواصل معه، ويوصل أفكاره إليه. وأن يبحث عن مصادر المعرفة التي يجب أن يتسلح بها.

مصادر المعرفة

هناك ثلاثة مصادر رئيسية تمثل القنوات المتاحة للمفرد وهي:

- ١- معرفة سمعية: تتمثل في تلقي المعلومات من الراديو وأشرطة التسجيل التي تتضمن مختلف القضايا الفكرية والثقافية والدينية.
- ٢- معرفة بصرية: تتمثل في مطالعة الكتب والمجلات والصحف والتقارير وتصفح صفحات الأنترنت حيث تتوفر معلومات هائلة في شتى الميادين.
- ٣- معرفة سمعية-بصرية: تتمثل في مشاهدة الأفلام والبرامج السينمائية والتلفزيونية سواء من محطات محلية أو محطات فضائية، وكذلك مشاهدة أفلام فيديو وأقراص كومبيوترية CD تتضمن معلومات ضخمة وموسوعات في مختلف العلوم والمعارف. وهناك أيضاً حضور الندوات والمؤتمرات والمحاضرات والاجتماعات وخطب الجمعة وغيرها.

دور الكتاب في الثقافة

ما زال الكتاب يحتل أهمية كبرى في مصادر المعرفة التي يتلقاها الفرد رغم تطور وسائل الاتصال وثورة المعلومات. ولا يعني ذلك غمط حق الصحف والمجلات التي بعضها يزود القارئ بمعلومات قيمة في شتى المواضيع، إضافة إلى وجود مجلات متخصصة تنشر دراسات وبحوث هامة في الفكر والثقافة. ولكن الكتاب يختص بمميزات تفتقدها بقية المصادر منها:

- ١- تناول موضوع معين بعمق من مختلف الجوانب والأبعاد بشكل يوصل القارئ إلى معرفة تامة بالموضوع.
- ٢- الكتاب غير مقيد بعدد صفحات أو حجم معين، فالكتاب له الحرية في مناقشة الفكرة، وتوفير المصادر اللازمة لدعم رأيه، كما يستطيل التفصيل في دحض الآراء المخالفة له. ولذلك نجد بعض الكتب تتألف من عدة مجلدات، بل بعض المراجع تبلغ عشرات الأجزاء كالتفاسير والموسوعات وكتب الحديث.
- ٣- سهولة التعامل مع الكتاب في النقل والحفظ وسهولة الوصول للموضوع من خلال التبويب والفهارس.

ماذا نقرأ؟

يفضل للمسلم الملتزم قراءة الكتب في ما يهم:

- ١- الدين والثقافة الإسلامية حيث يخصص وقتاً معيناً لمطالعة كتب الفقه والتفسير والتاريخ والعقائد. وفي مرحلة أخرى يطالع عن علم النفس والاجتماع والحضارة الإسلامية والدول الإسلامية عبر التاريخ والحركة العلمية للمسلمين.
- ٢- متابعة قضايا فكر الآخر من عقائد وفلسفات وقضايا جديدة وكل ما يفكر به الآخر، العلماني أو المسيحي. ولا بأس بقراءة شيء عن الأدب والفن والمسرح وثقافات الشعوب.

كيف نقرأ الكتاب

- ١- يقرأ الكتاب من مقدمته، حيث يوضح الكاتب في المقدمة سبب اختياره الموضوع، ويبين مختصراً لمحتويات الكتاب، والمنهج الذي اعتمده في البحث. ومن هنا يمكن محاكمة الكتاب فيما إذا كان قد اتبع المبادئ التي ذكرها في المقدمة أم لا. فمن الغالب أن يتحدث الكاتب عن مبادئ أساسية في الموضوعية والعلمية وعدم الانحياز، ولكنه عندما يصطدم بفكرة تخالف رأيه أو نظريته أو عقيدته أو مذهبه، سرعان ما ينحاز إليه ضارباً عرض الحائط ما أقر على نفسه به في المقدمة.
- ٢- كذلك يجب متابعة منهج الكاتب في العرض والتحليل والاستنتاج، وفيما إذا كانت الفكرة تقوده أم هو يقود الفكرة. فالحالة الثانية تعني أن لديه فكرة معينة يريد اثباتها بأية وسيلة، فيبحث في الروايات والأحداث التاريخية عما يؤيدها، وهذا صحيح بشرط أن لا يغفل الروايات والأحداث التي تعارض فكرته فيحللها ويناقشها حتى يتبين صوابية منهجه واستنتاجاته، لا أن يهملها ويعتبرها غير موجودة.
- ٣- متابعة الألفاظ والعبارات والمصطلحات التي يستخدمها، فيجب أن يوضح أولاً المقصود بالمصطلح أو اللفظة التي سيستخدمها في كتابه حتى لا يكون هناك غموض أو إبهام أو معنى في ذهن القارئ غير المعنى الذي يقصده هو. وغالباً ما تتضمن كتب الجدل الديني ألفاظاً وعبارات جارحة لوصف الخصوم للمزيد من إهانتهم. إن استخدام أوصاف غير التي يرضاها الخصم لنفسه توحى بعدم موضوعية وحيادية الكاتب حيث من أبسط قواعد الحيادية أن نسمي الأشياء بأسمائها لا بما نراه نحن. فكما نرفض من يسمي الشيعة بالرافضة يجب أن نقول (أهل السنة والجماعة) لأنهم يطلقون هذا الاسم على أنفسهم ويستخدمونه في كتبهم وأدبياتهم.

٤- عند الشك في روايات الكاتب أو التفسيرات التي يذكرها يجب التأكد من ذلك بالرجوع إلى المصادر في الهوامش والحواشي التي يذكرها. فكثير من هذه الحواشي لا علاقة له بالموضوع أو جرى اقتطاع جزء منه ليخدم الموضوع الذي يناقشه الكاتب، ويترك بقية الخبر أو الرواية التي تخالف وجهة نظره أو تسيء للخصم.

قام الباحث ناصر بن عبدالله القفاري بإعداد رسالة دكتوراه طبعت بعنوان (أصول مذهب الشيعة الامامية الإثنا عشرية: عرض ونقد) عام ١٩٩٤ من قبل جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية. حيث يحاول إثبات التجسيم عند الشيعة فينقل رواية وردت في كتاب (التوحيد) للشيخ الصدوق حين سأل أحد أصحاب الإمام الصادق (ع)، اسمه أبو بصير: هل يرى المؤمنون الله عز وجل يوم القيامة؟ فقال (ع): نعم. إلى هنا ينقل هذا الأكاديمي هذه الرواية ليوحى من هذا الجزء المقتضب بالرؤية العينية في حين أن بقية الرواية تشير إلى الرؤية بالبصيرة والعقل. وهذا خلاف الأمانة العلمية والنقل الصحيح عن مصادر الآخرين.

٥- عند القراءة يفضل أن يكتب ملاحظات حول ما يقرأ أو معلومات تفيده أثناء الحديث والنقاش مع الآخرين في نفس الموضوع. ويجبذ أن يصنع له كشكولاً مبوباً (فقه، تاريخ، اجتماع، تاريخ، عادات، احصائيات، وغيرها) يدون فيه ملخص فكرة قرأها مع ذكر اسم الكاتب والمصدر والصفحة. وبعد مدة سيجد عنه مادة كثيرة صالحة أن تكون محاضرة أو موضوعاً يلقيه على إخوانه في مناسبة ما.

٦- كذلك يمكن وضع ملفات خاصة معنونة ومبوبة تدرج فيها المعلومات من الكتب والمجلات والتلفزيون، وتصوير بعض مقالات المجلات أو إدراج قصاصات الصحف من معلومات وصور، وملخصات لندوات أو خطابات لشخصيات معروفة أو غيرها.

تمتاز الحياة في الغرب بحرية التعبير وحرية الدين التي تكفلها الدساتير الغربية. ويارس المسلمون شعائرهم بكل ما تتضمنه من طقوس في المساجد وغيرها وكذلك مناقشة مختلف الامور الدينية والفكرية والاجتماعية والسياسية ونشر وتوزيع الكتب وإلقاء الخطب والمواعظ والدروس الدينية. ويعتقد كثير من المسلمين ان حرية التعبير مطلقة او واسعة جداً بحيث لا يوجد ما يمكن الامتناع عنه. وهذا خطأ كبير لأن الحريات في الغرب ايضاً مقيدة بقيود قانونية وعرفية. واذا ما تجاوزنا حرمة تداول القضايا التي تمس الأمن القومي او تجارة المخدرات والسلاح أو الأعمال الارهابية التي تمس أمن المواطنين والمجتمعات فهناك ممنوعات كثيرة تمس حرية التعبير نجد من الضروري الانتباه إليها لأن إهمالها يؤدي الى نتائج خطيرة تمس المسلمين والجاليات الاسلامية. ولعل من أهم القضايا التي يحرم تداولها في وسائل الاعلام والصحافة الغربية وبل وحتى في المؤسسات الفكرية والاكاديمية والسياسية هي قضية معاداة السامية اي معاداة اليهود. ولسنا بصدد التهويل او التخويف ولكن التحذير من وقوع المسلمين في الغرب في هذا المطب، وبالتالي تحمل عقوبات قانونية يفرضها القانون الغربي على مرتكبي معاداة السامية. اما المسلمون في الدول العربية والاسلامية فلا يوجد مثل هذا المفهوم لديهم كما ان الاعلام الحكومي والشعبي لا يعير اهتماماً لليهود. وهذا الامر يعني أيضاً ضرورة الامتناع عن نشر او اذاعة اي نص ديني يزدرى اليهود او ينتقص منهم في وسائل الاعلام الاسلامية في الغرب وكذلك في المساجد وخطب الجمعة والتظاهرات والاجتماعات والندوات والمؤتمرات الاسلامية ومناهج المدارس الاسلامية في الغرب.

مصطلح ومعاداة السامية

تعني معاداة السامية كل عبارة أو تعبير أو نص أو رسم أو حركة أو موقف يدين اليهود أو ينتقص منهم. وتعرف الموسوعة البريطانية معاداة السامية - antsemitism بأنه (العداء او التمييز العنصري ضد اليهود). وتضيف (استخدم هذا المصطلح لأول مرة عام ١٨٧٩ من قبل الالماني وليام مار في إشارة منه إلى الحملات المعادية لليهود في وسط أوروبا آنذاك. ويستخدم هذا المصطلح بشكل واسع في الوقت الحاضر ويتضمن استعماله خطأ لأنه يتضمن العداء لكل الساميين. فالعرب وغيرهم هم ساميون أيضاً ولكن مع ذلك ليسوا مقصودين بمعاداة السامية كما يفهم منه عادة. فالمصطلح صار مختصاً بالعداء لليهود أو الأحكام المسبقة

ضدهم أو كل رأي أو فعل من قبل العرب أو بقية الساميين. أما النازيون الذي ارتكبوا مذبحه الهولوكوست فعدائهم للسامية يتضمن بعداً عنصرياً. فقد استهدف اليهود بسبب خصائصهم البيولوجية وحتى الذين اعتنقوا ديانات أخرى أو أن والديهم اعتنقوا ديانة أخرى).

ورغم ان انتقاد إسرائيل أمر عادي لأنها وحدة سياسية معينة كبقية دول العالم وأن نقدها يصنف بأنه نقد لسياسة دولة ما لكن اليهود غالباً ما يريدون وضع متقدي إسرائيل في خانة معاداة السامية. كما يسعون لاعتبار أي نقد لمؤسسة يهودية أو شركة أو شخصية يهودية في قضية لا علاقة لها بالدين أو السياسة بأنها معاداة للسامية. فقد اتهموا الحكومة البلجيكية بمعاداة السامية بسبب موافقتها على شكوى ضد رئيس الوزراء الاسرائيلي شارون من أجل محاكمته على الجرائم التي ارتكبها في مذبحه صبرا و شاتيلا في لبنان عام ١٩٨٢. وعندما سقطت طائرة العال الاسرائيلية على حي سكني في أمستردام عام ١٩٩٢ وبدأ التحقيق في الحادث اضطرت لجنة التحقيق لاستدعاء مدير الشركة وبعض المسؤولين فيها لأن الطائرة كانت تحمل مواد كيميائية غير مصرح بنقلها عبر مطار مدني وأن تصاريح النقل ذكرت أنها مجرد عطور. وسرعان ما شنت الصحافة الصهيونية حملة على هولندا متهمة إياها بالعداء للسامية. وسرعان ما خضعت الحكومة الهولندية للضغوط وأوقفت التحقيق ولم تدن الشركة ولم تطالبها بتعويضات كبقية حوادث سقوط الطائرات مثل قضية لوكربي.

١٠-١٠

خلال الحقبة التي اعقبت الحرب العالمية الثانية استطاعت الجاليات اليهودية في أوروبا من الضغط على المؤسسات الدستورية والتشريعية والإعلامية بشكل بات محضوراً إنكار الهولوكوست أو التشكيك برقم الستة ملايين يهودي الذين ذهبوا ضحيتها. كما صار من الامور المعاقب عليها قانونياً أية إشارة أو تلميح يزدرى اليهود أو أخلاقهم أو طباعهم، حتى صار من الصعب استخدام كلمة يهودي إلا في مقام المدح والاطراء. ولأسباب سياسية ونفسية جرى إدراج عقوبة العداء للسامية في القوانين الأوروبية مثلاً:

١- في هولندا يمنع تداول كتاب (كفاحي) لهتلر أو تكثيره أو بيعه أو شرائه أو عرضه في الأنترنت أو أية وسيلة أخرى. أما النسخ الموجودة في المكتبات فيمكن نقل مقتبسات منها مع ضرورة التعليق على تلك المقتبسات ونقدها، كما تنص التعليقات. الجدير بالذكر أن هذا الكتاب ممنوع أيضاً في بقية الدول الغربية عدا أمريكا.

- ٢- في شهر نيسان / ابريل ١٩٩٤ أعلنت المحكمة الدستورية الألمانية أن أية محاولة لإنكار حدوث مذبحه الهولوكوست لا تتمتع بحماية حق التعبير التي يمنحها الدستور الألماني.
- الامر الذي دفع بالبرلمان الألماني الى سن تشريع يجرم أية محاولة لانكار وقوع الهولوكوست ويعاقب عايمها بالسجن خمس سنوات، بغض النظر عما اذا كان المتحدث يؤمن بما ينكره أم لا.
- ٣- تتضمن الدساتير الأوربية مواد تمنع التمييز أو الإهانة أو الحط من شأن أي شخص بصورة علنية بسبب الدين أو القومية أو الخلفية العرقية.
- ٤- في بريطانيا يوجد قانون يمنع سب المقدسات المسيحية واليهودية فقط ون غيرها من الأديان. ولذلك فشل المسلمون في مقاضاة سلمان رشدي مؤلف كتاب (آيات شيطانية) لأن القانون لم يشمل (ولا يزال) منع سب الدين الاسلامي.
- ٥- في عام ١٩٩٠ أقرت الجمعية الوطنية الفرنسية (البرلمان) قانون (فابوس - جيسو) الذي يحظر مجرد مناقشة حقيقة الهولوكوست في الحرب العالمية الثانية.

بين ضحايا ورجال السامية في الشرق

عند تناول قضايا اليهود وشؤونهم في مقال أو خطبة أو قصة أو فلم أو مسرحية تخاطب الجمهور الغربي أو المسلم يجب التأي في الطرح و طبيعة النقد بسبب حساسية المجتمعات الغربية من قضية الاتهام بالعداء للسامية، وبسبب وجود قوانين تعاقب مرتكبيها عقوبات قاسية ونذكر بعض القضايا المعاصرة:

- ١- في شهر مايس / مايو ٢٠٠٢ أدت تصريحات جمال قارصلي النائب في ولاية الراين الشمالي في ألمانيا الى انسحابه من الحزب الليبرالي بسبب تصريحاته التي شبه فيها ممارسات الجيش الاسرائيلي في المدن الفلسطينية بـ (الممارسات النازية). وقد اعتبرت هذه التصريحات معاداة للسامية. ولخطورة التهمة قام قارصلي برفع دعوى قضائية ضد رئيس المجلس المركزي لليهود في المانيا بول شيجل ونائبه ميشائيل فريد مان بتهمة التشهير والقذف وطالبها بسحب تهمة (العداء للسامية) التي حاولا إلصاقها به والاعتذار عما ألحقاه به شخصياً من ضرر.
- ٢- في ٧ / ١ / ١٩٩٨ بدأت محاكمة الفيلسوف الفرنسي روجيه غارودي بسبب كتابه (الاساطير المؤسسة للسياسة الاسرائيلية). ورغم أن غارودي قدم دفاعاً علمياً وتاريخياً، واستشهد بنصوص يهودية وأقوال سياسيين يهود، ورغم أنه لم يستخدم كلمة يهودي بمعنى إحتقاري، بل ركز نقده على نقد القيادات الصهيونية والسياسة الاسرائيلية، وغم

أنه لم ينكر جرائم النازية ولا التصرفات العنصرية التي مورست ضد اليهود لكن الأجواء المشحونة ضده، أرادت إدانته بأي شكل كان. وبالفعل تم تجريمه وتغريمه مبلغ عشرين ألف دولار طبقاً لقانون فابوس - جيسو.

٣ - في عام ٢٠٠٠ جرت محاكمة المؤرخ البريطاني ديفيد إيرفنج بسبب كتاب له انكر فيه وقوع الهولوكوست. وكان إيرفنج قد ألقى محاضرات بهذا الصدد في كندا فتعرض للإعتقال والترحيل فوراً.

٤ - في عام ١٩٩٦ أصدر قاض بمقاطعة كويك حكماً بالسجن مدى الحياة على امرأة قامت بذبح زوجها بسكين وقال تعقيماً على الحكم (لقد أثبت ان المرأة تستطيع أن تكون أكثر عنفاً من الرجل حتى النازي لم يعذب ضحاياه اليهود قبل قتلهم). أثار هذا التعقيب موجة من الاحتجاج ضد القاضي من قبل الجمعيات النسائية واليهود فاضطر لتقديم اعتذار ولم تهدأ العاصفة حتى اضطر للاستقالة من منصبه.

٥ حكمت محكمة هولندية في مدينة دوردرخت بالحبس لشخص قام ببيع نسخة قديمة من كتاب (كفاحي) الممنوع تداوله.

بمبادرة من مؤسسة «منظمات اللاجئتين الهولندية» عقد للفترة من ٥ إلى ٦ حزيران ١٩٩٨ أول مؤتمر للحوار بين اللاجئتين المقيمين في هولندا وهولندين. وكانت قد جرت تحضيرات للمؤتمر طوال عام حيث تضمن سلسلة من الاجتماعات الشهرية لمناقشة المواضيع التي عرضت في جدول أعمال المؤتمر. وقد شاركت منظمات اللاجئتين مع مسؤولي بعض المنظمات الهولندية ذات العلاقة باللاجئتين لبلورة أفكار وآراء تم إدراجها في ورقة أعمال المؤتمر. وشاركت في المؤتمر أربعة جمعيات عراقية إسلامية هي مجلس الجمعيات العراقية والجمعية الثقافية العراقية والمركز الثقافي في أوترخت ومنظمة حقوق الإنسان في العراق / هولندا. وكان لهذه الجمعيات مشاركة فعالة وهامة في طرح ومناقشة جميع القضايا المعروضة. وقد اعترفت ورقة أعمال المؤتمر بجهودها عندما ذكرت ما نصه (تولي بعض المنظمات العراقية إهتماماً خاصاً لدور الإسلام في عملية الاندماج). وقد ضم المؤتمر ٤٠ لاجئاً و ٤٠ هولندياً يمثلون مختلف المؤسسات والمنظمات ذات العلاقة أو المهتمة بقضايا اللاجئتين. وقد تم تقسيم المشاركين على مجموعات عمل تضم لاجئتين وهولندين. وتقوم كل مجموعة بمناقشة قضية معينة مثل العمل، التعليم والدراسة، الهوية، العلاقة مع الهولندين، الشباب، آباء وأبناء، النساء وكيف ينظر كل طرف إلى الآخر.

١١- مناقشة قضايا الهوية والثقافة

ناقشت هذه اللجنة قضايا الهوية والثقافة. وقد شارك ممثل الجمعية الثقافية العراقية في هذه اللجنة حين أكد على دور الإسلام في تشكيل الثقافة الشرقية، وضرورة التعرف على الإسلام من مصادر علمية بعيداً عن الإعلام المضاد والتضخيم والأحكام المسبقة. وأشار إلى أهمية احترام وفهم ثقافة الآخر دون تدخل أو سخرية.

١٢- حوار بين السويداء العراقية والسويداء السورية

وعندما سألت إحدى السيدات الهولنديات: لماذا يجب علي أن أعرف عنكم كثيراً أو أغير قناعاتي؟ أنتم أتيتم إلى هنا ويجب أن تتكيفوا مع هذا المجتمع أجب: إن قدوم الأجنبي جاء برغبة الحكومة الهولندية ووفق سياساتها. فقد قامت هولندا بإستقدام مئات الآلاف من العمال

المغاربة والأترك في الستينات والسبعينات. أما بالنسبة للاجئين، فإن هولندا واحدة من الدول التي وقعت على إتفاقية جنيف عام ١٩٥١ الخاصة باللاجئين وبرتوكول نيويورك ١٩٦٧. وهي بذلك ألزمت نفسها بقبول اللاجئين على أراضيها. وإذا أرادت عدم إستقبال اللاجئين فيجب أن تعلن الإنسحاب من الإتفاقيات المذكورة. وهذا أمر يسيء إلى سياستها ووزنها الدولي. بالطبع قبول اللاجئين لا يعني مجيء أشخاص خالين من الهوية والديانة والثقافة كي يتم ضخ الثقافة الهولندية إلى أذهانهم ونفوسهم من أجل التكيف مع المجتمع الجديد. إن كل مجموعة من اللاجئين لها خلفيتها ودينها وقيمتها وعاداتها.

إن النظام الديمقراطي، الذي هو محور السياسة والتشريعات الهولندية، يمنح جميع الأفراد حقوقاً، ويحترم ثقافتهم وديانتهم ولغاتهم. إن النظام الديمقراطي لا يعارض المجتمع المتعدد الثقافات طالما يحترم الجميع القانون. إن المجتمع الهولندي قد تغير. لقد نشأ جيل جديد من الهولنديين لهم أب أو أم أجنبية، بسبب الزواج المختلط. وهناك أكثر من نصف مليون أجنبي حاصل على الجنسية الهولندية، ولهم جميع الحقوق والإمتيازات التي يكفلها القانون. إذن هل من الأفضل التعنت ليؤدي يوماً إلى التصادم؟ أم التفاهم والحوار وإحترام أحدنا الآخر والعيش بسلام؟

التفاهم والحوار وإحترام أحدنا الآخر والعيش بسلام؟

من جانب آخر لماذا تعتقد أن على الأجانب فقط تغيير ثقافتهم؟ ألا تلاحظين أن الهولنديين المهاجرين في أمريكا وكندا وأستراليا ونيوزلندا وجنوب أفريقيا يحافظون على لغتهم وثقافتهم وعاداتهم. فهناك لديهم مدارس وصحف ونوادي هولندية. ويرفعون صور ملكة هولندا في بيوتهم ويرفعون العلم الهولندي وكذلك العلم البرتغالي الملكي. لماذا لم يتركوا ثقافتهم ولغتهم هناك ويندمجوا مع المجتمعات التي يقيمون فيها منذ مئات السنين.

التفاهم والحوار وإحترام أحدنا الآخر والعيش بسلام؟

وقد طرح عليها السؤال التالي: كلما انتقلت إلى مسكن جديد، دعوت الجيران من أجل التعارف وبناء علاقة طيبة، لكنني أفجأ بعدم الإهتمام بإقامة علاقة، حتى بعد تلبية الدعوة الوحيدة. فالهولندي لا يدعو جاره إلى بيته بل يكتفي بالتحية الباردة عند مدخل البيت. فكيف يمكن إقامة علاقة معه؟ أجابت السيدة: الهولنديون لا يميلون إلى التقارب، بل دائماً هناك مسافة مع الآخر. ولا توجد علاقة تقام مع الجيران. أعتقد أنك سلكت الطريق الخطأ. العلاقات والصدقات بين الهولنديين تتم عبر العمل أو الإنتهاء إلى نادي أو جمعية أو صدقات قديمة أثناء الدراسة أو عبر الأطفال في المدرسة، حيث تنشأ علاقات بين الأهل.

من القضايا التي استحوذت إهتمام المشاركين في الحوار هي التصور المرسوم في ذهن كل طرف تجاه الآخر. وما هي السلبيات والإيجابيات التي يراها فيه. فقد تحدث الطرفان بكل صراحة وحرية ودون حساسية.

الإيجابيات:

- ١- الكرم والضيافة
- ٢- الشجاعة
- ٣- الإخلاص
- ٤- التضامن بين المجموعة الواحدة
- ٥- العلاقات الأسرية القوية
- ٦- المعنويات العالية
- ٧- المقاومة والتطلع نحو الحياة
- ٨- الإصرار والمثابرة
- ٩- التنوع الثقافي
- ١٠- قوة العاطفة.

السلبيات:

- ١- عدم الإلتزام بالمواعيد
- ٢- كثرة الطلبات
- ٣- إنتظار الآخرين لمساعدتهم ولا يأخذون زمام المبادرة
- ٤- عدم الإهتمام بما يُعد لهم من برامج ونشاطات
- ٥- عدم التضامن مع اللاجئيين الآخرين
- ٦- عدم الثقة باللاجئيين الآخرين من غير جنسيتهم
- ٧- عدم المباشرة في طرح القضايا بل الدوران والإلتفاف والمقدمات
- ٨- إلحاح كثير حول النقود
- ٩- إتهام الهولنديين بسهولة بالعنصرية عند عدم تلبية طلباتهم.

الإيجابيات:

- ١- مساعدة الآخرين في الشارع
- ٢- التحية والابتسامة
- ٣- إحترام الوقت والموعد
- ٤- التفكير كثيراً قبل إنفاق النقود
- ٥- الإهتمام بنظافة وتزيين البيوت
- ٦- المباشرة في طرح الموضوع.

السلبيات:

- ١- العزلة والإنفرادية
- ٢- ضعف المشاعر والعواطف
- ٣- عدم إحترام الأطفال لآبائهم
- ٤- المرأة الهولندية أنانية وتهتم بنفسها أكثر من بيتها وأولادها
- ٥- ضعف العلاقات والصدقات
- ٦- كثير والكلام
- ٧- الفضول
- ٨- الغيرة بين الأصدقاء
- ٩- البخل
- ١٠- التحلل الجنسي.

يتضمن القرآن الكريم والسنة المطهرة الكثير من النصوص التي تؤكد بوضوح على حرية التعبير. والتأكيد يأتي على أمرين لا ينفصلان هما: أولاً: أن القرآن الكريم يقر بتعددية الآراء وتنوعها، حيث يقول تعالى (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة، ولا يزالون مختلفين) (هود: ١١٨). أي أن الاختلاف بين البشر ليس أمراً طبيعياً فحسب، بل أنه أمر إيجابي، وأنه يحدث بمشيئة الله تعالى. كما يعترف القرآن الكريم بأن اختلاف الآراء سيؤدي إلى التنازع والصراع، إذ يقول سبحانه (فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول) (النساء: ٥٩). أي إذا ما وجد اختلاف أو نزاع سياسي أو ديني أو اجتماعي فيجب العودة إلى القرآن والسنة المطهرة لحل هذا الاختلاف. ولكن في كل الأحوال يجب أن تكون هناك آراء متعددة في المجتمع الإسلامي تعكس تنوعه وتياراته الفكرية، (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب) (الزمر: ١٨). فهناك آراء وأقوال مختلفة في أية قضية يختار المسلم أفضلها وأحسنها. فالقرآن يقر صراحة بوجود تعددية في الأقوال وإلا لما استطاع المسلم أن يختار أحدها.

والأمر الثاني: هو أن يتمتع المجتمع، رجالاً ونساءً، بالحرية في التعبير عن آرائهم ومواقفهم، حيث يقول تعالى (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) (التوبة: ٧). أي أن المجتمع الإسلامي يشقيه الرجولي والنسوي يتمتع بحرية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي لا يقتصر على الأمور الدينية والعبادات والعقائد بل يشمل كل النشاط الإنساني في التفكير والنقد والمعارضة وتقييم الأمور السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية.

يحدثنا القرآن الكريم عن قصة المرأة المسلمة التي ظاهرها زوجها فصارت حراماً عليه حسب القانون الجاهلي، فجاءت إلى الرسول (ص) تشكو إليه ما حدث، وأن ذلك القانون ظالم، وأنها تحب زوجها ولا تريد مفارقتها، فطلبت من الرسول (ص) أن يجد لها حلاً إسلامياً شرعياً، فأخبرها (ص) بأنه ليس لديه حل آني، وأنه ينتظر الأمر من الله تعالى، فأخذت تجادل الرسول (ص) حتى جاء جبريل بالأمر الإلهي فقال (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها، وتشكي إلى الله، والله يسمع تحاوركما، إن الله سميع بصير) (المجادلة: ١). فهنا نرى الرسول (ص) قد استمع إلى شكوى هذه المرأة، ولم يطردها أو يغضب من جدالها. كما أن الله تعالى لم يلها أو يقلل من شأنها لأنها تجادل الرسول (ص) بل جاءت الآية لتقرر أن الله تعالى نفسه كان

يستمع لها وللحوار بينها وبين الرسول (ص). وكان الرسول هو رئيس الدولة أيضاً، والمرأة إحدى الصحابيات المؤمنات من عامة الشعب.

وهذا يشير إلى دور المرأة في المجتمع الإسلامي، حيث كانت النساء يشاركن في الأمور الاجتماعية، بل والسياسية. فقد بايعت النساء المسلمات الرسول (ص) وأمره الله تعالى بقبول بيعتهن حيث يقول (يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبایعنك.. فبايعهن واستغفر لهن الله) (المتحنة: ١٢).

التطور التاريخي لحرية التعبير

على مر العصور شهد المجتمع الإسلامي تطورات سياسية وفكرية كبيرة. فبعد وفاة الرسول (ص) بقي الحكم أقرب للنظام الجمهوري حيث تم اختيار أربعة خلفاء بأساليب متنوعة، ولم يكن بينهم قرابة عائلية. واستمر العهد الراشدي تسع وعشرين عاماً (٦٣٢-٦٦١م). ثم تحول نظام الحكم الإسلامي إلى نظام ملكي وراثي بدءاً من الدولة الأموية (٦٦١-٧٥٠م) ثم الدولة العباسية (٦٥٠-١٢٥٨م) ثم الدولة الفاطمية (١٢٦١-١٥١٦م) إلى الدولة العثمانية (١٢٩٩-١٩٢٤م).

وخلال هذه العهود الطويلة لم يتجسد البناء النظري لحرية التعبير، التي كفلها القرآن الكريم، على أرض الواقع إلا نادراً في ظل تلك الأنظمة الدكتاتورية. صحيح أن هناك بعض الحوادث المنفردة التي ارتفع فيها صوت معارض بوجه الخليفة أو ولاته وحكومته ولكن لم يقبل فيها ذلك الصوت إلا نادراً. ويعود ذلك إلى طبيعة الخليفة وخلفيته الفكرية والسياسية والدينية وإلى طبيعة الصوت المعارض والظروف السياسية آنذاك. ولكن بشكل عام لم توجد حرية تعبير في المجتمع الإسلامي إلا في حدود ضيقة أو في أمور لا علاقة لها بالسياسة أو السلطة. وللأسف بقيت المبادئ الإسلامية العظيمة التي تؤكد حرية التعبير مجرد أفكار ونظريات.

إن هذه المبادئ الإسلامية لم تجد طريقها للتجسيد على أرض الواقع، ولذلك أدت النزاعات السياسية إلى صراعات مسلحة وأعمال عسكرية بين المعارضة والسلطة. ولم يكن هناك خليفة أو سلطان قادر على الاستماع إلى نقد معارضيه ومواقفهم الراضية لحكمه. ولهذا صار الموت هو الأسلوب الوحيد لانتقال السلطة من خليفة إلى آخر، سواء بالموت الطبيعي وصعود ولي العهد أو بالانقلاب العسكري واغتيال الخليفة أو مؤامرة داخل البلاط تنجح في قتله أو عزله. وفي ظل ذلك القمع السياسي المنظم لم يكن بالامكان أن يعبر الناس عن آرائهم بحرية، فاضطروا إلى العنف والقوة.

إن غياب المفاهيم الإسلامية التي تنظم حرية الرأي لم يكن لأسباب سياسية فقط بل دينية أيضاً. فقد سعى الخلفاء والسلاطين إلى البحث عن تأييد علماء الدين المرتبطين بالبلاط ودعم أنظمة حكمهم. وكان هناك العديد من العلماء، الذين ارتبطوا بالسلطات الحاكمة، قد أخذ يفسر النصوص الدينية بشكل يؤيد الخليفة ويخضع الناس لسلطوته. أي يقدم العلماء التبريرات الشرعية والفقهية لبقاء الحاكم، ودعوة الناس لتحمل ظلم الحاكم وفسقه وفجوره. وصار أي معارض سياسي يتهم بالخروج عن طاعة الخليفة ثم الخروج عن الشريعة الإسلامية مما يسهل عملية ملاحقته وقلته بتهمة البغي والعصيان والفساد في الأرض. وبذلك جرى طمس معالم المبادئ السامية لحرية التعبير، ولم يعد هناك صوت مسموع سوى صوت الحاكم والحكومة. وحتى مبدأ الشورى الرائع بقي مجرد أفكار تناقش في بطون الكتب واعتباره قضية أخلاقية ليس أكثر، ولم يترجم إلى الواقع سواء عبر تشكيل مجلس شورى أو مجلس لممثلي الشعب.

ولم يجر قمع المعارضة السياسية فقط بل اتسع الاقصاء الفكري ليشمل جميع المعتقدات والأفكار والعقائد التي لا تنسجم مع الخط الرسمي للسلطة. لقد هوجمت المعارضون من منظور ديني واتهموا بالكفر والردة. لقد استخدم ذلك الأسلوب لعزل المعارضة عن الأمة ولتبرير مطاردتها ومحاربتها. وكانت نتيجة ذلك الصراع السياسي-الديني تصانيف هائلة في القضايا الكلامية والعقائدية ومؤلفات كثيرة في الرد على هذه الفرقة وتلك الطائفة حتى أصبحنا نتملك ثروة كبيرة في الأدبيات المذهبية. وتمسكاً بالقديم أخذ الفقهاء المعاصرون يعتبرون هذه الأدبيات جزءاً من التراث الفقهي والعقائدي للمسلمين ثم تزداد تقديساً في نظر غالبيتهم فتصبح جزءاً من الشريعة الإسلامية. ومن هنا وضع الحجر على كل من يتجرأ عليها أو يناقش أفكارها آراء الفقهاء القدماء. إن آراء العلماء الأقدمين تمثل في الواقع آراءهم الاجتهادية الشخصية. كما تعكس تلك الآراء في نفس الوقت الظروف السياسية والاجتماعية التي كانوا يعيشونها، وكذلك المستويات الفكرية للفقهاء والمجتمع آنذاك.

لقد كان ذلك وجهاً للعملة، أما الوجه الآخر فكان مختلفاً تماماً. إن حركة الفكر الإسلامي والسياسي لم تكن راكدة بل كانت حركة ديناميكية طوال التاريخ الاسلامي. فقد ظهرت ونشأت أعداد غفيرة من الفرق والمذاهب والطوائف إضافة إلى الحركات السياسية والثورات والانتفاضات السياسية-الدينية العديدة ضد الدولة الإسلامية. هذا الواقع يجعل بالإمكان القول أن التاريخ الإسلامي هو تاريخ الفرق والعقائد والتيارات الدينية والحركات السياسية. إن التراث الفكري الإسلامي شهد فرعاً من العلوم الاسلامية يتناول شتى الحركات والفرق

الدينية، وهو ما يسمى بـ(الفرق) أو (الملل والنحل). إذ يتناول مؤلفو هذه التصانيف أفكار وعقائد كل الفرق من إسلامية أو مشركة أو غير موحدة بل وحتى ملحدة ومادية متواجدة في المجتمع الإسلامي. والمؤلف هو القاضي والحكم في تكفير هذه الفرقة أو تفسيق تلك الطائفة مصرأ على أن فرقة هي الفرقة الناجية فقط. إن هذه المؤلفات تعكس التنوع الفكري والعقائدي في المجتمع الإسلامي طوال التاريخ.

كل مجتمع لديه مجموعة من الضوابط التي تقيد حرية أفرادها ومنها ما يحدد حرية التعبير. أي أن هناك تقاليد تحدد ما هو المسموح وما هو الممنوع في سلوك الفرد والجماعة. وهذه القيود تنشأ من طبيعة الأعراف والقيم والنظام السياسي والعلاقات الاجتماعية-الاقتصادية. ويحدد القانون الهولندي القيود المفروضة على حرية التعبير بأنها لا تخرق (الأمن القومي، والوحدة الوطنية، والنظام العام، أو ما يعاقب عليه القانون، وحماية الصحة العامة، وحماية أسماء وحقوق الآخرين، أو نشر المعلومات السرية والشخصية أو التأثير على حياد القضاء) (المادة العاشرة من اتفاقية حماية حقوق الإنسان والحريات الرئيسية لعام ١٩٥٠). إن هذه القيود تمثل الخطوط التي رأى المشرع الهولندي عدم تجاوزها من أجل حماية الدولة والمجتمع.

وبسبب هذه القيود تشهد المحاكم الغربية العديد من القضايا المتعلقة بحرية التعبير والتي جرى فيها خرق تلك الحدود مما جعل ذوي العلاقة يقدمون شكاواهم إلى المحاكم مطالبين بتعويضات أو معاقبة الفاعلين بسبب المساس بسمعهم أو عوائلهم أو شركاتهم. وغالباً ما يحصلون على تعويضات مالية. وهذا يثبت أن حرية التعبير في دولة ديمقراطية مثل هولندا ليست مطلقة. وهذه أمثلة منها: فقد جرى منع عرض فلم سينمائي يتحدث عن فريق كرة قدم لأن مؤيدي الفرق الأخرى في المدن الكبرى يغضبون لعرضه في مدنهم. وحكم على شاب (١٧ عاماً) من مدينة إيندهوفن لأنه نشر إهانات للملكة على موقع الإنترنت. وجرى إدانة عضو برلمان لأنه تحدث ضد الشذوذ الجنسي في البرلمان. وجرى حرمان أستاذ جامعي في اللاهوت من عضوية المجمع الكنسي لأنه قال أن الكتاب المقدس عمل بشري وليس كلمة الله. وقامت عضوة في البرلمان بتقديم شكوى ضد محطة تلفزيونية لأن أحد البرامج قد أساء إليها. وهناك أمثلة من دول غربية أخرى، ففي بريطانيا يوجد قانون يمنع شتم الديانة المسيحية والإساءة إليها، وفي أمريكا يمنع تأسيس حزب شيوعي.

إن القيود المفروضة على حرية التعبير تختلف من مجتمع إلى آخر حسب الثقافة المهيمنة، الدين، النظام السياسي والخبرات التاريخية والسلوك الاجتماعي. إن تناول قضية معينة في مجتمع تكون أمر عادي لكن تناولها في مجتمع آخر قد يؤدي إلى اضطراب اجتماعي ومشاكل قد تصل إلى القضاء. خذ مثلاً الحديث عن الخبرات الجنسية في المجتمع الإسلامي، فهذا يعتبر من المحرمات. إن هذا المنع مبني على خلفية ثقافية وتقاليد محلية لذلك المجتمع وليس على أساس أحكام إسلامية. فالقرآن الكريم والسنة النبوية يتحدثان بصراحة عن تفاصيل وقضايا جنسية عديدة، بل أن القرآن يذكر أسماء الأعضاء الجنسية والشهوة الجنسية والجماع.

القيود المفروضة على حرية التعبير في الإسلام

يتضمن الإسلام منظومة أخلاقية متكاملة بحيث يجري مدح الحسن وذم القبيح من الأفعال. إن الهدف هو حماية سمعة وشرف المجتمع الإسلامي، سواء كان فرداً أو جماعة. والإسلام يضمن حريات التعبير عدا التي تخالف المبادئ والعقيدة الإسلامية كالكفر والشرك والردة وسب الله أو رسوله. وتوجد في الإسلام مجموعة من الضوابط والحدود على حريات الأفراد والجماعات من أجل حماية الدين الإسلامي والمجتمع الإسلامي. وهذه القيود ليست نهائية أو مطلقة بل قابلة للنقاش والنقد البناء. وهذا يعني أنها مرتبطة بزمان معين ومكان معين. كما يعني ذلك أن هذه القيود ذات تطبيقات مختلفة حسب الظروف الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية للمجتمع الإسلامي.

بعد تطبيق الشريعة في عدة بلدان إسلامية أدركت تلك الحكومات والمسلمون أن هناك عراقيل ومشاكل حقيقية في تطبيقها. وأدركوا أن الأحكام الإسلامية يجب أن تتلائم مع العصر الحديث والتطورات التي يعيشها العالم اليوم. ففي إيران مثلاً حدث نقاش واسع حول أضرار الجلد العلني للمعاقبين لأن وسائل الإعلام العالمية تصور تلك المناظر المؤلمة وتعرضها في انحاء العالم. وهذا يؤدي إلى تشويه سمعة الإسلام والجمهورية الإسلامية. إن الذين يدعون إلى منع الجلد العلني هم من العلماء والفقهاء، في حين أن القرآن ينص صراحة على أن يكون الجلد علنياً. إذن جرى اعتبار مصلحة الدولة والمجتمع فوق أهمية التقيد الحرفي بتطبيق حكم ديني، بل يمكن تطبيقه بعيداً عن الأضواء، هذا إذا لم تناقش أصلاً فائدة الجلد في العصر الحالي.

إن القيود الإسلامية المفروضة على حرية التعبير تصنف على فئتين:

أولاً: القيود الأخلاقية

وهي مجموعة من الضوابط الأخلاقية التي اعتبرت الشريعة القيام بها مساساً بشرف وسمعة وكرامة الفرد أو الجماعة. كما أن شيوعها في المجتمع الإسلامي يؤدي إلى زرع الشك والريبة وفقدان الثقة بين الناس وما يؤدي ذلك من أضرار اجتماعية وأخلاقية ودينية. ويمكن أن يؤدي خرق بعض هذه القيود إلى ملاحقة قضائية. وهذه القيود هي:

- ١- الغيبة، والحديث بسوء عن شخص غائب بشكل يشوه صورته أمام الناس.
- ٢- السخرية من الآخرين وإسقاط هيبتهم والكذب عليهم.
- ٣- كشف عيوب الآخرين أمام الناس.
- ٤- البدعة وإضافة شيء إلى الدين مما ليس منه واعتباره جزءاً منه.
- ٥- كما يوصي الإسلام بتجنب الخوض في بعض الأمور مثل ذات الله، القضاء والقدر، والمراء والجدل والخصومة.

ثانياً: القيود القانونية

يعتبر تجاوز هذه الحدود عملاً غير قانوني ويستوجب الملاحقة القضائية والمعاقبة لأنها تمس كرامة وسمعة وحقوق الفرد. وتوجد حالة استثنائية تمكن المرء من تجاوز هذه الحدود كلها وهي، أن يكون الفرد مظلوماً ويبحث عن رفع ظلامته ليستوفي حقه، فمن حقه أن يفعل ما يخدم استعادة حقوقه، حيث يقول تعالى (لا يجب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم) (النساء: ١٤٨). وهذه الحدود هي:

- ١- الجهر بالسوء من القول: وإيذاء الآخرين وتشويه سمعتهم هم أو عائلاتهم واثامهم مثلاً بشرب الخمر أو ممارسة القمار أو التحلل الأخلاقي. ويتضمن الجهر بالسوء الإهانة والغيبة والسخرية والتشهير. ويشمل كل أنواع الإساءة سواء بالقول أو الكتابة أو النشر أو الإذاعة.
- ٢- القذف: أي مهاجمة شرف الفرد أو عائلته واثامه بارتكاب الزنا، هو أو والديه أو أحد أفراد عائلته. كما يعتبر قذفاً وصف أحد الأفراد بأنه غير شرعي. وعقوبة القذف أو الاتهام بأنه ابن زنا بالجلد ثمانين جلدة. أما بقية الاتهامات فيعاقب عليها بالتعزير أي ما يراه القاضي.
- ٣- الافتراء: وهو نسبة الكذب إلى شخص آخر أو اتهامه بارتكاب عمل ما. والافتراء يعادل الكذب. ومن حق القاضي معاقبة المفتري الذي لم يثبت دعواه بالعقوبة ثمانين جلدة.
- ٤- السب والشتم ويتضمن كل كلمة أو تعبير أو إيحاء تمس كرامة الفرد المخاطب، وتقلل من شأنه في أعين المحيطين به أو المجتمع ككل. ولا توجد قائمة بالكلمات أو التعبيرات التي يمكن اعتبارها إهانة. كما أنه لا القانون ولا اللغة تعطي تعريفاً واضحاً للإهانة. وقد تعتبر بعض الألفاظ إهانة

في مجتمع ما أو في بيئة معينة في حين لا تعتبر كذلك في محيط آخر. والقانون يرجع إلى العرف الاجتماعي الذي يحدد مصداق الإهانة، كما أن العرف قد يتغير من زمن إلى آخر في نفس المجتمع. ويمنع الإسلام سب أي شخص وحتى غير المسلمين والمشركون لأن ذلك يجر إلى العداوة والبغضاء (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم) (الأنعام: ١٠٨).

٥- اللعن: ويشمل كل لفظ تدعو لعنة الله على أحد ما. فلا يجوز لعن الفرد أو والديه أو أقاربه، حياً كان أم ميتاً.

٦- تكفير المسلم: إذ تحرم الشريعة الإسلامية تكفير أي مسلم واتهامه بالردة والكفر. ولا يحق لأي مسلم تكفير آخر حتى لو سمع منه أو شاهد منه ما يعتقد أنه كفر بل يكون الشك لصالحه. ويجب تحري الدقة لفهم ظروف وسياق الكلام لتحديد نوع الكفر، فقد لا يكون كفراً. فلإمام علي (ع) لم يعتبر الخوارج كفاراً رغم أنهم كانوا فسقة. ويجب أن لا يتورط غير أهل الاختصاص في اتهام هذا الكاتب أو المفكر أو الأديب بأنه قد كفر، كما لا يتهم أي شخص بالكفر لمجرد أنه يختلف معه في الرأي، بل هذا الأمر من شأن العلماء المطلعين.

٧- سب الله والرسول (ص): يوصف السب بأنه هجوم عدواني لمبادئ الدين والمقدسات التي يحترمها المسلمون. ويعبر عنه أحياناً بالتجديف والذي يشمل كل التعبيرات المفظوطة في ازدراء الله تعالى وأسمائه وصفاته والأحكام والأوامر التي أنزلها، مثلاً القول بأن الله لا يرى أو يسمع كل شيء، أو أن الله ليس دائماً، أو أنه ليس واحداً. ويشمل سب الرسول (ص) كل الألفاظ والتعبيرات التي تنال من مقامه واسمه وسمعته أو تشكك في نبوته. ولا يقتصر إهانة المقدسات الإسلامية على الألفاظ والكتابة بل تشمل إلى الفعل مثل تمزيق القرآن الكريم أو إهانتته. ويضع العلماء سب الدين في خانة الردة لأن سب أساسيات الدين يعني رفضها وردها. ولا توجد حدود واضحة بين الكفر والتجديف والزندقة والردة. وهناك آراء مختلفة حول عقوبة الردة والكفر، فبعض العلماء يرى أنه يجب قتل المرتد، في حين يرى آخرون أن عقوبة المرتد ليست في الحياة الدنيا بل في الآخرة. وأن الله وحده هو الذي يعاقب، فذلك من شأنه تعالى وليس من شأن الحكومات والسلطات. ويستدلون على ذلك بآيات من القرآن الكريم.

٨- الكفر الذي يعني التخلي عن الدين. والكفر قضية خلافية بين المذاهب الإسلامية لأن بعض الفرق والجماعات الإسلامية تطلق كلمة كافر على كل من لا يعتقد بآرائها وتفسيراتها للنصوص الدينية. لذلك توجد فوارق كبيرة في تعريف الكفر والكافر. والتاريخ الإسلامي ملئ بالاتهامات الكثيرة بالكفر بين الفرق والطوائف الإسلامية. كما

أن القرآن الكريم يذكر بعض الحالات التي يتبدل فيها الفرد من مسلم إلى كافر، ثم يعود مسلماً، وهكذا. فلو كان عقابه القتل لما أتيحت له فرصة التغيير العقائدي عدة مرات. يقول تعالى (إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً، لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلاً) (النساء: ١٣٧).

الثقافة ليست مادة جامدة ساكنة بل هي مجموعة من العناصر المتحركة والمتغيرة بمرور الزمن وحسب ظروف المجتمع. فلا يمكن مقارنة ثقافة التسعينيات بثقافة الخمسينيات والستينيات. ويشمل ذلك نمط الحياة، الملابس، السلوك، العادات، القيم ووسائل التعبير. لقد أحدثت الثورة التكنولوجية في عالم الاتصالات تغييرات كبيرة في عقد التسعينيات على علاقات الأفراد والجماعات والشعوب. فقد وفرت معلومات هائلة وسريعة لكل فرد، وعبرت الحدود والقيود كشبكة الإنترنت والقنوات الفضائية.

من المعلوم أن الفقه الإسلامي قد تطور وخطا خطوات واسعة في النصف الثاني من القرن العشرين. فقد تعرضت العديد من المفاهيم والأفكار إلى قراءات نقدية من منظورات اجتماعية وسياسية. ولا تزال في العالم الإسلامي تجري مناقشات واسعة حول العديد من القضايا الاجتماعية كوضع وحقوق المرأة إلى السياسية كنظام الحكم والديمقراطية، إلى الاقتصادية كالبنوك الإسلامية والفوائد والتأمين والقروض غير الربوية. وهناك جهات نظر مختلفة بين المفكرين المسلمين حول دور الإسلام في المجتمع وكيفية صياغة أحكامه لتنسجم مع الواقع.

إن حركة التحديث في الإسلام تعني إعادة قراءة وتفسير النصوص الإسلامية على ضوء الواقع المعاصر والظروف المتفاوتة التي تعيشها المجتمعات الإسلامية. إن ظهور وقبول أفكار إسلامية جديدة يعتمد على الأرضية الشرعية والدينية التي تستند إليها. إذ يجب أن تعتمد من قبل سلطة شرعية كالعلماء والمؤسسات الدينية كي تصبح ذات صفة شرعية.

لما قرر المسلمون المهاجرون الاستقرار في البلدان الغربية فلا خيار لهم إلا التعايش مع الثقافة الغربية. وهذا ما يثبته التطور المعاصر للفقه الإسلامي. ففي العقدين الماضيين أصدر علماء الإسلام العديد من الآراء الفقهية المستجدة أو الفتاوى التي تتقبل المفاهيم الغربية. فحسب هذه الفتاوى يستطيع المسلمون في الغرب اكتساب الجنسية الغربية أو الانتماء للأحزاب السياسية غير الإسلامية، والمشاركة في الانتخابات العامة كمرشحين أو مصوتين. كما يمكنهم العمل في مؤسسات الجيش والشرطة الغربية، ويمكنهم التقاضي أمام المحاكم غير الإسلامية. هذه الفتاوى لم تكن مسبقة من قبل ولكن هذا التطور قد حصل بفعل الاستجابة للواقع الذي تعيشه الأقليات المسلمة في الغرب، والتي كانت تخاطب العلماء والمؤسسات الدينية من أجل وضع حلول مناسبة للمشاكل التي تعانيها في البيئة غير الإسلامية. واستجاب أولئك العلماء وساعدوا المهاجرين في البحث عن اجابات وحلول لمشاكلهم معتمدين على القواعد الشرعية والنصوص الدينية، فأوجدوا آراء فقهية جديدة سهلت على المهاجرين المسلمين الحياة في الغرب.

وبنفس الطريقة يمكن للمسلمين في الغرب القيام بمناقشات حرة لعديد من المفاهيم والأفكار الدينية والقضايا الفكرية والتاريخية. ويجب أن تكون المناقشات مبنية على أرضية علمية ونقد بناء ومسؤول. وأن لا تتضمن أية إهانات أو سخرية بالمقدسات والرموز الإسلامية. يجب أن يسود الاحترام المتبادل أجواء النقاش وتقييم الأفكار بصورة جدية، والامتناع عن اتهام الآخرين بالأصولية أو التخلف أو الكفر. ويهدف الوصول إلى أفضل النتائج يجب أن تكون النقاشات مستندة إلى الأحكام والنصوص الإسلامية، أي أن المشاركين في هذه النقاشات ممن لديهم مؤهلات إسلامية مناسبة.

يستطيع المسلمون في الغرب وضع قضية حرية التعبير في جدول أعمال الجالية واعتبارها مطلب ضروري للحياة العصرية في الغرب. وأن قضية حرية التعبير لا تختلف عن قضايا اكتساب الجنسية أو الانتفاء للأحزاب السياسية الغربية وغيرها. إن العيش كمسلم في الغرب لا يعني فقط أكل اللحم الحلال والامتناع عن الخمر ولحم الخنزير أو لبس الحجاب، ولكن أيضاً التفكير والمناقشة والتعلم واكتساب الخبرات وإضافة الجديد إلى الشخصية الإسلامية. كل هذه النشاطات الفكرية بحاجة إلى حرية التعبير، سواء للمسلمين أو غير المسلمين الذين يناقشون مسائل إسلامية.

ليس باستطاعة المسلمين في الغرب على الدوام عزل أنفسهم أو الامتناع عن المشاركة في المناقشات ذات الصلة بالإسلام والمسلمين. إن هذا الموقف يخالف الرسالة الإسلامية التي تطلب من كل مسلم أن يدعو غير المسلمين للإسلام وتزويدهم بالمعلومات عن تعاليم الإسلام. فالدعوة للإسلام أمر يهيم كل المسلمين في الغرب أفراداً وجماعات ومؤسسات. لذلك يجب على المسلمين المشاركة في المناقشات سواء فيما بينهم أو مع غير المسلمين فيما يتعلق بالإسلام والمسلمين. إن المساهمة في النقاشات تجعل الجو أكثر انفتاحاً، كما تفتح الأبواب أمام المسلمين لمناقشة العديد من القضايا الحساسة بهدوء وموضوعية. وإذا ما أبدت الجاليات الإسلامية اهتماماً بحرية التعبير بحيث تصبح جزءاً من مشاكلهم اليومية عندها يمكنها عرض الأسئلة والاستفسارات المتعلقة بها على علماء الدين سواء المقيمين في الغرب أو في الدول الإسلامية. وستدفع تلك الأسئلة الكثيرة علماء الإسلام للتفكير والبحث عن حلول مناسبة لقضايا حرية التعبير.

يلعب المثقفون المسلمون دوراً هاماً في إثارة الأسئلة في المجتمع، كما أنهم عبر ممارستهم النقد يحفزون المجتمع والحكومات والمفكرين والعلماء للبحث عن إجابات وافية لتلك التساؤلات. فالمثقفون يمثلون المحرك الأساسي في المجتمع الناضج والمتحضر، وهم الذين يجعلون المجتمع في حركة فكرية ونشاط. وهذه الحركة الفكرية هي الطريق الذي يمهّد لتطور المجتمعات الإسلامية. لذلك يجب أن يتكامل دور المثقفين مع دور الفقهاء من أجل خدمة تقدم وتطور المجتمع الإسلامي.

في معظم الحالات يبدأ تطور الفقه الإسلامي من خلال الإجابة على سؤال في قضية سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية، أو استجابة لحدث طبي أو اكتشاف علمي يتطلب موقف الإسلام منه، أو رد فعل لتطورات سياسية أو اقتصادية أو ثقافية في بلد ما أو رقعة في العالم. إذن المبادرة بيد الناس لممارسة الضغط على المؤسسات الدينية والفقهاء كي يستجيبوا للواقع ويبحثوا ويفكروا في نوعية الاستجابة التي تجعل الإسلام صالحاً لكل زمان ومكان. وهكذا كان مسار التقدم الفكري في معظم التطور الذي شهده الفقه الإسلامي ومارسه المصلحون المسلمون من أجل تقدم المجتمع الإسلامي. وهذه خلفية كل الفتاوى والآراء الفقهية التي أدت إلى تغييرات كبيرة في المجتمعات الإسلامية.

يجب أن يدرك المسلمون في الغرب أنهم لا يسكنون لوحدهم بل يعيشون كأقلية في محيط غير إسلامي. ولذلك يجب أن منفتحين ومستعدين دائماً للإجابة على جميع الأسئلة المتعلقة بالإسلام. بعض المسلمين يبدي حساسية مفرطة تجاه أي نقد للمفاهيم الإسلامية أو سلوك المسلمين حتى لو كان ذلك النقد علمياً وموثقاً. هذه الفئة من المسلمين تعتبر كل كلام أو مقالة ذات صلة بالإسلام والمسلمين أنها إهانة وتمييز عنصري. بالطبع هذا لا ينفي وجود مقالات وتعبيرات عنصرية ضد الإسلام والمسلمين. وبدلاً من الرد الانفعالي يجب أن يكون الموقف أكثر انضباطاً وذلك من خلال الرد على الإساءة أو المقال من وجهة نظر إسلامية وتوضيح موقف الإسلام من القضية المطروحة. يجب السعي الدائم لضخ المعلومات عن الإسلام لغير المسلمين لأن الجهل عدو الفكر والدين. يجب أن يبذل المسلمون جهدهم في اختيار الوسيلة المناسبة لتوضيح مواقفهم وتعاليم دينهم للآخرين. وهذه تشمل انتقاء الكلمات والتعبيرات والطريقة المستخدمة في النقاش أو في (وسائل الاعلام الإسلامية). كما الأسلوب المستخدم في الاعتراض على مقالة أو مسرحية أو فلم أو تصريح. وفي كل الأحوال يجب على المسلمين احترام ورعاية قوانين البلد الذي يقيمون فيه، كما يحترمون ثقافة وتقاليد وقيم المجتمعات الغربية. وهذه ليست نصيحة بل هي مبدأ إسلامي طالما يؤكد عليه علماء الاسلام.

أما بالنسبة للكتاب والصحفيين والمسؤولين الغربيين فيجب عليهم أن يبدوا اهتماماً أكبر عندما يتعاملون مع قضايا ذات صلة بالإسلام والمسلمين. إن نقص المعلومات والآراء المسبقة والتضخيم والتعميم هي أسس المقالات والتصريحات الاستفزازية التي تثير المسلمين عادة. فعلى هؤلاء الكتاب والسياسيين توخي الحذر واللامبالاة عند معالجة قضايا إسلامية. وتلعب وسائل الاعلام الغربية دوراً رئيسياً في خلق المشاكل وتعكير العلاقات بين المسلمين والغربيين. القانون في الغرب يضمن حرية التعبير لكل شخص، والمسلمون كغيرهم يمكنهم الاستفادة من

هذه الأجواء الليبرالية دون خوف من نظام دكتاتوري أو قمع سياسي أو شرطة أمن ومخابرات أو سلطات دينية. يمكن للمسلمين الاستفادة من الانفتاح والتسامح كمنطلق لخلق وعي سياسي وديني جديد. إن ذلك سيقدم مساهمة عظيمة لتطور الإسلام والمسلمين. في هذا الجو الفكري المفتوح يمكن للأراء المتطورة والأفكار الجديدة أن تبرز وترى النور، وتنتشر وتكبر بشكل يؤدي إلى ظهور نظريات نافعة. إن هذا التطور المتوقع لا يخدم المسلمين في الغرب فقط بل يمكن أن تصل تلك الأفكار الحديثة إلى العالم الإسلامي نفسه وتساهم في تطوير المجتمعات الإسلامية. وهنا يجب التأكيد أن الإسلام لم يكن أبداً ضد حرية التعبير، ويزدهر الفكر الإسلامي عندما يجد أجواء مفتوحة، لكن تراكم الدكتاتوريات السياسية والسلطات الدينية المتشددة هي التي قيدت كل الحريات.

الديمقراطية والحرية الدينية

لم تستطع الدولة العثمانية طوال وجودها في أوروبا وخلال بضعة قرون من الوجود السياسي والعسكري أن تترك مساجد بعدد المساجد والمدارس والمؤسسات الإسلامية التي أنشأها المهاجرون المسلمون خلال نصف قرن من تواجدهم في المهجر الأوربي. ويزداد تأثير الوجود الإسلامي اليوم تأثيراً في المجتمعات الغربية عندما يعتنق آلاف الغربيين الإسلام سنوياً، كما بدأ الإسلام يؤثر في القوانين الأوربية من خلال التعديلات أو التشريعات الجديدة التي تلي مطالب الأقليات المسلمة المقيمة فيها كتأسيس المدارس الإسلامية ومقررات الذبح الإسلامي والنص على السماح بارتداء الحجاب وتعيين أئمة وتوفير الطعام الحلال في المستشفيات والسجون والجيش، وتدریس اللغة العربية بتمويل حكومي، وإنشاء مجالس إسلامية للإشراف على شؤون المسلمين وتمثيلهم أمام السلطات والمؤسسات الغربية. وحصلوا على حق البث الإذاعي والتلفزيوني في محطات الإذاعة والتلفزيون الغربية لنشر الإسلام ومناقشة قضاياهم وتمويل الدولة.

لقد تفاعل المسلمون مع هذه المجتمعات، فاكسبوا الجنسيات الغربية وانتمى بعضهم إلى الأحزاب السياسية الغربية فدخلوا المجالس البلدية والبرلمانات فأصبحوا يمثلون الشعوب الغربية ويساهمون في صنع قراراتها كهولندا وبريطانيا. ففي هولندا يوجد أربعة نواب مسلمون في البرلمان. وفي أمريكا تم تعيين أول سفير مسلم لها في جزر فيجي.

وإذا تجاوزنا النظرة السلبية للإعلام الغربي وقسم من الشعوب الغربية تجاه الإسلام، نجد أن المسلمين قد أصبحوا واقعاً في المجتمع الغربي لا يمكن تجاهله أو التقليل من قيمته. وتفكر الحكومات الغربية اليوم بل ووضعت الخطط والمشاريع وبدأت بتنفيذها لاستيعاب المسلمين

ثقافياً ودينياً وقانونياً ضمن تركيبة ونسيج المجتمعات الغربية. وبات مصطلح ومفهوم المجتمع المتعدد الثقافات **Multi-Cultural Society** متداولاً ومن أهم محاور النقاشات العامة عند الحديث عن السياسات الداخلية أو قضايا الثقافة والدين والسياسة. فبريطانيا تعتبر نفسها مجتمعاً متعدد الثقافات، وكذلك هولندا. وفي منتصف السبعينات كانت السويد قد أصدرت تشريعاً يعتبر السويد بلداً متعدد الثقافات، وقامت بتطوير برامجها على أساس الأخذ بنظر الاعتبار التباين الثقافي والديني والعرقي في المجتمع السويدي.

السويد وكويتنا

ورغم وجود هذه التسهيلات وفتح الأبواب أمام المسلمين من أجل المساهمة الجدية في بناء المجتمع الغربي لكن للأسف ما زال الكثير من المسلمين لا يعي أهمية المشاركة الفعالة في المجتمع الغربي ودورها في تقوية وضعهم السياسي والإعلامي والقانوني، وتأثير ذلك على نشر الإسلام واحترام عقائده وشعائره، وإمكانية خدمة البلدان الإسلامية التي قدموا منها وخدمة القضايا الإسلامية العامة في شتى بقاع العالم، من خلال المساهمة والتأثير في صنع القرار الغربي. وما زال الكثير من المسلمين في الغرب أفراداً ومؤسسات، إلا ما ندر، يركزون اهتمامهم على الحقوق فقط التي تمنحها لهم الدساتير الغربية كالحريات الدينية والتعليم الديني والحجاب والعمل والضمان الاجتماعي وبناء المساجد والتظاهرات ومكافحة التمييز العنصري دون الحديث عن الواجبات تجاه المجتمعات الغربية. فمن النادر أن يتحدث طرف إسلامي عن مشكلة تعاني منها المجتمعات الغربية كالجريمة والمخدرات وتلوث البيئة وغيرها. فما زال الكثير من المسلمين يعتبر نفسه ضيفاً على هذه البلدان رغم أن الجيل الثاني والثالث من أبنائه قد ولد ونشأ وكبر فيها، ورغم أنه حصل على الجنسية الغربية وجواز السفر الغربي الذي يمكنه من زيارة كل بلدان العالم دون صعوبات أو فيزا. فتراه غير معني كثيراً عما تتحدث عنه الصحف أو برامج التلفزيون من قضايا ومشاكل كثيرة ومتنوعة، وبعضها يهمله أمرها إن لم يكن بعض هذه المشاكل سببه المسلمين أنفسهم. ولا يتابع ما يدور من نقاشات في البرلمانات أو سن تشريعات وقوانين جديدة إلا بقدر ما تهم مصلحته الذاتية أو الفتوية.

واستمرار هذه الحالة سيؤدي إلى نتائج خطيرة على مستقبل المسلمين السياسي والاجتماعي والقانوني والاقتصادي في الدول الغربية. إذ كيف يمكن التأثير فيها وهم يعيشون حالة العزلة الاجتماعية والسياسية، وبعيدون كل البعد عما يدور فيها؟ وكيف يقتنع المواطن الغربي بأن هذا المسلم هو مواطن مثله، على الأقل أمام القانون، وهو يراه غير مهتم بنظافة الشارع الذي يسكن

فيه، أو لا يحترم الممتلكات العامة، أو لا يحافظ على النظام العام، أو غير مبال بتلوث البيئة، أو غير مهتم بأية مشكلة لا تعنيه شخصياً؟ أو أنه لا يحترم حريات الآخرين وراحتهم حين لا يبالي بالضوضاء التي يحدثها في مشيه وتعامله وحديثه أو أثناء استقبال ضيوفه وأقاربه، نساءً ورجالاً وأطفالاً، أو في حفلاته وسهراته، أو في استخدام أجهزة الصوت أو إزعاج الجيران. بالطبع لا نبرئ الغربيين من كل ذلك لكن يبقى المسلم هو القدوة الذي يفترض به أن يحترم ويراعي الآخرين كي يستشعر الآخرون بسمو أخلاقه وقيمه وانطلاقاً من تعاليم الإسلام ورقابة الله ووصايا الرسول (ص) التي هي أعلى رقابة في الإنسان المسلم. يضاف إلى ذلك أن غالبية الغربيين يحترمون هذه الحريات ويلتزمون بالقوانين التي تمنع الإزعاج بعد الساعة العاشرة ليلاً ومراعاة نظافة الشوارع وغيرها مما يمنعه القانون، كما يخافون شكاية الجيران وقدم الشرطة للتحقيق. لقد اعتاد المواطن الغربي أن يرى أن غالبية من يخالفون القوانين هم من الأجانب ومنهم المسلمين. في هولندا تبلغ نسبة السجناء المسلمين ٣٠٪ في حين أن نسبة المسلمين في المجتمع الهولندي ٥, ٣٪ فقط، أي أن معدل الجريمة ومخالفة القانون تبلغ حوالي عشرة مرات عما هي لدى بقية المجتمع. وتعود هذه النسبة العالية لأسباب اقتصادية واجتماعية وثقافية وحتى مبررات دينية أحياناً!! وكيف يقتنع الغربي بمواطنة المسلم وهو يراه غائباً في النشاطات التطوعية الاجتماعية التي تشكل شطراً كبيراً في العمل الاجتماعي في الغرب؟ فكثير من النشاطات الاجتماعية في الغرب تعتمد على متطوعين يعملون دون مقابل بل لأهداف نبيلة أو خدمة للآخرين. وجميع اللاجئين في الدول الغربية يتمتعون بخدمات متنوعة يقدمها هؤلاء المتطوعين.

تجارب مواطنية

في مؤتمر حول المواطنة في هولندا، أبدى الكثيرون إعجابهم عندما ذكرت لهم أن إمام المسجد الذي أصلي فيه يعمل متطوعاً لخدمة المسنين في أحد دور العجزة. وكان ستة من الآباء المغاربة قد بدأوا مشروعاً لمكافحة تسيب الشباب المغربي حيث شكلوا ثلاثة مجموعات تقف في محطة روتردام للسكك الحديدية، والتحدث مع الشباب المتسكع أو الواقف هناك دون مبرر مقبول بل من أجل النظر إلى الفتيات أو بيع المخدرات أو اصطیاد زبائن لدور البغاء. وكان تواجد هؤلاء الشباب في المحطات والأماكن العامة قد سبب التذمر والاستياء لدى السلطات المحلية والشرطة والمارة من الناس. ويقوم أولئك الآباء بالحديث مع هؤلاء الشباب بلغة ودية وحنان ولطف كي يشعروا بالحنج مما يفعلونه ويتجهوا إلى الدراسة والعمل. وقد شكرت السلطات هذه المبادرة التي أدت إلى ازدياد الشعور بالأمان في المحطة.

وهناك تجربة ثالثة تشابهها، عندما قام رواد أحد المساجد بتشكيل مجاميع صغيرة لمخاطبة الشباب المسلم المتسكع في الشوارع ومناقشة أسباب وقوفهم الطويل في الشوارع والأماكن العامة و الأسواق وغيرها، وأن ذلك غير صحيح لأنه يرسخ الفكرة التي يرددها الغربيون بأن المسلمين أناس عاطلين، يكرهون العمل، ويفضلون الحصول على المساعدات الاجتماعية، ويخلقون مختلف الأعذار للهروب من الأعمال التي ترشحها لهم دوائر العمل، وأنهم أناس غير منتجين بل يفضلون الحياة الطفيلية، وأن رفاهم ورواتبهم يتحملها دافع الضرائب الغربي. وهذا ما يزيد في حملة الحقد والكراهية ضد المسلمين وبالتالي ضد الإسلام لأن البعض يعتقد أن الإسلام هو الذي يدفع المسلمين إلى هذا التفكير وهذا السلوك المرفوض.

الرواطنة الغربية والقيم الإسلامية

المواطنة تعني للمسلم أنه مواطن مسؤول ورشيد يسعى للمساواة في المجتمع الذي يعيش فيه. ويعاني المسلمون في الغرب من مشكلات كبيرة وعوائق تعرقل مشاركتهم في هذه المجتمعات، مثل الضعف الاجتماعي-الاقتصادي وضعف وضعهم القانوني والانعزال في مجموعات عرقية بعيداً عن المجتمع. ورغم أننا لسنا ضد الغيتوهات الإسلامية إذا كانت تنطلق من ثقافة واعية لا ثقافة انغلاق وانكفاء على عرق أو قومية أو جنسية البلد الأصلي والعزلة عن المجتمعات. يحمل المسلمون قيماً وأعرافاً غالباً ما تختلف عن قيم وتقاليد المجتمعات الغربية التي يعيشون فيها، فكيف السبيل إلى تكيف هذه القيم مع المجتمع؟ في البداية يجب التمييز بين الثقافة المحلية التي اعتاد المهاجرون عليها والتي هي امتداد لتقاليد وأعراف شعبية متداولة في بلدانهم الأصلية. وقد يكون لبعض هذه التقاليد أصل إسلامي وقسم آخر ليس له صلة بالإسلام بل مجرد موروث شعبي أو فولكلور. ويؤيد ذلك اختلاف العادات والتقاليد والمراسم عند الشعوب الإسلامية في العديد من الممارسات الاجتماعية والدينية كالطعام والملابس والسلوك وطقوس الزواج والختان والأعياد والوفاء وغيرها. بالطبع هناك مشتركات تنطلق من أساس ديني تدور في دائرة الحلال والحرام والمباحات. وهناك عادات وتقاليد يمكن اكتسابها من المجتمع الغربي دون أن تكون ضمن دائرة الحرمة، بل قد تكون مما يحض عليها الإسلام، كالنظام والتزام المواعيد ومساعدة الآخرين ونظافة البيئة واحترام ملكيات الآخرين. فليس من الصعب على الوالدين تعويد أطفالهم على النوم في ساعة محددة. وليس صعباً عليهم أن يعلموهم كيفية المشاركة في المجتمع والنشاطات الاجتماعية والثقافية والرياضية، وبناء علاقات بناءة مع الآخرين من موقع الثقة بالنفس والاعتزاز بالدين الإسلامي. ويشجعون أبنائهم على الجدية والعمل المنتج والابتعاد عن

البطالة والكسل والتسكع والطفيلية والتخلف الدراسي والعلمي والإداري. ويتعلمون مناقشة الأمور والقضايا بأسلوب متحضر وعلمي ومنطقي بعيداً عن التعصب والإنفعال العاطفي، أي استخدام لغة يفهما الغربيون. وحتى في نقاشاتهم مع الغربيين حول القيم الإسلامية يجب أن لا يسمح المسلمون بانحطاط مستوى النقاش إلى هجوم حضاري غربي يفترض على المسلمين اتباع القيم والمعايير الغربية، بل يطرح الإسلام كبديل ثقافي وحضاري ممكن ومنظومة قيمة وأخلاقية وتعاليم تساهم في حل بعض المشكلات الاجتماعية والثقافية التي تعاني منها المجتمعات الغربية. يجب إزالة الصورة التي رسمها الإعلام الغربي وأعداء الإسلام خلال النصف قرن الماضي وتصوير المسلمين بأنهم عدوانيين ومتعصبين. كما يجب على المسلمين عدم استمرار دور الضحية دائماً، وأنه مظلوم يبحث عن العدالة في عبارات حقوق الإنسان والحريات الدستورية. هذه الصورة النمطية قد تعزز الشعور بالإضطهاد واستجداء عطف الآخرين في كل المواقف مما يخلق شخصية إسلامية غير متوازنة بل وربما مريضة. نحن بحاجة إلى مواطن مسلم يستشعر المسؤولية والواجبات وأنه جزء من هذا المجتمع وليس أمراً طارئاً أو إقامة مؤقتة.

ويجب أن لا نغفل دور المساجد في دفع عجلة التكامل Integration مع المجتمع الغربي من خلال تأكيد أئمة المساجد على تحمل المسلمين مسؤولياتهم وتشجيعهم على المشاركة في الحياة السياسية كالتصويت والترشيح في الانتخابات أو المساهمة في الندوات والمؤتمرات السياسية، وتقديم نصائح ومشورات للمؤسسات السياسية والحكومية فيما يتعلق بقضايا المسلمين، ودفع أبناء المسلمين من الحاصلين على تعليم عالي للإنتماء في الأحزاب السياسية والدفاع عن قضايا المسلمين. علماً بأن بعض الفقهاء المسلمين كالمرجع الديني السيد فضل الله والسيد كاظم الحائري والشيخ يوسف القرضاوي والمرحوم الشيخ جاد الحق يفتون بجواز الإنتماء للأحزاب السياسية الغربية.

بدعوة من (مؤسسة الإسلام والمواطنة) عقد في روتردام بتاريخ ٧ حزيران ٢٠٠٠ مؤتمر حول الإسلام والمواطنة. وقد شارك فيه حوالي مائتي شخص من مختلف المنظمات الإسلامية وأئمة المساجد ومؤسسات هولندية معنية بشؤون المسلمين والأجانب وصحفيين ومستشرقين وخبراء بالإسلام. في البداية تحدث السيد كوروز Coruz وهو محامي من أصل تركي يعمل مستشاراً حقوقياً في بلدية (هارلم) وسكرتير المؤسسة حيث أكد على أن الحديث عن الإسلام والمجتمع المتعدد الثقافات يؤدي إلى التطرق والتركيز على الاختلافات بين المجموعات المكونة للمجتمع أما المواطنة فهي تعني المشاركة في عنوان واحد يضم الجميع. وأضاف: لا يعرف الهولنديون من

الثقافات غير الغربية إلا طعاماً لذيذاً أو موسيقى مطربة. أما بالنسبة للدين فهم يرون الإيمان قضية شخصية، لذلك لا تجدون آذاناً صاغية عند الحديث عن السماح بالأذان أو التعطيل الرسمي في الأعياد الإسلامية، وأن الدولة والكنيسة لا تتدخلان في شؤون الأخرى. ويجب على المسلمين طرح قضاياهم وقيمهم ضمن الدستور من خلال التشجيع على قبول الحجاب كمظهر ديني وتعبير ديني يقبله الدستور، وكذلك الأذان وبناء المنائر والقباب باعتبارها جزءاً من البناء الإسلامي والممارسة الدينية التي يضمنها الدستور. ودعا إلى أهمية اندماج الشباب وتأثير أئمة المساجد المتعلمين الذين يجيدون لغة البلد المضيف، ولديهم اطلاع على الثقافة الهولندية وتقاليد وعادات المجتمع.

١٤-١٤-٢٠١٤

ثم تحدث وزير تكامل الأقليات وسياسة المدن الكبيرة السيد فان بوكستل Van Boxtel الذي ذكر أن لدينا معلومات قليلة عن الإسلام حيث الإعلام يركز على أعمال العنف والأصولية. وأن الهولنديين يميزون الآخرين من خلال اللون والدين. وقال أنه يمكن للسلطات المحلية دعم الأقليات الدينية ومنها المسلمين ليس لممارسة الشعائر لأن هناك فصل كامل بين الدين والدولة، ولكن لأن ذلك حقهم في الدعم الاجتماعي. وأبدى الوزير تحفظه من القيم الإسلامية وقال: أي قيم وتقاليد تخالف الأعراف المتعارف عليها والمنصوص عليها في الدستور والقانون تعتبر غير مقبولة وتؤدي إلى حدوث مشاكل، لكنه أشار إلى أنه يجب أن تتكيف الأعراف السائدة مع القيم (الإسلامية) الجديدة من خلال النظام الديمقراطي وإقناع المجتمع بأهمية وقيمة هذه القيم. نريد أن نعرف الكثير عن القرآن وتعاليم الإسلام وأحكام الشريعة والثقافة التي جئتم بها إلى الغرب. إن الدولة تساهم في تطوير التكامل ومنها إخضاع أئمة المساجد إلى دورات المواطنة حيث يتعلمون فيها اللغة الهولندية ويتعرفون على الثقافة والعادات الهولندية. وأضاف: تكامل المسلمين مع المجتمع لا يعني التعرف على الطعام الهولندي بل كيفية دخول سوق العمل والدراسة. وأكد على أهمية دور المنظمات والجمعيات الإسلامية والثقافية في خدمة هذا الهدف. كما أكد على نشوء طبقة جديدة هم الهولنديون الجدد Neo-Nederlanders الذين يريدون التكامل مع المجتمع ولكن علاقاتهم بالبلد الأم تبقى تؤثر على مواقفهم. يمكنهم مساعدة بلدانهم وجمع تبرعات لمشاريع ثقافية واجتماعية واقتصادية أو مساندة بلدانهم في الأزمات والكوارث ولكن لا يعني ذلك أن يستلموا تعليمات وتوجيهات من تلك الحكومات.

ثم تحدث الدكتور زكي بدوي عميد الكلية الإسلامية في لندن الذي تطرق أولاً لمفهوم المواطنة في القوانين الرومانية واليونانية وأنها تعني (الفرد الحر). وأضاف: المواطنة مجموعة مبادئ سياسية وثقافية وقانونية يتمتع بها سكان الدولة. ومن مميزات النظام الديمقراطي أنه يضمن تنوعاً ثقافياً ودينياً وعرقياً. فالجميع مواطنون ومتساوون أمام القانون رغم الاختلافات الكثيرة بينهم.

وحول مفهوم المواطنة في الفقه الإسلامي قال بدوي: إن كلمة مواطنة جديدة في اللغة العربية وغير معروفة في التراث الإسلامي. المواطن يعني الانتماء لوطن ذي دولة تطبق القانون على الشعب. إن الإسلام أول من اعترف بالتنوع الديني والثقافي، فدستور المدينة في ظل دولة الرسول (ص) اعتبر اليهود والمسلمين أمة واحدة، وأن على اليهود حماية الدولة من الخطر. لقد ذكر ابن اسحاق في سيرته والطبري في تاريخه أن من بين قتلى واقعة الخندق شخصاً يهودياً يدعى (مخبرق)، قتل دفاعاً عن المدينة. لم يكن أهل الذمة مواطنين من الدرجة الثانية كما يدعي البعض بل هم محميون من قبل الدولة. فالإسلام يحمي الأقليات الدينية ويوفر لها إدارة شؤونها وقوانينها ومدارسها. لقد عرف الإسلام التعددية السياسية والدينية منذ نشأته في المدينة. لقد كان مجتمع المدينة ديمقراطياً. لقد ذهب الرسول (ص) إلى المدينة من خلال اتفاقية هي بيعة العقبة. وكان الأنصار مجبرين على الدفاع عن داخل المدينة وليس خارجها. وفي معركة أحد شاور الرسول (ص) أصحابه في أمر الدفاع عن المدينة، فكان رأي الأكثرية هو الخروج لملاقاة العدو بدل المكوث داخل أسوار المدينة والدفاع عنها. وكان هذا رأي الرسول (ص) أيضاً لأن دخول قوات المشركين إلى أزقة المدينة سيسهل مواجهتها ودحرها. ولما انهزم الجيش الإسلامي لم يقيم الرسول (ص) بلومهم أو معاتبهم أو أنهم السبب في الهزيمة، بل نزلت عليه (وشاورهم في الأمر).

وأضاف الدكتور بدوي: المواطنة تتضمن العدالة بين المواطنين وسيادة القانون على الجميع. الإسلام يعرف (واجبات) الإنسان تجاه ربه ومجتمعه أكثر من (حقوق) الإنسان. يقول تعالى (من أحيأها فقد أحيأ الناس جميعاً) أي أن إحياء النفوس الأخرى وحفظها وصيانتها واجب إسلامي على كل مسلم. إن مصادر المواطنة عندنا هي دينية مستمدة من الإسلام بينما في النظم الغربية مستمدة من العلمانية. كانت أوروبا معادية للتعددية، تذكروا ما حدث في إسبانيا من تصفيات للمسلمين بعد سقوط غرناطة عام ١٤٩٢ م. لقد شهدت أوروبا حروباً دينية طاحنة من أجل تيار معين في المسيحية. إن مفهوم التعددية Pluralism حديث في الفكر الأوروبي.

وتساءل الدكتور بدوي: هل يمكن لمسلم أن يكون مواطناً لدولة غير مسلمة؟ ثم أضاف: بعض العلماء يقولون لا يجوز للمسلم أن يخضع لقانون غير إسلامي. وهذه القضية أصلها يعود إلى الصراع التاريخي بين الإسلام والمسيحية. وأقول أنا: نعم يمكن للمسلم أن يصبح مواطناً فرنسياً أو هولندياً أو بريطانياً لأن القانون يسمح له بالمحافظة على دينه. يجب أن تصبحوا مواطنين، تشاركون في صناعة القرار والقانون، ويجب عليكم أن تحصلوا على الجنسية الغربية. قبل سنوات زرت هولندا، وكان أحد المشايخ يصيح (اكتساب الجنسية حرام) فقلت له: وماذا يفعل الهولندي الذي يعتنق الإسلام؟ هل يساق إلى المغرب كي يصبح مواطناً مغربياً؟ يجب أن يطالب المسلمون بحقوقهم عبر الحوار والمنابر الديمقراطية وليس عبر العنف.

ثم انقسم المشاركون إلى خمسة مجموعات عمل Workshop هي:

١- الصليب إلى جانب الهلال

٢- المسلمون والمواطنة التامة

٣- الوضعية الحقوقية للمواطنة

٤- الولاء المزدوج (للإسلام وهولندا)

٥- حاملو مسؤولية المواطنة.

تمت مناقشة مختلف المواضيع المتعلقة بسلوك ومواقف المسلمين تجاه المجتمع الهولندي، والإمكانيات المتاحة قانونياً وسياسياً واجتماعياً من أجل تطوير الشعور بالمواطنة بين المسلمين. بعد ذلك تحدث مندوب كل مجموعة عما توصلت إليه من توصيات ومواقف تجاه القضايا المطروحة.

تأسيس حزب إسلامي أم الانسحاب للحزب السياسي الغربي

كشفت الفترة الأخيرة التي أعقبت أحداث ١١ أيلول / سبتمبر عن كثير من نقاط الضعف التي يعاني منها المسلمون في الغرب سواء على الصعيد الإعلامي والنقص الكبير في الكوادر الصحفية والإعلامية العاملة في وسائل الإعلام الغربية، أو في ضعف الحضور السياسي وتبني وجهة النظر الإسلامية وعرضها على الجمهور الغربي في شتى المجالات. كما أن الجمعيات والمنظمات الإسلامية على اختلاف أحجامها ومستوياتها لم تستطع التأثير على الإعلام الغربي أو في الجمهور الغربي وايصال الموقف الإسلامي الصحيح له.

لعل السؤال الذي يتبادر الى الذهن هو:

أين يمكن الاستماع لوجهة نظر المسلمين؟

هل يكفي استضافة إمام مسجد في هذه الندوة أم الحديث مع ممثل الجالية في برنامج تلفزيوني أو إعداد تقرير مصور عن آراء الجالية المسلمة من خلال الالتقاء ببعض أفرادها في الأحياء الشعبية التي تسكنها في العواصم الغربية؟ بصورة عامة، هل يكفي الحضور الإسلامي البسيط في وسائل الإعلام الغربية للدفاع عن المسلمين وشرح مواقفهم؟

إن المكان الطبيعي للحضور الإسلامي يجب أن يكون في البرلمان الغربي. فهناك يستطيع النواب المسلمون إيصال صوت الجالية المسلمة وتوضيح مواقفها والدفاع عن مصالحها. وفي البرلمان يمكن التأثير أكبر على قادة البلد السياسيين من خلال الحوار والنقاش ورد الاتهامات وعرض المعلومات الصحيحة. ولكن وصول أي نائب مسلم في أي برلمان غربي يستدعي المرور من خلال صناديق الانتخابات وتصويت الشعب له. فإذا ما أقتنع المسلمون بأهمية الوصول للبرلمان في البلد الذي يقيمون فيه، عندها عليهم أن يفكروا في كيفية تحقيق هذا الهدف وطالما أن الأنظمة الديمقراطية الغربية تمنح الجميع حق التعبير عن الرأي وحق التصويت والترشيح للحاصلين على جنسية البلد، فلا يوجد مانع قانوني أو سياسي يمنع وصول المسلمين للبرلمان، ولكن كيف؟ وهنا يوجد سبيلان:

الأول: الإنتماء للأحزاب السياسية الغربية

من خلال الإنتماء للأحزاب السياسية الغربية والعمل بواسطتها على تبني مشاريع وبرامج لصالح المسلمين من خلال كسب أصواتهم كناخبين. وقد أجاز بعض الفقهاء السنة والشريعة كالشيخ القرضاوي والسيد فضل الله، الإنتماء إلى الأحزاب السياسية الغربية لخدمة المصالح الإسلامية. وقد حقق بعض المسلمين نجاحاً في الوصول إلى البرلمانات الغربية كما في هولندا وبلجيكا والنمسا وبريطانيا والدانمارك. واستطاعوا كسب تأييد البرلمان لمصالح المسلمين والدفاع عن قضاياهم. ويرى البعض أن انتماء المسلمين وتوزعهم على الأحزاب السياسية في البلد الواحد يضمن حضوراً إسلامياً في كل دورة برلمانية، ويعزز من قوة الصوت الإسلامي. ورغم هذه النجاحات إلا هذه التجربة لا تخلو من ملاحظات:

١ - أن هؤلاء النواب المسلمين يكونون غالباً من العلمانيين يساريين أو يمينيين ليبراليين ويعتبرون الإسلام مجرد عنصر ديني في ثقافة المسلمين. وافتقادهم لجانب الالتزام الديني والأخلاقي يجعل الجاليات الإسلامية لا تثق بهم أو بولائهم. كما أن بعضهم لا يخفي امتعاضه من المسلمين أو ينتقد ثقافتهم وسلوكهم شأنه شأن أي غربي عنصري. فالنائب المغربي الأصل

أسامة شريبي عن الحزب الليبرالي في البرلمان الهولندي دعا وبصراحة إلى إعادة أبناء جلدته المغاربة (إلى الصحراء التي جاءوا منها). كما كان النائب الوحيد في البرلمان الذي ارتدى ربطة عنق على هيئة العلم الأمريكي في أول ظهور له بعد أحداث ١١ أيلول / سبتمبر.

٢- أنهم مرتبطون تماماً ببرامج أحزابهم التي قد تعارض قضايا المسلمين كالهجرة واللاجئين والحريات الدينية والتعليم الاسلامي وبناء المساجد. فهم بالتالي لن يقدرُوا على الوفاء بالتزاماتهم التي قد يعرضونها في برامجهم الانتخابية. بل أن بعضهم لا يستطيع معارضة حزبه في اقتراح تشريعات مخالفة للإسلام كقتل الرحمة والبغاء والاجهاض وزواج مثلي الجنس.

٣- أن وصولهم للبرلمان مؤقت ومرتبط بوضعهم داخل الحزب فقديري الحزب تقليل تسلسلهم فلا يصعدون على قوائم الحزب الانتخابية أو إخراجهم كلياً من اللائحة وبالتالي لن يدخلوا البرلمان. وقد حدث ذلك فعلاً في هولندا حين تم اخراج محمد الرباع من حزب الخضر بعد ١٢ عاماً في البرلمان وإخراج أسامة شريبي من الحزب الليبرالي لأن اسمه (أسامة) الذي يذكرهم بأسامة ابن لادن(!!).

الثاني: تأسيس حزب سياسي إسلامي

وهي فكرة ما زالت تجد معارضة لأسباب موضوعية. ومع ذلك فقد بادر بعض المسلمين إلى تأسيس أحزاب سياسية إسلامية في الدول الغربية. ففي بريطانيا تأسس (الحزب الإسلامي في بريطانيا) عام ١٩٨٩ من قبل مجموعة من المسلمين البريطانيين أمثال ديفيد بيدكوك زعيم الحزب أنكليزي الأصل وصاحب مستقيم بلر منظر الحزب وهو ألماني الأصل.

وقد شارك الحزب في الانتخابات العامة عام ١٩٩٢ لكنه مني بفشل بسبب أن المنطقة التي ترشح فيها الحزب (برادفورد) ذات خصوصية آسيوية لم تقتنع بتمثيل المسلمين الانكليز البيض لها كما ان المرشحين المسلمين الآسيويين قد دعوا الجالية للتصويت لهم وليس للحزب الإسلامي. ولم تكن علاقة قيادة الحزب قوية مع أئمة المساجد والزعامات الدينية في المنطقة مما جعل الهوية فاصلة بين الطرفين. وفي بلجيكا تأسس حزب النور الإسلامي عام ١٩٩٩ من قبل بعض المسلمين المغاربة على رأسه الأمين العام للحزب رضوان أروش. وقد شارك الحزب في انتخابات ١٣ حزيران ١٩٩٩ وحصل على ١٦ ٪ من أصوات مقاطعة بروكسل وضواحيها. ويأمل الحزب في جذب أصوات أربعائة ألف مسلم في بلجيكا.

وفي هولندا تأسست بعض الأحزاب المحلية ذات صبغة عرقية (كالحزب العربي الديموقراطي) أمستردام، والذي يتزعمه ابراهيم فاروق. وكان فاروق يعمل مسياراً في السفارة السعودية في لاهاي. وكذلك حزب (النداء الجديد) في لاهاي. وهو حزب يساري يمثل الجناح

النشق عن حزب اليسار الأخضر.

وقد يتغلب الحزب الإسلامي على الصعوبات التي ذكرناها آنفاً، من حيث أنه يترشح من هو معروف بأخلاقه والتزامه إضافة إلى اطلاعه وتجربته السياسية. وأن برنامج الحزب يوضع من قبل قيادته وأعضائه المسلمين، فيضع أولويات الجالية على رأس برنامجه. وأن بقاء نوابه في البرلمان يبقى معتمداً على أصوات المسلمين وليس قيادات الأحزاب الغربية الذين يفترض بهم تأييده ومنحه أصواتهم بدلاً من منحها للآخرين. وبذلك تضمن الجالية حضوراً مستمراً في البرلمان. ولكن تبقى هناك صعوبات مثل:

١- تعاني الجاليات الإسلامية في الغرب من تنوع قومي ووطني ومذهبي وتنظيمي وثقافي كبير يجعل من الصعب اتفاقها على أية قضية أو أمر. فما زال المسلمون يفتقدون لمؤسسات إسلامية ورسمية (مجالس إسلامية) تمثلهم أمام السلطات الغربية. يضاف إلى ذلك توجد خلافات وصراعات وتناحر يصل إلى حد التكفير بين بعض الجماعات الإسلامية.

٢- ما يزال كثير من المسلمين لا يحمل معنى إيجابياً لفكرة العمل السياسي من خلال الحزب السياسي لأسباب فقهية وسياسية وثقافية وتجارب مريرة في بلدانهم الأصلية إضافة إلى ذلك ملاحظة السلطات لهم هناك. وهؤلاء لا يشاركون في الانتخابات متنازلين بذلك عن حقهم القانوني لصالح الجماعات اليمينية المعادية لهم.

٣- التوقع على الهموم الشخصية والعائلية أو الطائفية أو الوطنية دون الالتفات لهموم الإسلام والجالية الإسلامية ككل. الأمر الذي يؤدي إلى عدم التفاعل مع أية أطروحات أو أفكار تجمع المسلمين كلهم.

٤- حجم الجالية المسلمة يبقى ضئيلاً قياساً للمجتمعات التي تقيم فيها وبالتالي فحجم المسلمين المصوتين قليل جداً. فإذا أضفنا إليها الإحجام عن المشاركة لدى قطاع كبير فالنتيجة ستكون أنه لا يصل أي مسلم إلى البرلمان عن طريق الحزب الإسلامي لأنه لن يحصل على الأصوات المطلوبة. هذه المشاكل وأهمها تشرذم المسلمين وفرقهم جعل صوتهم خافتاً بسبب عدم وجود تنظيم يجمعها ويوجهها نحو مصالح المسلمين. ولدينا تجربة جديدة: ففي فرنسا يوجد خمسة ملايين مسلم من بينهم مليون ونصف لهم حق التصويت. وبسبب عدم وضوح الرؤية وفقدان التنظيم ضاعت هذه الأصوات لصالح اليسار واليمين الشراكي. وفي ألمانيا يوجد نصف مليون مسلم له حق الاقتراع في الانتخابات ولكن لا تأثير لهم مطلقاً ونفس الشيء تقريباً في بقية البلدان الغربية.

دعوة لتأسيس حزب إسلامي في هولندا

كشفت الأزمة الأخيرة عن العديد من نقاط الضعف التي يعاني منها المسلمون في الغرب، فإضافة إلى النقص الفادح في الحضور الإعلامي والتعبير عن الصوت الإسلامي وقلة الكوادر الصحفية والإعلامية العاملة في وسائل الإعلام الغربية، هناك الارتباك الواضح في كيفية إيصال موقف المسلمين سواء إلى المجتمع الهولندي أو حكومته. إذ بقيت القناة الوحيدة المتاحة هي موافقة رئيس الوزراء أو الوزير على اللقاء بممثلي الجالية في مكتبه أو في مسجد والتعرف على آرائهم ومواقفهم. وهذه القناة تبقى مؤقتة ومرتبطة بظروف الحدث ومدى حرص المسؤولين الهولنديين على سماع صوت الجالية المسلمة.

وفي هذا السياق طرح (وليام ستوكمان) وهو طالب في علم السياسة، فكرة تأسيس حزب إسلامي شبيه بالأحزاب السياسية المسيحية الموجودة في البرلمان مثل CDA وSGP وفي معرض مناقشته للفكرة طرح أهمية وجود حوار دائم بين المسلمين والدولة والمجتمع. وتساءل من يمثل المسلمين؟ وأين يكون الحوار؟ فاقترح فكرة تأسيس حزب إسلامي يمثل المسلمين، أي يأتي نوابه للبرلمان عبر الانتخابات. وأن وجودهم في البرلمان يتيح لنواب الأحزاب الأخرى سماع آراء المسلمين ومقترحاتهم بصدد القضايا والقوانين والمشاكل المطروحة للنقاش في البرلمان.

ربما ليست الفكرة جديدة كلياً حيث تأسست أحزاب إسلامية في بريطانيا وبلجيكا وفرنسا، لكن طرحها في الساحة الهولندية جدير بالتفكير والتدبر. إن الإسلام في الغرب عموماً وخاصة في هولندا يعاني من حالة تخلف ثقافي وإعلامي وسياسي، يعود قسم منها إلى قلة الكوادر الإسلامية الواعية. ولا نقصد بالمسلمة أمثال أولئك الذين هم الآن فعلاً في البرلمان الهولندي لكنهم غير ملتزمين بالإسلام لا ثقافة ولا ممارسة ولا فكراً، بل مجرد انتماء شكلي، بل أن بعضهم يعادي الإسلام والمسلمين صراحة كما هو موقف أسامة شريبي المغربي وعضو حزب VVD اليميني الذي صرح بوجود طرد المغاربة وإعادتهم إلى الصحراء!!

نحن نتطلع إلى صعود عناصر إسلامية معروفة بالتزامها بإسلامها وعقيدتها وثقافتها، وفي نفس الوقت تحمل ثقافة وتعليماً عصرياً يتيح لها التعامل مع الساحة السياسية ووسائل الإعلام بحنكة وقدرة وتأثير، سواء من خلال إجادتها للغة الهولندية، أو التمكن من الأداء السياسي الذي لا يقل عن أي أداء لسياسي غربي. وأن تعي رسالة الإسلام بتفاصيلها وأهمية تكيف الإسلام مع الثقافة الغربية كما تكيف ونجح مع الثقافات الأفريقية والآسيوية، فأمنت به شعوب وأمم اقتناعاً بمبادئه السمحاء وشريعته الواضحة.

يمكن تشكيل الحزب الإسلامي ليضم جميع الطاقات الإسلامية المتواجدة في الساحة و الهولندية، والمؤمنة بأهمية العمل السياسي والتنظيم الحزبي، لأن جميع البلدان الغربية تقوم على التعددية الحزبية. والأحزاب هي التي تحدد في برامجها كيفية تطوير البلد وتوفير الرفاه لشعبها. فالدول الديمقراطية هي دول مؤسسات وأحزاب، تتنافس على كيفية خدمة مجتمعاتها وبلدانها.

ويمكن أن يتشكل الحزب الإسلامي الهولندي من مكتب سياسي يضم مجموعة من المثقفين والجامعيين والسياسيين الملتزمين، رجالاً ونساء، ومن مجلس شورى موسع يضم شباب وعلماء وخطباء وتجار وجامعيين ونساء يقررون السياسة العامة للحزب وعدم مخالفتها لأحكام الإسلام الموافق من المشاريع والقوانين. وأن يكون مبدأ الحزب في توجيهه الإسلامي هو التيسير واستخدام الآراء والفتاوى الإسلامية التي تؤكد مبدأ التسامح والتعايش السلمي مع غير المسلمين، وتيسر نشاط وتواجد ومعيشة المسلمين واندماجهم في المجتمع الهولندي، والابتعاد عن التشدد والتطرف والتعصب لأن ذلك لن يخدم لا الإسلام ولا الجالية المسلمة.

وسيعاني تأسيس الحزب من مشاكل عديدة منها:

- ١- التنوع القومي: حيث يوجد عرب وأتراك وأفغان وباكستان وسورينام.
- ٢- التنوع الوطني: حيث يوجد مغاربة وأتراك وعراقيين ومصريين ولبنانيين وتونسيين وفلسطينيين وهنود وباكستانيين وسوريناميين إضافة إلى مسلمين هولنديين اعتنقوا الإسلام.
- ٣- التنوع المذهبي: حيث يوجد مالكيين وأحناف وشافعيين وشيعة.
- ٤- التنوع التنظيمي: حيث توجد جمعيات إسلامية ومساجد ومراكز ومنظمات ونواد ثقافية واجتماعية.
- ٥- التنوع الثقافي: ريفي، حضري، تقليديين، مثقفين، جيل أول وثاني وثالث.

وهذه المعوقات يجب مناقشتها والاتفاق عليها وكيفية قبول جميع المسلمين في الحزب دون تفرقة أو تمييز، كي يكون لبنة وحدة وتجمع لا تفرق وتشتت. وأن يستثمر كل الوجودات الإسلامية من أجل تحقيق نجاح سياسي عبر تعبئة الأصوات المسلمة التي تقدر بمئات الآلاف والتي تذهب عادة للأحزاب السياسية الأخرى. نأمل مناقشة هذه الفكرة وتنضيجها وتأصيلها خدمة للوجود الإسلامي ودفاعاً عن مصالح المسلمين وتعزيز الاندماج في المجتمع.

على الرغم من أن عددهم يتجاوز المليونين، لم يستطع المسلمون في بريطانيا تحقيق نجاح يذكر في الانتخابات التشريعية الأخيرة حيث فاز نائبان مسلمان فقط من مجموع ٣٥ مرشحاً مسلماً.

ففي عام ٢٠٠١ التي حقق حزب العمال فوزاً كبيراً فيها وليستمر في السلطة لأربع سنوات أخرى، وهو أمر لم يحدث منذ مائة عام، فاز النائبان المسلمان محمد سرور في دائرة غلاسكو (اسكتلند)، وخالد محمود في منطقة برمنغهام بييري بار (انكلترا)، وكلاهما عن حزب العمال الحاكم.

وكان محمد رياض الذي كان أول مرشح مسلم عن حزب المحافظين في مقعد يمكن الفوز به قد فشل في دائرة (برادفورد الغربية) بفارق يزيد على أربعة آلاف صوت لصالح مرشح حزب العمال. والأنكى من ذلك أن تجد الناخبين المسلمين يصوتون لصالح المرشح غير المسلم لحزب العمال ولا يصوتون لصالح المرشح المسلم، بل أن اللورد البريطاني المسلم نذير أحمد من حزب العمال الحاكم كان أحد أهم عوامل خسارة المرشح محمد رياض.

ويرجع فشل المسلمين في إيصال مرشحين آخرين إلى البرلمان إلى انقسامهم وتفرقهم وعجزهم عن توحيد صفوفهم حتى من أجل المصلحة المشتركة للمسلمين. إذ تبقى الفوارق العرقية واللغوية والقومية والمذهبية من عوامل الفرقة بين المسلمين واستمرار انحسارهم عن الحياة السياسية.

وفي دائرة (سباروك بروك وسمول هيث) بمدينة برمنغهام التي تضم أكبر نسبة من المسلمين بين الدوائر الانتخابية في بريطانيا، تشتت الصوت المسلم بين ستة مرشحين مسلمين عن الأحزاب المختلفة، رغم أن مرشحاً مسلماً انسحب في وقت سابق، رغبة في عدم تشتيت الجهد، فكانت النتيجة فوز مرشح غير مسلم لحزب العمال الحاكم، بأغلبية كبيرة تزيد عن ١٦ ألف صوت عن أقرب المرشحين إليه.

الجدير بالذكر أن الأحزاب البريطانية تلعب على الانقسامات الاجتماعية والسياسية بين المسلمين. فحين رشحت الأحزاب البريطانية ٢٨ مسلماً في هذه الانتخابات، لم يكن سوى اثنين منهم مرشحين فيما يسمى بـ(دائرة مضمونة)، بينما كان الآخرون في دوائر أقل حظاً. وفي بعض الأحيان تم ترشيح عدة مرشحين مسلمين لينافسوا بعضهم بعضاً في دائرة واحدة، فأدى إلى تشتيت أصوات الناخبين بينهم ولم يفز واحد منهم.

وما زالت الأحزاب البريطانية غير راغبة في ضم مرشحين مسلمين قادرين على الفوز ودخول البرلمان البريطاني. ففي غلاسكو تم جلب محامية من خارج الدائرة الانتخابية على حساب عضو المجلس البلدي المسلم فيها، الذي استثنى حتى من بلوغ القائمة النهائية في فرع الحزب في المنطقة للمتنافسين على ترشيح الحزب في الانتخابات.

فضيحة انتخابية

بسبب التعصب والتنافس الأعمى والتحاسد قام المسلمون في دائرة (إيلفورد الجنوبية) في لندن بترشيح النائب العمالي (مايك غيبس) المعروف بعدائه للإسلام والمسلمين وانتقاده الدول الإسلامية التي تطور أسلحتها الدفاعية. كما أنه نائب رئيس (لجنة أصدقاء إسرائيل) في حزب العمال البريطاني. ولم ينتقد ولو مرة واحدة التسلح الاسرائيلي بما في ذلك السلاح النووي. وكان يرفض تسليح مسلمي البوسنة للدفاع عن أنفسهم. كما دافع بشدة عن قانون (الارهاب) الجديد الذي أقره البرلمان البريطاني مؤخراً حيث صوّت ٢١ منظمة، غالبية إسلامية، بأنها منظمات إرهابية.

وكان هذا النائب قد فاز بأربعة عشر ألف صوت في الانتخابات الماضية كان عدد أصوات المسلمين منها يبلغ عشرة آلاف صوت!!! وعندما شنت (جمعية مسلمي إيلفورد) حملة ضد مايك غيبس قبل الانتخابات من أجل حجب أصوات المسلمين عنه بسبب مواقفه المعادية لقضايا المسلمين، قام بعض المسلمين الناشطين في حزب العمال بحملة مضادة خدعت الناخبين المسلمين حين أعلن هؤلاء المسلمين من حزب العمال أن المشكلة مع النائب المذكور قد حلت، لكن شيئاً من ذلك لم يحدث.

فها هي نماذج مطورة من العمالة والتبعية للآخر حتى في بلده ومن أجل خدمة قضايا ونوابه وليس من أجل مصلحة المسلمين ولا الجالية المسلمة.

ولفهم خسارة المسلمين يشار إلى أن نسبة المسلمين في بريطانيا (٥٩ مليون نسمة) تبلغ ٣٪ لكنهم ممثلون في البرلمان بنائين فقط من أصل ٦٥٩ نائباً، أي بنسبة ٣,٠٪ فقط، رغم حوض ٣٤ نائباً الانتخابات الأخيرة. وكان المسلمون في مجلس العموم السابق (المنتخب عام ١٩٩٧) ممثلون بنائب واحد فقط. أما الجالية اليهودية التي لا يكاد عدد أفرادها في بريطانيا يزيد على خمس المسلمين فلديهم عشرون نائباً يهودياً في البرلمان.

مسلمو أمريكا أكثر تنظيهم

في عام ١٩٩٦ رفض مرشح مجلس الشيوخ الأمريكي ريتشارد زيمر قبول دعم مسلمي نيو جيرسي له خوفاً من انتقادات يهود الولاية له. فما كان منهم إلا أن دعموا ترشيح منافسه روبرت تور تشلي الذي أعلن أن دعم المسلمين له هو سبب فوزه.

تعتبر تلك الحادثة بداية صعود التأثير الإسلامي على الانتخابات الأمريكية، واهتمام المسلمين بالعمل السياسي في الساحة الأمريكية، مما دعاهم للإستعداد للعب دور فعال في انتخابات عام ٢٠٠٠ من خلال مبادرات هامة:

الأولى: قيام المؤسسات الإسلامية الكبرى وهي مجلس العلاقات الإسلامية والتحالف الأمريكي والمجلس الإسلامي الأمريكي ومجلس الشؤون العامة الإسلامي بإنشاء مجلس تنسيقي بينها، واتفقت على أهداف سياسية واضحة ومشتركة تتمثل في التركيز على الشؤون الداخلية للمسلمين والدفاع عن حقوق أبناء الجالية المسلمة في عدم التمييز ضدهم وعدم الإساءة إلى سمعتهم أو إلى مقدساتهم؛ والعمل على تسجيل الناخبين المسلمين واقناعهم بأهمية التصويت والمشاركة في الانتخابات؛ والاتفاق على قضية القدس كقضية محورية يلتقي عليها المسلمون على اختلاف قومياتهم وثقافتهم ولغاتهم الأصلية.

الثانية: الإتفاق على أن يصوت مسلمو أمريكا ككتلة انتخابية واحدة، ونشر استطلاعات الرأي الإسلامي في وسائل الإعلام. وقد تبين أن الجالية المسلمة تؤيد الحزب الديمقراطي في سياساته الداخلية المفتوحة على الأقليات، وتؤيد الحزب الجمهوري في سياساته المحافظة تجاه الأسرة والأخلاق.

وقبل انتخابات الرئاسة الأمريكية التقى قادة المنظمات الإسلامية بأمريكا بمرشح الحزب الجمهوري جورج بوش حيث أبدى استعدادة للتعاون مع الوفد وتلبية مطالبه ومنها إدانة قانون الأدلة السرية الذي يطبق بشكل تمييزي ضد المسلمين والعرب من قبل سلطات الهجرة.

وفي الوقت الذي صوت فيه يهود أمريكا لصالح آل غور ونائبه اليهودي، صوت المسلمون لصالح بوش. فلأول مرة في تاريخ الانتخابات الرئاسية الأمريكية تعلن مجموعة عمل سياسية مسلمة PAC دعمها لأحد مرشحي الرئاسة كمرشح مفضل من قبل مسلمي أمريكا. وقد تبنت ترشيح بوش. وقد اهتمت وسائل الإعلام والمؤسسات والأوساط الحزبية الأمريكية بهذه المبادرة. وقد شعر المسلمون لأول مرة بوجودهم على الخريطة السياسية الأمريكية.

وعندما تولى جورج بوش الرئاسة هنأت المنظمات الإسلامية مطالبة إياه بتعيين عدد أكبر من المسلمين والعرب الأمريكيين في الإدارة الأمريكية. وقد عين سفيران من أصل عربي في الشرق الأوسط.

بين حين وآخر تثار قضايا الزواج وتعدد الزوجات في الإسلام، سواء في الإعلام العربي أو الإعلام الغربي، حيث يجري تسليط الأضواء على الجوانب السلبية والنواحي الظاهرية في تعدد الزوجات مثلاً، دون التعمق في طبيعة التشريع الإسلامي والشروط العديدة الواجب توفرها قبل الإقدام على هذه الخطوة.

ويلاحظ أن الإعلام الغربي يركز دائماً على تعدد الزوجات في الإسلام دون بقية القضايا الخاصة بالزواج مثل الطلاق. ولا نرى سبباً في هذا الإغماض عن جانب والتركيز على جانب معين إلا لثن المجتمعات الغربية قد أقرت فكرة الطلاق وشرعت لها قوانين، مع العلم أن الطلاق محرم في المسيحية. لقد اضطرت الدول الغربية إلى تشريع الطلاق لأن الحياة الزوجية واجهت صعوبات ومشاكل عديدة في العصر الحالي، بسبب تطور الأوضاع الاقتصادية والثقافية، وترسخ مبدأ الحرية الشخصية، التي هي حجر الزاوية في الفلسفة الرأسمالية والديمقراطيات الغربية. فلماذا لا يجري مقارنة الطلاق بين الإسلام والقوانين الغربية أو النظرة الغربية؟ ولماذا لا ينتقد الطلاق مثل غيره؟ بالطبع لا يتوقع أن ينتقد الغربيون مبدأهم يؤمنون به ولا يتخلون عنه، وتوصلوا إليه بعد ألفي عام على نشوء المسيحية، بينما شرعه الإسلام قبل خمسة عشر قرناً.

ويجب أن لا ننسى أن الطلاق في الإسلام يمر بمراحل تبدأ بمحاولة الإصلاح بين الزوجين بواسطة انتخاب حكم من أهله وحكم من أهلها. كما أن الطلاق ثلاث مرات، يمكن للزوج مراجعة زوجته قبل انتهاء العدة وعودة الحياة الزوجية مرة أخرى. أما إذا طلقها للمرة الثالثة فلا يحل له إرجاعها، إلا أن تزوج غيره، ثم يطلقها هذا الزوج، عندئذ يجوز للزوج الأول أن يعقد عليها بعقد جديد. وهذه الحالة تشبه العقوبة كي لا يصبح الطلاق هواً أو عبثاً في الحياة الزوجية. أما الطلاق في المجتمعات الغربية فهو على معدلات كبيرة، فأغلب المجتمعات الأوربية لا تقل نسبة الطلاق عن ٥٠٪، أي أن واحدة من زيجتين تنتهي بالطلاق. مع العلم أن أعلى معدلات الطلاق في العالم الإسلامية لا تتجاوز ١٥٪ فقط.

أباح الإسلام تعدد الزوجات إلى حد أربع زوجات في وقت واحد. ولم يكن ذلك شيئاً كمالياً أو مزاجياً رغم ما تعارف عليه المجتمع الإسلامي والسوابق التاريخية لممارسة هذا الحق بين المسلمين.

لقد وضع تعدد الزوجات كحل لمشاكل اجتماعية ونفسية واقتصادية، أي أن هناك مشكلة ملحة لا يمكن حلها بشك عملي إلا بتعدد الزوجات، مثلاً عقم الزوجة الأولى أو مرضها، أو وجود امرأة ذات وضع خاص ويراد ضمها للعائلة وغيرها. ووضع شروطاً أهمها العدالة في المعاملة الاقتصادية والمعيشية والجنسية.

وبالرغم من كل ما يقال عن تعدد الزوجات فهو في طريقه إلى الانحسار في المجتمعات الإسلامية بسبب تعقد الأوضاع الاقتصادية، وصعوبة جمع الزوجات في منزل واحد بسبب الآثار النفسية والاجتماعية المترتبة عليه. فكم رجل لديه زوجتان في العصر الحالي؟ قد لا يتجاوز واحد بالألف. أما الذي لديه ثلاث زوجات فنادر جداً. ولا يعني ذلك إلغاء التشريع الإسلامي بل يعني أن مصاديقه وتطبيقاته أصبحت قليلة في الوقت الراهن. ولا نعلم قد نحتاج إلى تعدد الزوجات كحل مثالي مستقبلاً، وفي ظروف خاصة، لأن الإسلام وجد ليقي طول الدهر، وليس لفترة محدودة أو مجتمع معين.

أما الغرب الذي ينتقد تعدد الزوجات بلا طائل، فهو يمارس (تعدد العشيقات)، إذ لا يكاد رجل غربي يخلو من ارتباطه بعشيقة غير الزوجة. ففي هولندا لوحظ أن حوالي ٨٠٪ من الرجال لديهم عشيقات أو ما يسمونه صديقات. بالطبع، ليس للعشيقة أية حقوق أو امتيازات قانونية أو إرث أو غيره. وما تزال الأوساط الرسمية في الغرب ترفض وجود العشيقة علناً، فقد رفضت ملكة هولندا استمرار سفيرها في جنوب أفريقيا لأنه كان يصطحب عشيقة. كما أن عشيقة الرئيس الفرنسي السابق فرانسوا ميتران قد ظهرت بعد وفاته، وأن لديها بنت منه. بالطبع بقيت في الظل في حياته وبعد مماته، إذ أنها لا تستحق شيئاً هي وابتنتها. فأيهما أفضل للمرأة أن تكون مجرد متعة جنسية تمارس في الخفاء، أم زوجة محترمة اجتماعياً، ولها أولاد يحملون اسم وإرث أبيهم؟ تقول أستاذة جامعية فرنسية: أفضل أن أكون زوجة عاشرة لرجل ناجح، على أن أكون زوجة واحدة لرجل فاشل.

يركز الإعلام الغربي على رسم صورة مشوهة للمرأة المسلمة ويتهمها بالتحجر والتخلف والجمود، ويتباكى على حقوقها المهضومة! وحرمتها المنتهكة! وسجنها وراء الحجاب. وبين حين وآخر يختار الإعلام الغربي قضية فتاة أو مأساة امرأة مسلمة تعرضت لاضطهاد الزوج أو الأهل، ليدعي أن كل الرجال المسلمين يمارسون نفس التصرف، وأن كل النساء المسلمات يعانين نفس المعاناة والظلم الاجتماعي. هذا التكرار يرسخ في وعي المشاهد أو المتلقي الغربي

صورة الرجل المسلم بعنفه وجبروته وقسوته، والمرأة المسلمة المستسلمة الخائفة. ويجري الخلط المتعمد بين الأعراف والتقاليد لدى بعض المجتمعات الإسلامية والمهاجرين المسلمين بالأحكام والتشريعات الإسلامية، حتى أصبح كل ما يصدر عن المسلم يمثل الإسلام؟! إن الحجاب صيانة للمرأة من نظرات وشهوات، وحاجزاً يمنعها من الإنسياق في الرذيلة وتعريض نفسها لمواقف مؤلمة، قد تتعرض فيها للفاحشة أو الإغتصاب.

ونتساءل هل استطاع الغرب حل المشكلة الجنسية بالحرية والإباحية؟ إن الوضع النفسي والاجتماعي للمرأة الغربية يسوده القلق والخوف. فما زالت جرائم الإغتصاب ترعب كل فتاة وامرأة غربية. فالإحصائيات في هولندا تشير إلى أنه كل ٥, ١ ساعة ترتكب جريمة إغتصاب بالقوة وكل ٧, ١ ساعة ترتكب جريمة جنسية. أي أنه في كل يوم تتعرض ١٦ امرأة للإغتصاب. وقد نتساءل لماذا هذا المعدل المرتفع في بلد صغير مثل هولندا؟ أليست هناك حرية جنسية، تمكن كل رجل من التمتع بها؟ ألا توجد بيوت رسمية ومحلات لتجارة الجنس علنية في كل مدينة؟ فلماذا تحدث جرائم الإغتصاب إذن؟

إن السبب الرئيسي هو هذه الحرية الواسعة والفوضى الجنسية، تحرر النساء من العفة والخلق القويم والخلاعة في الملابس بما يثير الشهوات لدى الرجال وخاصة الشاذين منهم الذين يجدون ضحيتهم لوحدها في ساعة متأخرة في الشارع أو محطة قطار أو مارة ليلاً في غابة أو حديقة عامة. لقد فتحت الحرية الجنسية في الغرب الباب على مصراعيه لكل أنواع الشذوذ الجنسي، والاعتداء على الأطفال الأبرياء والاتجار بهم، والاعتداء على المحارم كالبنات والأم والأخت بشكل مثير للاشمئزاز، وحدوث حالات حمل من هذا الانتهاك الصارخ للروابط الأسرية المقدسة في كل الشرائع.

وتعاني المرأة الغربية من التحرش الجنسي في كل مكان، في العمل حيث تشير الإحصاءات وبلاغات الشرطة إلى ارتفاع حالات التحرش والإكراه على ممارسة الجنس من قبل رب العمل أو زملاء العمل. وبلغ الأمر خطورته حتى في المستشفيات والمراكز الطبية، حيث أبلغ عام ١٩٩٣ عن ١٥٤ حالة تحرش جنسي، منها ٣٩ حالة شذوذ و١٢ حالة اغتصاب في المراكز الطبية في هولندا. والجناة هم أطباء وممرضون ومساعدون وعاملون في العلاج الطبيعي. وحتى في المدارس تعرض بعض التلاميذ إلى اللواط من قبل معلمهم. كما أنه تم فصل ١٣ قسيساً لممارستهم الجنس مع المترددين على الكنائس الكاثوليكية. إذن لا يكاد يوجد مكان عام أو خاص يخلو من جرائم الجنس. وهناك أرقام وقضايا كثير لا يمكن نشرها أو الحديث بها لبشاعتها. كل ذلك نتيجة الإباحية الجنسية التي اعتقد الغرب أنها الحل للمشكلة الجنسية، فهل كان حلاً ناجحاً؟

الزواج بالانكحة - الزواج بالانكحة

من الظواهر الاجتماعية التي برزت أثناء الهجرة خلال العقدين الماضيين هو نزوع العديد من العراقيين المهاجرين للزواج بغير العراقيات. فمن الطبيعي أن يبحث الشاب عن شريكة حياته ويبنى بيت الزوجية الذي يوفر له الأمان والراحة النفسية والاجتماعية. ويصبح بمثابة الملاذ الوحيد له في غربته، يؤنسه الحديث مع أولاده وزوجته، يتحمل مسؤوليتهم. فالبيت يحتل مكانة للإنسان المسلم وخاصة في أجواء الغربة. ففي البيت يطل على عالمه الصغير بل مملكته. وبواسطته يصنع علاقات حميمة وروابط عائلية سواء مع أقاربه الجدد أو مع عائلات أخرى من الأصدقاء والمعارف.

إن الشاب لا يمكنه تحقيق ذاته وبناء موقع اجتماعي دون أن تكون له أسرة. فالأعزب يبقى يعاني من الأعراف الاجتماعية التي لا تفتح أمامه قبل الزواج. ولا يعني ذلك أن الأعزب غير قادر على ممارسة دوره في الحياة العامة والمشاركة في النشاطات الاجتماعية والفكرية والثقافية، لكن الجانب الجنسي يبقى يشغل تفكيره كثيراً، فيعيش في معاناة مستمرة طالما أن هناك موانع شرعية تمنعه من ذلك. فإذا ما تم تأمين هذا الأمر عبر الزواج، سيكون بإمكانه التفرغ لمسؤوليات أكبر سواء على صعيد الأسرة أو المجتمع. والإسلام يشجع على الزواج كثيراً.

فيديو: الزواج بالانكحة

خلال الهجرة الطويلة من بلد إلى بلد، ظهرت الحاجة للزوجة المناسبة. وكان لقلة عدد الفتيات العراقيات المهاجرات، والشروط الثقيلة التي يضعها الأهل عند تقدم الشاب للخطبة هما السببان الرئيسيان من مجموعة أسباب دعت الشباب العراقي للبحث ثم الارتباط بزوجات غير عراقيات. ففي الساحة الإيرانية تزوج الكثيرون بإيرانيات، كما تزوج آخرون بسوريات ولبنانيات ومصريات، إضافة إلى جنسيات عربية وإسلامية أخرى من آسيا وشمال أفريقيا. وهناك حالات نادرة كانت فيها الزوجة ذات بشرة سوداء. وكما انتشر العراقيون في كل بلدان العالم فقد تزوج بعضهم من البلدان التي استقروا فيها. وفي الغرب لم يكن الوضع مختلفاً فقد تزوج العراقيون بأوروبيات وأمريكيات ومن كل الجنسيات. والشرعية الإسلامية لا تمنع زواج المسلم بالمسلمة من غير أهل بلده، ولا بالكتابية. كما أن الزواج المختلط أمر طبيعي تاريخياً وفي الوقت الحاضر. وكل المجتمعات الإسلامية قد تعارفت عليه وتعتبره أمراً عادياً.

١ النخيل - العدد: ١١ - أيلول ١٩٩١ تمكنا من هداية بعض الغربيوا من هداية بعض الغريبات الاجتماعية ثانياً.. مها كانت جنسيتها أقاربه

إن الزواج المختلط الثقافات يتضمن فروقاً في الثقافة والعادات والتقاليد والسلوك الاجتماعي ونمط التفكير. وهذه الفوارق قد لا تظهر في الأيام الأولى للزواج ولكن تبدو جلية فيما بعد. إن اختلاف ثقافة الزوجين ومستواهما العلمي والاجتماعي والبيئة التي تربيا فيها، تبقى مؤثرة في أسلوب تفكيرهما ونمط حياتهما وكيفية تعاملهما مع القضايا والمشاكل التي يواجهانها. ومن غير المتوقع أن تتغير المعالم الأساسية في الشخصية دون اضطراب أو توتر أو تنازل. هذا الاختلاف قد يمكن تجاوزه فيما يتعلق بالسلوك الشخصي ولكن تظهر مخاطره عند تربية الأولاد أو التعامل معهم. فهؤلاء الأبرياء سيكونون ضحية الاختلاف الفكري والثقافي للزوجين. كما أن وضع الزوج (المرتبط بزوجة أوروبية) الغريب عن المجتمع الأوروبي لن يكون مريحاً في كل الأوقات، بل قد يتعرض إلى مواقف محرجة أو سوء معاملة بسبب لونه وثقافته. يقول مسلم تركي متزوج من هولندية ولديه أولاد كبار أنه طالما يتعرض للإهانة أو التشكيك في وجوده في حفل أقارب الزوجة، ويُطرح هذا السؤال: ماذا يفعل هذا الأجنبي هنا؟

الإنسان المؤمن يبحث عن الزوجة الصالحة والمؤمنة، مهما كانت جنسيتها، فمن خلال انفتاحه على الآخرين سيمد جسر التفاهم إلى ثقافة الآخر، يبني علاقة مؤطرة بتعاليم الإسلام أولاً ومرعية للأعراف الاجتماعية ثانياً. هناك تجارب رائعة لعراقيين مؤمنين تمكنوا من هداية بعض الغربيات المسيحيات إلى الإسلام، إلى الهدى والإيمان، إلى الفضيلة والعفة والتقوى، ثم تزوجوا بهن، وشيدوا أسر إسلامية تنهل من الإسلام وتعاليمه. وهناك تجارب أخرى كانت المشاكل أبرز معالمها، لاختلاف الثقافة والعادات وعدم تكيف الزوجين مع بعضهما البعض، أو مع الوضع الاجتماعي الجديد لكليهما بعد الزواج. من الأمور الهامة هو دراسة وتفهم وضع المرأة وسلوكها وعاداتها قبل الزواج، وتحديد ما يمكن أن يتبدل وما هو ثابت، وإلا فإن أول مشكلة مهما كانت صغيرة ستكون ساحة للخصام والعناد وعدم الرضا.

ويلعب الآخرون أو المجتمع دوراً هاماً في إذكاء نار الخصام أو إطفائها، حسب نظرتهم وفهمهم للحياة والعلاقات والسلوك. فمن غير المقبول مثلاً في أوساط بعض العراقيين أن تدخن امرأة، وخاصة الشابة، أمام الرجال سواء من الأقارب أو الأصدقاء، لكن بعض المجتمعات الإسلامية تعتبره أمراً عادياً. أو تقوم الزوجة بالجلوس مع زوجها في مجلس خاص يضم رجالاً وتناقشهم في شتى المواضيع. ورغم أن ذلك السلوك قد لا يكون عليه شائبة في الشريعة الإسلامية، وهي

المقياس الأول لسلوكنا، إلا أن الناس قد لا تفهم ذلك ويبدأ الهمس والتشكيك ليخلق مشكلة بين الزوجين. ولا يعني ذلك أن كل الأجنبية يارسن هذا السلوك، بل على العكس هناك زوجات صالحات تكيفن مع أقسى الظروف المعيشية والاجتماعية، وتفهمن متطلبات موقع الزوج وعلاقاته سواء على صعيد الأهل والأقارب أو على صعيد الأصدقاء. وكن بذلك أفضل من كثيرات لم يبلغن ذلك المستوى.

بيدي الأزواج العراقيون ميلاً واضحاً لاكتساب هوية وثقافة الزوجة غير العراقية. فترى لغة الزوجة هي السائدة في المنزل سواء مع الزوج أو مع الأولاد. كما أن السلوك البيتي يستمد مقوماته من ثقافة الزوجة وعاداتها. ومن النادر أن تجد زوجاً عراقياً علّم زوجته -غير العراقية- لغته أو لهجته أو عاداته. وقد يكون ذلك سلوكاً طبيعياً في الشخصية العراقية واستعدادها للذوبان أمام شخصية الآخر. وربما كانت هناك رغبة في التخلي عما درج عليه من عادات أو محاولة للتغيير في نمط الحياة ورتابة العرف. ولا ننسى أن هناك زوجات يبذلن ما باستطاعتهن للتكيف مع المجتمع العراقي، اللهجة العراقية.

إن الخوض في موضوع الزواج بالأجنبيات بحاجة إلى إلقاء الأضواء على تجارب الذين مروا به. وقد أردنا بطرح هذه التساؤلات إثارة الموضوع آملين أن يبادر أصحاب الخبرة والتجربة للإدلاء بدلوهم وتوضيح مواقفهم ومشاعرهم حول هذه التجربة الاجتماعية الرائعة.

الفصل الخامس

المسائل المطروحة

بدأ التلفزيون الهولندي البث المباشر لحريق مبنى مركز التجارة العالمي ونقل مباشرة إرتطام الطائرة الثانية بالبرج الآخر. وبقي الحدث الأمريكي مهيمناً على وسائل الإعلام الهولندية ليلاً ونهاراً وهي تتابع بالتقارير والصور والمشاهد المرعبة لانهباء البرجين وسقوط آلاف الضحايا. وبقيت ملتزمة بشعارات محطة (سي. أن. أن) الأمريكية من (أمريكا تحت الهجوم) إلى (الحرب الجديدة لأمريكا) إلى (أمريكا ضد الإرهاب). مباشرة بعد الحادث عقدت الحكومة جلسة طارئة برئاسة الوزير الأول (فيم كوك) ندد بالعمل الإرهابي كما أعلن إنه والملكة بياتريس أرسلتا برقيات تعزية إلى الرئيس بوش وأنه إتصل بوزير الخارجية كولن باول. وبعد أن أعلنت واشنطن الحرب على الإرهاب قامت هولندا بالإعلان نفسه.

أصدرت الحكومة تعليقات بالحداد الرسمي يوم الجمعة ١٤/٩/٢٠٠١ حيث توقفت الحركة ثلاث دقائق عند الساعة الثانية عشر ظهراً وتوقفت السيارات في الشوارع والطرق السريعة كما توقف الناس عن الحركة في المدارس والشوارع والأسواق والشركات والمعامل وتم تنكيس العلم الهولندي على المباني الحكومية وشبه الرسمية. كما ألغيت فقرات الموسيقى ومظاهر البهجة من احتفال يوم الأمير يوم ١٨/٩/٢٠٠١ الذي تلقي فيه الملكة خطاب العرش أمام البرلمان الهولندي موضحة سياسة الحكومة في الدورة البرلمانية الجديدة. وقد توقفت العربة الملكية في طريق عودتها إلى القصر الملكي دقائق أمام مبنى السفارة الأمريكية في لاهاي تعبيراً عن الحزن وتضامناً مع الشعب الأمريكي. وكان رئيس الوزراء وأعضاء حكومته قد ذهبوا مشياً من مبنى البرلمان إلى السفارة الأمريكية للتعبير عن حزنهم ووقوفهم إلى جانب الحكومة والشعب الأمريكي.

وصرح وزير الخارجية (فان آر تسن) بأن (الحملة الغربية ليست بين الغرب والإسلام. فليس هناك صراع بين الأديان. فقد دان العالم الإسلامي الانفجارات في أمريكا. إنه كفاح ضد جماعات معينة ضد دول معينة. فهذا ما يجب أن تسير عليه الحملة الإعلامية والسياسية). أما وزير العدل (كورتهاالس) فتساءل إن كان بين الثلاثين ألف لاجئ أفغاني في هولندا من هو على صلة بأسامة بن لادن.

وارتفع صوت الكنيسة الهولندية مندداً بالأعمال العدائية ضد المسلمين، حيث صرح الأسقف مينت يان فابر من مجلس السلم الكنائسي أن [الجالية المسلمة باتت هي الأضعف في المجتمع وتعرض للتهديد فيجب حمايتها. وطالما أن الحكومة الهولندية اعتبرت نفسها في حرب إلى جانب بوش فلا ننسى أن لنا علاقات واتفاقيات مع المسلمين في الشرق الأوسط والباكستان. كما يجب تقوية العلاقات مع المسلمين في بلادنا ليشعر الجميع إن الخلفية الدينية لن تمنع التكامل الإنساني]. وبدل أن تسعى السلطات الهولندية إلى توفير الحماية للمسلمين قامت منذ وقوع الانفجارات بتشديد الرقابة على الناشطين المسلمين خاصة أولئك المشتبه بعلاقتهم مع الجماعات الإسلامية. كما قامت بتشديد إجراءات التفتيش للقادمين من الدول الإسلامية أو المسافرين إليها.

في اليوم التالي للحدث تمسكت وسائل الإعلام الهولندية بالرواية الأمريكية بأن أسامة بن لادن هو الذي يقف وراء التفجيرات فنشرت صورته تحت عناوين مثل (المليونير بن لادن يجاهد بالأموال والفتاوى ضد أمريكا) و (كان بن لادن يشير إلى نفسه قبل الانفجارات) وأبدت جميع وسائل الإعلام الهولندية تقريباً موقفاً عدائياً واضحاً ضد الإسلام والمسلمين. كما لعبت دوراً تحريضياً في تصعيد ردود الأفعال الشعبية والسياسية ضد المسلمين. ففي الوقت الذي تناقلت فيه وكالات الأنباء خبر اعتقال أربعة من المشتبه بهم في روتردام والذين ينتمون إلى جنسيات جزائرية وتونسية سارعت الصحف الهولندية إلى إذكاء الحقد ضد المسلمين حين نشرت الخبر تحت عناوين (إحتمال تورط مسلمين في الانفجارات). وكالعادة لا يذكر دين الجاني أو المتهم إلا إذا كان مسلماً. ورغم أن متحدثاً رسمياً نفى ارتباط المتهمين بخط بن لادن لكن الإعلام الهولندي بقي مصراً على استخدام عبارات مثل (مسلمين متشددين) أي لم تذكر جنسياتهم، و(إرهابيين) رغم إنهم متهمون ولم يتم التحقيق معهم بعد. ولم يقدموا إلى محاكمة ولم تثبت التهمة عليهم أصلاً.

ولم تقتصر حملة التصعيد الإعلامي على نشر الأخبار المنحازة ضد المسلمين بشكل أفقد وسائل الإعلام الكثير من مصداقيتها بل استخدمت الصورة كمحفز بصري يمكن من خلالها تمييز الكثير من الكراهية والحقد عند ربط هذه الصور مع خلفية الانفجارات المأساوية في أمريكا. فقد نشرت صحيفة (تراو) القومية على الصفحة الأولى صورة امرأة منقبة يقودها أفراد من الشرطة الألمانية إلى سيارة الشرطة للتحقيق معها. كما نشرت الصفحة الداخلية صورة هاتف نقال مرسوم

على شاشته الصغيرة طائرة تقترب من الإرتطام بمبنى مركز التجارة العالمي مع عبارة بالعربية (صابت ما خابت) مع ترجمة العبارة للإيجاء بأن العرب والمسلمين فرحون بالانفجارات ويهنئ بعضهم بعضاً. كما نشرت صور الجماعات الإسلامية الباكستانية الغاضبة على شن الحرب على أفغانستان وهم يهتفون ويصرخون حيث أفواههم مفتوحة وعيونهم غاضبة وأيديهم تلوح في الهواء بالرفض. كما نشرت كاريكاتير يصور طائرة البوينغ يقودها عربي يرتدي كوفيته موجهاً مقدمة الطائرة نحو شباك مركز التجارة العالمي بشكل يضع القارئ مكان الضحية كي يثير في نفسه الذعر والكرهية والإستفزاز ضد العرب.

ورغم أن وسائل الإعلام نشرت تعرض المسلمين إلى اعتداءات عنصرية لكنها لم تبث خبر زيارة الرئيس الأمريكي بوش إلى المركز الإسلامي في واشنطن وتأكيد على ضرورة إحترام المسلمين والعرب وعدم الإعتداء على أماكن العبادة والمدارس الإسلامية لأن المواطن الهولندي المتعاطف مع أمريكا سياًخذ تصريحات بوش بنظر الإعتبار ولعله سيغير موقفه العدائي في هذه المرحلة. وعلى الرغم من أن الجالية الإسلامية لا تتجاوز نسبتها ٤٪ من السكان ورغم تحالفها في ميادين العمل والدراسة والمناصب الحكومية والإعلام والتجارة، أي أنها جالية ضعيفة بالمقاييس المادية والإجتماعية لكن الإعلام الهولندي يريد جعلها بعباً وأنها مصدر خطر للمجتمع الهولندي من خلال التركيز على الربط بين الإرهاب والإسلام وأن المسلمين وراء الأعمال الإرهابية التي حدثت في أمريكا.

ونشرت إحصائية قامت بها صحيفة كونتراست التي تعنى بالتعدد الثقافي جاء فيها إن (٤٧٧ ٪) من المسلمين في هولندا يتفهمون الانفجارات الإرهابية في أمريكا وان (٦١٥ ٪) يُدينونها وان ٥٪ فقط منهم يؤيدونها. وقد رفض رئيس الوزراء هذه النسبة القليلة واعتبرها غير مقبولة. كما أعلن وزير الأقليات إنه سيقوم بمحادثات مع القيادات الإسلامية في هولندا. ورغم أن أحد الصحفيين استنكر موقف رئيس الوزراء باعتباره انه يخرق حرية التعبير المضمونة في الديمقراطيات الغربية لكن رئيس الوزراء برر رفضه للنتائج بأنه يجب بذل الجهود وتوجيه هؤلاء المسلمين كي يتفهموا ما يجري كما اتهم الإحصائية بأنها غير دقيقة أو استعجلت النتائج أو قامت باستجواب الناس في ظروف غير واضحة.

وحاولت وسائل الإعلام الهولندية ترسيخ قضية الإرهاب واعتباره جزءاً لا يفصل عن شخصية المسلم. ففي ندوة تلفزيونية موسعة إستضافة العديد من المفكرين والكتاب والصحفيين والبرلمانيين والوزراء وأساتذة الجامعات أثار مدير الندوة محوراً يربط بين الإرهاب والتربية الإسلامية للفرد المسلم وبين مفهوم الموت والحياة عند المسلم والعمليات الإنتحارية.

وكان من بين الحضور مجموعة من اليهود بينهم حاخام حاولوا التركيز على أن الدين الإسلامي يقبل ويتسامح مع الإرهاب ويسميه جهاداً، لكن حضور بعض المسلمين والهولنديين المنصفين فوت الفرصة على مسير الندوة لتنتهي بأن سبب الإرهاب هو التعنت الإسرائيلي ودعم أمريكا اللامحدود لإسرائيل.

وشهدت الصحافة الهولندية جدلاً واسعاً حول مفهوم الإرهاب والصراع بين الغرب والعالم الإسلامي و العودة إلى الحرب الباردة التي صار الإسلام فيها بديلاً عن المعسكر الشيوعي. وكتب أحد كتاب الأعمدة عموداً حاول التشكيك بالموقف الإسلامي الرفض لهذه العمليات فقد كتب إفمينكو في صحيفة (تراو) يقول (هناك مئات الآلاف إن لم يكن الملايين في العالم ممن أبدوا سعادتهم من ذهاب الضحايا في نيويورك و واشنطن. ليس فقط في الأراضي المحتلة أو لبنان بل في العديد من المدن الإسلامية و أحياء المهاجرين مثلاً في فرنسا وهولندا). ثم يحاول إستعداد الشارع الهولندي باتهام الأقليات المسلمة بالتعصب و الإصولية، و إن المستقبل غامض لاحتفال تصادم الحضارات و الثقافات. و أن خطأ الديمقراطية يكمن في تسامحها مع العقائد الدينية و السلطوية و الأقلية المتشددة. وقد رد عليه بعض الهولنديين و وصفوا مقالته بعدم الدقة و التعميم على كل المسلمين. و أن الجهاد ليس إرهاباً بل حالة دفاع عن النفس تجاه عدو خارجي.

و لم تعد الصحافة بعض الأصوات المنصفة فقد نشر الفقيه القانوني و الأستاذ في جامعة أمستردام فارد فيردياندسه مقالة عنوانها (يتوقف الإرهاب بعد إحلال السلام في الشرق الأوسط)، ذكر فيها إن جذور الإرهاب تعود إلى الموقف الأمريكي المؤيد لإسرائيل. و دعا إسرائيل إلى الانسحاب من جميع الأراضي المحتلة و من ضمنها القدس الشرقية. و ليس بنسبه متوية محددة و تطبيق قرارات الأمم المتحدة و القانون الدولي. و أن تمنح اللاجئين الفلسطينيين حق العودة إلى بلدهم أو أن تعوّضهم بتعويضات مالية كما حصل اليهود على تعويضات على ما حصل لهم في الحرب العالمية الثانية. و أن تكفّ إسرائيل عن سياسة القمع المنظم تجاه الفلسطينيين. و أن يقوم الغرب بتقديم المعونات المالية للدولة الفلسطينية كما طالب الدول العربية بالاعتراف بإسرائيل و تطبيع علاقاتها معها. كما أعلن المؤرخ روسوم في ندوات تلفزيونية عده أن الصراع العربي - الإسرائيلي هو أساس العداة لأمريكا و مصدر الهام للعمليات الانتحارية ضد مؤسساتها و منشأتها في العالم أو في داخل أمريكا. و لذلك يجب التوصل إلى حلٍ مرضٍ للقضية الفلسطينية عندها ستقلص الكراهية و العداة ضد أمريكا و سياستها.

سارعت المنظمات و الجمعيات الإسلامية في هولندا إلى إدانة الاعتداءات على المؤسسات الأمريكية كما دانت المنظمات المغربية و (اتحاد المساجد المغربية)، الذي يضم ثمانين مسجداً، سلوك بعض الشباب المغاربة الذي أبدى فرحه و ابتهاجه في إحدى المدن الهولندية بعد وقوع الإعتداءات و اعتبروها تصرفات صيانية غير مسؤولة، ودعت الشعب الهولندي إلى التمسك بقيم التسامح و الإحترام. و أرسل (مجلس الجمعيات الإسلامية العراقية) بريقة إلى رئيس الوزراء فيم كوك ندد فيها بالأحداث المريعة التي حدثت في نيويورك و واشنطن و التي ذهب فيها آلاف الأبرياء من الرجال و النساء و الأطفال، وان الإسلام يحرم و يدين ارتكاب أعمال العنف ضد الأبرياء. ثم طالب الحكومة الهولندية باتخاذ موقف واضح تجاه احتمالات تعرض المسلمين في هولندا إلى أعمال عنائية. حيث جاء فيه أنه (كما قام قادة أمريكا و بريطانيا و فرنسا بنصح شعوبهم بضبط النفس عن أية ردود أفعال سلبية أو سلوك عدواني ضد مواطنيهم المسلمين نطلب منكم و من حكومتكم مخاطبة الشعب الهولندي بعدم تحميل المسلمين و العرب المقيمين في هولندا مسؤولية هذه الكارثة. إن بعض العناصر المتطرفة تحاول الإصطياد في الماء العكر و انتهاز هذه الفرصة للتعبير عن كرههم للمسلمين. أن الجالية الإسلامية ينتابها القلق من مستقبل تطورات هذه الأحداث واستمرارها).

وقام رئيس الوزراء بالإدلاء بتصريحات خاطب فيها الشعب الهولندي مؤكداً على أهمية التضامن بين الجميع و احترام الأقليات و المسلمين و احترام مساكنهم و مساجدهم و مدارسهم و محلاتهم. كما طلب عدم رفع أية شعارات تسيء لهم أو تبعث على الكراهية و العنصرية.

وكانت شعارات ضد الإسلام و المسلمين قد كتبت على بعض محلات المسلمين و قطارات المترو و الترام. كما تعرضت مدرسة أبي بكر الصديق الإسلامية في مدينة نايميخن إلى إشعال النار في صفيين منها ما أدى إلى احتراق الأثاث و كتب الطلاب و دفاترهم. و لحسن الحظ لم يكن أحد في المدرسة. و تعرض مسجدان للإعتداء في مدينتي زوله و فلسنكن. و كالعادة صرح ناطق باسم الشرطة بأنها لا تعرف الجناة ولا مشبوهين كما نفى وجود دوافع عنصرية أو أية علاقة بالانفجارات في أمريكا رغم إعترافه بأن الحريق تم بفعل فاعل.

وتسود الأوساط الإسلامية حالة من الخوف و الحذر و ترقب الأحداث. و رغم أن ما حدث قليل جداً لحد الآن كان موقف الإعلام المحرض يبدو أكثر تأثيراً و إنتشاراً من موقف الحكومة الهولندية الذي يميل إلى ضبط الشارع و تهدئة الأمور و تفادي إضطراب النظام العام ما يدعو إلى توقع تدهور الأمور في حالة استمرار تعرض المسلمين إلى إعتداءات. و قد وضع بعض المسلمين

لافتات صغيرة على جدران منازلهم تخاطب رجل الشارع الهولندي وتقول له (إذا لم يكن هناك فرق بين الإرهابي والجار فلن يحل السلام أبداً).

ولسوء الحظ حدث خطأ فني في البرنامج الإسلامي الذي يُذاع يوم الجمعة ظهرًا في التلفزيون الهولندي ما أساء لموقف المسلمين ففي يوم الحداد الرسمي على الضحايا الأمريكيين في ١٤/٩/٢٠٠١ تم عرض البرنامج مستهلاً بآيات من الذكر الحكيم بصوت المقرئ عبد الباسط عبد الصمد ومترجمة باللغة الهولندية ((إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً وأولئك هم وقود النار)) « آل عمران: ١٠ ».

أعتبر بث هذه الآية بالذات في هذا الوقت إستفزازاً للشاعر الهولنديين المتعاطفين مع الأمريكيين. وإنه تعريض صريح بالضحايا الذين لقوا حتفهم في انفجارات كبيرة صاحبها نيران هائلة ودخان دام أيام. وسرعان ما انهالت المكالمات الهاتفية على المحطة تهدد وتوعد وتتهجم. فسارع معدو البرنامج بتقديم اعتذار، وإن الخطأ غير مقصود البتة. ورغم إن حلقة البرنامج هي معادة وإنها كانت قد أذيعت للمرة الأولى يوم الأحد ٩/٩/٢٠٠١ أي قبل الحادث بيومين لكن رئيس الوزراء اعتبر ذلك خطأ فظيماً وهدد باتخاذ إجراءات شديدة تجاه أية استفزازات أو آراء إسلامية تسخر من المجتمع الغربي وثقافته وتقاليد وقيمه.

تعتبر هولندا نفسها حليفاً قوياً لأمريكا كما تبحث لها عن دور دولي أكبر من حجمها فهولندا تبدي رغبة جامحة لمشاركة قوات هولندية في أية قوة سلام دولية نظراً لما تعتقده أن ذلك يمثل هبة لها في المجتمع الدولي. ورغم فضيحة الوحدة الهولندية في البوسنة التي قامت بتسليم الصرب مدينة سرينيتسا حيث دخلت القوات الصربية عام ١٩٩٦ وقتلت حوالي سبعة آلاف مسلم إلا إن هولندا أصرت على المشاركة في قوات حفظ السلام الدولية على الحدود بين أرتيريا وأثيوبيا العام الماضي.

ندوة فكرية عن الإسلام وحرية الراي في هولندا

إجهاع على رفض النهطية الاعلاوية التي تربط الإسلام بالارهاب

عدنان حسين أحمد/ أمستردام

الإسلام بريء من الارهاب

إن مجرد تخيل هذا العنوان الهلامي الرجراج ينطوي على بث شكوك مسبقة، وإدانة فورية لا مبرر لها ربما يطل مفعولها بعد بضعة أسابيع فلماذا تصر الصحافة والإعلام الغربيان على اقتران الإرهاب بالإسلام، مبرته الديانات السماوية الأخرى مع سبق الإصرار والترصد من ارتكاب جريمة الإرهاب. ترى هل أن الإرهاب حكر على المسلم فقط؟ وهل هو ظاهرة مرتبطة بالعقلية الإسلامية؟ ماذا نسمي إذا الإرهاب الصهيوني الذي تمارسه إسرائيل كل يوم في حق أبناء الشعب الفلسطيني الذي يقدم يوماً عشرات الشهداء من الأطفال والنساء والشيوخ، ناهيك عن الشباب الذين يشكلون الجزء الأكبر من الضحايا؟ فليس هذا إرهاباً بحق شعب يدافع من أجل استرداد حقوقه المغتصبة؟ إن محاولة خلط الأوراق من أجل التشهير بديانة محددة لا تجدي نفعاً بالوقت الحاضر. فلم يعد بالامكان التستر على الجرائم الكبرى التي ترتكب ضد الناس العزل في كل مكان من هذا الكوكب الحزين الذي يسبح أطفاله في بحيرات من الدماء. إن التهم العاجلة التي توجه ضد العرب أو الشرق أوسطيين أو المسلمين هي تهم متسرعة وباطلة وينبغي بحثها بدقة وعناية قبل الحكم عليها من دون وجود أدلة وقرائن قانونية تجرم هذا الطرف أو ذاك. ما هي الموجبات التي تستدعي العقلية الأمريكية أو الأوربية تشير بإصبع الإتهام إلى أي عملية إرهابية ينبغي أن يكون المتورط فيها مسلماً أو عربياً أو شرق أوسطياً؟ ترى هل أن العربي أو المسلم هو عدمي أو انتحاري إلى هذا الحد؟ وهل هو قبله موقوتة قد تتفجر حسب توقيت صاحبها متى ما أراد ذلك في الزمان والمكان المعينين؟ إنها النيات المسبقة إذاً والتي تتعمد الإبقاء على الصورة النمطية للعربي والمسلم في ذاكرة الوطن الغربي، بل أن هذه الاتهامات المجحفة ستشوه صورة المواطن العربي والمسلم في عموم العالم.

إن الإسلام بريء مما قد يفعله شخص (مسلم) لكنه عدمي وانتحاري يتحمل وحده نتائج فعله وإن العقليتين الأمريكية والأوربية هما عقليتان متسرعتان في الإعلان عن أحكام مسبقة وجاهزة تسيء عن قصد لشخصية العربي المسلم، وهذا ما سنتناوله محاور هذه الندوة الفكرية التي ركزت على نقاط عدة أبرزها:

- ١- فحص ودراسة الجذور التاريخية للإرهاب، وهل أن محفزاته دينية أم سياسية؟
 - ٢- البحث عن مسببات الصورة النمطية التي تقرن العرب والمسلمين بالإرهاب.
 - ٣- مناقشة بعض التصريحات الطائشة للرئيس بوش الذي لم يعرف اسم رئيس وزراء باكستان خلال مناظرتة مع آل غور كما لم يعرف أين تقع غينيا بيساو.
 - ٤- تقييم التصريحات المجترأة للشيخ خليل المومني بصدد الشذوذ الجنسي في هولندا.^١
 - ٥- قراءة نقدية في النص الذي كتبه آسيا جبار للمسرحية الأوبرالية التي قيل أنها تتعرض لزوجة الرسول محمد (ص). كما نوقشت قضايا عديدة تتعلق بتصريحات بن لادن والموقف العالمي من حكومة طالبان التي تؤرق المجتمع الدولي برمته.
- وجه المستشرق الهولندي د. كوننز فيلد عدداً من الأسئلة إلى د. نصر حامد أبو زيد تتعلق بالفكر الأصولي المتشدد لبعض الجماعات الإسلامية التي لا تؤمن بفكرة الاجتهاد وتطبق بشكل حرفي الآيات والنصوص القرآنية معطلة العقل البشري القادر على موازنة النصوص القرآنية مع أن روح العصر. فليس من العملي أن تطبق جوهر الإسلام الذي كان سائداً في زمن الرسول محمد (ص) على الأحداث والوقائع والظواهر المستجدة الآن. ومن بين الأسئلة التي افتتح بها د. كوننز فيلد الجلسة الفكرية هو السؤال الاستدراجي التالي:

هل تستطيع أن تفهم دوافع الأشخاص الذي ارتكبوا جريمة ١١ أيلول/ سبتمبر؟ ولماذا تعاطف بعض العرب والمسلمين مع هذا الحادث؟

أبو زيد: هذا سؤال مراوغ تحاول من خلاله أن تستدرجني إلى أرض زلقة ولكنني أقول لك دعنا نصحح عما نفكر به. أنا أستطيع أن أفهم دوافع الأشخاص الذين أقدموا على هذا العمل الإرهابي الذي أدينه بشدة ولكن هذا الفهم لا يعني تبرير دوافع هذا الحادث المروع. لقد حضرت العديد من المؤتمرات الفكرية وكان بعض من الذين يتحدثون عن الأصولية أو الإرهاب ويفسرون هذه الظاهرة في حدود التساؤل بالقول: لماذا حدثت هذه الظاهرة؟ ويتوقفون! وأنا من وجهة نظري أن تتوقف عند (لماذا) يعني أن تعطي تبريراً لوقوع هذه الحادثة أو تلك. أما الشق الثاني من السؤال الذي يتعلق بمظاهر الفرح والبهجة التي أبدتها الشبان أمام عدسات المصورين في فلسطين أو غيرها من العواصم العربية والإسلامية.

١ هو شيخ مغربي أطلق تصريحات اعتبر فيها الشذوذ الجنسي مرض معد يجب مكافحته. أثار تصريحاته جماعات المثليين ودعاة حقوق الإنسان. تم تقديم الشيخ للمحاكمة لكن القاضي حكم عليه بالبراءة باعتبار أنه يتقل رأي الإسلام.

إن هذا الفرح أو التشفي ناجم في الوقت ذاته عن تحيز الحكومات الأمريكية المتعاقبة إلى جانب الإسرائيليين وأنا أعتقد أن الناس الذين أبدوا مظاهر الفرح والابتهاج على شاشات التلفزيون لم يكونوا سعداء في داخلهم لأن هناك أناساً أبرياء مثلهم قتلوا في هذا العمل الإرهابي الشنيع. أنا أتحدث بشكل رمزي عن الناس الذين يرون أن العنجهية الأمريكية قد ضربت في الصميم وأن البرجين اللذين سقطا يمثلان في حقيقة الأمر سقوط الغطرسة. وهؤلاء الناس يعتقدون أن أمريكا هي المسؤولة عن هذا البؤس الذي يعيشه الجزء الأكبر من هذا العالم. هذا ما أستطيع أن أفهمه، ولكنني لا أبرر هذه الجريمة إطلاقاً بل أدبها بشدة. وأنا أتعاطف وأشفق على الناس الذين راحوا ضحية هذا الحادث الإجرامي الذي سبب لي المأماً كبيراً لا يمكن أن تتصوره وأنا أشاهده على شاشة التلفزيون. بالمناسبة عندما وقعت الحادثة كنت في البيت. قالت لي زوجتي بألم كبير: أنظر ما يحدث في أمريكا؟ فأجبتها في الحال: أنه أحد أفلام العنف الأمريكية؟ فقالت بانفعال ممض: كلا إنه ليس فيلماً أمريكياً ورحنا نحدق إلى الشاشة في ذهول كبير ونحن نشاهد الطائرة المدنية الثانية تحترق البرج الثاني وتتلاشى وسط امواج من النيران المتصاعدة إلى قلب السماء الصافية لتضفي عليها غلالة من الحزن العميق. أنا أشاهد كل يوم على الشاشة أطفالاً ونساءً وشيوخاً وشباناً فلسطينيين يموتون وتهدم منازلهم وتخرب مزارعهم وأتالم في داخلي وأقول: إلى أين يمضي بنا هذا العالم؟ ولا أستطيع أن أخبرك بمشاعري عندما شاهدت البرج يضرب يموت فيه أناس أبرياء. لقد انتابني حزن كبير لا أستطيع أن أصفه. فالدم البشري هو دم وليس شيئاً آخر. وليس هناك دم بشري ثمين ودم بشري رخيص. فالعالم في الشرق والغرب في الشمال والجنوب كان يشاهد التلفزيون وقت وقوع الحادث وبالتأكيد كان الآباء يتطلعون إلى أولادهم في محاولة للبحث عن إجابات مقنعة لأسئلة الأطفال الذين يرون شيئاً مروعاً أمام أعينهم. إن معاناة الطفل في فلسطين أو العالم العربي أو الإسلامي لا تختلف عن معاناة أي طفل آخر في أي مكان من العالم. أنا أمل أن نقف معاً ضد قتل الناس الأبرياء مهما كانت الدوافع والأسباب. لست نبياً لكي اكشف عن حجب المستقبل، ولكنني أستطيع أن أقول بأن الصراع العربي الإسرائيلي ينبغي أن يُجَل، وعلى الغرب والأمريكان أن يتعاملوا مع هذه القضية بعين العدل والمساواة والإنصاف.

وعند انتهاء د. نصر حامد أبو زيد من إجابته رأى د. كوننز فيلد ضرورة الانتقال إلى ما يحدث في باكستان نتيجة تأييدها للموقف الأمريكي الداعي لإسقاط حكومة طالبان والأتان بنظام جديد فكان سؤاله كالآتي:

في الانتخابات الديمقراطية؟

إن المتظاهرين في باكستان هم أقلية، لا يشكلون خطراً على الحكومة الحالية. كيف يرى أبو زيد الموقف السياسي في باكستان؟ وهل تعتقد أن الرئيس برويز مشرف سوف يتلاشى من المشهد السياسي على الرغم من أغلبية الشعب الباكستاني معه؟ أبو زيد: قبل أن أجيب عن سؤالك دعني أسألك كيف جاء الرئيس مشرف إلى السلطة؟ هل جاء عن طريق الانتخابات الديمقراطية النزيهة؟

كلا لأنه اختطف السلطة بطريقة غير شرعية لا تؤهله للحكم. إذاً كيف نستطيع أن نحكم بأن أغلبية الشعب الباكستاني معه. ينبغي أن نذهب إلى الشعب نستطلعها ونستفتيه ونتعرف حقيقة نيته ومشاعره الداخلية. هذه الأغلبية التي تتحدث عنها تحشى المشاركة في التظاهرات ولا بد أنك شاهدت عصي الشرطة وهي تنهال بالضرب المبرح على المتظاهرين الذين مات بعضهم وجرح بعض آخر فيما زج بالقسم الثالث إلى السجون و اقتيد بعض الأئمة والقياديين المسلمين إلى المعتقلات في وضح النهار. إذاً من الصعب أن تحكم كم من الشعب يؤازر الرئيس مشرف وكم يقف ضده؟ إن الناس في بلداننا العربية يخشون من المشاركة في التظاهرات نتيجة قمع السلطات لشعوبها. لذلك أنا أستطيع القول إن الذين يتظاهرون في باكستان وبعض الدول الإسلامية إنما يعبرون عن آراء الملايين الصامتين خلافاً للشعوب الغربية التي تمارس هذا الحق من دون أن تتعرض لإهانة كرامتها أمام شاشات التلفاز. السؤال الأكثر أهمية هو: هل أن الناس المتظاهرين هم مع طالبان أم مع الشعب الأفغاني؟ هذا سؤال يبحث عن إجابة آخذين بنظر الاعتبار أن طالبان يمثل مجموعة إثنية وربما أن الناس الذين ينتمون إلى مجموعة إثنية أخرى هم ضد طالبان. إن الموقف في أفغانستان معقد جداً ومن الصعب التنبؤ بما سوف يحدث مستقبلاً. ثم أجاب د. نصر على أسئلة الحاضرين وأكد ضرورة التفريق بين الدين والدولة. وتمنى على الدول العربية والإسلامية أن تمنح الجماعات الإسلامية فرصة المشاركة مسؤولة الحكم لكي تسقط ذرائعها وحججها وتحد من نظرها اللامبرر أبداً.

سؤال عبد الرزاق: حرية التعبير في باكستان

أما المحاضر الثاني فقد كان د. صلاح عبد الرزاق الذي تحدث عن موضوع شديد الأهمية وهو (الإسلام وحرية التعبير في هولندا) وقد تركزت المحاضرة على محاور عدة أبرزها: (التركيز على تطور الفقه الإسلامي لينسجم مع العناصر الثقافية والفكرية والاجتماعية والسياسية في الغرب مثل اكتساب الجنسية الغربية والانضمام للأحزاب الغربية والعمل في الجيش والشرطة والتقاضي لدى المحاكم الغربية).

كما ركز في محاضراته على استجابة الدول الغربية لحاجات ومتطلبات المسلمين مثل (بناء المساجد والمدارس الإسلامية والمذابح الشرعية والمقابر والحجاب الإسلامي). وتوقف عند بعض الظواهر السلبية التي تحتشد بها الصحافة الهولندية التي تتناول الموضوعات العدائية التي تسعى إلى سمعة المسلمين مثل الاستهزاء بالمقدسات الإسلامية أو الطعن بأبرز شخصياتها أو الخوض في قضايا دينية من دون التسلح بالأحكام والقوانين الشرعية. كما نبّه إلى ضرورة الإحاطة بالمذاهب الإسلامية التي تمارس خلف اجتهادات متعددة (فمثلاً يحرم علماء السنة تمثيل شخصيات الأنبياء والصحابة في حين لا يرى ذلك علماء الشيعة خاصة إذا كان ذلك في خدمة الإسلام).

كما أشار المحاضر إلى قضايا مهمة منها حرية الرأي والتعبير معرجاً على بعض المؤسسات الدينية المتعلقة في العالم العربي والتي استخدمت سلاح الردة وتكفير العديد من العلماء والمفكرين العرب الذين يعملون بمبدأ العقل لا النقل. كما أشار المحاضر إلى تمسك بعض المسلمين بفتاوى من خارج أوروبا ناسين أن (الفتوى تتغير بتغير المكان والزمان) فالمسلم الذي يعيش في البلدان الأوربية لا بد أن يخضع لظروفها التاريخية وينسجم بقدر أو بأخر مع ثقافتها. فليس من المعقول أن نحتج و ننتظر ونقاطع كل النشاطات الثقافية التي لا تنسجم مع رؤانا وتطلعاتنا الفكرية والدينية.

وكشف المحاضر عن مواقف وإجراءات غريبة في هولندا لم نكن نعرف عنها شيئاً مثل منع كتاب (كفاحي) لهتلر، والحكم على شاب من مدينة إيندهوفن بالسجن خمس سنوات لأنه أهان الملكة الهولندية على موقع الانترنت. وللتعرف على آراء الباحث صلاح عبد الرزاق وبقية المساهمين في هذه الندوة الفكرية فقد أرتأينا ان نوجه لهم الاسئلة التي تعالج بعض قضايا الساخنة في الساحة الهولندية.

تذوقنا لآرهاب

-ما هي الجذور التاريخية للإرهاب في العالم؟ وهل تعتقد أن محفزاته (دينية) أم سياسية؟
عبد الرزاق: تعرّف الموسوعة البريطانية الإرهاب بأنه الاستخدام المنتظم للعنف أو العنف غير المبرر ضد الحكومات الناس أفراداً أو جماعات لتحقيق أهداف سياسية. واستخدام الإرهاب من قبل المنظمات السياسية بنوعها اليميني و اليساري ومن قبل الجماعات القومية والعرقية ومن قبل الثوريين وكذلك من قبل الجيوش والشرطة السرية والحكومات. فالإرهاب وسيلة عنيفة للضغط على الخصم من أجل إخضاعه لمطالب وتوجهات الطرف الإرهابي. ولا يقتصر استخدام الإرهاب على الأفراد والجماعات بل الحكومات وأجهزتها العسكرية ومخابراتها. وينطبق هذا التعريف على كثير من الأمثلة التاريخية، حيث مورست وسائل مرعبة تطورت بالتقدم التكنولوجي الذي أحرزته البشرية.

والتأريخ الإسلامي شهد ممارسة الإرهاب من قبل الحكومات والجماعات السياسية المعارضة ومثال على ذلك الخوارج الذين لم يتورعوا عن ذبح المسلمين ممن لم يوافقوهم عقائدهم. وتختلف دوافع الإرهاب وقد تكون هناك دوافع دينية كما في الهجمات التي قام بها الهندوس ضد المسلمين بسبب إدعائهم بأن مسجد البابري هو موقع قديم لأحد آلهتهم أو في الصراع الطائفي في باكستان بين (جيش الصحابة) و (جيش الأنصار) أو ديني - سياسي كما في إيرلندا الشمالية بين الكاثوليك والبروتستانت أو ديني - قومي كما حدث في البوسنة والهرسك وكوسوفو عندما قام الصرب بعمليات تطهير عرقي ضد المسلمين.

- من المسؤول عن تقديم الصورة النمطية المجحفة والتي تقرن العرب والمسلمين بالإرهاب؟ عبد الرزاق: يارس الإعلام الغربي والذي يسيطر عليه اللوبي الصهيوني في الغرب دوراً عادياً ضد الإسلام والمسلمين. وبقيت الصورة السلبية مشوهة عن الإسلام والمسلمين هي السائدة في الصحافة والتلفزيون والأدب والفن والسينما في الغرب.

بعد الهجمات على أمريكا بادر الإعلام الغربي منذ البداية إلى اتهام العرب والمسلمين بأنهم وراء العملية من أجل تحقيق أهداف أمريكية في العالم. وربما كانت بعض الحكومات الغربية بما نشرته من تصريحات وبيانات وتعليقات قد ساعد الإعلام في تحقيق مهمته التحريضية ضد المسلمين وزرع الكراهية ضدهم. كما أن لبعض الجماعات الإسلامية المتشددة والسلفية دوراً في ذلك لأنها مارست أعمالاً إرهابية وعنفاً ضد المؤسسات الغربية. ففي الغرب هناك العديد من الجماعات والشخصيات الإسلامية المتطرفة أمثال (أبو حمزة المصري) (وأبو قتادة) تحاطب وسائل الإعلام الغربي بأساليب استفزازية تحمل طابع التهديد والوعيد والشعارات المدمرة. ولا يقتصر عدا هذه الجماعات المتطرفة على الغربيين بل يشمل المسلمين أيضاً ممن لا يوافقوهم في آرائهم وعقائدهم وتفسيراتهم للنصوص الدينية فيتهمونهم بالكفر والخيانة والخروج عن الإسلام.

- ما هي انطباعاتكم عن التصريحات المجترأة من حديث الشيخ خليل المومني بصدد الشذوذ الجنسي في هولندا؟ وما هي أسباب الضجة الكبيرة التي أثارها تصريحاته بحيث تناولتها أغلب الصحف الهولندية؟ عبد الرزاق: بالنسبة للشيخ خليل المومني فهو من الشخصيات الدينية المتشددة. وكانت له مواقف في مدينة (وجدة) في المغرب عندما حرص الإسلاميين المتشددون في الجامعة على مواجهة الشيوعيين بأساليب عنف. مما اضطر السلطات إلى عزله عن منصبه كإمام لمسجد بدر. وعندما جاء إلى هولندا في بداية التسعينات بقي على منهجه ولم يدرك الفارق الكبير بين

البيئة المغربية والمحيط الهولندي. وبقيت خطبه تثير الجدل. أما فيما يتعلق بتصريحاته حول الشذوذ الجنسي فقد لاس وتراً في العقلية الهولندية لأنه ادعى أن الشذوذ مرض يسري في المجتمع. وأعتقد أن استخدامه لكلمة (مرض) كان مجازياً أي شبهه بالمرض المعدي لأجل التحذير منه. فقد أخطأ في انتقاء الكلمات المناسبة ونسى أنه يخاطب وسيلة إعلامية غربية وليس جمهوراً من المصلين. فكان عليه أن يكون أكثر حذراً ولا يقبل استدراجه إلى تصريحات تثير العداء ضده. وقد استغلت وسائل الإعلام التي تترصد مثل هذه الأخطاء وخلقت منه مشكلة كبيرة وصلت إلى الوزراء والبرلمان والأوساط الصحافية والسياسية والإعلامية من أجل النيل من الإسلام والمسلمين وأنهم يمارسون التمييز العنصري ضد فئة الشاذين وهذه مخالفة للدستور.

-هل قرأت النص الذي كتبه آسيا جبار لأوبرا عائشة. وما هي انطباعاتك عن ردود الفعل التي أثارها هذه الأوبرا التي لم تعرض على خشبة المسرح لأنها تمس زوجة الرسول (ص). وهل تعتقد أنها من الأهمية بحيث كتبت عنها أهم الصحف الهولندية والأمريكية وتناولتها قناة CNN؟

عبد الرزاق: لم أطلع عن نص الأوبرا رغم أننا أول من نشر عنها في صحيفة (النخيل) العدد (٥٧) الصادر في تشرين الثاني ٢٠٠٠. وحذرنا من ضرورة ومعالجة القضية بهدوء وبعيداً عن الاثارة. ثم نشرنا تفاصيل منع الأوبرا في العدد (٥٩) الصادر في (يناير) ٢٠٠١. وكتبنا أن إلغائها أمر عادي مثلما تم في نفس الفترة إلغاء عرض فلم عن فريق (اياكس) الأمستردامي لكرة القدم في لاهاي وروتردام وأوترخت وآرنهم وخروننكن وأيندهوفن لأن مشجعي الفرق الرياضية هناك اعتبروه إساءة لفرقهم وهددوا بأعمال شغب إذا عرض في مدنهم.

لقد منعت بلدية روتردام عرض الأوبرا لأن روتردام كانت في عام ٢٠٠٠ العاصمة الثقافية لأوروبا وأن العروض الفنية والثقافية يجب أن لا تتضمن إساءة للأقليات الدينية أو القومية. كما كان هناك احتمال حدوث أعمال شغب تمس بالأمن والنظام العام مما يسئ إلى صورة روتردام. وقد سارعت وسائل الإعلام الهولندية ومن ورائها بعض المنظمات المعادية للإسلام إلى استغلال القضية وتصوير المسلمين بأنهم يمارسون القمع الثقافي والفني في البلد المضيف. إن الإسلام يعادي الفن وغير ذلك من التهم. كما حاولت صحيفة (نيويورك تايمز) في عددها الصادر يوم الأحد ١٠/١٢/٢٠٠٠ استغلال الحدث من أجل استعداد السلطات الهولندية ضد المسلمين بما سمته (إرهاب من الأقلية المسلمة في هولندا ضد الحياة الثقافية الهولندية). كما أدعت الصحيفة أن أعضاء فرقة (المسرح الحر) قد تعرضوا للتهديدات من قبل الأصوليين لمنع عرض الأوبرا. وهذا أمر عار عن الصحة لان إلغاء الأوبرا جاء بالتشاور مع المجلس البلدي لروتردام والذي

يملك صلاحية اتخاذ مثل ذلك القرار. كما أشارت الصحيفة إلى ما رافق صدور (آيات شيطانية) من أعمال عنف و تظاهرات في أوروبا من أجل إثارة أجواء الكراهية ضد المسلمين. كما لم تشر الصحيفة إلى حيثيات قرار الإلغاء التي ذكرناها آنفاً.

هل يخدم بناء المساجد الديمقراطية الغربية؟

بعد الحجاب معركة النقاب تفاعل في هولندا؟

لاهاي - خاص بالنور

اتسمت الساحة الهولندية بتسليط الضوء على قضايا عدة ذات علاقة بالشأن الإسلامي والعربي حيث يحتل الإسلام والمسلمون مساحة أكبر بكثير من حجمهم في المجتمع الهولندي. ورغم التسامح الذي يديه قسم كبير من الهولنديين لكن وسائل الإعلام تبقى تبحث عن كل ما فيه إثارة وتشويه سمعة المسلمين. إذ تبقى ترسم صورة سلبية للإسلام والمسلمين ما يعمق الهوة بينهم وبين المجتمع ويساهم في عزلهم وكرههم. وهذا يتناقض مع توجهات الأحزاب السياسية والمؤسسات الحكومية والوزارات التي تسعى لإدماج المسلمين في المجتمع

يوجد في هولندا أكثر من ٤٠٠ مسجد غالبيتها عبارة عن قاعات للصلاة تم إحداثها بعد ترميم أبنية قديمة كالكراجات والمعامل والمدارس والأبنية الأخرى. ولا يوجد سوى بضع مساجد بالمعنى المعماري البناء الذي تم تخطيطه وبنائه على أساس أنه مسجد. وفي السنوات العشر الأخيرة بنيت مساجد عدة وفق تخطيط معماري حديث وطرز إسلامي منها مسجد مولانا في روتردام ومسجد أيا صوفيا في زاندام القريبة من أمستردام وكلاهما للأتراك. وقد أعلن عن بناء مسجد آخر كبير الحجم (مسجد السلام) للمغاربة في روتردام يضاف إلى مساجد كبيرة مثل مسجد النصر. هذا التسامح الديني والحرية لم يعجبا صحفياً يدعى إيمينكو في صحيفة (تراو) الهولندية، إذ كتب في عموده اليومي مقالاً يبدي فيه عدم ارتياحه من تكاثر المساجد في مدينة روتردام. وادعى بأن هوية المدينة العلمانية تتعرض لتغيير راديكالي بسبب وجود المساجد الحالية وخطط وجود مساجد أخرى. أثار المقال قسيساً في روتردام فكتب مقالاً يرد فيه على المقال السابق داعياً الصحافي إلى مرافقته في زيارة لبرج إيروماس المثل على نهر الماس الذي يخترق روتردام ليشاهد بعينه عدد الكنائس ويعد بنفسه عدد أبراجها العالية. وأن عددها أكثر من عدد المساجد الأربعة ومناثرها التي أغضبت الصحافي. ودافع القسيس عن المساجد قائلاً: هذه الديانة (الإسلام) صارت جزءاً مهماً لهوية المسلمين في روتردام. وهذه المساجد لن تؤثر على ناطحات السحاب وعلى هوية روتردام كما يُدعى.

تصاعدت في أمستردام قضية النقاب حين أصدرت إدارة ثانوية مهنية «آر او سي» قراراً يمنع ارتداء النقاب من قبل بعض الطالبات المسلمات. واعتبرت مديرة المدرسة النقاب مانعاً في التواصل الاجتماعي الطبيعي بين طلاب المدرسة التي تضم حوالي ٤٠٠٠٠ طالب وطالبة يدرسون اللغة ويعني عدم التعرف على هويتهم (المنقبات).

بدأت القضية في بداية السنة الدراسية الحالية عندما قامت مجموعة من الطالبات المسلمات الدراسات في قسم الرفاه ودرس اللغة الهولندية للبالغين فجأة بارتداء النقاب الذي يغطي الوجه عدا العينين. واعترضت الطالبات على رأي مديرة المدرسة لأن القضية بالنسبة لهن قضية عقيدة والتزام ديني.

لكن المديرية أخذت توحى بأن القضية تتعلق بوجود عدم الرغبة في الاندماج بالمجتمع الهولندي إضافة إلى ربطها القضية بالأصولية الإسلامية بعد ١١ أيلول - سبتمبر - لكن المديرية أبدت ملاحظات عملية مثل عدم إمكان وضع صور أولئك الطالبات في اليوم المدرسة الذي يقدم عادة هدية للطلاب.

وكانت قضية النقاب ظهرت لأول مرة في هولندا قبل عامين عندما منعت إحدى المدارس إحدى الطالبات من ارتداء النقاب لأسباب صحية. ثم أعقبتها قضية أخرى عندما تقدمت متدربة متحجبة في صيدلية بشكوى لأن صاحب الصيدلية رفض تدريبها لديه. وأقرت لجنة المعاملة المتساوية في حق المتدربة بالتدريب وحققها في ارتداء النقاب. ورفضت اللجنة تبرير الصيدلي بأن مساعدة الصيدلي يجب أن تكون على تواصل اجتماعي مع الزبائن بأنه يمكن تشغيل المتدربة في أعمال أخرى داخل الصيدلية لا تكون فيها على اتصال مع الزبائن.

ونشر يان ميغر وهو مدرس في الثانوية نفسها مقالاً يؤيد فيه احترام رغبة الطالبات وأنه لا مانع من ارتدائهن النقاب. ولأن المدرسة مختلطة فمن حق المسلمات ارتداء الحجاب. وأضاف بأنه توجد مهن عدة يمكن ممارستها مع ارتداء النقاب بل أن بعضها يكون ارتداء الحجاب عملياً لعدم الحاجة لارتداء قبعة الطباقين أو شبكة شد الشعر وأحياناً يكون مزعجاً. ولكن يمكن التوصل إلى حل مع الطالبة المتدربة التي ترتدي الحجاب. ورد على المدرسة التي تقول بأن النقاب يؤثر على عمل السيدات اللاتي يعملن في تقديم خدمات للآخرين فقال: لعله توجد فرصة ضئيلة جداً لذلك كما يمكنهن العمل بين السيدات والفتيات فقط، فلا حاجة لهن أنذاك لارتداء النقاب.

وأما الأصوات التي ارتفعت ضد النقاب فهي كثيرة. إذ كتب حاجي كارجار، رئيس حركة (ملي غوروش) التركية - الإسلامية مقالاً قال فيه: من حق أية سيدة أو فتاة (أو تجبر على) ارتداء الحجاب أو النقاب ولكن لا يكون ذلك في بلد خطأ. إن ما فعلته مديرة المدرسة عمل شجاع، حين قالت لا لقمع النساء.

وكتب قارئ مسلم يدعى ابراهيم فاروق من أمستردام يقول: يبدو أنه لا يوجد في هولندا سوى كيفية تشويه الإسلام. والذنب لا يقع فقط على المسلمين الجهلاء والأميين الذين يتظاهرون بأنهم يعرفون الأحكام الإسلامية، بل تقع المسؤولية أيضاً على المسلمين المثقفين الذي لا يوضحون المواقف الإسلامية الصحيحة. ثم أخذ يفتي دون دليل بقوله: إن الحجاب في الإسلام يقتصر على زوجات النبي فقط. وإذا ما أرادت النساء الأخريات تقليدهن وارتداء الحجاب فهذا من حقهن، ولكن ليس حكماً مفروضاً. إن ارتداء غطاء الرأس لا يقتصر على المسلمات بل ترتديه بعض اليهوديات والمسيحيات في مصر ولبنان وسوريا والعراق. إن المناقشات الطويلة حول الحجاب يجب أن تنتهي بهذه الجملة: في المكان الذي يكون فيه ارتداء الحجاب ليس مرغوباً به فلا يجب أن يُرتدى.

ونشرت الكاتبة يوكا موليندياك صورة لها وهي ترتدي الحجاب إلى جانب عمودها اليومي في صحيفة (مترو)، فسخرت من ارتداء النقاب الذي وصفته بالخيمة التي تغطي المرأة المسلمة. ثم رسمت صورة كاريكاتورية حين أخذت تتحدث بأن التي ترتدي النقاب يمكنها أن تقوم بإخفاء أشياء كثيرة تحت نقابها مثلاً لعبه الكترونية، شوكلاته أو قصاصات غش في الامتحان. وهاجم الكاتب ايفيمينكو في عموده اليومي في صحيفة (تراو) ارتداء النقاب حين كتب: إن المسلمين بإصرارهم على ارتداء الحجاب يصرون على خدش العلمانية الهولندية. وسعى هذا الصحافي إلى تحريض المجتمع الهولندي ضد المسلمين حين بالغ في إثارة الذعر لديهم بقوله: إنهم (أي المسلمون) لن يكتفوا بذلك بل سيسعون إلى الفصل الجنسين في أحواض السباحة وارتداء الحجاب في المحاكم ثم فصل الجنسين في المدارس وتأسيس مصليات في المدارس والمعامل والدوائر ثم المطالبة بمنع المثليين الجنسين من العمل في حقل التعليم، ثم التراجع عن العادات المسيحية الرمزية مثل الاحتفال بعيد الميلاد وسانتا كلوز في المدارس!!

كما نشرت الصحيفة رسماً كاريكاتورياً يظهر فيه زعماء الأحزاب السياسية الهولندية يجلسون أمام طاولة عليها أسماء الأحزاب وقد ارتدى كل واحد منهم نقاباً. ويقف رجل إلى جانبهم يدعو القراء قائلًا (ولهذا اختاروا شكلاً آخر من النقاشات. وهو شكل يؤكد على المحتوى وليس على المظهر. ثم يشير بيده وهو يقول:

مثل هذا كمثال. في حين يقول رئيس الوزراء مخاطباً زعيم الحزب الليبرالي: نقاب جميل يا خريت).

ونشر أدوين كرويلن مقالاً يتضمن معلومات كثيرة عن منع أشياء كثيرة في المدارس الهولندية. فقبل

أربع سنوات قامت كلية نوبيرتوس في مدينة روزندال بشن حملة ضد ارتداء الطالبات لبلوزات قصيرة تظهر منها البطن ومنعت ارتداء قبعات لعبة البيسبول. ومنعت كلية توماس مور في لاهاي استخدام الهاتف النقال والأكل في الصفوف واستخدام كلمات هولندية أثناء التخاطب. ومنعت كلية هنيغوين في روتردام استخدام الطلاب عبارات تهديد ضد المدرسين مثل « سأمسك بك في الترام ». وفرضت مدرسة ابتدائية في روتردام غرامات مالية على الوالدين الذين غالباً ما يتأخرون في جلب أطفالهم إلى المدرسة. وذكر الكاتب بأن المدارس التي توضح تعليماتها في كتيب تحظى باحترام وشعبية أكثر من تلك التي لا تذكر تعليماتها مسبقاً.

ذتان البنات يشغل الحكومة الهولندية

من يحدد أولويات تحسين الوضع الاجتماعي للأقليات؟

أصدرت مساعدة الوزير لشؤون مساواة الجنسين السيدة فيرستاند قراراً يعاقب الوالدين اللذين يسمحان بإجراء ختان لبناتهم. جاء ذلك أثناء مشاركتها في مؤتمر النساء الذي عقد مؤخراً (حزيران ٢٠٠٠) في نيويورك بإشراف الأمم المتحدة.

والقرار الذي صدر ولم تستشر فيها الأقليات الإسلامية وغيرها يمثل تدخلاً مباشراً في شؤون عادات وتقاليد الأقليات الثقافية والعرقية وخاصة المسلمين. ولسنا بصدد الدفاع عن شرعية أو صوابية ممارسة هذه العادة لكن استغلالها من قبل السلطات كحادة للتشهير أولاً ومنعها ثانياً ومعاينة من يمارسها ثالثاً يمثل مؤشراً خطيراً في طبيعة تعامل الهولنديين مع قضايا الأجانب وخاصة المسلمين. ولماذا لا تهتم بأمور أخرى أكثر أهمية؟

التمييز العنصري في المعاملة

وتبرر الحكومة قرارها بأنه (يجب مكافحة هذه العادة الوحشية) على حد زعم وزيرة الصحة السيدة بورست والتي أعلنت تخصيص مائتي ألف خلدة لمكافحة هذه الممارسة. وقبل أن نتناول ردود الأفعال في الأوساط الإعلامية والسياسية الهولندية نقول: لماذا يتم التركيز على الأجانب وحدهم وخاصة المسلمين أثناء التطرق للممارسات (الوحشية) والعقائد غير العقلانية؟ لماذا لا يشمل ذلك الجماعات المسيحية الهولندية التي يؤمن بعضها بعقائد لا عقلانية أو تخالف القانون الهولندي مثلاً يحرم جماعة (شهود يهوه) عملية نقل الدم أو التبرع به حتى في الحالات الخطيرة التي تؤدي إلى وفاة أفراد هذه الجماعة أو أطفالهم. فلماذا لا تعاقب الحكومة هذه الطائفة على هذه العقيدة التي تؤدي إلى الوفاة؟ إنها تبرر ذلك بأنه جزء من عقيدة الطائفة ولا يمكن التدخل فيه. فلماذا لا يطبق هذا على الذين يعتقدون بأن ختان النساء جزء من عقيدتهم الدينية أيضاً؟ ولماذا لا تعاقب طائفة البروتستانت الإصلاحيين Gerevormeerd الذين يعتقدون بحرمه أخذ الأمصال واللقاحات ضد الأمراض Vaccin. وقد حدثت مشكلة قبل سنوات في هولندا عندما ظهرت إصابات شلل الأطفال Polio ورفض أفراد هذه الطائفة تلقيح أطفالهم، وقاموا بتعريضهم لخطر جدي، لكن لم يعترض أحد أو يعاقبهم أحد.

وهناك العديد من الممارسات السائدة بين الهولنديين كالوشم ووضع حلقات معدنية في الأنف والأذن والشفاه والصدر وحتى في الأماكن الحساسة من الجسم. وهناك ممارسات وحشية في ممارسة الجنس تتضمن الجلد والضرب والحبس وربط الأيدي والأرجل، ومع ذلك لا يوجد من ينتقدها أو يعتبرها ممارسات وحشية لأنها بصراحة هولندية وليست أجنبية. فالسلطات لا تمنع في هذه الممارسات الوحشية بل تسمح لها بفتح نواديها ومكاتبها ونشر مطبوعاتها وإقامة حفلاتها ومسابقاتها.

؟

إن ختان النساء عادة منتشرة في القارة الأفريقية ولا توجد سوى أحاديث غير مؤكدة في اعتبارها تشريعاً إسلامياً. والختان هو قطع مقدمة بظر المرأة. يقول الشيخ عبد الحلیم محمد أبو شقة في كتابه (تحرير المرأة في عصر الرسالة / ج ٦ / ص ١٥٠) (إن ختان البنات كان عادة من عادات العرب في الجاهلية ولما جاء الإسلام وضع لها من الشروط ما يخفف من أثرها على الرجل والمرأة معاً ويحفظ حق كل منهما في الاستمتاع. وذهب أكثر العلماء وبعض الشافعية إلى أنه ليس بواجب وأن حديث (الختان سنة للرجال ومكرمة للنساء) لا يثبت لأنه من رواية حجاج بن أرطاة ولا يحتاج به). ويقول الشيخ سيد سابق في (فقه السنة / ج ١ / ص ٢٨) (أحاديث ختان المرأة ضعيفة لم يصح منها شيء).

وتنتشر هذه العادة في البلدان الأفريقية بشكل خاص وخاصة في مصر وأثيوبيا والصومال وجيبوتي وكينيا وتشاد ومالي والنيجر وغينيا وساحل العاج وسيراليون. وتبلغ النسبة ٩٨٪ في الصومال و ٩٠٪ في مصر. أما في آسيا فلا توجد إلا في بعض البلدان وبشكل ضئيل. ولا توجد هذه العادة في دول الشرق الأوسط كالعراق وسوريا ولبنان والأردن والسعودية ودول الخليج. ولا تقتصر ممارستها على الدول الإسلامية بل منتشرة في بعض الدول المسيحية في أفريقيا أيضاً، مما يشير إلى أنها عادة أفريقية بالأصل.

وتشير إحصائيات منظمة العفو الدولية إلى أن وجود ١٣٥ مليون امرأة أجريت لها عملية الختان، في ٢٨ بلداً أفريقياً.

يشير القرار إلى منع ممارسة ختان البنات في هولندا وأن من يفعل ذلك يعاقبه القانون. ورغم أن هذه العقوبة غير منصوص عليها في قانون العقوبات لكنها تستند على بعض المواد التي تمنع أي أذى جسدي شديد أو من باب سوء المعاملة ضد المرأة لأنه يقلل من الشهوة الجنسية.

ومن المشاكل التي يواجهها تطبيق القرار هو إجراء عملية الختان أثناء زيارة الوالدين مع البنت في بلدهم الأصلي. ولا يمكن ملاحقة هذه الحالات لأن الفعل ارتكب خارج التراب الهولندي. ولكن يمكن معاقبة الوالدين لأنها ساعدا على إجراء العملية والإعتداد على أدلة مثل شراء تذاكر الطائرة إلى البلد الأصلي. ومع ذلك تواجه السلطات القانونية مشكلة أخرى فحتى الذين يحملون جنسية هولندية ويسمحون بختان بناتهم في الخارج لا يمكن معاقبتهم إذا كان البلد الذي أجريت فيه العملية لا يعتبرها فعلاً يعاقب عليه القانون. إذ لا يكفي أن تمنعه هولندا لأنه المنع لا يسري في الخارج. ولو أصرت السلطات الهولندية على ملاحقة مخالفي هذا القرار فعليها التعاون مع سلطات ذلك البلد وإثبات شهادة الشهود وغير ذلك من الإجراءات القانونية. ولماذا تتوقع هولندا مساعدة سلطات ذلك البلد في التحقيق في قضية لا يعتبرها قانون ذلك البلد جريمة أو عملاً مخالفاً لقانونه.

الختان في دول أخرى

علق محررو الصحف وكتاب العمدة في الصحف الهولندية على قرار منع ختان البنات كل حسب رؤيته وخلفيته. فقد كتب يان سلومب وهو متخصص بالإسلام مقالاً في صحيفة (تراو ١٥/٦/٢٠٠٠) قال فيه: تعتقد مساعدة الوزير بأنها بإصدارها عقوبة على ختان البنات أنها ستعزز النزعة الليبرالية في الإسلام. فقبل مؤتمر نيويورك صرحت في يوم المرأة العالمي (٨ آذار) أنها ختان البنات جريمة. وذكر بأن تقرير منظمة الصحة العالمية عام ١٩٩٤ اعتبر هذه العادة ممارسة تعود لقرون طويلة، وأنها تركز على مطالب دينية تعتبر الختان تطهيراً وعدم الختان نجاسة. وأن الختان لدى بعض الشعوب يشابه المحافظة على العذرية. وذكر التقرير أنه إضافة إلى الدول الأفريقية يمارس ختان البنات في أوروبا وأمريكا وكندا وأستراليا بين أوساط المهاجرين. وأنه لا يقتصر على المسلمين فقط بل يمارس من قبل المسيحيين في إثيوبيا والأقباط في مصر. ويضيف السيد سلومب بأن المذاهب الإسلامية تختلف في نظرتها لهذه القضية. فالمذهب الشافعي (في أندونيسيا وقسم من مصر) يعتبره واجباً. أما الحنفي فلا يعتبره كذلك. ولذلك لا نجد الختان في تركيا والباكستان وبنغلاديش. وفي مصر تمنع الحكومة إجراء الختان في المستشفيات والعيادات الحكومية. ولذلك تجري العوائل الثرية الختان في العيادات الخاصة. أما الفقراء فتقوم القابلات بإجراء هذه العملية. ويعتقد سلومب أنه ليس من الصحيح التهديد بالعقوبة بل يجب أن تستبدل بالإرشاد والتوعية في صفوف المهاجرين فهذا أنجح. فإذا ما اعتقد المسلم أنه مخير بين الشريعة والقرار فإنه يختار الشريعة. وأن هذه العادة ستختفي تدريجياً كما اختفى الرق في أفريقيا في القرن التاسع عشر.

وعلق كاتب العمود وليم بريدفيلد في (تراو ١٦/٦/٢٠٠٠) متسائلاً: ما العمل؟ هل نترك القابلات يمارسن عمليات الختان وما يعقبها من نتائج صحية؟ أم نقر بشرعية الممارسة ونسمح بإجرائها في المستشفيات مثل الأولاد؟ ولماذا لا يجري القبول بهذه العادة ونحن في هولندا نعتبر البغاء عملاً قانونياً، ولا نتحدث عن الآثار النفسية والجسدية والنتائج السلبية له.

وكتبت هارمكه فان روسن (تراو ١٧/٦/٢٠٠٠): ليس الأجانب وحدهم يعنون من آثار هذا العادة بل النساء المتزوجات من رجال أصلهم من تلك البلدان المنتشرة فيها. أنا متزوجة من مصري، وكلما زرنا مصر ساورني شعور بالخوف من أن يقترح أحدهم علي ختان ابنتي، وفيما إذا كان بإمكانني منع ذلك أم لا. ولحسن الحظ فإن السلطات المصرية تمنع إجراء هذه العمليات. ولذلك اتفقت مع زوجي على عدم إجراء الختان. ولكن هذا ليس بكاف. فعندما قررنا ختان ولدنا سألت الذي سيقوم بالعملية: هل تقومون بختان البنات في هذه العائلة المسيحية، فقال: الدين لا يحرم ذلك. وكذلك زوجي لم يمانع أو يخالف هذا الرأي. وتعتبر هذه العادة متأصلة في المجتمع المصري، ويتتاب عائلة زوجي شعور بالخجل وفقدان ماء الوجه بسبب عدم طهارة ابنتي، واستحالة أن تجد زوجاً مناسباً، لذلك أقترح إجراء (الختان الرمزي) القانوني. وردت عليها كاتبة عمود هي سيلما شيبيل (تراو ٢٢/٦) تقول: لا أفهم ما معنى الختان الرمزي؟ واعتبرته مقترحاً طفولياً لا يمكن أن يقترحه إنسان بالغ. وهل هي طاهرة ومختونة؟ وهل تريد لابتها التي تعيش في هولندا حرمانها من المتعة؟

الهسلهون يعانون التمييز اللاتني

بعد الحملة العدائية الواسعة ضد الإسلام والمسلمين التي أعقبت اعتداءات ١١ ايلول - سبتمبر ٢٠٠١ دعت أصوات حكومية وسياسية إلى ضرورة العودة للحوار مع الأقليات الإسلامية لتجاوز حالة التوتر الاجتماعي بين المسلمين والمجتمعات التي يقيمون فيها في الغرب. ورغم إقامة حوارات هنا وهناك إلا أنها بقيت ظرفية مرتبطة بقضية أو حادث عنصري فيسارع الطرفان للدعوة للحوار من أجل امتصاص حالة التوتر التي تعقب أي تصعيد إعلامي وعنصري ضد المسلمين من أجل تهدئة الخواطر. ولذلك بقيت تلك الحوارات هامشية وغير مؤثرة بين صناع القرار في المجتمع الغربي بشرائحه الاجتماعية والفكرية والسياسية.

الأقلام والصحف ووسائل الإعلام بقيت تنبش في ملفات تعتبرها مثيرة ومهمة في تصعيد الحملة على الإسلام والمسلمين. ورغم أن الشعب الهولندي معروف بتسامحه تجاه الأديان والثقافات الأخرى، لكن هناك جهات تريد تعبئته ضد الإسلام والمسلمين لأغراض عديدة. ففي ظل الحملات الانتخابية التي تشهدها الساحة السياسية والإعلامية استعداداً للانتخابات البرلمانية في أيار - مايو - ٢٠٠٢، تجمعت فلول من الأحزاب اليمينية المنحلة لتعلن عن تأسيس حزب سياسي جديد تحت اسم (هولندا ملائمة للعيش) غالبة عناصره معادية للأجانب ويريدون وسيلة للتعبير عن نزعاتهم العنصرية بعد غياب رموز سياسية تعبر عن النزعة المتطرفة اثر مغادرة الزعيم اليميني فرتز بولكستين، زعيم الحزب الليبرالي، هولندا بعد أن حصل على وظيفة في المفوضية الأوروبية في بروكسل. وكان بولكستين يمثل رمز التيار المعادي للإسلام والمسلمين والأجانب عموماً. فشلت الأحزاب اليمينية السابقة في التأثير على الساحة السياسية. فقد خسر الحزب الديمقراطي المركزي مقعده الوحيد في البرلمان العام ١٩٩٨ وألحق ذلك بخسارته مقاعده الثمانية والسبعين في المجالس البلدية من العام نفسه. كما خسر الحزب المركزي العام ١٩٨٦ مقاعده التسعة في المجالس البلدية ولم يكن له وجود في البرلمان الهولندي.

وإذا كان صعود تلك الأحزاب في العام ١٩٩٤ يعود لتراجع الاقتصاد الهولندي وازدياد عدد العاطلين عن العمل آنذاك وحملة الاتهام التي قادها التيار العنصري بأن الأجانب والمسلمين هم وراء المشاكل الاقتصادية فاليوم لا يمكن تبرير ذلك بالسبب نفسه لأن الاقتصاد يعيش أزهى أيامه، حيث انخفض نسبة البطالة إلى أدنى مستوى لها منذ عشرين عاماً أو من خلال معدل النمو الاقتصادي. إذن، هناك دوافع عنصرية محضة وكرامية عميقة للإسلام والمسلمين، يحاول أنصار هذا التيار التركيز عليها ودغدغة مشاعر قطاع معين من الهولنديين من أجل الصعود مرة أخرى إلى الواجهة السياسية.

اختار الحزب الجديد (هولندا ملائمة للعيش) أستاذاً جامعياً مثلي الجنس، هو بيم فورتاون ليكون على قائمة مرشحيه. وفورتاون معروف بعدائه الصريح للمسلمين ويظهر ذلك في مقالاته المنشورة في الصحف و المجلات الهولندية.

كما أصدر كتباً عديدة تهاجم الإسلام وعقائده وأحكامه. فكتاب « ضد أسلمة ثقافتنا » الصادر العام ١٩٩٧ ينتقد الإسلام ويعتبره عائقاً في اندماج الأقليات المسلمة في المجتمع الهولندي. كما ينتقد أحكام الشريعة الإسلامية وموقف الدين الحنيف من المرأة وحجابها والفصل بين الجنسين وتقييد الحرية الجنسية إضافة إلى الموقف من مثليي الجنس. كما دعا إلى شن حرب باردة ضد الإسلام في أعقاب انفجارات ١١ ايلول - سبتمبر - في أمريكا. من جانب آخر، لا يخفي فورتاون موقفه المؤيد لإسرائيل فهو يشارك في حملات التضامن معها وأعلن بأنه يؤيد إسرائيل من كل قلبه وانه سيدعمها من كل قلبه وأنه سيدعمها إذا ما وصل للسلطة.

أحياناً يشدد فورتاون هجماته وانتقاداته للإسلام ففي كانون الأول - ديسمبر - الماضي شن حملة ضد أحد أئمة المساجد هو عبد الله هاسلهوف. كما شن قبله حملة ضد الشيخ خليل المومني إمام مسجد النصر في روتردام وذلك لتصريحات لها تتعلق بمثليي الجنس والحكم الإسلامي فيهم. وفي منتصف شباط - فبراير - الماضي أي بعد ترشيحه على قائمة «هولندا ملائمة للعيش» أطلق فورتاون تصريحات عنصرية مكشوفة. ففي لقاء أجرته معه صحيفة «دي فولكس كرانت» أعلن بأن:

١ - الإسلام ثقافة متخلفة.

٢ - على الحكومة عدم قبل اللاجئيين السياسيين.

٣ - تعديل المادة الأولى من الدستور الهولندي التي تمنع التمييز على أساس الدين و المعتقد و العرق واللون والجنس.

أدت تصريحاته هذه إلى ضجة في الأوساط السياسية والصحافية بين معارض لها (باعتبار أن فورتاون تجاوز حده في إظهار عدائه وعنصريته ضد فئة من المجتمع الهولندي أي المسلمين وكذلك دعوته لتعديل المادة الأولى من الدستور التي تعتبر قمة التحضر ومن أهم إنجازات الدولة الهولندية الحديثة العام ١٩٥٠ لوقف النزاع بين الكاثوليك و البروتستانت) وبين مؤيد لهذا الصوت العنصري الجديد بعد فقدان الساحة الهولندية لرمز يتبنى هذه المشاعر المكبوتة في نفوس قطاعات معينة.

وساهمت الحكومة في تصعيد الحملة عبر تصريحات السيدة كارين ادلي مونت مساعدة وزير التعليم حين صرحت بأنه « إذا كانت المدارس الإسلامية تمارس التمييز والكرهية فيجب على الحكومة والبرلمان التدخل وإيقاف الدعم المالي عنها. ولو أدى ذلك إلى إغلاق هذه المدارس ». ودعت إلى « معالجة صارمة ضد انتشار الأفكار المتطرفة في هذه المدارس ووقف التأثير الأجنبي عليها ». وأيد معظم الأحزاب السياسية تصريحات مساعدة الوزير مندداً بالدعم المالي الذي قدمته بعض المؤسسات السعودية لعدد من تلك المدارس في هولندا.

وفي حمى الحملات الانتخابية والكل يريد تسجيل نقاط لصالحه لم يطالب سياسي واحد بإجراء تحقيق رسمي في الأمر وهل ثبتت تلك الإدعاءات أم لا؟ الأمر الذي دعا صحيفة « تراو » أن تنتقد في افتتاحيتها السيدة ادلي مونت وكذلك الأحزاب السياسية. فقد كتبت تقول « إن موقف الأحزاب السياسية تجاه تواجد تيار رايديكالي في المدارس الإسلامية غير مبني على الحقائق. فتقرير جهاز المخابرات الهولندية يذكر صراحة أن هناك ستة مدارس فقط من مجموع ٣٢ يعمل فيها مدرسون متشددون. فلماذا تم إهمال موقف الأكثرية المنسجم مع القانون والقيم الهولندية؟ من جانب آخر اعتمدت تصريحات ادلموند على أمر واحد: هو وجود كتاب مدرسي يدعوا لكرهية المجتمع الغربي في حين لم تثبت المخابرات استعمال هذا الكتاب في التدريس ! »

١٠-١٠-٢٠٠٧ : حملة على المدارس الإسلامية في هولندا

في ذروة الحملة على المدارس الإسلامية قامت المخابرات الهولندية بنشر تقرير لها بعنوان (النظام الديمقراطي والتعليم الإسلامي) تضمن «إشارات إلى أن التعليم الإسلامي يبعث على القلق وأن بعض المدارس استلمت تبرعات مالية من مؤسسة الوقف الإسلامي السعودية وأن بعض أعضاء إدارات هذه المدارس يتعاطفون مع منظمات رايديكالية مثل حماس الفلسطينية وجماعة الاخوان المسلمين المصرية».

وأشار التقرير إلى وجود « تمييز ديني وتعصب وعداء للغرب والقيم الديمقراطية ودعوة لعدم الاندماج في المجتمع الغربي. وأن بعض المعلمين يمارسون سلطات خارج النطاق التعليمي مثل التدخل في الشؤون اليومية للمدارس ومشاكسة الطلاب المسلمين للمعلمين الهولنديين العاملين في هذه المدارس، وكذلك إدارتها. وأن هذا الضعف يمارس سلطات إضافية لا ترتبط بالدين بل بدعم جهات أجنبية المدارس مالياً. كما أن إدارة (مجلس المدارس الإسلامية) لم تفعل شيئاً لا في منع المساعدات الأجنبية ولا في مواجهة المعلمين الرايديكاليين».

وفي خضم هذه الاتهامات أعلن مجلس المدارس الإسلامية عن استقالة إدارته بسبب اتهامات المخابرات الهولندية له بالتقصير في أداء عمله. الجدير بالذكر أن المخابرات الهولندية لم تنشر تقريراً في تاريخها إلا مرتين وكلاهما يتعلق بالإسلام: الأول كان قبل أعوام عديدة بعنوان (الإسلام السياسي)، والثاني هو هذا التقرير الأخير الذي أشرنا إليه. ومن المعلوم أن المخابرات لا تنشر تقريرها علناً فلماذا تفعل ذلك إذاً كان للموضوع صلة بالمسلمين؟

من جانب آخر شكك باحث في دائرة بحوث المخابرات والأمن « نايميخين » في مصداقية تقرير المخابرات وأنه يخرق القانون لأن عمل المخابرات يقتصر على وجود تهديد كبير لأمن البلاد والنظام الديمقراطي وقضايا الإرهاب والتجسس. ومثل هذه القضايا غير موجودة في المدارس الإسلامية. كما أنه ليس من حق المخابرات دخول المدارس وفتيشها بحجة وجود عناصر متعاطفة مع التيار الأصولي الإسلامي إذ يكفي إبلاغ إدارات تلك المدارس وتنبيهها إلى هذا الأمر. وانتقد الخلط الإجرائي في قيام المخابرات بالفتيش، في حين لم يصدر أي أمر حكومي أو قرار برلماني بذلك بل اعتمدت إدارة المخابرات على الأخبار والتصريحات التي نشرتها وسائل الإعلام وهذا غير كاف مطلقاً.

وينطلق الشك في نوايا المخابرات من أنه لو كان همها فعلاً هو البحث عن نشاطات وأفكار معادية لبعض الفئات الهولندية أو ضد قيم الديمقراطية فلماذا لم تحقق في موقف الحزب البروتستانتي المسيحي الذي يعارض انتماء النساء إليه؟ وهو أمر يخالف الدستور لأنه يمارس التمييز ضد النساء. وقد نهت الأمم المتحدة الحكومة الهولندية إلى هذا الأمر. كما توجد طوائف دينية مسيحية تعارض التلقيح ضد الأمراض السارية كشلل الأطفال والجدري والحصبة مما يعرض أطفالهم للخطر. وهو أمر يخالف اتفاقية حقوق الطفل التي وقعت عليها هولندا. وهناك طائفة دينية (شهود يهوه) تمنع نقل الدم بين أعضائها أو من غيرهم، فتعرض أعضائها للخطر الجدي خاصة في حالات العمليات الجراحية أو حوادث الطرق وغيرها. أليست هذه ثقافة متخلفة تعود للعصور الوسطى؟ فلماذا توهم الثقافة الإسلامية وحدها بالتخلف؟

إن التركيز على المشاعر العنصرية ضد الإسلام والمسلمين لن يؤدي سوى إلى توتر العلاقات بين هؤلاء وبقية المجتمع الذي يشكلون جزءاً منهم. الأمر الذي سيخلق أجواء عدائية ربما تصل إلى حد الاعتداءات على المسلمين ومساكنهم ومساجدهم ومؤسساتهم مثل ما تمارسه بعض العناصر المتطرفة في دول أوربية أخرى.

أصوات وعادية للتسليح والتمرد

في ظل الحملات الإعلامية أفرزت الساحة السياسية والإعلامية بعض الأصوات التي أعلنت صراحة عداتها للإسلام والمسلمين. رصدت النخيل منها:

أسامة شريبي: مسلم من أصل مغربي ونائب في البرلمان الهولندي عن حزب VVD اليميني. لقد كان من أكثر السياسيين هجوماً على الجالية الإسلامية، وتبرأ منها إلى حد أنه في إحدى جلسات البرلمان طالب بطرد المتطرفين المسلمين من هولندا، وإعادتهم إلى الصحراء مرة أخرى. هذا النائب الفاقد للهوية يعتقد أنه بتطرفه ضد المسلمين سينال حظوة عند أعدائهم. لقد بلغت به المغالاة في النفاق والتملق أن جاء إلى البرلمان مرتدياً ربطة عنق بألوان العلم الأمريكي. الأمر الذي لم يفعله حتى أشد الهولنديين تطرفاً.

أفشين إيلان: إيراني حاقده يعمل مدرساً في جامعة تلبورغ يدعو إلى سن تشريعات قانونية تعاقب الذين يدعون آراء تدعو للكراهية (من أجل منع المسلمين الراديكاليين من الدعوة ضد الغرب، وعرقلة الاندماج). ودعا إلى ملاحقة الآراء المعادية للغرب مثل تصريحات الشيخ خليل المومني ضد الشذوذ الجنسي. هذه الدعوة لقيت دعماً حذراً وتفهماً من قبل زملائه الهولنديين. كما دعا إلى أن تحذو هولندا حذو كندا التي يحرم قانونها (جرائم الكراهية).

ويدعو إيلان ليس إلى معاقبة الشباب فقط بل إلى متابعة جذور الآراء المتطرفة أي معاقبة أئمة المساجد والمبلغين والدعاة الذين يتهمهم بأنهم وراء نمو الظاهرة الأصولية أو كما يصنفهم بأنهم الذين يبذرون الكراهية. ويريد إيلان سن مادة قانونية تعاقب على الكراهية كما أن المادة الأولى من الدستور تعاقب على التمييز العنصري. وأن إدراجها سيساعد الشرطة والمخابرات على اعتقال وملاحقة هذه العناصر. وبذلك يفتح الباب أمام الاعتقال العشوائي والكيدى بتهمة زرع الكراهية. ولم يعلق إيلان على ما فعل الإعلام الهولندي من زرع للكراهية ضد المسلمين.

سيلفيان إيفيمينكو: صحفي يكتب عموداً يومياً في صحيفة (تراو) القومية. أدلى بدلوه في الحملة ضد الإسلام والمسلمين، إذ كتب يقول بعد الحادث بيومين مشككاً بالموقف الإسلامي الراض للاعتداءات (هناك مئات الآلاف إن لم يكن الملايين في العالم ممن أبدوا سعادتهم تجاه ذهاب

الضحايا المدنيين في نيويورك وواشنطن. ليس فقط في الأراضي المحتلة أو لبنان، بل في العديد من المدن الإسلامية وأحياء المهاجرين مثلاً في فرنسا وهولندا). ثم حاول استعداء الشارع الهولندي باتهام الأقليات المسلمة بالتعصب والأصولية، وأن المستقبل غامض لاحتلال تصادم الحضارات والثقافات. وأن خطأ الديمقراطية يكمن في تسامحها مع العقائد الدينية السلطوية والأقليات المتشددة. وقد رد على مقالته بعض الهولنديين المنصفين. وإضافة إلى عموده اليومي الذي حاول فيه التنظير للصراع بين الإسلام والحضارة المسيحية-اليهودية، نشر سيلفيان (رسالة مفتوحة إلى مسلمي هولندا) بتاريخ ٢٩/٩/٢٠٠١ تطرق فيها إلى أمور كثيرة لكنها لم تخل من اتهام صريح للإسلام بالأصولية والارهاب والتعصب رغم محاولته أحياناً الظهور بمظهر الحريص على الجالية المسلمة بقوله (لا ينكر أحد أنكم مسلمون) لكنه يضيف (ولكن يمكن الإدراك والاعتراف بوجود جيل جديد داخلكم من المخالفين المتعصبين الذي يسعون بوحشيتهم وعزمهم على هز العالم. إن ذلك بغض سواء شتمت أم أبيتم، فإن أفعال أقلية منبوذة تنسب نفسها للإسلام، يمكن أن تخلق إرباكاً، وأن تؤثر على صورة الأكثرية بشكل مباشر أو غير مباشر).

هانس ويردمولدر: أنثروبولوجي متخصص بالثقافة وعلم الجريمة في جامعة أوترخت حاول أن يظهر أكثر علمية باعتداده على قضيتين مشكوك فيهما الأولى: مسألة خروج شباب مغاربة فرحين بالاعتداءات، والأخرى الاحصائية التي نشرتها مجلة (كونتراست) التي قالت فيها أن ٦٢٪ من المسلمين يتفهمون الانفجارات. ومع أن معنى كلمة (متفهم) يختلف من بيئة إلى أخرى ومن مستوى ثقافي إلى آخر، لكن هذا المتخصص اعتبر الخلفية الاجتماعية والثقافية للمسلمين تساهم في تأييد هذه التوجهات. ورفض هانس تصريحات وزير الخارجية فان آرتسن التي تدعو إلى عدم الاهتمام كثيراً بمثل هذه البحوث والاحصائيات المستعجلة.

بيم فورتاون: صحفي وكاتب ومؤلف عدة كتب عنصرية ضد الإسلام مثل (ضد أسلمة ثقافتنا: الثقافة الهولندية كأساس) عام ١٩٩٧ الذي يعتبر فيه الإسلام عائقاً ضد اندماج المسلمين. كتب فورتاون مقالاً في مجلة CDA Magazine التابعة للحزب الديمقراطي المسيحي يرى فيه أنه (لا يمكن تقادي الدخول في حرب باردة مع الإسلام)، معتبراً (المسلمين أكبر تهديد للسلام العالمي) و (الحذر ليس كافياً بل يجب حماية قيمنا وتقاليدنا. ويجب طرد المسلمين وأن لا نفكر لحظة في ذلك)، (ويجب معاملة المسلمين مثل الشيوعية في الحرب الباردة)، (ولا نسمح بتأسيس حزب عربي في هولندا).

وأخرى منصفة وموضوعية

ظهرت أصوات منصفة متعقلة حاولت الرد على جزء من الهجمة الشرسة على الإسلام والمسلمين. ولم يفسح لها المجال كثيراً بل بقيت مقالاتها وآراؤها تنشر في الصفحات الداخلية ضمن بريد القراء بلا عناوين بارزة وغالباً مختصرة، ولكن مع ذلك استطاعت أن تجد طريقها للقارئ بعد أن سمحت بنشرها إدارات الصحف للمحافظة على مصداقيتها وموضوعيتها.

فارد فرديناندسه: فقيه قانوني وأستاذ في جامعة أمستردام نشر مقالة عنوانها (يتوقف الارهاب بعد إحلال السلام في الشرق الوسط) أكد فيها على أن جذور الارهاب تعود إلى الموقف الأمريكي المؤيد لإسرائيل. ودعا لإسرائيل إلى الانسحاب من جميع الأراضي المحتلة - وليس بنسبة مئوية معينة - وبضمنها القدس الشرقية، وتطبيق قرارات الأمم المتحدة والقانون الدولي. وأن تمنح إسرائيل اللاجئين الفلسطينيين حق العودة إلى بلدهم أو أن تعوضهم بتعويضات مالية كما حصل اليهود على تعويضات عجزاء ما حدث لهم في الحرب العالمية الثانية. وأن تكف إسرائيل عن سياسة القمع المنظم تجاه الفلسطينيين. وأن يقوم الغرب بتقديم المعونات المالية للدولة الفلسطينية. كما طالب الكاتب الدول العربية بالاعتراف بإسرائيل وتطبيع علاقاتها معها.

وكتب أس. باستور في بريد القراء (في المناقشات الحالية بعد الانفجارات في أمريكا لم يتم الاعلان عن محور هام هو: كيف يمكن احتمال أن يكون الإسلام يحفز ملايين المواطنين في العالم نحو الشر؟) ثم يقول (إذا كان المسلمون من الساعة الأولى خاطفين وإرهابيين ودكتاتوريين وغيرهم، فهل كان يمكن للإسلام أن يؤسس حضارة مزدهرة مليئة بالعلم والتقدم وتحسين حقوق البشر، ومسؤولية وتسامح؟ إن الحضارة الإسلامية تركت للعالم كنزاً من المعرفة، مثل علوم الطب والفلك والرياضيات والفيزياء والآثار والعمارة والفلسفة). ثم يضيف (كما هو معروف هناك نسبة مئوية ضئيلة من المسلمين تتصور أن الجهاد يعني القيام بأعمال إرهابية أو انتحارية. للأسف فالكثيرون يترجمون الجهاد بالحرب المقدسة أو العدوان، في حين أن كلمة الجهاد لا تعطي معنى عسكرياً إلا قليلاً، إذ تعني بذل الجهد ومواجهة النفس ومحاسبتها أمام الله).

وكتب هندريك يان باكر مقالاً يقول فيه (رفض وزير الأقليات فان بوكستل القبول بأنه من حق المسلمين أن يكون لهم رأيهم بما يخالف المجتمع فيما يتعلق بالحدث الأمريكي. والواقع أن هناك الكثير من الهولنديين من ذوي الأصول العربية لديهم خبرات مع أمريكا تختلف عنا. هل يجزؤ فان بوكستل على إنكار انتهاك إسرائيل لحقوق الفلسطينيين في الأراضي المحتلة، وبدعم أمريكي وأوروبي؟ وهل ينكر أن الحظر الاقتصادي على العراق قد كلف آلاف الضحايا من أطفال العراق؟).

وكتب كرسstofايس يقول (ليس نصف المسلمين فقط يبدوون تفهماً لما حدث في أمريكا، بل إنني من خلال اتصالاتي مع الأفارقة المسيحيين، سواء في هولندا أو في أفريقيا، سمعت آراء مشابهة أيضاً. ولم يدهشني ذلك لأنني عندما كنت في بوتسوانا ولمدة تسع سنوات، رأيت وسمعت مواقف مشابهة تجاه البيض بصورة عامة وأمريكا على وجه الخصوص. ولا أطلب تفهم ذلك ولكن تحليل الموقف ضمن الواقع الذي رأيته يمكنك معرفة الأسباب الكامنة وراءها).

وكتب نيلس فان رولر يقول (إن صورة المسلمين ترسم داكنة من خلال مجموعة من المتشددين. قبل إقامتي في مصر كانت الصورة التي رسمتها عن الثقافة الإسلامية مستندة إلى ما تبثه وسائل الإعلام الغربية. وعندما ذهبت إلى هناك وجدت الأمر مختلفاً تماماً ولا صحة لما ينشره الإعلام الغربي عن المسلمين. من خلال تجربتي وجدت المسلمين حذرين جداً وأخلاقهم أحسن منا، وأكثر سلاماً منا. بالطبع توجد جوانب أقل جاذبية في ثقافتهم، لكن ذلك يسري على كل الثقافات وبالتأكيد الثقافة الغربية. واحد من الجوانب السلبية لثقافتنا هو القلق على كل شيء: البيئة والاقتصاد والتوازن الثقافي والسياسي. ومنذ أن عدت من مصر أواجه باستمرار صوراً خاطئة لدينا عن المسلمين).

وكتب سي. فان درفيلدا رسالة جاء فيها (ذكر محمد الرباع أن الهولنديين هلموا ورقصوا عند قصف مدينة دريسدن الألمانية في الحرب العالمية الثانية. وأنا لا أتذكر ذلك لكنني أتذكر أن الطائرات الأمريكية كانت تلقي بالقنابل على دريسدن وهامبورغ وبقية المدن الألمانية. وبعد أن أنهى الأمريكان هههم عرفت مدى الدمار الذي لحق بالمدن الألمانية دون مبرر. ومنذ ذلك الحين لم يفارقني الشعور بالحنج لآنا كنا فرحين بضرب المدنيين. أرجو أن لا يندم أولئك الذي فرحوا بما جرى في أمريكا من الفلسطينيين وغيرهم، وأن شعور الحنجل سيلازمهم طوال حياتهم).

الإعلام يمارس دوراً تحريضياً ضد المسلمين

مقالات وندوات وبرامج فكرية وسياسية تفتقد الموضوعية
أحصائيات مشكوك بها، وأخبار ملفقة وتقارير عارية عن الصحة
استخدام عبارات (مسلمين إرهابيين) بدلاً من متهمين أو مشتبه بهم
استخدام الصورة كحافز بصري يثير العداوة والكراهية ضد الإسلام

لم يكن الحدث الأمريكي قد أدى إلى اهتزاز الواقع الأمريكي حكومة وإعلاماً وشعباً فحسب، بل ليكشف عن البنية الأخلاقية والفكرية والاجتماعية الضعيفة للمجتمعات الغربية، ومدى هشاشة مبادئ المساواة والحرية واحترام الأديان التي تتشدد بها. حيث فشلت في أول اختبار صعب لها.

وفي هولندا بانت آثار الاهتزاز على المجتمع ككل. فقد الإعلام الهولندي النسبة البسيطة من الحيادية والموضوعية التي كان يتمتع بها تجاه قضايا الإسلام والمسلمين، وسرعان ما تحول إلى ماكنة ضخ للكراهية والعنصرية ضد الإسلام والمسلمين والعرب. وخلال الأيام العشرة الأولى بعد الحدث بقيت جميع وسائل الإعلام الهولندية تتخذ موقفاً عدائياً صريحاً ضد الإسلام. كما لعبت دوراً تحريضياً في تصعيد ردود الأفعال الشعبية والسياسية والحكومية ضد المسلمين. وبعد أسبوعين من الحدث بدأت تستعيد وعيها وتنتبه إلى ما فعلته من تخريب بنية المجتمع المتعدد الثقافات وزرع الخوف والذعر في نفوس أبناء المجتمع سواء مسلمين أو غير مسلمين.

وتصدرت صور بن لادن تصاحب مقالات وأخبار وعناوين مثل (المليونير بن لادن يجاهد بالأموال والفتاوى ضد أمريكا). واحتلت التقارير والبرامج والأفلام الوثائقية التي تناولت الإسلام والحركات الإسلامية معظم أوقات المحطات التلفزيونية. وحتى برامج الأطفال قدمت عدة برامج تحدث معظمها عن (لماذا يكره المسلمون أمريكا؟). واستمرت تنقل المعلومات والأخبار من المحطات الأمريكية دون تحليل أو تمييز. وحتى التي اعتذرت عنها أمريكا مثل نشر صور المشتبه بهم حيث ظهرت أخطاء فظيعة واتهام أناس أبرياء، استمرت الصحافة الهولندية في ذلك.

وبذلت وسائل الإعلام جهودها من أجل ترسيخ صورة الإرهاب بالمسلمين وأنه جزء من تعاليم الإسلام، وأن الإرهاب يمثل جانباً من شخصية المسلم. ففي ندوة تلفزيونية موسعة استمرت

أكثر من ساعتين يوم الأحد ١٦ / ٩ / ٢٠٠١ وبثت على الهواء مباشرة، شارك فيها عشرات من الصحفيين والمفكرين والكتاب والمؤرخين والبرلمانيين والوزراء وأساتذة الجامعات والمتخصصين بالشرق الأوسط. وكان الحضور الإسلامي ضعيفاً اقتصر على اثنين، أحدهما سوداني والآخر مغربي، حاول المتحدثون بشتى الطرق ربط الإرهاب بالإسلام وأن تربية المسلم ومفاهيم الموت والحياة تسهل قبول العمليات الانتحارية. وأن الإسلام نفسه يقبل ويتسامح مع الإرهاب ويسميه جهاداً. ولولا وجود بعض الأصوات المنصفة التي أصرت على أن مصدر الإرهاب هو الصراع العربي الإسرائيلي ودعم أمريكا اللامحدود لإسرائيل، ل بقي هناك صوت واحد يقول: الإرهاب مصدره المسلمون. وطرح وزير الداخلية السابق (برام بيير) لأول مرة فكرة إنشاء وزارة للأمن بهدف حماية هولندا وأوروبا من خطر الإرهاب، أي ملاحقة المسلمين والعرب.

لم تقتصر حملة التصعيد الإعلامي على نشر الأخبار المنحازة ضد المسلمين بل استخدمت الصورة كحافز بصري لإثارة الكراهية في نفوس الهولنديين ضد كل ما هو إسلامي. فقد نشرت صحيفة (تراو) صورة امرأة متعبة تعتقلها الشرطة الألمانية في هامبورغ. كما نشرت على صفحة داخلية صورة هاتف نقال على شاشته رسم يمثل طائرة تقترب من بناية عالية وتحتها عبارة (صابت ما خابت). ونشرت صور كاركاتورية تؤجج الحقد ضد المسلمين والعرب. فيصور أحدها طائرة بوينغ يقودها عربي يرتدي كوفيته، متوجاً نحو مركز التجارة العالمي بشكل يضع القارئ في الشباك والطائرة تتجه نحوه، مثيراً بذلك كل معاني الذعر والكراهية ضد العرب. ويصور رسم آخر شخصاً يربط القرآن على عينيه فلا يرى شيئاً، ممسكاً بسيف يقطر الدم من حافته، وفوق الرجل عبارة (جهاد) بالهولندية لكنه أبدل (البدال) بـ(تاء) حيث تعني كلمة (Haat) الكراهية باللغة الهولندية.

بقيت وسائل الإعلام تستخدم عبارة (مسلمين إرهابيين) و(مسلمين متشددين) لوصف المشتبه بهم. بل عندما اعتقل أربعة في هولندا و صفتهم بالمسلمين دون أن تذكر جنسياتهم كما هي العادة. كما لم تصف أي واحد منهم بالمتهم أو المشتبه به كما هو متداول لأن الجريمة لم تثبت عليهم بعد، بل أحيلوا إلى التحقيق، وظهر أنه ليس لهم علاقة بابن لادن. أما السويسري الذي أطلق النار على مقر البرلمان يوم ٢٧ / ٩ / ٢٠٠١ فقد جاءت عناوين الصحف كالتالي (سويسري يرتكب مذبحه في برلمان إقليمي)، هكذا! لم يذكر دينه المسيحي، ولا وصفه بالإرهاب رغم فداحة الجريمة وبشاعتها.

اعتقد محررو صحيفة التلغراف أنهم حصلوا على دليل دامغ لتورط المسلمين في هولندا بحادث الانفجارات في أمريكا. فقد حصل أحدهم على تقويم طبع في مصر نشرت فيه صورة لطائرة محترقة تهوي في البحر أمام مدينة نيويورك. ونشرت الصورة على الصفحة الأولى من الصحيفة مع إيحاء بأن مدرسة الإيمان الإسلامية في (ألبرا) تعلم بالجريمة قبل وقوعها بثلاثة أشهر. وأن إدارة المدرسة تعلم الأطفال كراهية أمريكا. وترجم المحرر عبارة (توكلت على الله) بأنها (أعتمد على الله ومن أجل أموت) وهي ترجمة غير آمنة اعترض عليها مستشرق هولندي التقاه التلفزيون للتعليق عليها. والصورة تمثل ذكرى حادث الطائرة المصرية التي سقطت عام ١٩٩٩ أمام السواحل الأمريكية. وأعلنت الشرطة الهولندية أنه لا علاقة للتقويم بالحادث الأمريكي. وستقدم إدارة المدارس الإسلامية ISBO بشكوى ضد الصحيفة. وتدير المدرسة سيدة هولندية مسلمة ومتعصبة، ويدرس فيها معلم أفعاني متعصب يدعى محمد نظير تنوير وهو من مؤيدي طالبان، منع سابقاً طالبيتين عراقيتين من الصلاة وفق المذهب الشيعي، أي عدم تكتف اليبدين. وأصرت مديرة المدرسة إما أداء الصلاة وفق المذهب الوهابي أو الطرد من المدرسة. فاضطرتا لترك المدرسة. (راجع عدد النخيل (٤٠) الصادر في نيسان ١٩٩٩).

بعد يوم واحد من الانفجارات تداولت وسائل الإعلام تقريراً من شرطة مدينة Ede يقول بأنه بعد ساعة من حدوث الاعتداءات خرج خمسة عشر شاباً مغرباً إلى الشوارع مبتهجين وفرحين لضرب أهداف أمريكية. وسرعان ما تداولت وسائل الإعلام الخبر واعتبرته استهتاراً بمشاعر المجتمع الهولندي الحزين. كما علق عليه رئيس الوزراء واعتبره أمراً غير مقبولاً. وأعرب محافظ المدينة عن ارتياحه لاعتقال الشباب. وبعد أن تم تشويه سمعة المغاربة والمسلمين جميعاً وأنهم إرهابيون نشر تحقيق حول القضية تبين فيه أن الخبر الذي أرسله أحد الشرطة عار عن الصحة تماماً. واعترف الشرطي بأن الخبر لم يكن موضوعياً وبريئاً، إذ لم يكن هناك سرور أو بهجة أو سيارات تحمل بالونات، وإنما كان هناك شباب يتجمعون كعادتهم في الشارع وعندما اقتربت منهم الشرطة حدث كالعادة استفزاز ضدها.

ونشرت صحيفة (كونتراست) إحصائية جاء فيها أن ٧, ٤٧٪ من المسلمين يتفهمون الانفجارات الإرهابية في أمريكا، وأن ٥, ٦١٪ منهم يدينونها، وأن ٥٪ منهم يؤيدونها. وقد أغضبت النسبة الأخير الشارع الهولندي وسكبت وسائل الإعلام الزيت على النار عندما اعتبرت أن هذه هي

مشاعر المسلمين. وظهر رئيس الوزراء غاضباً من هذه النسبة معتبراً إياها غير مقبولة بتاتاً في مجتمع ديمقراطي متحضر.

وشككت صحيفة (تراو) بالإحصائية مشيرة إلى أنه تم أخذ آراء (٤٠٠) مسلم كانوا يخرجون من المساجد أو الشوارع، وأنه لا يوجد تمثيل حقيقي للمسلمين. وأشار أحد المختصين إلى أن الفرد الشرقي يميل عادة إلى إبداء الرأي الذي يرضي المحيط الاجتماعي حوله. وأن الإحصائية تغافلت الذين كانوا في منازلهم من المسلمين.

الجدير بالذكر أنه لم تجر عملية استفتاء بين الهولنديين للتعرف على نسبة المعارضين والمؤيدين للإنفجارات.

النتائج

نشرت صحيفة (دي فولكس كرانت) اليومية بتاريخ ٢٦ / ٩ / ٢٠٠١ نتائج بحث ميداني شمل (٨٠٠) شخص ظهر فيه أن ٦٣٪ من الهولنديين يميلون إلى معاملة المسلمين الذين يحملون أفكاراً معادية للغرب بقسوة من قبل السلطات. وأن يجري طرد أي مسلم تثبت علاقته بها حدث في أمريكا أو يتعاطف من الجهات المنفذة لها. وتبين أن غالبية المطالبين بتشديد الرقابة على المسلمين هم من ذوي المستويات التعليمية القليلة والمتوسطة. في حين أقر ذوي التعليم العالي على التعامل الطبيعي مع المسلمين، وعدم فرض رقابة على تنقلاتهم.

وكشف البحث أن نصف الهولنديين يشعرون بالخوف، وأنهم مستعدون للتضحية بجزء من حريتهم من أجل تحقيق مزيد من الأمن. وأيد ٦٦٪ منهم عودة الحواجز والحدود بين دول الاتحاد الأوروبي. كما أيدوا حمل كل فرد بطاقة هوية معه.

المسلمون في أمريكا بعد أحداث ١١ أيلول / سبتمبر

يتفق كثير من الباحثين على أن الإسلام هو أسرع الديانات نمواً في الولايات المتحدة الأمريكية. وتفيد التقديرات بأنه يعيش في أمريكا حوالي ثلاثة ملايين مسلم وقد يكون ضعف هذا العدد، إذ لم تجر حتى الآن إحصائية منظمة وصحيحة. ويمثل المسلمون المنحدرون من شرق أوروبا ٢٦٦٪، ومن جنوب الصحراء الأفريقية ٢٨٪، والشرق الأوسط وشمال أفريقيا ٢٨٤٪، وآسيا ١١٥٪ والأمريكيون الأفارقة ٣٠٢٪. وقد شهد تاريخ المسلمين في أمريكا مراحل متعددة تضمنت تغيرات ديموغرافية واجتماعية وسياسية وقانونية.

وحول الأوضاع في أمريكا ألفت الدكتورة أيفون يزبك حداد (مسيحية أردنية الأصل) أستاذة تاريخ الإسلام في جامعة جورج تاون، ومركز العلاقات الإسلامية-المسيحية في واشنطن، ألفت محاضرة في جامعة ليدن في ٢٥ / ٥ / ٢٠٠٢ بدعوة من معهد ليدن لدراسة الإسلام الحديث ISIM. وللبروفيسورة حداد العديد من المؤلفات الهامة مثل (الإسلام المعاصر وتحديات التاريخ) وشاركت في تأليف (القيم الإسلامية في الولايات المتحدة) و(المفهوم الإسلامي للموت والبعث). كما اشتركت في تحرير (المسلمون في أمريكا) و (المرأة والدين والتحول الاجتماعي).

التغيرات الديموغرافية

في البداية، أشارت المحاضرة إلى أن تاريخ المسلمين في أمريكا صار ينقسم إلى قسمين: ما قبل أحداث سبتمبر Before eleven September ويختصر بـ (B.E)، وما بعد أحداث الحادي

عشر من سبتمبر After eleven September (A.E)

تعود أول هجرة إسلامية إلى أمريكا إلى عام ١٨٧٠، وأنتجت خمسة أو ستة أجيال متعاقبة لحد الآن. وكانت الأمور تسير بشكل جيد حتى عام ١٩٦٥ حيث فتحت أمريكا باب الهجرة، فجاء كثير من المسلمين من بلدان مختلفة. فقد كان وضع المسلمين جيداً ولديهم تعليم عالي ومنذ عام ١٩٢٤ كان بإمكان العرب والمسلمين الحصول على الجنسية الأمريكية، في حين لم يحصل الآسيويون على هذا الحق إلا عام ١٩٦٥. وإضافة إلى المهاجرين المسلمين، هناك الأمريكيون الأفارقة الذين نشطت بينهم حركة العودة للإسلام باعتبار أن أجدادهم كانوا عبيداً مسلمين جلبوا إلى أمريكا. وهناك الدبلوماسيون المسلمون وخاصة في واشنطن ونيويورك، وتلتحق بهم عادة عائلاتهم وأقاربهم فيشكلون جالية معتد بها.

يمتاز المسلمون في أمريكا بتعليم عالي حيث أن ٥٧٪ منهم يحملون شهادات جامعية أو دكتوراه. وفي

كاليفورنيا وحدها هناك ٣٥٢ عالم كومبيوتر مسلم يحمل شهادة دكتوراه. وكلهم ملتزم بالإسلام ولديهم موقع على الانترنت. وفي السبعينات كانت أغلبية المهاجرين المسلمين من أوساط ريفية، جاءوا للعمل كعمال. أما في التسعينات فقد كان غالبية المسلمين القادمين إلى أمريكا من اللاجئين (أفغان وعراقيون وباكستانيون) وأغلبهم ذوي مستوى دراسي منخفض وبعضهم أميون. وينتمي المسلمون في أمريكا إلى مختلف المذاهب الإسلامية (شيعة وسنة...). والكل يدعي أنه يمثل الإسلام والآخرين ليسوا كذلك. ومع ذلك يلاحظ قابليتهم على التعايش مع بقية المسلمين على اختلاف مذاهبهم وثقافتهم. ومع ذلك ما زالت المساجد مثلاً تعاني من الحالة العرقية أو صارت مساجد (لغوية)، أي يكون المصلون فيها من عرق معين أو بلد معين أو لغة معينة. ففي واشنطن هناك ثلاثة مساجد أفغانية، واحد للبشتو وآخر للفرس وثالث للطاجيك. وليس كل المسلمين ملتزمين بالتعاليم الإسلامية فهناك ١٠-١٥٪ فقط لديهم علاقة بالمساجد، والآخرين يسمون (مسلمو العيد) أي يزورون المسجد في العيد فقط. وهناك صوفيون وغالبيتهم من الأمريكيين الذين اعتنقوا الإسلام، وهناك ليبراليون. ويتمتع المسلمون بحرية دينية يكفلها القانون، ولديهم نشاطات دعوية لاعتناق الإسلام، وحرية في العمل والكلام والتعبير ونشر المطبوعات واستضافة زعماء دينيين. فقد استضافت (جماعتي إسلام) الباكستانية أبو الأعلى المودودي عندما زار كندا وأمريكا. كان المودودي ينصح المسلمين بالعودة إلى بلدانهم لأن الأمريكيان سيأخذون أولادهم منهم. وهناك ١٢٠٠ مسجد و٦٠٠ مركز إسلامي و٣٠٠ مدرسة إسلامية. وكانت الإدارة الأمريكية تشجع الدعوة الإسلامية في الخمسينات من أجل مواجهة التمدد الشيوعي. وكان وكالة المخابرات المركزية CIA تجلب طلاباً مسلمين من الشرق الأوسط ثم بعد تخرجهم وعودتهم إلى بلدانهم سيكونون دعاة لأمريكا ونظامها، وقد يتولون السلطة في بلدانهم. وكان كثير من أولئك الطلاب من الإيرانيين، وكثير منهم شاركوا في الثورة الإيرانية من خريجي (بيركلي) و(هارفارد).

بعد وقوع الاعتداءات ساد الذعر والخوف أوساط المسلمين في أمريكا، واختفى الجميع في منازلهم، فلم يذهبوا إلى المدارس والجامعات والعمل. وعاد كثير من الطلاب العرب والمسلمين إلى بلدانهم. لقد اعتقدوا أن المسيحيين سيقضون عليهم. وحدثت حوادث اعتداء كثيرة على المسلمين، بل وشملت غير المسلمين من ذوي الملامح الشرق أوسطية. فقد قتل شاب قبطني، وآخر سيخي لأنه يرتدي عمامة. بعد ذلك أخذ السيخ يخلقون لحاهم ويخلعون عمائمهم.

من المفارقة أن الإعلام الأمريكي اكتشف الإسلام بعد أحداث سبتمبر. فقد ساد الحديث عن الإسلام وأحكامه وتعاليمه وسائل الإعلام الأمريكية التي صارت نشر كل شيء له علاقة بالإسلام، وحتى المقالات والكتب القديمة. الإدارة أيضاً انشغلت بالأمر، فقد زار بوش المساجد، وأخذ يصرح بأننا (نميز بين المسلمين الأمريكيين الراهبين)، و (أن الراهبين أخذوا الإسلام رهينة). وعلى رأي بعض المسلمين: كنا بحاجة إلى انفاق المليارات لبث مثل هذه (الدعوة) للإسلام في أمريكا.

ثم بعد ذلك بدأ الإعلام والسياسة الأمريكية بالتحول لبدأ التركيز على اضطهاد المرأة من قبل (طالبان)، وأن طالبان لا تمثل الإسلام. وهكذا، ففي الثمانينات كان المسلمون -برأي الأمريكان- اراهابيين ولكن في بلدانهم. وفي التسعينات صاروا أعداء ولكنهم لا يهددوننا، ضد السوفيات. وفي ٩/١١ صاروا أشراراً يجب مواجهتهم في كل العالم. فصارت نشر تبريرات جديدة، ويدعون أنها حملة ضد الارهاب وليست ضد الإسلام، فيها كثيرون يعتقدون عكس ذلك.

من الغريب أن تؤسس دائرة في البيت الأبيض (لانقاذ المرأة المسلمة) وليس لانقاذ المرأة الأمريكية. ولا ننسى أن أمريكا هي التي جاءت بطالبان إلى السلطة. الإعلام الأمريكي اليوم يعرض أفلاماً عن تحرر المرأة الأفغانية. كما يعرضون أفلاماً للأطفال الأفغان تتضمن مشاهد جنسية تجعل الأطفال يفتحون أفواههم دهشة، ثم ليقال (أمريكياً): لقد حررنا الأفغان. لقد رفضت الأفغانيات نزع الحجاب بعد القضاء على طالبان. فهل كان ارتداء الحجاب بسبب ضغط طالبان أم هناك أسباب اقتصادية واجتماعية جعلت المرأة الأفغانية لا تخلعه.

وبدأت أمريكا تتدخل في كل شيء إسلامي. السفارات الأمريكية و CIA تبحث في الكتب المدرسية الإسلامية في العالم الإسلامي فيما إذا كانت تهاجم أمريكا أم لا. أمريكا تريد التمييز بين (إسلام جيد) تدعمه و(إسلام سيء) تحاربه!! وبدأت سلسلة من العزل الاجتماعي داخل الجالية المسلمة في أمريكا: هذا مهاجر مسلم وهذا أفريقي مسلم، هذا ملتزم بالإسلام وهذا علماني.

أخذت بعض المؤسسات الإسلامية تتكيف مع التحولات الجديدة ولكن الجالية المسلمة مثلاً ما زالت تنظر بالشك لحوالي ١٧ مؤسسة إسلامية لأنها على علاقة مع الحكومة، ولذلك يخاف الناس الاقتراب منها او زيارة مساجدها. لقد ساد خوف عارم من كل أمر سياسي، فلو تحدث خطيب الجمعة في قضية سياسية، تجد المصلين يعارضونه ويطلبون منه التوقف عن طرق موضوع سياسي كي لا يتدخل عناصر مكتب التحقيقات الفدرالية FBI.

من جانب آخر لا أحد يجروء على الاتصال بالمسلمين بسبب الضغط الصهيوني. لقد نجح اللوبي الاسرائيلي في ربط ما حدث في أفغانستان مع ما يحدث في فلسطين. ويتم الآن تصوير الحرب في فلسطين على أنها حرب امريكا ضد الارهاب الإسلامي. إن جميع وسائل الإعلام الأمريكية (صحف، مجلات، وكالات، محطات إذاعية وشبكات تلفزيونية) تمتلكها ستة شركات، كلها يهودية. وتساهم في تشويه صورة الإسلام والمسلمين. لقد باتت الاساءة حتى لنبي الإسلام قضية عادية في الإعلام الأمريكي. فقد صرح أحد أعضاء طائفة المعمدانين Baptism في خطبة له في الكنيسة بأن النبي محمد ممن يمارسون الجنس مع الأطفال أي Pedophilia لأنه تزوج من فتاة عمرها تسع سنوات. وعندما سمع الرئيس بوش بذلك لم يدين التصريح أو يعتبره إساءة لنبي يحترمه ملايين الأمريكيين، لكنه صرح: إننا نؤيد المعمدانين لأنهم يؤمنون بالتعددية.

استطورة موضوعية الإعلام الغربي

مدير شبكة CNN يصدر تعليقات لمراسليه لتبرير موقف الحكومة الأمريكية أمام المشاهدين
مستشار توني بلير: لا تنتقدوا المستوطنات الإسرائيلية لأن ذلك دعابة لابن لادن
رغم ما يتمتع به الإعلام الغربي من حرية ومساحة كبيرة في النقد والنقاش لكن ذلك لا يعني
أنه يعاني من نقاط ضعف كبيرة. فقد كشفت أحداث ١١ أيلول عن حقيقة توجهات الإعلام
الغربي وخاصة الأمريكي، في تعامله مع قضايا المسلمين، وأكذوبة الموضوعية التي تدعيها
وسائل الإعلام الغربية، كما تسرب الشك إلى حياديتها. وإذا المهتمين بالإعلام لا يعتبرون ذلك
جديداً لكن الأحداث أظهرت مصاديق جديدة تمثلت في التعليقات التي أصدرتها الحكومة
الأمريكية إلى وسائل الإعلام بشكل قد يختلف كثيراً عن إعلام الأنظمة الدكتاتورية من حيث
إخفاء الحقائق أو تغيير المصطلحات أو عدم إفصاح المجال للخصوم.

تعليقات لوسائل الإعلام

تعتبر شبكة CNN من أكبر وسائل الإعلام غربياً وعالمياً. وهي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالحكومة
الأمريكية، وتنقل موقفها ورأيها وتحليلاتها للأحداث والأخبار. كما توجد علاقة قوية بين شبكة
CNN وبين وكالة المخابرات المركزية CIA حيث يجري تدريب مراسلي الشبكة على كيفية جمع
المعلومات والأخبار والتي تصل إلى مستوى التجسس. كما تستخدم الشبكة كوسيلة للتعرف
على آراء خصوم أمريكا تحت واجهة المقابلات التلفزيونية، حيث تضع وكالة المخابرات المركزية
مجموعة من الأسئلة المنتقاة بعناية سياسياً ونفسياً تناسب الشخصية المراد مقابلتها، كما يحدث مع
الرؤساء وزعماء الأحزاب والتيارات السياسية. وآخر مرة كانت عندما وضعت CIA عدة أسئلة
عبر CNN كان يفترض طرحها على أسامة بن لادن، بحيث يدان بها سواء أجاب بنعم أو لا!
في عام ١٩٩٦ صرح الجنرال كولن باول، وزير الخارجية الحالي، إلى أحد الصحفيين بأنه (لو كانت
أمريكا على شفير هزيمة حربية وكانت وسائل الإعلام تتحدث عنها، لكان زج الصحفيين في
السجن فيما قد هزل الشعب الأمريكي لذلك). وهناك اليوم جهاز يدعى Pentagon News
Network يشرف على ما تكتبه الصحف ويدلي بتعليقاته كلما احتاج الأمر. وهذه عينة من
التعليقات إلى وسائل الإعلام الغربية:

* أرسل (والتر إيزاكسون) رئيس شبكة CNN تعليقات إلى مراسليه قال فيها (يجب أن نضاعف
جهودنا من أجل التأكد من أننا لا ننقل الأحداث من وجهة نظر طالبان. كما يجب أن نشير

في تغطيتنا الاخبارية إلى قيام طالبان باستخدام الأفغان كدروع بشرية، إلى جانب مسؤوليتها عن مقتل خمسة آلاف أمريكي في انفجارات أيلول ٢٠٠١). وواضح أن التعليقات تصر على عدم فسح المجال للطرف الآخر وإيصال رأيه وموقفه، بل يبقى الرأي العام العالمي يسمع رأي وموقف الحكومة الأمريكية فقط. كما أن قضية (استخدام الدروع البشرية) ليست صحيحة بل يراد بها تبرير قتل المدنيين الأفغان في القصف الأمريكي.

* وفي تعليقات أصدرها (ريك دافيز) أحد مسؤولي CNN جاء (يجب على المراسلين أن يضعوا في اعتبارهم عند تغطيتهم لأحداث الحرب في أفغانستان أن الضربات الأمريكية على كابل هي رد فعل على انفجارات ١١ أيلول) مشيراً إلى أن (ضرورة التركيز في تناول الأحداث على أن وزارة الدفاع الأمريكية (البيتاغون) تؤكد أن قواتها تحاول تقليل الخسائر من المدنيين عن قصفها الأراضي الأفغانية).

* صرح (بيتر آرنيت) مراسل CNN في العراق أثناء حرب الخليج (أنه خلال الحرب عام ١٩٩١ أدر كنا أن الإدارة الأمريكية تستخدمنا لتمرير وجهة نظرها) مشيراً إلى الضغوط الكبيرة التي مارسها جورج بوش الأب. وأكد (أن الإدارة الأمريكية آنذاك كانت تخشى من أن يؤدي نقل الأخبار بمصادقية عالية في بغداد إلى فشل الحرب التي تشنها ضد العراق).

* أصدرت الحكومة الأمريكية أمراً إلى إذاعة صوت أمريكا/ القسم الأفغاني بعدم بث حديث أجرته الإذاعة مع الملا محمد عمر.

* أصدر البيت الأبيض تعليقات بعدم بث رسائل أسامة بن لادن أو أعضاء منظمة القاعدة مباشرة قبل أن تتعرض للتحليل خشية أن تتضمن تعليقات مشفرة إلى أعضائها في أمريكا.

* طلبت الخارجية الأمريكية منع السفير الأفغاني في إسلام آباد الملا ضعيف من عقد مؤتمر صحفي يومي تنقل تصريحاته ووجهة نظره وسائل الإعلام الدولية.

* أمرت شبكة CNN مراسليها وصحفيها في أيلول ٢٠٠١ بوصف مستوطنة (جيلو) اليهودية المحاذية لبيت جالا بأنها حي يهودي تم بناؤه على أراض احتلتها إسرائيل عام ١٩٦٧ وتقع في أطراف القدس.

* طلبت هيئة الإذاعة البريطانية BBC من كافة مراسليها في شهر آب ٢٠٠١ عدم وصف عمليات القتل الإسرائيلية للناشطين الفلسطينيين بأنها (عمليات اغتيال). يذكر أن (سام كاييلي) مراسل صحيفة التايمز البريطانية في الشرق الأوسط قد استقال من عمله في أيلول ٢٠٠١ بعدما طلبت الصحيفة منه استخدام كلمات ومصطلحات معينة متحيزة للجانب الإسرائيلي عند الحديث عن الأوضاع في الأراضي المحتلة.

* طلب (الستر كامبل) المستشار الإعلامي لرئيس الوزراء البريطاني (عدم انتقاد المستوطنات الإسرائيلية لأن ذلك يكاد يكون معادلاً للأخذ بدعاية بن لادن ومباركة رغبته المعلنة في تصفية اليهود).

الإعلام الغربي والرأي العام العربي

هذه وغيرها تمثل المأزق الذي وقع فيه الإعلام الغربي بين ادعاءاته الحرية والموضوعية وبين مصالح الدول التي ينتمي إليها أو الضغوط التي يتعرض لها من هذا الطرف أو ذاك. والمحصلة أن الإعلام الغربي قد فشل في إقناع جمهور مستمعيه ومشاهديه، وخاصة العرب. لا تمتلك أمريكا وسائل إعلام باللغة العربية قادرة على التأثير بالمستمع العربي. إذاعة (صوت أمريكا) بقيت تمثل وجهة نظر الحكومة الأمريكية. أما محطة CNN فلا تمتلك قسماً عربياً أسوة بالقسم الإيطالي والاسباني والياباني والتركي. ولذلك تبقى هناك فئة صغيرة ممن يجيدون الانكليزية ويستطيعون الحصول على بث المحطة هم وحدهم الذين بإمكانهم متابعة أخبارها. وهناك إذاعة (مونت كارلو) الفرنسية الموجهة لمنطقة الشرق الأوسط والتي تتميز بموضوعية إلى حد ما.

أما القسم العربي في هيئة الإذاعة البريطانية فهو من أقدم الإذاعات الموجهة للعرب، وتحظى بقبول أكبر من بقية الإذاعات الغربية الأخرى. وكانت الـ BBC قد خاضت تجربة عام ١٩٩٥ تمثل في إنشاء محطة تلفزيونية باللغة العربية لم تعمل سوى لبضعة أشهر بسبب معارضة السعودية لها، إذ اعتبرتها قناة معادية لها ولسياساتها.

قناة الجزيرة تنافس الـ CNN

بعد عام واحد أي عام ١٩٩٦ تم إنشاء قناة (الجزيرة) بنفس الكوادر الإذاعية التي كانت في الـ BBC. وبرزت الجزيرة كقناة إخبارية وحوارية يديرها مجموعة من الإعلاميين المحترفين. ونجحت في جذب المشاهد العربي في كل مكان، واستطاعت أن تعوضه عن وسائل الإعلام الغربية المتحيزة. تمتاز الجزيرة بسياسة ليبرالية تسمح بعرض جميع الأفكار السياسية والفكرية والأيدولوجية والمذهبية من خلال استضافة أو مقابلة طيف واسع من الشخصيات العربية والإسلامية والغربية بل وحتى الإسرائيلية.

وبرز دورها بشكل مؤثر أثناء إنتفاضة الأقصى منذ أكثر من عام حيث تمكنت من خلق رأي عام عربي وإسلامي مؤيد للإنتفاضة. وكذلك دورها القوي في حرب أفغانستان عندما باتت المحطات الدولية تنقل عنها كمصدر رئيسي للمعلومات.

هذه الحرية الواسعة خلقت للقناة مشاكل عديدة مع دول عربية كثيرة، بعضها أغلق مكتبها عنده، كالسعودية، وأخرى دخلت معها في دعاوى قضائية كالكويت، إضافة إلى أزمات مع الأردن والمغرب ومصر.

وتعدت الشكوى من الجزيرة الدول العربية لتصل الدول الغربية الديمقراطية. فقد انتقد (دومينيك بوديس) رئيس المجلس الأعلى للإعلام المرئي والمسموع في فرنسا، قناة الجزيرة بضرورة (أن لا تتضمن البرامج أي تحريض على الحقد أو العنف لأسباب تتعلق بالجنس أو الدين أو الجنسية) موضحاً أنه عندما توجه نداءات (ضد دولة أو عدة دول أو ديانة أو عدة ديانات) خلال الوثائق التي تبث، يجب أن ترافق مع تعليقات (للتخلص منها). وأضاف (عندما تبثون مشاهد حديثة لم تنتجها فرقكم لكنها وردت إليكم من مصادر خارجية يجب أن تعلموا بوضوح جمهوركم بمصادرها).

ولا نعلم هل تطبق وتلتزم وسائل الإعلام الغربية وخصوصاً الفرنسية بهذه التعليمات وهي تبث تقارير وأخبار تهاجم الإسلام والمسلمين وتشوه سمعتهم وتفترى عليهم؟ وكانت فرنسا قد وقعت عقداً في تموز ١٩٩٩ لبث برامجها عبر الكابل والأقمار الصناعية في فرنسا. وتسمح هذه الاتفاقية ببث برامجها في كل أنحاء الاتحاد الأوربي.

قناة فضائية اسرائيلية بالعربية

تدرس الحكومة الإسرائيلية مشروع إنشاء قناة فضائية لمنافسة قناة الجزيرة التي تشكو منها الأوساط الإسرائيلية. وستبث القناة باللغتين العربية والإنكليزية. وتهدف القناة إلى عرض وجهات النظر الإسرائيلية. من جانب آخر طالب وزير الاتصالات بمنع التقاط قناة الجزيرة في إسرائيل. فيما طالبت مسؤولة الإعلام في مكتب شارون أنه من الأجدر بإسرائيل السعي للتعاون مع الجزيرة والظهور فيها بدل محاربتها لأنها أهم منصة إعلامية في العالم يثق المشاهدون بموضوعيتها.

المسلمون في الغرب ومحاظبة الرأي العام الغربي

مسلمون يرفعون شعارات عنصرية ونازية في حين أن العنصريين والنازيين يكرهونهم! لماذا يتكرر الخطأ ثم الاعتذار عدة مرات؟ وهل لدينا استراتيجية واضحة للتعبير عن مطالبنا؟ بين الإفراط والتفريط: من الإعتداء على المعابد اليهودية إلى التبرع بحماية مراسم ذكرى المحرقة اليهودية!

كيف تعامل المسلمون في الغرب مع انتفاضة القدس

حظيت انتفاضة الشعب الفلسطيني بتأييد واهتمام جميع المسلمين في العالم حيث يستمر المشاهدون أمام أجهزة التلفزيون يراقبون عبر القنوات الفضائية تطورات الأوضاع في فلسطين وتزايد الإعتداءات الإسرائيلية المسلحة ضد السكان العزل. وتأثروا بجميع الصور المأساوية التي بثتها وكالات الأنباء والمحطات العربية.

وإذا كانت بعض الدول العربية قد منعت مواطنيها من التعبير والتظاهر تضامناً مع الشعب الفلسطيني فإن المسلمين في الغرب يتمتعون بحرية كاملة في التعبير عن وجهة نظرهم وتعاطفهم مع إخوتهم في فلسطين. فقد خرجت العديد من التظاهرات في العواصم الغربية تأييداً لجهاد الشعب الفلسطيني وتنديداً بالعدوان الإسرائيلي. ففي هولندا خرجت مظاهرتان الأولى في العاصمة السياسية لاهاي يوم الجمعة ٦/١٠/٢٠٠٠، حيث انطلقت من المحطة المركزية لتخترق المركز التجاري في المدينة ثم لتتوقف أمام السفارة الإسرائيلية. وقد أشرفت على المظاهرة (لجنة فلسطين) المؤلفة من مجموعة من الهولنديين المتعاطفين مع العرب ورابطة الجالية الفلسطينية في هولندا. وشارك فيها بعض الهولنديين وهم يحملون صوراً عن مأساة الشعب الفلسطيني. كما وزعوا بيانات تندد بالقصف الإسرائيلي. وشارك فيها عدد كبير من العراقيين والمغاربة والفلسطينيين والأترك.

كان يمكن أن تكون المظاهرة طبيعية ومقبولة من قبل الشارع الهولندي لولا بعض الأخطاء التي رافقتها فأدت إلى نتائج عكسية. فقد رفع المتظاهرون المسلمون لافتات بالهولندية تسيء لليهود مثل «أيها اليهود لماذا قتلتم أنبياءنا؟» و «أيها اليهود لماذا أنتم قوم يعصون الله؟». ونسي أصحاب اللافتات إن تنديدهم يجب أن يتوجه إلى الاسرائيليين، لأن الإساءة إلى اليهود أو أتباع أي دين أو معتقد يعني في القانون الهولندي عملاً عنصرياً معاقب عليه قانوناً. أما التنديد

بإسرائيل فهي كيان سياسي ودولة يجوز معارضة سياستها والتبديد بها مثلها مثل بقية دول العالم. وكان الجمهور يصرخ بشعارات مثل « خبير خبير يا يهود جيش محمد سوف يعود ». وهو شعار يهدد بعودة الجيش الإسلامي وتطهير الأرض من الإحتلال الإسرائيلي لكن هذا الشعار الذي يعتبر عادياً وطبيعياً وحماسياً في البلدان العربية لكنه في الغرب يعتبر إهانة لمجموعة دينية. وهذا أمر يعاقب عليه القانون. لا ننسى إننا كمسلمين طالما اعترضنا على إهانات وُجّهت إلينا أو إلى ديننا. وطالما قامت المحاكم الهولندية بمحاكمة هذا السياسي أو ذلك بتهمة العنصرية لأنه أساء للمسلمين في خطاب أو مقال.

وفي المظاهرة الثانية التي سارت يوم ١٤/١٠/٢٠٠٠ في أهم شوارع أمستردام والتي أشرفت عليها (جمعية العمال المغاربة) فقد تجمعت أمام القنصلية الأمريكية. ورغم انه لم يشارك فيها سوى ثلاثين شخصاً من الشباب المسلم المتحمس لكنها أساءت للمسلمين أيضاً. فقد رفعت فيها شعارات نازية مثل (حماس حماس عاملوا اليهود بالغاز) و(هتلر هتلر هتلر) متناسين أن ما نواجهه كمسلمين هو من هذه الجماعات المتطرفة التي تعتدي على المسلمين والأجانب واللاجئين، كما تعتدي أحيانا على بعض مساجدنا. فكيف نفسر للرأي العام الغربي هذا التناقض الفاضح؟ وكيف نطلب من الأحزاب السياسية والحكومات الغربية الحد من نشاطاتهم وشبابنا يدعوهم للتواجد في الساحة؟

استغلت الصحافة الهولندية هذه الأخطاء لتشن حملة كبيرة ضد المتظاهرين والمسلمين واتهمتهم بالعداء للسامية وهي تهمة خطيرة في الذاكرة الغربية. سارعت المنظمات التي أشرفت على المظاهرات للاعتذار عما حدث فيها من إهانة لليهود. فقدمت (رابطة الجالية الفلسطينية) اعتذاراً رسمياً لمحافظة لاهاي عن (الشعارات واللافتات العنصرية التي رددتها المتظاهرون) كما جاء في خطاب الاعتذار. وردت جمعية العمال المغاربة على مبالغة صحيفة (تراو) معتبرة أن الشعارات (رفعت من قبل مجموعة من المراهقين الأبرياء الذين يرفعون شعارات لمجرد التريديد). لقد تم نسيان هدف المظاهرة والمطالب الجدية لبقية المتظاهرين.

تحركت بعض الأقسام والأصوات اليهودية في هولندا مطالبة بالحماية وتوفير الأمن لها خاصة بعد حدوث اعتداءات على بعض المعابد اليهودية. فقد طالب حاخام أمستردام المدعو (إيفرس)

بضرورة علاج مثل هذه الحالات من خلال إعادة تربية الشباب لأن الملاحقة والعقوبة الصارمة لن تقضي على هذه النزاعات العنصرية. وأضاف الخاخام بأنه يتعرض يومياً لإساءات في الشارع الهوندي يضطر لإهماها. واتهم الأديان الأخرى (ويقصد المسلمين) بأنهم يميلون للعنف وليسوا محبي سلام مثل اليهودية على حد قوله.

وطالب أستاذ جامعي يهودي بوضع حد للكراهية المتنامية ضد اليهود. واستمر اليهود في نشر رسائل احتجاج وتنديد بالشعارات العنصرية. كما قامت الصحافة الهولندية بتغطية واسعة للاعتداءات التي تعرضت لها بعض المعابد اليهودية في هولندا وفرنسا وبلجيكا وإيطاليا وبريطانيا وألمانيا، وتوتر الأوضاع في فرنسا، التي يقطنها خمسة ملايين مسلم وثلاثة أرباع مليون يهودي، بعد اعتقال مجموعة من الشباب الجزائري والمغربي والتونسي للاشتباه بعلاقتهم بالحوادث.

١١/١١/٢٠٠٠: إلقاء القبض على مدير معهد الثقافات بأن من يطالب

إزاء هذه الحملة الإعلامية اضطر بعض مسؤولي المؤسسات الإسلامية للتعبير عن أسفهم واعتذارهم. ففي لقاء تلفزيوني صرح أحمد أبو طالب مدير معهد الثقافات بأن من يطالب بالتسامح عليه أن يدعو إليه واعتبر تصرفات بعض المتظاهرين مجرد سلوك مراهقين. وإستعداداً للإحتفال بذكرى المحرقة اليهودية في عهد هتلر تستعد لجنة خاصة لترتيب هذه المراسم التي ستجرى في أمستردام يوم السبت ١١/١١/٢٠٠٠ فقد أبدت جمعيات مغربية إستعدادها لحماية المشاركين في المراسم من أي اعتداء محتمل. وقد أبدى محافظ أمستردام تعجبه من عدم طلب اللجنة توفير حماية لها أثناء المراسم. يبدو أن بعض المسلمين شعروا بالذنب العظيم فانتقلوا من الوعد الوعيد والتهديد إلى التعاطف والتأييد. وكلا الموقفين فيه إفراط وتفریط فالإسلام دين الوسطية ويريد منا الاعتدال في كل الأحوال. ولا يجوز إيذاء الآخرين أو تخويفهم دون مبرر.

١١/١١/٢٠٠٢: إلقاء القبض على مدير معهد الثقافات بأن من يطالب

مخاطبة العقلية الغربية ليست أمراً سهلاً بل تحتاج إلى خبرة في الأساليب ودقة في العبارات. وقد أثرت صور مشاهد انتفاضة الأقصى على التفكير الغربي، حيث أبدى تعاطفاً مع الأطفال والرجال العزل إلا من الحجارة. وكتبت أقلام صحفية منصفة تندد بالممارسات الإسرائيلية. لقد كانت الصورة واضحة: المسلمون ضحايا والجناة هم الإسرائيليون. واستمرار الانتفاضة كفيلاً

بتغير الرأي العام الغربي المتعاطف عادةً مع إسرائيل لأنها تدق على الوتر الحساس: الشعور بالظلمية والناس تتعاطف مع المظلوم. لقد كان واحداً من ثمار الإنتفاضة هو إصدار مجلس الأمن الدولي قراراً يندد بالإفراط في استخدام القوة ضد الفلسطينيين وقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة بإدانة إسرائيل صراحة. ذلك القرار الذي صوتت له عدة دول غربية كفرنسا وايرلندا واسبانيا والبرتغال وايطاليا وبلجيكا.

لعل المظاهرات واحدة من أساليب التعبير فيجب الإتفاق على شعارات وهتافات مركزية توزع على المتظاهرين. شعارات يتوفر فيها الشروط القانونية مثل عدم الإساءة إلى جماعة أو دين معين عدم رفع شعار يهدد بالموت بل يستخدم كلمة (يسقط) مثلاً. واستخدام الصورة المؤثرة المعبرة وبيان يحدد أهداف ومطالب المظاهرة بعدة لغات. وأن يكون هناك ناطق رسمي واحد باسم المظاهرة يجيد اللغة الأجنبية ويصرح للصحافة والتلفزيون وغيرها كي نتفادى التصريحات الإنفعالية المرجلة التي يطلقها بعض المتظاهرين ويستغلها الإعلام الغربي وتكررها الصحافة. كما وظاهرة العقل الجمعي التي تسيطر المتظاهرين. ويجب تعيين عدد كاف من المتظاهرين لممارسة دور الإنضباط وعدم الإخلال في سير المظاهرة ومنع دخول المتسللين الذين يريدون الإساءة للمظاهرة. ويجب أن تكون هناك مركزية في التعامل مع الشرطة أو المؤسسة التي يجري التظاهر أمامها كي تحقق المظاهرة الهدف المرسوم لها دون الإخلال بالأمن أو الإعتداء على ممتلكات الآخرين. المظاهرة أسلوب حضاري والدولة الغربية لا تحرمنا هذا الحق فلنصن استخدامه نصرةً لقضايانا سواء في الغرب أم في العالم الإسلامي.

الجدلية اللسناوية في هولندا

هل تبقى كنس هدام أو تستفيد من ممارسة دور هولندا؟

مجلس الجمعيات العراقية أول مؤسسة إسلامية دانت الاعتداءات وطالبت بحماية الجالية أكثر من ٦٠ اعتداء على المسلمين والمساجد والمدارس الإسلامية تشكيل فريق أزمات لاتخاذ تدابير ومركز إبلاغ عن حالات الاعتداءات السعي من أجل إنشاء مجلس موحد يمثل الجالية المسلمة في هولندا

لم يكن وضع الجالية الإسلامية مما تحسد عليه قبل الأزمة الراهنة التي أعقبت الاعتداءات على المصالح الأمريكية، إذ كانت توصف من قبل الصحافة والحكومة الهولندية بأنها مصدر المشاكل والإجرام والتخلف الاجتماعي والثقافي والسلوكي. وكانت الجالية المغربية تحظى بالنصيب الأكبر من هذه الاتهامات بسبب الأوضاع السلبية لنسبة كبيرة من شبابها، إضافة إلى تفشي الأمية والجهل والتعصب لدى بعض القطاعات وخاصة من الجيل الأول. وكان لموقف الجالية المغربية المؤيد لصدام في حرب الخليج وخروج تظاهرات تأييد له ولنظامه في هولندا، في حين كان الشارع الهولندي حكومة وشعباً يؤيد التحالف الدولي بزعماء أمريكا، أثر أدى إلى استنكار واضح لموقف المسلمين. آنذاك قرأ المغاربة الساحة السياسية خطأ فوضعوا أنفسهم في خانة المعادين للسلام لأن القوات الغربية كانت تساعد بلداً عربياً مسلماً هو الكويت تعرض للغزو والاعتداء من قبل جار عربي ومسلم أيضاً. فبقي الموقف المغربي كمن يغرد خارج السرب متناسين أنهم يعيشون في بلد غربي ومسيحي وحليف لأمريكا. وجاءت الأحداث الأخيرة وبعض الأخطاء التي ارتكبتها جهات مسلمة لتصب الزيت فوق النار حيث صار اتهام المسلمين بالارهاب لقمة سائغة تلوكها أفواه الصحافة والسياسيين.

www.alukah.net

بقي موقف الجالية الإسلامية غامضاً خلال الأيام الأولى بشكل ملفت للنظر، ويعزز الشكوك الهولندية بأن المسلمين مرتاحون لما حدث. ويعتبر التأخر في اتخاذ موقف واضح في مثل هذه الأزمات أمراً خطيراً دفعت الجالية ثمنه. ويعود ذلك إلى تشوش الرؤية لدى غالبية المؤسسات الإسلامية التي كان يجب عليها قراءة الواقع الهولندي بوعي، ورصد أسباب انفعال الحكومة وتعاطف الشعب الهولندي مع الحدث.

وكان من المتوقع حدوث تطورات سلبية ضد الجالية الإسلامية كرد فعل للأحداث ولتباطؤ الموقف الإسلامي. لذلك سارع مجلس الجمعيات العراقية لإرسال خطاب إلى رئيس الوزراء فيم كوك يندد فيه بالاعتداءات ويطلبه بمخاطبة الشعب الهولندي بعدم تحميل المسلمين مسؤولية ما حدث في أمريكا. وكان ذلك قبل أن تحدث الاعتداءات على المساجد والمدارس الإسلامية، وقبل أن تتصاعد الحملات العنصرية ضد المسلمين. وكما هو متوقع فإن وسائل الإعلام الهولندية لن تنشر الرسالة لأنها لا تتوافق مع التوجه العام لإدانة المسلمين جميعاً وحشرهم في خانة واحدة، لذلك أرسلت الرسالة عبر البريد الإلكتروني إلى رئيس الوزراء، ووزير العدل والداخلية ومستشاريهم، وإلى زعماء الأحزاب السياسية، والصحف ووكالات الأنباء ومحطات الإذاعة والتلفزيون. (راجع نص الرسالة في هذه الصفحة). وقد علق عليها مراسل شبكة (إسلام أون لاين) على الإنترنت في هولندا.

بسبب التعبئة الإعلامية ضد المسلمين ولوجود أرضية عدائية بين قطاعات من الشعب الهولندي، وعدم الانضباط مقارنة بالشعوب المجاورة كبلجيكا وألمانيا وفرنسا التي لم تحدث فيها اعتداءات كبيرة أو كثيرة رغم وجود مشاعر عنصرية فيها، فقد شهدت الساحة الهولندية أكثر من ستين اعتداء على أفراد مسلمين تمثل في معاكسة المسلمات المحجبات، وأحياناً نزع حجابهن، أو رفض صعودهن في الباص. كما كتبت شعارات مناوئة للإسلام على حافلات المترو والترام وبعض محلات تجارية إسلامية ترافقها شارة الصليب المعقوف، علامة النازية. كما كتبت شعارات تنادي بطرد كل المسلمين من هولندا.

وتعرضت عدة مساجد للإعتداء، ففي مدينتي (زولة) و(فلسنكن) تعرض مسجداً لرمي الحجارة. وفي (زاندام) تعرض (مسجد السلطان أحمد) أكبر مسجد في هولندا، والذي بني قبل سبع سنوات، إلى إشعال النار فيه حيث أدى إلى أضرار كبيرة. وتعرض مسجد (سليمان جلبي) في (خوركم) إلى إشعال النار فيه. كما أشعلت النار في مدرسة (أبي بكر الصديق) في مدينة (نايميخين). وفي مدينة (زولة) أشعلت النيران في محطة بنزين يملكها شخص تركي. والغريب أن دوائر الشرطة في جميع المدن التي حدثت فيها اعتداءات ضد المسلمين تقول أنه لا علاقة بين الاعتداءات وما جرى في أمريكا. كما أن الشرطة والمخابرات الهولندية لم تعتقل فرداً واحداً من العنصريين والمتطرفين الهولنديين المشتبه بعلاقتهم بهذه الحوادث. فموقف الشرطة هذا يعد مجاملة صريحة للتيار العنصري والمشاعر المعادية للإسلام.

إثر تصاعد الهجمات على المسلمين بادرت الجمعيات الإسلامية إلى عقد اجتماعات عديدة من أجل اتخاذ تدابير لتفادي تدهور الموقف ضد المسلمين. فقد قامت مجموعة من الجمعيات المغربية بتأسيس فريق أزمة ومركز إبلاغ عن الاعتداءات. والتقى مجموعة منهم برئيس الوزراء ووزير الأقليات لتدارس موقف الحكومة وكيفية تأمين حماية المؤسسات الإسلامية. والتقى محافظ أمستردام بقيادات الجاليات العربية والإسلامية يوم ٢٦/٩/٢٠٠١ بحضور ممثلين عن الأحزاب السياسية، حيث استمعوا إلى آراء المسلمين بصدد معالجة الحكومة والإعلام الهولندي للأزمة الأمريكية، وما يتعلق منها بالجالية المسلمة تحديداً، وكيفية تجنب انعكاس الأزمة على استقرار الجالية وإحساس أبنائها بالأمن في هولندا، وبالانتفاء لها كمواطنين لهم فيها كل الحقوق كبقية أبناء الشعب الهولندي.

وناقش اللقاء القضايا الشائكة والموضوعات التي لم يكن متاحاً للجالية الحديث فيها كالانحياز الواضح لبعض وسائل الإعلام ضد المسلمين. ورفض وسائل الإعلام الهولندية نشر بيانات وتوضيحات الجالية المسلمة، وإصرارها على تكثيف الضوء على مواقف بعض المسلمين المتشددون دون غيرهم. كما أثارت قيادة الجاليات قضية تمثيل المسلمين لدى الحكومة الهولندية، واعتمدت فكرة اعتماد لجنة أو مجلس أعلى للجالية. وبدا واضحاً في اللقاء تركيز المسؤولين الهولنديين على استقرار الجالية، وخاصة جيل الشباب الذين ولدوا في هولندا أو عاشوا فيها أغلب فترات حياتهم.

وطالب المسؤولون الهولنديون بالنظر إلى الجالية المسلمة كجزء من المجتمع الهولندي والكف عن اعتبارهم امتداداً لأوطانهم الأصلية أو ظهيراً للخارج الإسلامي - كما يحلو لبعض وسائل الإعلام وصفهم - وكذلك الوعي بخطورة الاستمرار في ترك أبناء الجالية نهياً للحملات الإعلامية، وهو ما يؤثر على استقرار البلاد، وأدى إلى ظهور بوادر عنصرية غريبة على الهولنديين واعتداءات غير مسبوقة على مؤسسات وممتلكات ومساجد الجالية المسلمة.

رسالة إلى رئيس الوزراء الهولندي

في ظل تصاعد الأحداث اليومية والحملات الإعلامية الموجهة ضد المسلمين أرسل مجلس الجمعيات العراقية رسالة إلى رئيس الوزراء الهولندي جاء فيه:

السيد فيم كوك رئيس الوزراء الهولندي

الموضوع: إدانة الاعتداءات الإرهابية في أمريكا

إن الجالية العراقية في هولندا تدين الأحداث المريعة التي جرت في نيويورك وواشنطن في الحادي عشر من أيلول الجاري. في هذه الانفجارات اللاإنسانية ذهب آلاف الأبرياء من الرجال والنساء والأطفال. إن هذا الاعتداء يمثل هجوماً على الحرية والديمقراطية والحضارة.

إن الديانات كلها تدين مثل هذه الأعمال الإرهابية. الإسلام يحرم ويدين ارتكاب أعمال العنف ضد الناس الأبرياء. يقول القرآن الكريم: (ومن قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنها قتل الناس جميعاً، ومن أحياها فكأنها أحيا الناس جميعاً) (المائدة: ٣٢). كما دان العملية علماء الإسلام والدول الإسلامية.

وكما قام قادة أمريكا وبريطانيا وفرنسا بنصح شعوبهم بضبط النفس عن أية ردود أفعال سلبية أو سلوك عدواني ضد مواطنيهم المسلمين، نطلب منكم ومن حكومتكم مخاطبة الشعب الهولندي بعدم تحميل المسلمين والعرب المقيمين في هولندا مسؤولية هذه الكارثة. ويأتي هذا الطلب بعد اطلاعنا على حدوث بعض المضايقات تجاه المسلمين في هولندا. إن بعض العناصر المتطرفة تحاول الاضطهاد في الماء العكر وانتهاز هذه الفرصة للتعبير عن كرههم للمسلمين. لقد كتبت عدة شعارات ضد الإسلام والمسلمين على جدران بعض محلات المسلمين. إن الجالية الإسلامية، وخاصة الوالدين والأطفال، يتنابها القلق من مستقبل تطورات هذه الأحداث واستمرارها.

نحن بانتظار قيام الحكومة الأمريكية بإلقاء القبض على المجرمين ومحاكمتهم ومعاقبتهم. وحتى ذلك الوقت نتمنى أن يحافظ مواطنونا من المسلمين واليهود والمسيحيين على احترام بعضهم البعض لأننا جميعاً نحب هذا البلد وهذا العلم.

مجلس الجمعيات العراقية في هولندا

الهجوم على الإسلام اعلام غربي يتربص بتساعده اخطاء الهسليين

الشيخ الشرباشي: البرنامج التلفزيوني عملية مطبوخة، وهناك تزوير للحقائق ومغالطات

مستشرق هولندي يدافع عن الإسلام ويرد على ادعاءات إعلام بلاده

المسلمون مخترقون في الغرب. هذا ما تثبته الأحداث الأخيرة التي شهدت تصعيداً ضد الإسلام والمسلمين في الساحة الهولندية. فرغم الادعاءات التي يطلقها المسؤولون ووسائل الإعلام بأنهم ليسوا ضد الإسلام ولكن ضد الإرهاب، لكن ما حدث أخيراً يثبت عكس ذلك، وأن الإسلام وحده هو المستهدف سواء كان معتدلاً أو راديكالياً. وإلا ما هي علاقة الإرهاب بقضية ضرب الزوجات أو منعهن من العمل؟

خلال الأسبوعين الماضيين انشغلت وسائل الإعلام الهولندية وبعض المسؤولين والوزراء بقضية التقرير التلفزيوني الذي عرضته شبكة (نوبا NOVA) التلفزيونية حين عرضت مقاطع مجتزأة من خطب الجمعة في بعض المساجد الهولندية (في أمستردام ولاهاي وروتردام وتلبورغ) وبعض التصريحات ضمن ندوات إسلامية خاصة. واتهم التقرير أئمة المساجد (هكذا بتعميم مقصود) بأنهم يحرضون على الكراهية من خلال دعائهم على الرئيس بوش ورئيس الوزراء الإسرائيلي شارون. وأنهم يدعون للعنف من خلال دعائهم للمجاهدين في كشمير وأفغانستان وفلسطين والشيخان. وأنهم يحرضون على الإرهاب من خلال اعتبار المجاهد في سبيل الله شهيداً. وأنهم يخالفون القانون الهولندي من خلال دعوتهم لضرب النساء المسلمات ومنعهن من العمل أو استعمال العطور. وأن قرارات الأمم المتحدة مناوئة للإسلام. وأن المسلمين أفضل من غيرهم.

من يقف وراء ذلك؟

إن شبكة (نوبا) هي نفسها التي قامت باستدراج إمام مسجد النصر خليل المومني للإدلاء بتصريحات ضد انتشار الشذوذ الجنسي في العام الماضي والتي أثارت ضجة كبيرة في هولندا، لكن المحكمة برأته من الاتهامات واعتبرت تصريحاته تأتي ضمن حرية التعبير الديني. كما أثبتت المحكمة أن نوبا لم تبث كل تصريحاته بل اقتطعت منها بشكل يشوه الحقيقة، حيث تم عرض المقاطع التي لم تعرضها نوبا أبداً.

وهذه المرة استطاعت الشبكة الحصول على أشرطة فيديو لبعض الخطب والمحاضرات والندوات الإسلامية، وقامت بانتقاء بعض الفقرات وأخرجتها من سياقها، وقدمتها على أنها رأي المسلمين بتلك القضايا. فكيف عرفت شبكة نوبا بوجود مثل هذه الخطب أصلاً؟ وكيف علمت بوجود مفردات أو تصريحات يمكن استغلالها ضد الإسلام؟

هناك بلا شك متعاونون مع أعداء الإسلام ومن يتربص بالمسلمين. فالتقرير هو محاولة مقصودة لتشويه سمعة الإسلام والمسلمين واستمرار الضغط والحصار الفكري والسياسي والإعلامي ضدهم. أي أن القضية مدبرة ومرسومة بدقة، وليست رد فعل على تصريح علني أو بيان صادر من هذا المسجد أو تلك الجمعية الإسلامية، أو موقف معلن تجاه قضية محددة، بل أمر جرى تدبيره بلبيل.

وهؤلاء المتعاونين مع أعداء الإسلام أو من يريد تشويه سمعة المسلمين، ليسوا غرباء عن الوسط الإسلامي، فهم بلا شك مسلمون، ويترددون على المساجد، ويأمنونهم الحصول على الأشرطة أو تسجيل خطب الجمعة سرياً داخل المسجد. وقد أعلنت إدارات المساجد المعنية أنه تم تسجيل الخطب دون علمها أو أخذ إذن منها. بالطبع وسائل الإعلام الهولندية تستطيع ممتلكات المسلمين وحقوقهم بسهولة، وإلا لكانت تفعل ذلك مع الكنائس والمعابد التي تعود للديانات الأخرى. ولا نعجب إذا ما علمنا بوجود بعض المسلمين الحانقين على الإسلام وخاصة لدى بعض الشباب المغربي الذي لا يخفي كراهيته للإسلام والمسلمين بسبب موقف اجتماعي أو عقد نفسي من والديه أو إمام مسجد معين، وبسبب عدم نشوئهم في أجواء دينية أو ذات مستوى أخلاقي عالي. كل ذلك يجعلهم يتحينون الفرصة للانتقام من الإسلام وبني جلدتهم، فيتعاونون مع أعدائهم ويوفرون لهم ما يستعينون به في هجماتهم المتواصلة على الإسلام.

ولا نريد اتهام أحد لكننا رأينا وقرأنا كتابات ولقاءات لبعض الشباب (المسلم) من الشعراء وكتاب القصة وغيرهم، ممن ينتقدون العقائد الإسلامية والثقافة الإسلامية. فهم بذلك يمارسون دور (الضد النوعي)، أي أنهم سلاح إسلامي ضد المسلمين. ها هو أحدهم يكتب في عمود القراء في صحيفة (تراو في ٢١/٦/٢٠٠٢) باسم (م. ناصر) بأنه (يتردد على أحد المساجد لسنوات طويلة ولا يسمع فيه إلا خطب الكراهية ضد الديمقراطية الهولندية وضد الاندماج واليهود. ونفس الحديث يتكرر في المدارس الإسلامية. وأن ٩٩٪ من المسلمين الذين يؤيدون هذه التصريحات لا يجروون على البوح بها أمام الهولنديين). فهل يمنع أمثال هذا عن تزويد وسائل الإعلام الهولندية بمواد تفيدها في صنع أفلام وتقارير ضد الإسلام؟

مستشرق يدحض ادعاءات الإعلام

في لقاءه مع (باب دين و فلسفة) في صحيفة (تراو)، قام المستشرق الهولندي رودلف بيترز في جامعة أمستردام، بدحض ادعاءات وسائل الإعلام واتهام أئمة الجماعة بأنهم يدعون للكراهية المعاقب عليها قانونياً. وبيترز هو الذي أدلى بشهادته أمام المحكمة التي حاکمت الشيخ المومني، واعتمدها القاضي للحكم في براءة المومني.

يقول بيترز: الدعاء للمجاهدين لا يعني تجنيد الناس في هولندا وسوقهم للقتال. فكلمة الجهاد تعني الجهد وتتضمن معان عديدة، ولا تعني دائماً حمل السلاح والقتال. فهو مجرد قول بتأييدهم وليس القيام بفعل أو الالتحاق بهم. وأما الدعاء بتدمير بوش وشارون فهو من حرية التعبير. إن حرية التعبير تعني أنك تقول ما لا يتفق الآخرون فيه معك. كما أن اعتبار المسلمين أنفسهم أفضل من الآخرين فهذه عقيدة إسلامية لا نستطيع التدخل فيها. وأما ما يتعلق بالموقف من الأمم المتحدة فكثير من المسلمين لا يتفق مع جميع مواد الإعلان العالمي لحقوق الإنسان مثلاً المساواة بين الجنسين. وأما القول بأنه من يقتل في سبيل الله فهو شهيد فهذا المعنى موجود في بعض الآيات القرآنية، ولا يمكن المساس بها.

ثم استنتج أنه لا يوجد في تصريحات أئمة الجماعة، الذين شنت حملة ضدهم، ما يمكن اعتباره مخالفاً للقانون أو معاقباً عليه، بل هو في نطاق حرية التعبير والحرية الدينية التي يضمنها الدستور.

رد فعل الحكومة الهولندية

جاء أول رد فعل من قبل وزير الداخلية الهولندي (دي فريس) حيث طلب من وزارة العدل بفتح تحقيق حول الموضوع. وصرح وزير الاندماج فان بوكستل بأن تصريحات أئمة المساجد تخالف القانون الهولندي. كما أرسل خطاباً إلى عمدة كل من أمستردام ودهناخ وروتردام وتلبورغ يسمح لهم فيه باتخاذ إجراءات لغلاق المساجد المعنية أو طرد أئمتها. وجاء في الرسالة (إنهم لا يعلنون موقفهم العدائي ضد نظامنا الديمقراطي فحسب، بل يعطي هؤلاء الأئمة خطأً لأتباعهم يجعلهم يمتنعون عن المشاركة في مجتمعنا. ويجب عليهم معرفة حدود حرية التعبير والحرية الدينية). وطلب الوزير من وزارة العدل التحقيق في الموضوع وفيها إذا كان يمكن ملاحقتهم قضائياً.

وعلق بيتر بالكند من حزب CDA والمرشح لرئاسة الوزراء بأن هذه التصريحات غير مقبولة، ويجب ملاحقة الأئمة الذين يرون ما يخالف النظام الهولندي. وأما هيربن زعيم كتلة فورتاون LPF فقد طالب بطرد الذين يثبت أنهم يشجعون الكراهية. فهذه الأشياء يمكن أن تقال في سوريا أو إيران. في إشارة إلى الشيخ فواز جنيد (سوري) إمام مسجد السنة في لاهاي. وطالب النائب في البرلمان السيد رايسترا من الحزب الليبرالي VVD بسحب إقامة أولئك الذين يخالفون القانون الهولندي. وأعلن بأنه يعارض تصريح بالكندا الذي دعا الجالية الإسلامية في هولندا إلى التنديد علناً بتصريحات أئمة المساجد. وصرحت النائبة خديجة عريب من حزب العمل بأن

هناك مجموعة محدودة تقول بضرب الزوجات، ولكن ذلك لا يسيء كثيراً لما يقولونه، فالعنف ضد المرأة موجود في كل الثقافات.

رد فعل المسلمين

صرح الشيخ محمود الشرباشي (مصري) إمام مسجد التوحيد في أمستردام بأن البرنامج التلفزيوني عملية مطبوخة، وهناك تزوير للحقائق ومغالطات كثيرة. وأنه تم تقديم أحد المتحدثين على أنه إمام في أمستردام وهو أمر غير صحيح.

وقدم السيد يوسف أنطون شكوى ضد شبكة نونفا وضد وزير الاندماج، حيث جمع توقيعات ٢٥ مسلماً من ثمانية مساجد. وجاء في الشكوى أن قد جرى تشويه سمعة أئمتنا وتصويرهم كشياطين. وهذا يعني إهانتنا نحن أيضاً. إن اللجوء للقضاء ضد شبكة نونفا وضد وزير يمثل خطوة إيجابية للوقوف أمام هذا التساهل الخطير في انتهاك حرمة المسلمين والتجروء على الإسلام.

موقف الكنيسة

كان رد فعل الكنيسة الهولندية قوياً ليس دفاعاً عن المسلمين بل اعتراضاً على تصريحات وزير الاندماج التي طالب فيها (بمتابعة ما يجري في المساجد وأماكن العبادة الأخرى)، أي أنها تشمل الكنائس أيضاً. وتساءل البروتستانت: هل من حق الوزير أن يقيم ويتدخل في شرح النص القرآني؟ أو في تأويل الكتاب المقدس؟ وصرح متحدث من كنيسة تولن بأنه يجب أن لا تتدخل الحكومة في مضمون المواعظ والخطب والأدعية. وليس من حق الوزير التدخل في محتوى النصوص الدينية. وتساءل فان دخراف من الكنيسة البروتستانتية: هل يريد الوزير أن يمارس الرقابة على أماكن العبادة، فليمارسها أولاً على الإعلام، وليمنع أولاً مشاهد العنف والعري والفساد الأخلاقي وكل ما ينتهك قيمنا وتقاليدنا.

وهنا نتوجه بالنصح لأئمة المساجد والمشايخ والوعاظ والخطباء بأن يتجنبوا التصريحات التي يمكن أن تفسر بأنها ضد القانون، فأخطاؤهم تستغل بسهولة، وتساعد الإعلام الغربي في إساءته إلينا.

النخيل تحضر:

حوار اللاجئيين والهولنديين

تصريحات امام مسجد حول الشذوذ الجنسي

تقرير خاصة في هولندا

الشيخ خليل المؤمني: الشذوذ مرض يسري بين الشباب ويهدد المجتمع الهولندي.
رئيس الوزراء كوك: بدل المطالبة بطرد إمام المسجد أفضل الحوار مع المسلمين.
وزير الأقليات: نحترم القرآن ولكن يجب احترام القانون وعدم الإساءة للآخرين.

طوال ثلاثة أسابيع انشغلت الأوساط الإعلامية والسياسية والبرلمانية بتصريحات الشيخ خليل المؤمني إمام مسجد النصر في مدينة روتردام. وكان الشيخ قد صرح في برنامج تلفزيوني أجرته محطة نوبا NOVA بأن (الشذوذ الجنسي مرض يسري بين الشباب ويسبب الضرر للمجتمع الهولندي ويقضي على النوع البشري).

وسرعان ما تلاقت وسائل الإعلام المترصدة بالمسلمين هذه التصريحات حيث تصدرت الصفحات الأولى في بعض الصحف. وسارع كتاب الأعمدة ورؤساء التحرير إلى نقد آراء الشيخ وتصريحاته التي اعتبروها مخالفة للقانون وللمادة الأولى من الدستور الهولندي التي تمنع التمييز بسبب اللون أو الدين أو المعتقد.

وأجرت صحيفة (دي فولكس كرانت) تغطية لآراء بعض الشخصيات الإسلامية والبرلمانية حول التصريحات ملمحة إلى (اللاتسامح الإسلامي) ومتسائلة ما نفعل تجاه الأفكار المستوردة؟ هل نلاحقها قضائياً؟ أم نفتح باب المناقشة؟ أم الإعلان بأن حرية التعبير مقدسة؟ أم لا نتحدث عنها؟ فقد صرح س. أتس من جامعة روتردام الإسلامية بأنه (يفضل الخيار الأخير وتفادي الحديث عن مثل هذه المواضيع). وكان رئيس الجامعة الإسلامية قد تورط في تصريحات صحافية حول جواز ضرب المرأة في الإسلام، وأحدث ضجة مشابهة. أما الهولندي المسلم عبد الواحد فان بومل إمام مسجد في لاهاي فقد قال (من الطبيعي أن نتحدث حول كل المواضيع). وكان السيد فان بومل قد فقد منصبه كمدير لمحطة التلفزيون الإسلامية التي تمولها الحكومة الهولندية بعد رفضه عرض برنامج عن الإسلام والشذوذ الجنسي. وقد تمت سرقة الفيلم بصورة غامضة، لكن إدارة المحطة عرضت نسخة أخرى كانت في المونتاج.

وأعرب فان دير لانس من حزب الخضر وعضو مجلس الشيوخ بأنه (يتم استيراد التعصب. ولكن توجد مثل هذه الأفكار لدى الأديان. وأن الشيخ قد ذهب بعيداً في نقده للشذوذ، وتحدث وكأنه

في جبال الريف المغربية وليس في بلد ليبرالي مثل هولندا). أما النائبة خديجة أعريب فقد انتقدت مصطلح (التعصب المستورد) موضحة أنه (في الإسلام عدة مذاهب وتفسيرات متنوعة، أصولية ولكن متسامحة، كما في الدين المسيحي. أجد التصريحات المذكورة غير مناسبة ولكن أجدها في نفس سياق تصريحات البابا أو الكاردينال الهولندي سيمون ضد الشذوذ).

الجدير بالذكر أن البابا قد صرح قبل أشهر بأن الشذوذ الجنسي انحراف عن الطبيعة. كما صرح نائب مسيحي (فان دايك) في البرلمان بتصريحات مشابهة. وعارضت الأحزاب المسيحية في البرلمان قانون زواج الشاذين الذي أقر مؤخراً في البرلمان الهولندي، وعبروا عن رفضهم لهذا القانون. ولم يتعرضوا لهجمة إعلامية مثل ما تعرض له الشيخ خليل المومني. وفي نفس السياق أعلن مجموعة من أئمة المساجد مساندتهم لتصريحات المومني حيث نشروا بياناً في أكبر صحيفة هولندية وأكثرها رصانة وهي (NRC Handelsblad).

وفي حين طالبت بعض الأوساط السياسية والبرلمانية والصحفية وخاصة منظمات الشواذ بملاحقة المومني قضائياً أعرب المستشار ماير في روتردام بأنه (لا يجد في التصريحات ما يدعو للملاحقة لأنها تعبر عن قناعات دينية. كما أن الشيخ لم يتناول أية جماعة أو أفراد محددين).

وصرح رئيس الوزراء الهولندي فيم كوك بأن (قضية إمام المسجد جدية وتستدعي المعالجة بروية وحكمة. ويجب أن نقيم الموضوع في إطار الاحترام المتبادل، فإذا فشل ذلك فنحن أمام مشكلة جدية). وأيد مبادرة وزير الأقليات فان بوكستل بصدد إجراء لقاء مع ممثلي المنظمات الإسلامية في هولندا.

وصرح الوزير فان بوكستل بأن (الموضوع يتعلق بقضية اندماج الأجانب ومنهم المسلمين الذين يبلغ عددهم حوالي ثمانمائة ألف. لقد فوجئت بحجم الرسائل الإلكترونية عليّ، كما فوجئت بمطالب بعض نواب البرلمان التي تطالب بطرد الشيخ المومني. وأقول لهم إن هذه المطالب والتنديد بهذا الشكل يعني صب الزيت فوق النار. أنا أعتقد بأهمية الحوار ومناقشة القضايا بهدوء بعيداً عن الانفعال، وهذا ما سأفعله. ولن أحارب حرية التعبير، فنحن نحترم القرآن ولكن لا نقبل الإساءة للآخرين واستغلال النصوص الدينية للتمييز العنصري ضد جماعة معينة. يجب أن يحترم أحدنا الآخر، ويحترم قناعاته وأن لا يسيء معاملته أو يحتقره أو يهينه. من الضروري أن تكون للشعب الهولندي معرفة جيدة بالإسلام حيث لا يعرف سوى القليل. البعض يعتقد أن الإسلام هو أصوليون وحزب الله. ولا يدرك أن في الإسلام كما في المسيحية تيارات ومذاهب تتراوح بين المتشددين جداً والمتحررين جداً).

وصرح المستشرق فان كوننكزفيلد أستاذ كرسي الإسلام في الغرب في جامعة ليدن بأن ما صرح به الشيخ المومني هو رأي متفق عليه لدى جميع علماء الإسلام. ونفى المستشرق الهولندي أية

علاقة للمومني بالجماعات الإسلامية المتشددة بل هو ضمن ما يسمى بظاهرة (الأئمة الأحرار) الذين يجمعون بين نقد السلطات وعدم جدوى التنظيمات الحركية. وأنه قد درس حياة الشيخ في بحث أكاديمي.

وفي تطور لاحق أعلنت بعض المنظمات التي تنتسب للإسلام والعلمانية أن تصريحات الشيخ المومني لا تمثل المسلمين في هولندا. وبتصاعد الضغوط المقالات والتصريحات المناوئة للإسلام أعلن الشيخ المومني أنه لم يقصد الإساءة إلى أحد أو إهانة قناعة أحد بل عبر عن رأي ديني.

وبسبب فقدان المسلمين أية منابر إعلامية في الساحة فقد بقي صوتهم غير مسموع. لأن الهجمة تجاوزت تصريحات الشيخ المومني إلى الإساءة للمسلمين والإسلام واتهامهم بالتعصب وعدم احترام القانون. ومثال على الهزيمة النفسية يكتب الصحفي المغربي أحمد أبو طالب رسالة مفتوحة في صحيفة تراو في ١٥/٥/٢٠٠١ إلى الشيخ المومني يطالبه فيها باحترام الشاذين وأن (جماعات الشاذين يقومون بنشاطات رائعة يومياً. وأنهم يدافعون عن الأقليات وتحسين أوضاعها في هولندا. وهم يدافعون عن حقوقي وحقوقك. إن تصريحاتك تمثل صفقة على وجهوهم).

في إطار الهجمة المضادة للشيخ المومني أخذت بعض وسائل الإعلام تنبش عن ماضيه وفتاواه السابقة. فقد كتبت مجلة هولندا الحرة Vrij Nederland بأن (الشيخ المومني ممنوع من إلقاء الخطب في بلاده المغرب منذ تشرين الأول ١٩٩١ بسبب مواقفه الأصولية. وكان الشيخ يعمل إماماً في مسجد مدينة وجدة المغربية، وقام بتشجيع الطلاب المسلمين لمواجهة الشيوعيين في الجامعة. الأمر الذي جعل السلطات المغربية تمنعه من عمله. بعد ذلك توجه إلى هولندا حيث يعمل في مسجد النصر بروتردام. وفي عام ١٩٩٨ أصدر كتاباً بجزأين تضمن خطبه التي ألقاها في المسجد). وتمضي المجلة في حملة استعداء الرأي العام الهولندي ضد الشيخ فتقول (في إحدى خطبه يعلن الشيخ بأن الحضارة الغربية بلا أخلاق. ففي هولندا يسمح بزواج الشاذين. إن الأوروبيين صاروا أدنى درجة من الكلاب والخنازير. فهذه المخلوقات لا تعرف الشذوذ الجنسي. ادعو الله أن يجنب المسلمين هذه الممارسة المنحرفة).

ليست هذه المرة الأولى التي يتعرض بعض المسلمين إلى هجمات إعلامية عنيفة. وفي كل مرة يبقى موقف المسلمين ضعيفاً، إذ لا توجد وسائل إعلام أو قنوات يستطيع المسلمون إيصال أفكارهم إليها. هذا إضافة إلى تقاعسهم عن الكتابة إلى الصحف أو استخدام وسائل تعبير أخرى. وفي كل الأحوال يطرح السؤال التالي: كيف نتعامل مع وسائل الإعلام الغربية ومع الشعوب الغربية أثناء الأزمات؟ وكيف يمكننا التعبير عن قناعاتنا الفكرية والدينية التي تخالف القيم والأعراف والقوانين الغربية؟ الواقع الأمر بحاجة إلى حكمة ولباقة يفقدها الكثيرون في التعبير عن آرائهم. فمن الأفضل انتقاء عبارات وكلمات يراعي فيها إيصال المفهوم الإسلامي أولاً، وعدم جرح أحد أو مخالفة القانون الغربي ثانياً. في سياق الضجة الإعلامية المذكورة قام تلفزيون راييموند يوم ٥/٥/٢٠٠٠ في روتردام باستضافة الدكتور سليمان دامرا مساعد رئيس الجامعة الإسلامية في روتردام الذي صرح (كنت أتمنى أن لا تطرح تلك الآراء من قبل الشيخ المومني بهذه الطريقة التي أثارت استفزازاً لدى الرأي العام. كان بإمكانه تهيئة عباراته وأفكاره بصورة تعبر عن الإسلام. القرآن الكريم لا يعترف بعلاقات جنسية خارج إطار الزواج العادي، أي بين الرجل والمرأة. كما أنه لا يعتبر الشذوذ مرضاً بل ظاهرة سلوكية منحرفة لا تتفق مع الفطرة الإنسانية وقوانين الكون).

يتعرض كثير من المسلمين إلى مواقف مشابهة حين يُسألون عن آرائهم بصدد بعض القضايا التي تخالف دينهم وثقافتهم. فيحبذ أن تكون الإجابة إنه طالما أن القانون يسمح بذلك فلا مشكلة، ولكنني لن أمارسه أو أقبل بها لأن ديني وعقيدتي يمنعاني من ذلك. يذكر أنه في أحد البرامج التلفزيونية سأل أحد الشواذ مدير مدرسة إسلامية: هل ترفض تعييني معلماً في مدرستك؟ فقال: لا، ولكن لا أنصحك بالتقديم إلى مدرسة إسلامية.

جدل إلهامي حول ضرب المرأة المسلمة

أكاديمي مسلم يفتح باب الجدل حول حق الرجل في ضرب زوجته
رئيس الجامعة الإسلامية في روتردام لا يعرف اللغة ولا الثقافة الهولندية!!
مسلمون وهولنديون مؤيدون ومعارضون لضرب المرأة المسلمة يدلون بأرائهم
هل يسمح الإسلام باستخدام العنف ضد المرأة؟ أم هو ممارسة غير إسلامية؟
ما هي طبيعة هذا التشريع؟ وهل يسري على كل المجتمعات والأحوال والأزواج؟

بداية النقاشية

بدأ الجدل عندما تحدث الدكتور أحمد أكغوندوز، تركي، يبلغ ٤٥ عاماً، رئيس الجامعة الإسلامية في روتردام، وهي أول جامعة إسلامية أهلية في هولندا تأسست عام ١٩٩٧، والتي يفترض أن تقدم مساهمة لتطور الإسلام في هولندا، حيث ذكر أن لا يمكن تفسير القرآن والسنة النبوية على ضوء الثقافة الهولندية. وأن القرآن والسنة اللذين يمثلان ٨٠٪ من الإسلام لن يتغيرا حتى القيامة. ودافع عن تشريع ضرب المرأة لكنه قال (لا يحق للرجال المسلمين ضرب زوجاتهم بشكل منتظم، ولكن عندما تكون المرأة مسؤولة عن النزاع داخل الأسرة ولا تجد معها كل الأساليب لتستقيم، عندها يجوز ضربها بشرط أن لا تؤذي جسدها. الرجال والنساء متساوون في القرآن، ولكن لا يعني ذلك أن للنساء جميع حقوق الرجال) (تراو في ٧ / ١١ / ٢٠٠٠).

رسالة الدكتور شريبي

أثارت تلك التصريحات استاء بعض الأوساط الإعلامية والسياسية والبرلمانية، إسلامية وهولندية. فقد رد النائب (المغربي الأصل) أسامة شريبي في البرلمان الهولندي قائلاً (تصريحات رئيس الجامعة الإسلامية تشكل صدمة وإهانة. وأفكاره تقليدية لا تناسب المسلمين في أوروبا. لحسن الحظ لا أعتقد أن ديناً يسمح بانتهاك حقوق الإنسان على النحو الذي يدعو إليه. أقول له: لقد تم استيرادك من مناخ أصولي إلى بلد علماني هو هولندا. وهذا الحادث يشير إلى أهمية تربية أئمة المساجد وتعليمهم داخل هولندا. وعلى وزير التعليم إعادة النظر في استمرار هذه الجامعة وإلا ستعيد عملية الاندماج إلى الوراء) (تراو ٨ / ١١ / ٢٠٠٠). آراء النائب شريبي ليست إسلامية لأنه ذو خلفية علمانية ويعتقد بأن الإيمان والإسلام قضية شخصية، ويعتبر الأحكام الإسلامية أفكاراً تقليدية بينما يرى في الأفكار الغربية مرجعية فكرية له.

وردت التركية ليلي يوردن، وهي أستاذة حقوق تدرس قانون الأسرة الإسلامي في جامعة أمستردام قائلة (إن تصريحات د. أكغوندوز قائمة على أرضية متشددة جداً. فهو بالكاد يبرر آراءه بمناقشات منطقية. إنه بذلك يعزل نفسه عن الجيل المسلم الشاب الذي نشأ في المجتمع الهولندي ولديه نظرة ليبرالية للعقيدة. فهو يرفض تجديد الأحكام الإسلامية في حين هناك حاجة لتفسير ينسجم مع المجتمع الحالي وقيم حقوق الانسان. وكان سيبدو من المفيد لو أنه اهتم بحماية المرأة من سوء المعاملة).

وصرح ياسين هارتوخ، مسلم هولندي يرأس مؤسسة الإسلام والمواطنة قائلاً (عندما اعتنقت الإسلام، تعلمت أن المقصود بالضرب هو نقرة tikje أو ضربة خفيفة ذات قيمة رمزية وتصحيحية. أنا أفهم الأحكام الإسلامية على أساس العصر الحديث، ولذلك لا أعتقد المقصود بالضرب هو الصفع. وللأسف أصبح مصطلح (الضرب) يثير الشك. وللأسف لا يجري الاهتمام برسالة الإسلام التي تؤكد على رعاية المرأة، الرجل لباس المرأة، والزواج الصالح هو الذي يعرَى ويدلّل زوجته).

أما ناهدة أورانغزب مقدمة برامج في محطة التلفزيون الإسلامي NMO فقد علقت قائلة (لو تضرب المرأة ضربة خفيفة يعني أنك تعيدها إلى مستوى الطفل، وليس هذا هو المقصود. يجب أن يكون المسلمون مرآة بعضهم البعض، ويصحح أحدهم الآخر، ولكن ضمن مستوى واحد. والإسلام يقول أن تلك الضربة الخفيفة يجب أن لا تتعدى ضربة الريشة. ولا أعتقد أن خالقي العادل يقصد بالنقرة الخفيفة أكثر من ذلك).

أما السيد البيوفي مساعد رئيس اتحاد المساجد المغربية UMMON فقال (أنا أرفض كل العنف، وهناك أساليب أخرى لتصحيح الأوضاع والاستقرار في العائلة. ينص القرآن على الضرب، ولكن يعود الأمر للإنسان المؤمن لإتباع الحق الإسلامي أو الهولندي. ويعود الأمر للصحة فيما إذا كانت ترضى بضرها أم لا. وفي كل الأحوال يمكنها تقديم شكوى لدى محكمة هولندية).

وتلقت صحيفة (تراو) عدة رسائل تعارض ضرب المرأة نشرت بعضها في بريد القراء منها رسالة ماريته بوغازز، سيدة هولندية مسلمة، تعمل مستشارة اتصالات وخبيرة بالصحة النفسية الإسلامية حيث قالت (لقد حزنت كثيراً من تصريحات أكغوندوز مدير الجامعة الإسلامية في روتردام الذي يرى أنه من حق الرجل المسلم ضرب زوجته. هذا الضرب برأيه يستخدم فقط عندما لا يوجد حل آخر أمامه وبشرط أن لا يسبب ضرراً بدنياً، ولكن تصريحاته تؤكد الصورة السائدة عن الإسلام بأنه عدو المرأة. إن تجربتي وخبرتي كخبيرة في الصحة النفسية الإسلامية تجعلني أقول بثقة إن الشروط التي وضعها الإسلام لا يجري التقيد بها مطلقاً. ومن خلال اتصالي

بالسجينات المسلمات ذوات الخلفية الإسلامية تبين لي أن العنف وسوء المعاملة يلعب دوراً كبيراً في انحرافهن. ولطالما سمعت أن ممارسة هذا العنف ضد النساء يجري تبريره قرآنيًا. وأما الآيات التي تتحدث عن المودة بين الزوجين والعلاقات الحميمة فلا يتذكرها أحد.

لقد صدمت من تصريحات مدير الجامعة التي يرجى منها تخريج أئمة وموجهين روحانيين يتحدث بهذا الأسلوب. وأرى ضرورة إعادة النظر بطبيعة علاقة الزواج، وحتى من وجهة نظر علمية. بين حين وآخر يشار إلى أنه من حق المرأة طلب الطلاق بسبب سوء معاملة الزوج لها. إن تسمية هذا الحل ليس كافياً لأن المرأة المطلقة لا تحظى بدعم المجتمع لها. ويجب أن تعلم الجالية أن هذه الممارسة العنيفة (الضرب) لا يجوز استخدامها.

وعلق أحمد أبو طالب مدير مركز الأجانب في أوترخت فقد قال (إن السؤال فيما إذا كان الضرب المذكوراً في القرآن، ليس ذا صلة بالموضوع، لأنه لا يجوز في هولندا. ولذلك يجب أن لا نتعامل مع هذه القصص). ولم يوضح أبو طالب المقصود بالقصص أم يقصد النص القرآني وتفسيره. ولكنه يدعو إلى فهم إسلامي معين للإسلام في هولندا حيث قال (المسلمون في هولندا بحاجة إلى إطارهم الخاص). وعلق محرر باب الدين والفلسفة في صحيفة تراو (يتساءل الهولنديون المتخصصون بالإسلام عن المناخ «الليبرالي» داخل الجامعة. ويجدون أن البرنامج الدراسي تقليدي، ويلاحظون أن الكادر التدريسي يعتمد على المدرسين من تركيا أو البلدان العربية).

وأما الكاتبة الصحفية الإيرانية معصومة أبرين فقد كتبت في عمودها الأسبوعي في صحيفة تراو يوم ١٣/١١/٢٠٠٠ تقول (نعم يذكر القرآن أنه يجوز للرجل أن يضرب زوجته «ضربة خفيفة» إذا كانت هناك حاجة. ولكن أين وفي أي محيط اجتماعي وثقافي؟ لا تجيبك أحد. وكأن العنف والعدوان لا يمارسان في الأوضاع البشرية العامة: جرائم الشرف، ممارسة القوة، القمع وغيرها من ثقافة العائلة التي تجعل النساء يخشين الرجال ويعتمدن عليهم. في كل الثقافات وفي كل البيئات يغضب المرء أحياناً وقد يفقد سيطرته ويضرب زوجه أو أولاده. وهذا ما يحدث هنا (في هولندا) دون أن يكون للمرء معرفة بالقرآن. من خلال خبرتي كمشرفة اجتماعية في إيران علمت أن ضرب الزوجة يأتي من باب الحب والتأديب كي تنسجم مع عائلة الزوج، فالضرب تربية وليس عقوبة). وكتبت سعاد ألتون، تركية تعمل في (الإسلام والحوار) تقول (لم تكن تصريحات الدكتور أكنوندوز تؤذيني أكثر من الطريقة التي جرى قلع الكلمات من محيطها وجعلها مادة دسمة للإعلام. الإسلام يضمن حقوقي كإمرأة ويعطيني الحرية لأعبر عن قابلياتي).

وانتقد هاسي كاراكير، تركي رئيس حركة ملي غورش في هولندا، وهي حركة قومية تركية إسلامية، تصريحات رئيس الجامعة الإسلامية قائلاً (القرآن كتاب موحى به يحمل رسالة

عالمية. هذه الرسالة كتبت بلغة يفهمها مجتمع قسم منه بدوي والآخر حضري. مجتمع كان يعيش ثقافة القبيلة في القرن السابع الميلادي. اللغة، الأمثلة المضروبة والتركيب القصصي للقرآن تخاطب ما يفهمه الناس آنذاك. الجدلية بين القيمة العالمية للقرآن واللغة المستخدمة فيه تنعكس في ازدواجية الفهم المعقد للقرآن. ولذلك يبقى المسلمون بحاجة للتفسير. فلو تحدث القرن في ذلك العصر عن الاستنساخ والهواتف النقالة والمحطات الفضائية لم يكن بالمستطاع فهمه آنذاك لأن اللغة والزمن مترابطان. إن الأحكام الإسلامية للمؤمنين عالمية ولا تتغير كالصلاة والصوم والحج ومساعدة الفقراء. وكما تطورت الكنيسة مع عصر التنوير وحقوق الإنسان فاعتبرت المرأة كائناً منفرداً، فسيشهد القرآن أحداثاً ثورية مشابهة. في الماضي كانت المرأة في الشرق الأوسط (في عصر الجاهلية) تباع وتشتري ويقامر بها وتقتل. ولم يكن لها حق في الإرث ولا قيمة لشهادتها. وكان بإمكان الرجل التزوج بعشرات النساء، حتى جاء الإسلام وحررها ومنحها كرامتها.

في هولندا نشأ الجيل الثالث من النساء المسلمات. نشأ هذا الجيل على مفاهيم المساواة مع الرجال، حيث بإمكانهن الحصول على المعرفة من مصادرها. ولا يجوز للرجل المسلم ضرب زوجته، لأنه يجب على المسلمين، إذا كانوا أقلية، أن يحترموا قانون البلد الذي يعيشون فيه، مثل هولندا).

الندوة السنوية، ٢٠١٠/١٠/٢٠٠٠، في لندن

بعد هذا الجدل الإعلامي والضجة في أوساط المسلمين والهولنديين دعا الدكتور أكغوندوز إلى مؤتمر صحفي يوم الجمعة ١٠/١٠/٢٠٠٠ ليوضح آراءه. وقد قام الرئيس السابق للجامعة الدكتور سلمان ضمرة، وهو تركي أيضاً، بإعداد المؤتمر حيث قام بترجمة حديث أكغوندوز أمام الصحافة الهولندية والذي تحدث أولاً عن التعدد الثقافي في المجتمع الهولندي وعن المناقشات الإيجابية. وأشار إلى أن هناك من يبحث عن كبش فداء، فتارة تتهم الجامعة بالتمويل العربي القادم من الأصوليين وتارة بقضية الدعوة إلى ضرب المرأة. وأضاف الأكاديمي: إن الإسلام لم يأمر أبداً الرجال بضرب أزواجهم، بل سمح به في حالات خاصة وفي ظروف خاصة، ضربة خفيفة.

وأثناء المؤتمر احتجت إحدى المسلمات الهولنديات وهي طالبة تدرس في الجامعة الإسلامية فقالت: كيف تعني؟ أي نوع من الضرب، أرنا. حسناً ضربة رمزية خفيفة، ولكن هل يجوز لها أن تضرب زوجها؟

وأضاف رئيس الجامعة: هناك العديد من الرجال المسلمين يميلون إلى أخذ هذا النص المقدس بجدية ولكننا لا يمكن أن ننكر النص القرآني لأن بعض الناس يسيئون استخدامه، ولكن يمكننا تفسيره مع الأخذ بنظر الاعتبار ظروف العصر الحالي.

وحاول الصحفيون الهولنديون إحراجه بمجموعة من الأسئلة مثل: هل يمكن للمرأة المسلمة أن تذهب مع صديق غير مسلم إلى الديسكو؟ فأجاب: هناك حرية في الاختيار لكل فرد، والمسلم غير مجبر على الذهاب إلى الديسكو.

وأضاف الدكتور أكغوندوز: أنا لا أعرف اللغة ولا الثقافة الهولندية. لكنه وعد بتأليف كتاب عن كيفية سلوك المسلم في هولندا. وفي تطور لاحق أعلن الدكتور نصر أبو زيد عن تحديه للدكتور أكغوندوز في مناظرة علمية وجدية حول وضعية المرأة في الإسلام. وأبو زيد يعمل أستاذاً في جامعة ليدن وقد حكم عليه في مصر بالردة بسبب آراءه بالقرآن الكريم.

القرآن والعلاقة الزوجية

هناك مؤلفات كثيرة وكتابات عديدة تناولت العلاقة الزوجية في الإسلام. ويغلب على هذه الكتابات والآراء النظرة التجزئية للأحكام الإسلامية، الكتب الفقهية تتحدث عادة عن أحكام خاصة ومنفردة، مقتطعة من السياق العام للعلاقة الزوجية. ولذلك تطورت هذا الأحكام إلى حد لا يجوز للمرأة الخروج من منزلها في كل الأحوال، أي يمكن للزوج أن لا يسمح بخروج زوجته معها كانت الأسباب دون أن يعتبر ذلك انتهاكاً لحقوقها أو تعدياً عليها أو عدم الإلتزام بما يريده الإسلام. وتلعب التقاليد والأعراف التي تسود المجتمعات الإسلامية دورها في تأصيل هذا السلوك أو النظرة غير الصحيحة عن المرأة، فهي عادة تعامل كقاصر أو طفل، تحتاج إلى رجل لتولي أمرها والبت في زواجها معها كان هذا الرجل جاهلاً أو مهما بلغت هي من علم ومعرفة. المرأة اليوم تحتل موقعاً في المجتمع، تعمل أستاذة وطبيبة ومديرة تقود مؤسسة يعمل بها مئات الرجال. وتتعلم المرأة المسلمة في عشرات الحوزات العلمية والجامعات الإسلامية للتخرج قاضية وباحثة ومدرسة ومربية وواعظة وداعية للإسلام وحتى فقيهة ومجتهدة يمكن تقليدها. امرأة بهذا المستوى ما زالت بحاجة إلى ولي سواء كان أخاً أو أباً أو خالاً أو عمّاً أو غيره ليتولى أمورها ويقرر بمن تتزوج وماذا تفعل ومتى تخرج وأين تذهب!

يرى بعض الفقهاء كالشيخ مرتضى مطهري أن العلاقة الزوجية في الإسلام تحددها الآية الكريمة (فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان) أي أن الرجل في علاقته مع زوجته يجب أن

يختار أحد طريقتين، فإما أن يقوم بواجباته كما يليق (إمساك بمعروف) وإما أن يقطع الصلة الزوجية ويخلي سبيل المرأة (تسريح بإحسان) (مطهري / نظام حقوق المرأة في الإسلام / ص ٢٥٦).

ويرى السيد فضل الله نفس الرأي مؤكداً مثلاً على حق المرأة بالخروج من المنزل لأن منعها يعني سجنًا (والسجن المؤبد لا يتناسب مع قاعدة الإمساك بالمعروف والمعاشرة بالمعروف التي يفترض أن تحكم الحياة الزوجية. وعدم تناسب السجن المؤبد مع قاعدة رفع الحرج عن الإنسان في الدين). ويشترط السيد فضل في أن خروج المرأة من البيت يجب أن لا ينافي حق الزوج بالاستمتاع الجنسي فقط، أي تحرمة من هذا الحق بتغييرها عن البيت أو سفرها طويلاً. أما الحالات الأخرى، فيجوز لها الخروج، كأن يكون الزوج مسافراً أو في عمله. ويجوز لها الخروج حتى لو عارض الزوج لأنه لا يملك الحق في منعها من الخروج خارج دائرة حاجته الخاصة إليها، ولكن يستحب احتياطاً أخذ إذنه) (السيد فضل الله / دنيا المرأة / ص ٩٢).

من خلال المناقشات حول هذه القضية يتضح أمران غفل عنهما المتجادلون:
الأول: أن الضرب المبرح والشديد مرفوض وممنوع منعاً باتاً ويشكل اعتداءً وإهانة للمرأة وجرحاً لكرامتها وكبريائها.

الثاني: الضرب المذكور في القرآن موجه للزوجة من النساء ولا يشمل الأخت والابنة والأم والعممة والخالة وبناتها وغيرهن، إذ لا يجوز للرجل الاعتداء على المرأة ولا يملك أحد الحق في ضربها. أما موضوع الضرب الخفيف الذي تذكره الآية (واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً) (النساء: ٣٤) يختص بالزوجة التي تمتنع عن أداء حق الزوجة الجنسي، أي نشوزها، لأن العلاقة الزوجية هي الوسيلة الشرعية -دينيًا وقانونيًا واجتماعيًا- لإشباع الحاجة الجنسية لدى المرأة والرجل. فإذا امتنعت الزوجة عن ذلك أصبح الرجل عرضة للانحراف، وعليه أن يختار إحدى هذه الوسائل لحل مشكلته مع زوجته:

- الموعظة بكل الأساليب وأن ما تفعله خطأ ويخالف عقد الزواج بينها.
- الهجران في المضجع أي النوم في سرير آخر أو غرفة أخرى كنوع من الضغط النفسي لإجبارها على إعادة النظر في موقفها.
- الزواج من امرأة ثانية، وهو إجراء غير أكيد لأن المشكلة قد تتكرر مع الزوجة الأخرى.

القانون الغربي يمنع تعدد الزوجات رسمياً.

- عرض المسألة على محكمة لبيت القاضي بها، ولكن القانون لا يستطيع إلزام المرأة بشيء خاصة في قضية خاصة كممارسة الجنس.

- الطلاق الذي يشكل هروباً من المشكلة وليس حلاً لها.

والضرب الخفيف يقتصر استعماله لحل قضية الامتناع عن المضاجعة مع الزوج، وليس مبرراً للتعنف ضد المرأة، فلا يحق للرجل أن يضرب زوجته في حال عدم قيامها بشؤون المنزل، ولا لعدم رعايتها للولد، لأن ذلك ليس من واجبها أصلاً، ولا يحق له ضربها لأي غرض ذاتي (المصدر السابق/ ص ٩٦). ويرى الشيخ عبد الحليم محمود أبو شقة في كتابه (تحرير المرأة في عصر الرسالة): إن الإسلام يضع تشريعاته عامة شاملة لمختلف الأزمان والبيئات وأنواع الشخصيات. وهذه تفاوتت فيما بينها تفاوتاً كبيراً في درجة الثقافة أو درجة التحضر. والوسائل ترتبط صلاحيتها بالبيئة من ناحية وبمستوى الفرد العقلي والخلقي من ناحية أخرى. فرب وسيلة تصلح في بيئة ما ومع فرد ما وتثمر نتائج مفيدة، ولا تصلح في بيئة أخرى ولا مع فرد آخر، وقد تؤدي إلى نتائج ضارة. يكون أحياناً تفاوت في السن بين الزوجين في بعض البيئات، مما يجعل الزوجة أقرب إلى مستوى ابنة الزوج وتلميذته، وهنا يكون الضرب أسبه بتأديب يصدر من الوالد أو المعلم المربي. أما إذا بلغت الزوجة درجة عالية من النضج العقلي، فنحسب أن الضرب عندها لا يصلح وسيلة لعلاج النشوز) (تحرير المرأة/ ج ٥ / ص ٢٤٤).

يتضح مما سبق أن تطبيق الأحكام الإسلامية يتفاوت من مجتمع إلى آخر ومن بيئة إلى أخرى، ومن أسرة إلى أخرى طالما هناك فوارق ثقافية وعقلية واجتماعية. ولكي تؤدي الأحكام الإسلامية ثمارها في المجتمع يجب تطبيقها في مجتمع إسلامي وصل أعضاؤه إلى درجة مناسبة من الالتزام بالشرعية والتربية الإسلامية التي تؤهلهم للتقيد بالشروط والالتزامات التي فرضها الله تعالى بجانب الحقوق والواجبات. وكما يجري التعسف في استخدام حقوق القوامة والطلاق وتعدد الزوجات من قبل الرجال المسلمين طول التاريخ، يجري اليوم التعسف في استخدام حق ضرب المرأة وتبرير العنف ضدها شرعياً. وكما أن الشهيد الصدر لم يعتبر الشيوعيين مرتدين فطريين لأنهم نشأوا في جو غير إسلامي، ولم يعرض عليهم الإسلام كاملاً رغم أنهم يعيشون في مجتمع إسلامي. فكذلك لا يمكن السماح للزوج بممارسة حق ضرب المرأة ولو خفيفاً طالماً أنه غير متقيد بدقة ببقية الحقوق والالتزامات المفروضة عليه كزوج، مثل النفقة والرعاية والمعاملة الحسنة حسب قولها تعالى (إمساك

بمعروف). ويجب أن تلتزم المرأة بحقوقها الزوجية وتعرف ما عليها وما لها كي لا تضطر الزوج إلى استخدام هذا الأسلوب غير اللائق بها إذا كانت تحترم نفسها وكرامتها. وكما أنه لا يمكن ممارسة تعدد الزوجات كذلك لا يجوز الضرب في البيئة الغربية. سؤال نوجهه لبعض المسلمين: هل عرض الإسلام يتم بهذه الأساليب الساذجة في بيئة تثير الشكوك حول تعاليمه وأحكامه وتتهمه بالعدوانية والوحشية وعدم احترام حقوق الإنسان. يجب عرض الإسلام كدعوة للحب والتفاهم والتسامح واحترام الآخرين وحياتهم وأفكارهم.

أيان حرزي: صومالية تبحث عن الشهرة عبر مهاجرة الاسلام

تتركز أضواء الإعلام والصحافة هذه الأيام على فتاة صومالية هي أيان حرزي علي (٣٢ عاماً) حيث تبدي الأوساط السياسية والبرلمانية والأكاديمية اهتماماً ملحوظاً بها بسبب انتقاداتها الحادة للإسلام والثقافة الإسلامية. وهو أمر تترصده وسائل الإعلام الغربية التي تبحث عن أمثال هؤلاء المسلمين الذين يوجهون نقدهم المباشر للإسلام باعتبارهم يتحدثون من داخل الصف الإسلامي، خاصة وأنها امرأة، وطالما ركز الغرب هجومه على الإسلام من خلال موقف الإسلام من قضايا المرأة.

أيان حرزي: من أين أتت؟

تعمل أيان باحثة في الدائرة العلمية لحزب العمل الهولندي، حيث تعد رسالة دكتوراه حول اندماج الأجانب. وكانت قد أنهت دراستها في جامعة ليدن. جاءت أيان إلى هولندا قبل عشر سنوات كلاجئة. وتدعي أنه قد تمت خطبتها إلى ابن عمها في كندا، وأن والديها أجبرها على هذه الزيجة. وأنها رفضت الالتحاق بزوجها حيث توقفت في ألمانيا ثم طلبت اللجوء في هولندا. وكانت عائلتها قد غادرت الصومال واستقرت في كينيا، ويقيم والدها حالياً في لندن. وترت أيان كفتاة مسلمة على التعاليم الإسلامية. وكانت ترتدي الحجاب قبل قدومها إلى هولندا.

أيان حرزي: من أين أتت؟

تري أيان حرزي أنه يجب على المسلمين في الغرب التخلي عن الثقافة الإسلامية، وأن يمنحوا المرأة المسلمة الحرية، وأن يحترموا القيم والتقاليد الغربية، وأن الإسلام ليس فقط ثقافة متخلفة بل أنه ثقافة متراجعة. وتطالب حرزي بمساواة المرأة بالرجل، وأن تعيش المرأة مستقلة عن سلطة الرجل. وتنتقد (ممارسات بعض المسلمين الذين يقيمون في الغرب ويركبون السيارات ويدخنون السكاثر ويستعملون الأشياء الكمالية لكنهم يرفضون ترك الحرية لبناتهم حيث يجدون ذلك أمراً غريباً).

وترى أن كثير من المسلمين يستعينون بالدين لاستصغار زوجاتهم وبناتهم. وتنتقد موقف المسلمين السلبي من قضية الاندماج، وأنهم بعد ثلاثين عاماً ما زالوا متخلفين، وبسبب تمسكهم بالتقاليد لا يرون في المجتمع الهولندي إلا الجانب السلبي.

وتعارض حرزي المدارس الإسلامية لأن الطالبات لا يقرأن الكتب التي تطور شخصياتهن واستقلالهن، لأنهن لا يحصلن على ذلك في منازلهن أيضاً. صحيح أن الفتيات المسلمات يسرن جيداً في التعليم والعمل لكنهن أفضل من الشباب المسلم وليس أفضل من قريناتهن الهولنديات. يجب على الفتيات المحجبات التحرر من والتخلص من غطاء الرأس. إنهن يرتدين الحجاب لأنهن مورد إغراء للرجال، فصرن مسؤولات عن سلوك الرجال. ويهدف منع إغراء الرجال يجب عليهن أن يبقين في المنازل. وإذا كان لديهن سبب مقنع جداً يمكن لآبائهن أو إخوانهن أو أزواجهن السماح لهن بالخروج ولكن بشرط ارتداء غطاء الرأس وملابس فضفاضة. في كل مكان يمثل الإسلام أغلبية يجري حيس النساء. وعندما تقول النساء بأن ارتداء الحجاب خيار شخصي يتعرضن للقمع. وأتحدى النساء القيام بأشياء هن يردنها. وكما ناضلت النساء الهولنديات من أجل الحصول على حقوقهن في دخلهن الشخصي والاستقلال الذاتي يجب أن تمنح الفتيات المسلمات الفرصة ليقررن مستقبلهن.

وتوجه حرزي خطابها للرجال المسلمين فتقول: أخرجوا الرجال المسلمين من المقاهي! دعوهم يرون هولندا لأنهم لا يعرفون شيئاً! ولذلك لديهم أحكاماً مسبقة كثيرة. دعوهم يشاهدون كيف يتعامل الآباء الهولنديين مع أبنائهم! وضخوا لهم بأن الفتيات الهولنديات ليست عاهرات! خذوهم إلى متحف (أنا فرانك هاوس) [الفتاة اليهودية] أو إلى (ويستربروك) [معتقل لليهود في عهد هتلر] كي يتعرفوا على مناطق الحروب.

لعل ما اكتسب أيان شهرة هو ظهورها في بضعة برامج تلفزيونية بشكل متقارب. وأثار إعجاب الدوائر المثقفة انتقاداتها ضد الإسلام واعترافها بأنها ليست مسلمة، بل علمانية. والذي رفع من شهرتها هو موقف بعض المسلمين الذين استضيفوا لمناقشتها في برنامج (عند العاشرة Rondon Tien) يوم ١٢/٩/٢٠٠٢ فاتهموها بالردة وأنها غير مسلمة ولا تمثل النساء المسلمات. وظهر الغضب على بعضهم كالسيد علي الداودي الذي غادر البرنامج محتجاً ثم تمت إعادته فيما بعد. وفيما كانت تبدو حرزي هادئة مسيطرة على نفسها، تتحدث بلباقة وهدوء، وتستخدم عبارات مهذبة، كان المسلمون يتحدثون بانفعال وغضب، فظهرت بمظهر الضحية التي يهاجمها الرجال المسلمون المتعصبون. كما زاد من تعاطف الجمهور الهولندي تعرضها إلى تهديدات عديدة من قبل بعض المسلمين. الأمر الذي جعلها ضحية الرأي وحرية التعبير المقدسة عند الغربيين. ليست آراء حرزي بجديدة في نوعيتها ولا في طرحها، فهناك العديد من أمثالها في البلدان الإسلامية

مثل المغربية فاطمة المرينسي والجزائرية آسيا عبد الجبار والمصرية نوال السعداوي. وهن يثرن ضجة في بلدانهم لكنهن لم يتعرضن للتهديد بالقتل أو غيره. إن الإسلام لا يمنع حرية الرأي واختلاف الآراء ظاهرة طبيعية، لكن موقف بعض المسلمين في الغرب وتشددهم وانفعالهم وتوجيه الاتهامات إليها قلل من توضيح الموقف الإسلامي الصحيح من آرائها، وزاد في تأييد الهولنديين إليها.

تتميز آراء حرزي بالسذاجة والسطحية رغم أنها تعبر عن عداء دفين للإسلام. الأمر الذي تناغم ومشاعر الغرب تجاه الإسلام. فحرزي لا تميز بين الثقافة الصومالية التي تربت عليها وبين التعاليم الإسلامية الأصيلة. كما أنها ليست متخصصة بالإسلام بل بالسياسة، فهي تتطفل على القضايا الإسلامية، وتبني آراءها دون إمام بالإسلام والفقهاء والتفسير والتاريخ الإسلامي، ووضع المرأة في الإسلام. كما أن تجربتها الخاصة في إجبارها على الزواج جعل منها تعادي الإسلام الذي لا ذنب له، بل أن الإسلام يعارض إكراه الفتيات على الزواج، ويعتبر مثل ذلك العقد باطلاً. إن ما تركّز عليه حرزي هي قضايا ثقافية عامة. والشعوب تختلف في ثقافتها، وحتى الشعوب الإسلامية مختلفة في تقاليدها وعاداتها. وأوضاع النساء تختلف من بلد إلى آخر، فالمرأة المصرية غير السعودية، والأردنية غير العراقية، والإيرانية غير المغربية.

يضاف إلى ذلك أن عادة إجبار الفتيات على الزواج عادة لا تقتصر على المجتمعات الإسلامية، فهي ظاهرة معروفة في المجتمع الهندي ذي الديانة الهندوسية، وعند المجتمع التايلندي البوذي، والمجتمعات المسيحية في الفلبين والبرازيل. إن القضية مرتبطة بالثقافة والوضع التعليمي والمستوى الاقتصادي وليس بالدين.

رغم أن الغرب يعلن أن الحرب على الإرهاب وليس على الإسلام لكن الواقع عكس ذلك تماماً، فما علاقة الإرهاب بالزواج الإجباري، أو الحجاب أو ختان النساء، أو تعدد الزوجات، أو حرية التعبير وغيرها من القضايا التي يتناولها الإعلام اليوم؟

اهتمت وسائل الإعلام كثيراً بحرزي التي تكاد تفقد حياتها بسبب آرائها. فقد شبهها بعضها بأنه مثل سلمان رشدي. كما أن هولندا بالكاد التقطت أنفاسها بعد اغتيال فورتاون بسبب آرائه. وكتب الصحفي سلفيان افيمنكو رسالة مفتوحة إلى حرزي، يعبر فيها عن إعجابها بقدرتها التحليلية ولغتها الواضحة في تسمية الأشياء وابتسامتها العذبة وشجاعتها في الدفاع عن المرأة المسلمة. وأيد آراءها التي تعتبر الإسلام متخلفاً، وديناً ذكورياً يقمع المرأة. كما انتقد المتشددون الذين يهددون.

وكتب الهولندي المسلم عبد الواحد فان بول مقالاً ينتقد فيه الذين لا يسمحون بالرأي الآخر. كما دافع بأن القرآن لم يذكر عقوبة المرتد، حيث استعان بآيات قرآنية عديدة في هذا الصدد. أما الكاتب الهولندي تون كرينن فقد نشر مقالاً ذكر فيه أن المذاهب السنية الأربعة تتفق على عقوبة الاعداء للمرتد. وقد ذكر مجموعة من الأحاديث النبوية.

وكتب المؤرخ يوه واين مقالاً أوضح فيه أن قتل المرتد لا يختص بالإسلام فقط بل هي ظاهرة عادية لدى كل الأديان والأيدولوجيات. وأوضح أن المسيح قد صلب لأن آراءه خالفت آراء اليهود المعاصرين له. كما أن الشيوعية في عهد ستالين قد قمعت معارضي أفكارها.

وقام العديد من المثقفين بحملات تضامن وجمع توقيعات تأييداً لحرزي. فقد نشر أكثر من ١٢٠ مثقف وكاتب وصحفي وبرلماني وسياسي رسالة تأييد. كما نشرت أكثر من ٨٠ امرأة تعاطفهن وتأييدهن لآراء حرزي، وأنهن ضد خرق حقوق المرأة.

الغريب أن الإعلام الهولندي والمثقفين الهولنديين لم يتعاطفوا مع حرية الرأي في قضية زوجة مدير البنك الأوربي التي رفعت العلم الفلسطيني على شرفة منزلها. ولم يعتبر الهولنديون ذلك حقاً لها في التعبير عن الرأي. كما لم يتعاطف معها عندما استلمت تهديدات. ولم يشر الإعلام من هم أصحاب التهديدات وديانتهم، ولم ينتقد تلك الديانة التي تمنع حرية التعبير. فكلاهما امرأة، وكلاهما أبدت آراء شخصية، وكلاهما تعرضت لنقد من أطراف معارضة لها، وكلاهما تعرضت لتهديدات، وكلا القضيتين حدثت في هولندا، لكن السكوت والإهمال كان الموقف تجاه الأولى، والتأييد والدعم والمساندة والأضواء تجاه حرزي. فهل بقي شك في العداة للإسلام؟ وهل بقي شك في مصداقية وموضوعية الإعلام الغربي والهولندي؟

المطبوعات الأكاديمية في هولندا

يزداد الاهتمام بالإسلام في الغرب في الأوساط الأكاديمية إضافة إلى مراكز البحوث والدراسات السياسية والدينية والحكومات الغربية والإعلام الغربي. وذلك لأهمية الإسلام السياسي كظاهرة ذات تأثير واضح في السياسة الدولية ومناطق النفوذ الغربي في العالم الإسلامي. كما أن وجود ١٥ مليون مسلم في أوروبا الغربية يجعل هذه الدول بحاجة إلى التعرف على طبيعة الوجود الإسلامي، ركائزه، مظاهره، مصادر قوته وتنوعاته.

وتقوم مئات الجامعات ومراكز البحوث الأكاديمية المختصة بدراسة الإسلام كأيدولوجيا وكمكوّن فكري وعقائدي واجتماعي للجاليات المسلمة في أوروبا. وتتنوع هذه البحوث والدراسات التي تهدف إلى عدة أغراض منها دراسة الإسلام عن قرب وجمع الإحصائيات التفصيلية عن كل ما يهم المسلمين، ومنها تحديد مكامن الخطر، إن وجدت، التي قد تهدد تماسك المجتمع الغربي، ثم البحث عن أفضل السبل لتذويب الحالة الإسلامية في بوتقة العلمانية الغربية، طالما أن المسلمين يشكلون خزيناً بشرياً احتياطياً لتناقص معدل زيادة الشعوب الأوروبية.

قبل أسابيع قام الباحث الهولندي سلفان شخون هوفن بتقديم رسالته للحصول على شهادة الماجستير من معهد العلوم الإسلامية في ليدن. الرسالة عبارة عن مسح ميداني للمطبوعات الإسلامية أو التي يصدرها مسلمون في هولندا.

في المقدمة يلاحظ الباحث أن المطبوعات الإسلامية ذات طبيعة قومية أي أن كل واحدة منها تخاطب مجموعة عرقية معينة كالعرب والأتراك والسورينام والهنود وغيرهم.

في الفصل الأول تحدث عن المنهج الذي اتبعه وطبيعة الأسئلة التي وجهها إلى محرري هذه المطبوعات. وفي الفصل الثاني أعطى نبذة تاريخية عن بدايات صدور المطبوعات الإسلامية في هولندا وقسمها إلى سنية وشيعية وعلمانية وقومية. وذكر أن طائفة الأحمديّة التي هاجرت إلى أوروبا الغربية منذ عام ١٩٤٧ حيث أصدرت مجلة (الإسلام Al-Islam) ثم ذكرت نشرات (الفارق Al-Fariq) و (بعثة الإسلام الهولندية Holland Islam Missie) و (إشاعة الإسلام Isha'at-ul-Islam) و (إقرأ Iqra) و (الفجر Al-Fadjr). وقد أعطى نبذة عن كل مطبوعة إضافة إلى صورة لأحد أعدادها.

تحدث الباحث عن المطبوعات السنوية وخاصة التي يساهم في تحريرها مسلمون هولنديون. وتصدر باللغة الهولندية مثل مجلة (القبلة Qiblah) التي صدرت بين عامي ١٩٧٦-١٩٩٠، ومجلة (السلام Salaam) التي أصدرها مركز المعلومات الإسلامي في دنهاخ، ومجلة (القافلة Karavaan) التي ترافقت مع بداية البث التلفزيوني الإسلامي والتي أشرف عليها المسلم الهولندي عبد الواحد فان بومل. كما صدرت مجلة (النساء Al-Nisa) التي تصدرها منظمة النساء التي أسستها المسلمات الهولنديات. وهي مجلة غير مهتمة بالدعوة الإسلامية بل بشؤون المرأة المسلمة في الغرب. كما ذكر الباحث مطبوعات أخرى مثل (الحي Al-Hayy) الصادرة في أوترخت، و(أخبار إتحاد الطلبة المسلمين في هولندا SUN) ومجلة (الفقه Fiqh) التي تصدرها الجامعة الإسلامية في روتردام، ومجلة (التوحيد Al-Tawheed) التي يصدرها مسجد التوحيد في أمستردام، ومجلة (القلم Al-Qalam) التي تصدرها جمعية السلام في روتردام، ومجلة (الوحدة Al-Wahada) التي يصدرها اتحاد المنظمات الإسلامية في ريموند.

تعتبر الطائفة السورينامية من الجاليات القديمة في هولندا نظراً لارتباط بلدهم سياسياً واقتصادياً بهولندا. كما أنهم يتحدثون اللغة الهولندية كلغة ثانية في بلادهم وفيهم نسبة قليلة من المسلمين. ويصدرون عدة مطبوعات إسلامية مثل (صوت الإسلام Voice of Islam) بأربع لغات هي العربية والهولندية والإنكليزية والأوردية. وتصدر مجلة (الحقاني Al-Haqqani) التي تشرف عليها الطريقة النقشبندية الصوفية. كما تصدر مجلة (القبة الخضراء De Groene Koepel) التي يصدرها السورينام من أصل هندي.

وتصدر مجلة (الرسالة العالمية The Message International) التي تصدرها جماعة سورينامية ذات توجهات صوفية باكستانية. وتصدر مجلة (المنهاج Al-Minhaj) التي تشرف عليها جماعة صوفية قادرية. وتصدر مجلة (الصراط المستقيم Siratal Moestaqiem) التي تشرف عليها جمعية نور الإسلام الثقافية الاجتماعية في دنهاخ.

ضمن تصنيفه للمطبوعات الإسلامية الصادرة في هولندا ذكر الباحث بضعة إصدارات منها مجلة (Canlarin Sesi) بالتركية التي تصدرها الجمعيات العلوية التركية في هولندا.

وتحدث الباحث عن نشرة (النخيل) التي وصفها بأنها (نشرة شهرية باللغة العربية تصدرها الجمعية الثقافية العراقية في مدينة دوردريخت. وهذه الجمعية تهتم بقضايا العراقيين الشيعة في هولندا. وتنتمي الجمعية إلى مظلة أكبر هو مجلس الجمعيات العراقية. ويشرف على تحرير (النخيل) السيد عبد الرزاق وهو طالب دكتوراه دراسات إسلامية في جامعة ليدن. وتوزع النخيل على الأعضاء المشتركين في هولندا. كما تصل إلى الجمعيات الإسلامية والمراكز الإعلامية والصحف العراقية في بريطانيا، فرنسا، بلجيكا، ألمانيا، السويد، إسبانيا، أمريكا وكندا، إضافة إلى بعض دول الشرق الأوسط كلبنان وسوريا وإيران. ورغم أن النخيل تخاطب الشيعة لكن يوجد مشتركون من أهل السنة فيها. والنشرة غير مرتبطة بمسجد شيعي عراقي معين. وتعتمد في تمويلها على اشتراكات أعضائها (عشرة خلدة في الشهر) وعلى بعض الإعلانات التي تنشرها أحياناً. وهي لا تستلم أية مساعدات من أية جهة، لا من الحكومة الهولندية ولا من أية مؤسسة أخرى.

وتغطي (النخيل) قضايا وأخبار تخص الإسلام في الغرب، الفتاوى الجديدة، تطور الفكر الإسلامي، وقضايا اللاجئين في هولندا. ولأن اللاجئين لا يستطيعون قراءة الصحف الهولندية فيجدون في النخيل الأخبار والقوانين الجديدة التي تصدرها وزارة العدل. كما تسعى النخيل لتعريف العراقيين بالمجتمع الهولندي. ففي كل عدد هناك صفحة (هولنديات) التي تغطي أخبار ومعلومات عما يدور في المجتمع الهولندي وتاريخ وثقافة وعادات الهولنديين. وقد نشرت سلسلة من عدة حلقات حول كيفية التعامل مع الهولنديين وأعرافهم وقيمهم، وتعامل الهولنديين مع أطفالهم، أصدقائهم وجيرانهم، وعاداتهم في الطعام والعمل. وتغطي النخيل أخبار العراق والمعارضة العراقية وما يجري في الشرق الأوسط).

كما نشر الباحث صورة لأحد أعداد النخيل، وأشار إلى نشرة (المنارة Minaret) التي أصدرتها الجمعية قبل عامين فقال (صدرت نشرة المنارة كملحق يوزع مع النخيل. وهي تصدر باللغة الهولندية وموجهة أساساً للهولنديين الذين اعتنقوا الإسلام. ولديها مشتركون غير مشتركين النخيل في هولندا وبلجيكا. وقد توقفت بسبب عدم وجود وقت كاف لإصدارها).

توجد جالية إسلامية أندونيسية كبيرة في هولندا باعتبارها كانت مستعمرة سابقة لهولندا. وقد صدرت عدة مجلات بالهولندية مثل (الإجتهد) و (إقرأ) و (المسلم الأوربي Euro moslem) و (بنا دعوة Bina Da'wah).

المطبوعات العربية

صدرت عدة مطبوعات عربية قومية وعلمانية وأقدمها مجلة (المؤنس) المغربية التي صدرت بين عامي ١٩٨٤ و ١٩٨٧. وصدرت مجلة (البستان) الموجهة للأطفال في نفس الفترة. وصدرت صحيفة (الأفق الأخضر) عام ١٩٩٢ ثم توقفت بعد أربعة أعداد. وتصدر صحيفة (روتريام بوست) بالعربية وهي النسخة العربية لصحيفة بلدية روتردام. وصدر عام ١٩٩٠ (صحيفة العماد) وتوقفت بعد أربعة أعداد. وصدرت صحيفة (أخبار هولندا) عام ١٩٨٧ وصحيفة (رؤية عربية Arabische Visie) عن مقر الجامعة العربية في دنهاخ وهي باللغة الهولندية. أما الصحف العربية الإسلامية فهي (الميزان) المغربية، و(الجسر) التي صدرت عام ١٩٩٧، وكان رئيس تحريرها الصحفي خالد شوكات الذي توقف بعد العدد الثالث. ثم قام بإصدار نشرة (المصير) منذ العام الماضي في روتردام.

المطبوعات التركية

وتصدر عدة مطبوعات تركية باللغتين التركية والهولندية مثل (Ilke) و (Cocuk) و (Turkije) و (Krant) و (Habar) و (Sozhakki) و (Ekin) و (Tasa) و (Ikibinbir) وهي نشرات علمانية. أما المطبوعات التركية الإسلامية فهي (Mesaj) لسان حال شباب حركة ملي غورش، ونشرة (المسلم) التي يصدرها شباب الحركة في آرnhem. وتصدر مجلة (Platform) وهي أوسع مجلة إسلامية في هولندا حيث يطبع منها عشرون ألف نسخة. وصدرت مجلة (Arayis ve Islam) بين عامي ١٩٨٧ و ١٩٩٣. وصدرت مجلة (Akademi) عام ١٩٩٩.

«حطام ثمان سنوات من حكم الائتلاف البنفسجي»

في حى الانتخابات البلدية والبرلمانية التي تشهدها هولندا حالياً صدر كتاب مرشح اليمين العنصري بييم فورتاون Pim Fortuyn بعنوان (حطام ثمان سنوات من حكم الائتلاف البنفسجي).

خلفية تاريخية سياسية

إن مصطلح البنفسجي هو ترجمة لكلمة Paars الهولندية. وهو مصطلح بدأ تداوله عام ١٩٩٤ ليقصد به الائتلاف الحكومي الذي ضم حزب العمل PvdA الذي يتخذ اللون الأحمر شعاراً له، والحزب اليميني VVD الذي يتخذ اللون الأزرق شعاراً له. فخلط اللونين الأحمر والأزرق يعطي اللون البنفسجي.

وكان الائتلاف الحكومي قد شكل أول حكومة عام ١٩٩٤ وكانت تضم هذين الحزبين إضافة إلى مشاركة حزب D66 الديمقراطي الذي تولى زعيمه (فان ميرلو) وزارة الخارجية. لكن خسارته في انتخابات عام ١٩٩٨ جعلته يفقد الكثير من مقاعده ونفوذه، مما جعل مشاركته في الحكومة تضعف. واستلم (فيم كوك) رئاسة الوزراء منذ عام ١٩٩٤ ولحد الآن. وكان قبل ذلك وزيراً للمالية في حكومة الائتلاف بين حزبي العمل والحزب الديمقراطي المسيحي الذي ينتمي إليه رئيس الوزراء الأسبق (رود ليبرس) الذي صار المفوض السامي للجانين في الأمم المتحدة.

كتاب فورتاون

طبع من هذا الكتاب ١٠ آلاف نسخة في الطبعة الأولى والتي سرعان ما نفدت، استتبعها طبعة ثانية. فإذا كان سعر النسخة ١٦ يورو فمعنى ذلك أن فورتاون سيحني على الأقل ١٦٠ ألف يورو يضيفها إلى ثروته الكبيرة. فالمعروف أن فورتاون رجل ثري يملك قصرًا وسيارة فاخرة مع سائق، ويرتدي اغلى الملابس، مع أنه ليس بوزير أو صاحب شركة. كما يتقاضى خمسة آلاف يورو عن كل محاضرة يلقيها في اجتماع أو مؤسسة.

يعتبر كتاب فورتاون ظاهرة جديدة في الساحة السياسية الهولندية، ففي أمريكا يعتبر تأليف كتاب يتضمن برنامجاً سياسياً أمر عادي. أما في هولندا فقد اعتادت الأحزاب السياسية على

طرح برنامج محدد النقاط والمقترحات والمطالب يضمن خطة الحزب في كافة القضايا المتعلقة بالمجتمع والدولة وكيفية توفير مصادر تمويل المشاريع والتعديلات المقترحة كي يمكن الوثوق بها من قبل الناخب الهولندي. أما كتاب فورتاون فيمثل أفكاراً وتصورات في مختلف القضايا مع تقييم ونقد لسياسات الحكومة الحالية، مترافقاً مع إحصائيات وبيانات رسمية تعزز رأيه وتدعم وجهة نظره.

وقد لقي الكتاب اهتماماً كبيراً في الأوساط السياسية والحكومية والبرلمانية والصحفية والاعلامية، حتى أن جميع الوزراء وأعضاء البرلمان والمهتمين بالشؤون السياسية قد اطلعوا عليه وناقشوا أفكاره وطرحوا رأيهم فيه. فقد وصفته صحيفة (تراو) بأن (يمثل وصفاً جديلاً للإئتلاف البنفسجي، يعتمد على الخبرة الشخصية التي يدركها كل شخص. وأن فورتاون قد ركز تحليله القاسي على حزب العمل الذي كان منضماً إليه لسنوات). وأضافت: (يفتقد برنامج فورتاون لقضية التمويل أي لم يتحدث عن مصادر الحصول على الأموال لتنفيذ برنامجه المقترح).

وهذه نقطة ضعف فورتاون الذي يوحى بعدم كفاءته لتولي السلطة وأنه يبني قصوراً في الهواء لأن الناخب الواعي يريد أن يعرف جدية المرشح ومدى إمكانية تحقيقه لوعوده. إن فورتاون يستخدم العبارات البلاغية بذكاء دون أن يكون لما يتحدث عنه أرضية حقيقية أو يمكن تنفيذها على أرض الواقع.

ووصف رئيس الوزراء (فيم كوك) الكتاب بأنه يصنع من الحكومة كاريكاتوراً، معبراً بذلك عن المبالغة المفرطة التي تحدث بها فورتاون مغمضاً عينيه عن جميع إنجازات هذه الحكومة. وقال كوك (إن أفكار فورتاون الاجتماعية سيئة جداً كما تمثل كارثة للإقتصاد لو حاول تنفيذها لأن العجز الحكومي سيستمر). وكان (كوك) يتحدث لصحيفة (دي فولكس كرانت) حيث ركز على قضايا المال والاقتصاد فتحدث كرجل دولة مسؤول وكخبير في الشؤون الاقتصادية ليتم تعرية أفكار فورتاون من أية مصداقية، فأضاف (لقد حققت هولندا رفاهاً اقتصادياً واجتماعياً عالياً، لكن فورتاون يريد تدمير كل ذلك. إن الوضع الحالي للإقتصاد الهولندي لا يتحمل إجراء تجارب عليه). واعترف كوك بأن (فورتاون قد عزف على الوتر الحساس في المجتمع ولم يوضح ما هو] ولكن المجتمع ليس بتلك البساطة التي يتصورها وأنه سيصدق المبالغات التي يقوم بها فورتاون الذي يعتبر إنجازات الحكومة مجرد حطام يتصاعد منه الدخان).

يتألف الكتاب من تسعة فصول توزعت على شؤون (السياسة العامة، الصحة، التعليم، الأمن، الخدمات، الزراعة، الإدارة العامة، سياسة الأجانب، السياسة الخارجية والدفاع).

فيما يتعلق بالصحة انتقد فورتاون التغييرات الكثيرة في أنظمة ومقررات الشؤون الصحية والتأمين الصحي. كما ركز على النقص المتنامي لعدد العاملين في الحقل الطبي والعناية الصحية للمعجزة وكبار السن في منازل، وكذلك العجز في عدد الأطباء وأطباء الأسنان، وارتفاع مدة المنتظرين على قائمة العمليات الجراحية.

وحول التعليم، خاطب فورتاون الشخص الهولندي العادي حين تحدث عن ذكرياته الشخصية في المدرسة الابتدائية ثم الثانوية وعزل البنات عن البنين في مدارس منفصلة. وطالب بأن لا يزيد عدد تلاميذ المدرسة عن ٦٠٠ طالب، وإلى إيقاف التجارب التربوية والتعليمية الجديدة مثل (التكوين الأساسي) و (بيت الدراسة)، وإلى معاقبة المدارس التي ترسل طلابها إلى منازلهم بسبب مرض المعلم.

وفيما يخص الأمن والعدل أشار فورتاون إلى النقص في عدد القضاة. وقدم إحصائيات عن معدلات الجريمة في هولندا والتي ارتفعت من مليون و ٢٢٠ ألف جريمة عام ١٩٩٥ إلى مليون و ٢٨٤ ألف عام ١٩٩٩. أما الجنح فقد ارتفعت من ٨٩٢ ألف إلى مليون و ١٧١ ألف جنحة لنفس الفترة. وبلغت نسبة الجرائم التي ارتكبتها الأجانب ٥٤٪ عام ١٩٩٥ و ٥٨٪ عام ١٩٩٩.

أما السياسة الخارجية فقد اقترح فورتاون تأسيس (فيدرالية إسرائيلية فلسطينية) ذات نظام فيدرالي يتألف من قسمين يهودي وفلسطيني، ولكل منهما برلمانه وحكومته الإقليمية. واعتبر (دولة إسرائيل إرث مباشر للصفحة السوداء من تاريخ أوروبا الغربية، صفحة الهولوكوست التي راح ضحيتها ٦ ملايين يهودي). ودعا إلى (حماية إسرائيل من التدمير لأن إسرائيل تمثل الصراع بين التحديث والإسلام). وهي مغالطة واضحة للوبي اليهودي من أجل عدم مواجهة فورتاون على الأقل في هذه المرحلة التي يصب جام غضبه على المسلمين وحدهم.

وفيما يتعلق بالدفاع دعا فورتاون إلى إلغاء القوة البرية والقوية الجوية والاكتفاء بالقوة البحرية الهولندية. وهي مقترحات تفتقد للجدية.

وهو أهم الفصول باعتبار أن قضية الأجانب صارت محور البرامج الانتخابية في أغلب الدول الأوروبية، إضافة إلى فورتاون نفسه اشتهر من خلال تصريحاته المناوئة للأجانب وهجماته المستمرة على الإسلام والمسلمين الذين يشكلون نسبة كبيرة من الأجانب. في البداية يشير فورتاون إلى كتابيه السابقين اللذين ينتقد فيهما الإسلام والثقافة الإسلامية. فهو يعتبر الإسلام بعيداً عن القيم الغربية التي يعرفها بأنها العالم الرأسمالي المتطور، البرلماني-الديمقراطي، مع اهتمام قوي بحقوق الإنسان العالمية. ويشير فورتاون إلى أن مصادر الثقافة الغربية ثلاثة هي: اليهودية والمسيحية والتنوير الانساني، Humanism ثم يستنتج أن هذه القيم والتقاليد هي بالصد من ثقافة الإسلام. ولا توجد دولة إسلامية في العالم تحترم تقاليدنا وقيمنا الغربية. وفي هذا الصدد يصر فورتاون في مواضع كثيرة من كتابه على أن الحداثة والتحديث هي من سمات الثقافة الغربية فقط ملغياً بذلك أي اعتبار للحضارات والثقافات غير الأوروبية.

ويدي فورتاون تبرمه بأن هناك القليل عن إسلام ليرالي وعلماي (؟؟) الذي يقتصر على دائرة الكتاب والمثقفين، بينما هناك الكثير عن الإسلام الأصولي المؤثر، والذي يدعى أيضاً بالإسلام السياسي. ويربط فورتاون الصحة الإسلامية وانتشار الإسلام السياسي بنجاح آية الله الخميني في الاطاحة بنظام الشاه في إيران. ويقر فورتاون أنه من حق الإسلام أن تحكم ثقافته في العالم الإسلامي، ولكن من يأتينا من المسلمين فعليه أن يتكيف مع ثقافتنا؛ ليس مع كل قيمنا وتقاليدنا ولكن يتكيف على الأقل مع القيم الأساسية والجوهرية في الحياة الغربية. ويعلن فورتاون (وفي هذه نحن أصوليون أيضاً. وسندافع بأيدي مسلحة ضد كل ما يهددنا ويهدد ثقافتنا).

Moderniteit

يستمر فورتاون بتوجيه انتقاداته نحو الإسلام بشكل يخلط فيه بين المسلمين وثقافة المسلمين والعقيدة الإسلامية بصورة يبدو فيها ضعف معلوماته عن الإسلام. ففي الوقت الذي يردد بعض المفاهيم التي يعتبرها إسلامية تراه يتعامل مع مكونات ثقافية لمسلمين. فالخلط بين العقيدة الإسلامية وبين الثقافات المحلية للمسلمين أمر سائد بين الكتاب والصحفيين الغربيين، مما يشير إلى قلة اطلاعهم على الإسلام كدين وعقائد وتاريخ

يقول فورتاون (المسلمون يعانون الفقر والتخلف الاقتصادي والتكنولوجي والثقافي والعلمي. ويلومون الغرب على ذلك، ويتهموننا باستغلالهم. وقد يكون ذلك صحيحاً الآن

أو فيما بعد ولكن يتم كل ذلك بالتعاون مع النخب المسلمة الاقتصادية والادارية والسياسية والاجتماعية). ولا يجانب فورتاون الواقع عندما يضع إصبعه على الجرح وهو أن ما يعاني منه العالم الإسلامي يعود أولاً للحكام، فيقول (في المقدمة يجري استغلال الشعب من قبل النخب الحاكمة في البلدان الإسلامية، وحتى في فلسطين البائسة، حيث يحكمها عرفات ونخبته، يحكمون البلدان بحق التسلط بلا ديمقراطية ولا دولة قانون).

وينطلق فورتاون من منطلق الغرور التام بقوله (إن التحديث يسير في مساره الاقتصادي دون مساهمة من العالم الإسلامي. نحن لسنا بحاجة إليهم، بل على العكس). وهذا القول فيه مغالطات لأن النفط الذي تسير به العجلة الاقتصادية الغربية قادم أكثره من العالم الإسلامي ومن منطقة الشرق الأوسط على الخصوص. ويهدف تأكيد عدم حاجة الغرب للعالم الإسلامي كما يزعم، يطالب فورتاون (إجلاء القوات الأمريكية من السعودية، والتي وجودها هناك يمثل خطأً استراتيجياً ارتكبه عائلة بوش). ويضيف دون مسؤولية (نحن نتصرف في بلدانهم كضيوف، ولا نريد الاستيلاء على بيوتهم. كذلك الأمر يسري عليهم عندما يأتون إلى بلداننا).

المسؤولية الفردية والجماعية

- 1- الحدائثة تتطلب، بشكل مركزي، مسؤولية فردية تكون فوق المسؤولية الجماعية كالعائلة والقبيلة والعشيرة، وحتى في القضايا المعنوية كالدولة القومية.
 - 2- الحدائثة تتطلب الفصل التام بين الدين والدولة، وحتى في البلدان التي تهيمن عليها ديانات معينة، أي تشمل الكنيسة الكاثوليكية في ايطاليا واسبانيا والبرتغال.
 - من هذا الفصل الهام تنبثق الديمقراطية وحرية التعبير وحرية الصحافة والنمو الرأسمالي وحقوق الانسان، او بصورة أشمل الحماية القانونية للمواطن ضد الحضور المفرط للدولة، وذلك من خلال وجود قوة قضائية مستقلة حتى عن مؤسسات الدولة. الحدائثة تقبل بالمساواة بين الجنسين ومعاملتهم حسب المبدأ القانوني: (رهبان متساوون، ذبح متساوي)، أي دون اعتبار للأشخاص أو دون النظر إلى الوضع الاجتماعي أو الديني أو الاقتصادي.
 - 3- توفير حماية قانونية للأطفال تجاه الكبار.
 - 4- حقوق الإنسان مبدأ سامي يشمل كل البشر في العالم.
- ثم يواصل فورتاون هجومه على الإسلام ليستنتج (لا حاجة للقول أن الدول والثقافات التي يهيمن الإسلام عليها تبدو مختلفة إلى حد ما عما ذكرناه من شروط).

ولا ينسى فورتاون أن يوجه سهامه للعرب حين يعتبرهم المسؤولين عن تجارة العبيد (وأنهم يتحملون ذنباً كبيراً لما قام به أجدادهم في الماضي، وعليهم أن يدفعوا تعويضات مالية عنها). وهذا الاتهام يأتي كإسقاط وردّ على الاتهامات الموجهة لأمريكا وأوروبا لدورها الوحشي في تجارة العبيد، والتي طرحت في مؤتمر العنصرية في ديربان ٢٠٠١ في جنوب أفريقيا، حيث طالبت منظمات عالمية وإنسانية باعتراف غربي بهذه الجريمة وتقديم تعويض مالي للدول الأفريقية.

لكن فورتاون يردد ما حاولت بعض الأصوات المشبوهة ترديده وتوجيه الاتهام للعرب وحدهم في مسؤولية تجارة العبيد، ثم المطالبة بتعويضات مالية من مدخولات النفط العربي. ومع ذلك يعترف فورتاون بمسؤولية الغرب إلى حد حيث يقول (لقد قام العرب بجلب العبيد من أعماق أفريقيا إلى السواحل ثم قمنا نحن البيض، السائرون نحو الحدائق، بإكمال المهمة. إنه الفصل الوحشي من لتاريخ، ليس فقط من تاريخنا، ولكن أيضاً للأفارقة - مجرمين وضحايا - وكذلك العرب).

وهكذا يخلط فورتاون الأوراق كلها ويساوي بين المجرمين والضحايا، فتراه يستكثر الاعتراف بهذه الجريمة التي ذهب ضحيتها ملايين الأفارقة السود أثناء نقلهم إلى أمريكا. كما يتنصل من أية مسؤولية سواء أخلاقية أو مالية فيقول (لا داعي لأن نشعر بالذنب، ولا داعي مطلقاً لتقديم أية تعويضات مالية من قبلنا).

ثم يستهزئ بالذين يطالبون بذلك فيقول (والذين يدعون بأنهم ما زالوا يعانون من الماضي، من آثار عبودية أجدادهم البعيدين، عليهم زيارة طبيب أعصاب وليس الجلوس على طاولة المفاوضات حول التعويضات المالية).

ولما كان فورتاون يدرك جيداً أن الغرب قد قام بسابقة من هذا النوع حين اعترف بجريمة إبادة اليهود ثم تعويضهم بمليارات الدولارات سواء لدولة إسرائيل أو إلى أسلافهم. فقد دفعت هولندا في العام الماضي أكثر من نصف مليار خلفة لذوي الضحايا اليهود في الحرب العالمية الثانية. كما دفعت دول أخرى كالألمانيا والنمسا. ولذلك يعترف فورتاون بقوله (لقد ارتكب خطأ بالخضوع للوبي اليهودي، عندما تم دفع تعويضات مالية لقاء الأضرار والسرقات إلى ذرياتهم وأقاربهم. لقد كان تعويضاً عاماً قدّم للمنظمات اليهودية التي قامت بأموالنا بالعمل بها ترتيته. وهذا الأمر قد حدث مرة واحدة ولن يتكرر أبداً).

في تحليله لما يسميه الصراع بين الإسلام والحداثة يقدم فورتاون مقارنة غير موفقة حيث يقوم بتسطيح الأحداث والوقائع ليصل إلى نتيجة مسبقة، حيث يقول (بعد ١١ أيلول توضح الخط الفاصل بين الإسلام والحداثة سواء بين البلدان أو بين الإسلام والتحديث في البلدان التي يهيمن عليها الإسلام. في كل العالم الإسلامي رفعت المعاصرة رأسها محاولة التقدم في مسيرة الانتصار، كما يحاول الإسلام ذلك في محيطنا الثقافي. وهذا أكبر تهديد للإسلام بين البلدان أو داخل البلدان نفسها. وفي الحالة الأخيرة يتهدد خطر الحرب الأهلية. ويهدد هذا الخطر بسهولة بعض البلدان التي يمكن تسمية بعضها من التي دخلت فعلاً في هذه الحرب مثل أندونيسيا، الشيشان، البلقان، الجزائر، السودان، الصومال، مصر وربما تركيا). وفي ذلك خلط متعمد وقسم غير متعمد يشير إلى الجهل بتفاصيل أوضاع هذه البلدان. فحرب الشيشان ليست بين الإسلام والحداثة بين شعب مسلم يطالب بحقوقه ودولة محتلة تتفاوت معه ثقافياً ودينياً وسياسياً. وفي السودان صراع سياسي فلا يمكن اعتبار قبائل جنوب السودان الوثنية وقسم ضئيل منها مسيحي، بأنها تمثل التحديث الذي يتحدث عنه فورتاون. وأما حرب البلقان فهي حرب إبادة عنصرية وتطهير عرقي ضد المسلمين قلم به الصرب. فهل يعتبر فورتاون الصرب رمزاً للحداثة والقيم الغربية ومنها حقوق الانسان التي طالما يكررها؟

وفي محاولة منه لزرع الألغام في الذهنية الأوربية تجاه كل ما هو إسلامي يطلق فورتاون تحذيرات إلى الغرب فيقول (وقد تقوم حرب أهلية في أوروبا الغربية كنتيجة للتناقضات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية) لكنه لم يسميها: حرب الغرب على الأقليات المسلمة المقيمة في أوروبا. لكن فورتاون يستدرك هذه الصيحات الخبيثة فيقول (لا أريد زرع الخوف والكرهية تجاه الأجانب، بالعكس تماماً!! ولكنني أريد أن أحذر. وإذ لم يدركنا الوقت بعد فيمكن استثمار الوقت بصورة جيدة).

الوضع الثقافي للمسلمين

في هذه الفقرة يخلط فورتاون بين عدة قضايا وهي اللاجئين والأجانب. في الوقت الذي يشن هجوماً شديداً على المسلمين (المغاربة والأتراك) وهم ليسوا من اللاجئين تراه يتجنب الحديث عن الأجانب الأوربيين الذين يبلغ عددهم مليون و٣٨٦ ألف أجنبي غربي أي ٨,٧٪ من مجموع السكان، في حين يركز حديثه على الأجانب من غير الغربيين والذين يشكلون نسبة مقارنة أيضاً.

بيدي فورتاون استياءه من تركز الأجانب في المدن وأسفه على مغادرة الهولنديين من ذوي الطبقة المتوسطة وسط المدينة إلى ضواحيها هرباً من الأجانب. ويضرب مثلاً حين يشبه روتردام بتحولها إلى أسطنبول صغيرة أثناء مباراة لكرة القدم. كما لا يتوانى من إثارة مشاعر الهولنديين حين يقول (أشعر أحياناً وكأن المدينة محتلة من قبل الأجانب. كما أن سلوكهم يشير بوضوح إلى أن طريق الاندماج ما زالت طويلة). كما يسعى فورتاون لزرع الكراهية ضد المسلمين حين يصورهم بمظهر المحموم على (الاستفادة من بلد يقدم أجل التسهيلات) في الوقت الذي يزدرون ثقافته وقيمه إذ أنهم ما زالوا يحافظون على ثقافتهم الأصلية وتقاليدهم من خلال التمسك بـ (الجنسية المزدوجة، أطباق الفضائيات، مناهج حكومية من بلدانهم، إجازات طويلة في بلدانهم، شراء منازل في بلدانهم وليس في هولندا. وأن المغاربة والأتراك لا يشعرون أنهم هولنديون وحتى الجيل الثالث).

كما يظهر فورتاون عدم ارتياحه من زواج الشباب المسلم بفتيات من بلدانهم الأصلية حين يذكر أن ٧٥٪ منهم يتزوجون من (فتيات قادمات من قرية متخلفة من المغرب او تركيا) على حد تعبيره الخالي من التهذيب. ويطرح تفسيرات بائسة بعيدة الواقع تحاول إظهار الشباب المسلم بأنه يرغب بمثل هذه الفتيات (لأنهم يفضلون امرأة أقل تطوراً تعرف على الأقل حقها الوحيد في الطبخ وغسل الأطباق). وينسى فورتاون ان غسل الأطباق واجب سائد يقوم به الرجل الهولندي بعد عودته من العمل. فلماذا يعيبه على غيره؟ ويستمر فورتاون في تصعيد هجومه على الشباب المسلم فيطالب بالتدخل الحكومي لمعالجة هذا الأمر حين يقول (إنها فضيحة كبيرة أن نتوانى في معالجة هؤلاء الشباب وموقفهم المرفوض تجاه وضعية المرأة، فعليهم أن يقرؤا بخطبتهم ليس بالكلمات بل بالأفعال). فهو يشجع على ممارسة كل الأساليب حتى التي تتعارض مع حقوق الانسان التي يدعي أنه يرفع شعارها ويطالب بتطبيقها. ترى أليس من حق الفرد اختيار شريك حياته وبمحض إرادته والمواصفات التي تنسجم مع تقاليده وعاداته وقيمه وثقافته؟ هل يمكن إجبار أي فرد هولندي على الزواج من شريك لا يريده؟ إن هذا الأستاذ الجامعي، فورتاون، كثيراً ما يتناقض مع نفسه وشعاراته ومبادئه. كما أنه يشط كثيراً عن اللياقات والمنطق والعقل في سبيل توجيه أكبر قدر من الاتهامات للمسلمين والإسلام.

٢٩٢

يستعين فورتاون ببيانات واحصائيات عن أعداد اللاجئين حيث بلغ عددهم عام ٢٠٠٠ حوالي ٤١ ألف لاجئ. وفي هذا الصدد يدعو إلى تقليص عدد مراكز استقبال اللاجئين وطردهم الذين يتم

رفض طلباتهم فوراً. ويذكر فورتاون دون أن يذكر مصدراً أن ٨٠٪ من اللاجئين يأتون لأسباب اقتصادية وأن ١٠٪ فقط يخافون على حياتهم في بلدانهم ولذلك هربوا منها.

ويحاول التشكيك بأهداف ونوايا اللاجئين حين يسأل القارئ: لو كنت لاجئاً حقيقياً فمن الطبيعي أن تكون سعيداً جداً إذا ما وجدت لك ملجأً في المنطقة التي يوجد فيها بلدك، وتحصل على خيمة وطعام من رود ليبرس المفوض السامي لشؤون اللاجئين في الأمم المتحدة). ومن أجل عدم التعاطف مع اللاجئين يشجع فورتاون النزعات الشريرة في النفس عندما يوحى للهلوندي بأن هؤلاء جاءوا يستغلون طبيعتك ورحمتك والتزامك بالمواثيق الدولية ويريدون الاستفادة من أموال الضرائب التي تدفعها للدولة، ليستنتج (إذن هناك من يريد استغلال الالتزامات الهولندية بصدد اللاجئين ليحل مشكلته الاقتصادية ويتمتع بأرض العسل والحليب. فتحت غطاء «اللاجئين» يحصل على تسهيلات وخدمات). ثم يضيف متسائلاً: (هل يختلف إذن مصطلح «اللاجئ الاقتصادي» عن «الباحث عن السعادة» أو «المغامر»؟)

ويسعى فورتاون لانتزاع أي شعور بالشفقة أو الرحمة تجاه اللاجئين حين يصورهم بمظهر الطامعين المتكالبين على المعيشة في هولندا، ويدعو إلى مناقشة جادة (!!) فيقول بصراحة (يجب أن نتخلص كلياً من مرض الشفقة عند مناقشة سياسة اللجوء. هذا المرض الذي ما زال مسيطراً على نقاشاتنا. يجب أن نتحدث عن الحقائق. وعلى ضوءها نستخلص استنتاجاتنا من خلال مناقشة جوهرية بلا أخلاقيات الكنيسة اليسارية). ويحاول إثارة فزع الهولندي حينما يذكر له (أن كل لاجئ يتم قبوله يعني أن نضرب هذا العدد في ثلاثة لأن هناك مقررات جمع شمل العائلة والتي تسري حتى الجيل الثالث الذين يلتحقون بعائلاتهم أيضاً)

هل هناك حلول واقعية لللاجئين؟

يقدم فورتاون مجموعة من المقترحات فيما يتعلق بالأجانب في هولندا توضح رؤيته العنصرية واستخدام الأساليب الصارمة تجاه المسلمين فقط. كما تتضمن تناقضات كبيرة فيما بينها:

١- إذا أردت تخفيف الأرضية فيجب إغلاق حنفية الماء أولاً، أي إغلاق منافذ قدوم الأجانب إلى هولندا.

٢- إقامة مراكز للاجئين في مناطقهم أي في بلدانهم الأصلية أو المجاورة. ولن تستقبل هولندا مستقبلاً سوى اللاجئين الفرنسيين والانكليزيين والألمان والدانماركيين؟! أي في حالة حدوث أحداث فظيعة هناك تستوجب هربهم.

٣- المساهمة المالية المعقولة من قبل هولندا لدعم خطط المفوضية العليا للاجئين التابعة للأمم المتحدة، من أجل تهيئة معسكرات لاجئين جيدة في مناطق الأزمات.

- ٤- انسحاب هولندا من معاهدة (شينغن) وإعادة حرس الحدود للتفتيش والسيطرة على الحدود. وفي مطار سخيبول يجري إعادة كل من لا يحمل وثائق سفر أو أوراقاً مزورة على نفس الطائرة التي قدم بها. وعدم تغريم شركة الطيران بل تتحمل كلفة إعادة مثل هؤلاء الركاب.
- ٥- إجراء فحص بالأشعة لجميع الشاحنات والحاويات القادمة عبر بلجيكا وألمانيا إلى الموانئ والمطارات الهولندية.
- ٦- يعاد النظر بشكل جوهري بسياسة جمع الشمل العائلي بشكل يجعل من المستحيل على الشباب المغربي والتركي استقدام زوجات من بلدانهم. وأن يجري تعريف العائلة وفق المعنى الغربي المحدود: رجل وامرأة وأطفال.
- ٧- يعاد النظر في اتفاقية اللاجئين للأمم المتحدة عام ١٩٥١. وإذا لم يكن ذلك ممكناً ف يتم إلغاء عضوية هولندا فيه. وإذا لم يكن ذلك ممكناً أيضاً فعلى الأقل لا يتم العمل بها.
- ٨- ممارسة سياسة اندماج صارمة والتركيز على الأحياء المتخلفة. وكل شخص يستلم راتباً من الشؤون الاجتماعية عليه أن يتحدث الهولندية بمستوى متوسط. وإذا لم يتمكن من ذلك يجب عليه الذهاب إلى مدرسة لغة مهما كانت المدة التي قضاها في هولندا طويلة.
- ٩- تنفيذ سياسة مساواة للنساء في الحياء المتخلفة. ويجب التخلص من تلك الأفكار الإسلامية المتخلفة فيما يتعلق بوضعية المرأة.
- ١٠- تنفيذ عقوبات صارمة تجاه من يتخلف عن سياسة الاندماج. فعدم المشاركة فيها أو المشاركة غير الكافية يستوجب قطع جزء من راتب البطالة مباشرة.
- ١١- الوقوف بوجه الفصل العنصري المتنامي، من خلال إعادة قسم من ذوي الطبقة المتوسطة (من الهولنديين) إلى وسط المدن عبر توفير مساكن جذابة وتسهيلات متنوعة، وإعادة تقسيم الأحياء المتخلفة على شكل مجموعات معينة حسب بلد القدوم والوضعية الاجتماعية المتقاربة.
- ١٢- التخلص من المدارس السوداء [التي تضم غالبية من الأجانب] من خلال سياسة خلط المجموعات الاجتماعية حسب بلد القدوم والوضعية الاجتماعية.
- ١٣- التقليل الفوري لعدد مراكز استقبال اللاجئين بشكل لا تتسع فيه لأكثر من عشرة آلاف لاجئ.
- ١٤- إخراج اللاجئين المرفوضة طلباتهم إلى بلدانهم بسرعة.

**الثقافة الإسلامية منغلقة وغير مرنة، ويجب علينا فتحها!
يتتابني شعور بالكراهية عند رؤية مسلمة محجبة!
لا مكان في هولندا للذين لا يساهمون في التطور الاقتصادي والاجتماعي!
الحزب العنصري يعرض عليه مقعداً في البرلمان!**

بين حين وآخر تطفو إلى سطح الساحة الثقافية في هولندا، ظاهرة معادية للإسلام، موقف، كتاب، قرار، تتمحور حول العداء للإسلام والمسلمين المهاجرين. ومع أن المواطن الغربي العادي لا يبدي إهتماماً تجاه الإسلام أو المهاجرين، لكن هناك من يحاول استعداءه ضد الإسلام. هذه المرة يأتي الحقد العنصري من وسط أكاديمي، تفترض فيه المنهجية العلمية والالتزام بالمواثيق الدولية واحترام حقوق الإنسان ونبذ التمييز العنصري على أسس دينية أو عرقية.

فقد أصدر د. فورتاون Pim Fortuyn كتاباً يصب في التيار العنصري بعنوان (ضد أسلمة ثقافتنا) Tegen de Islamisering van onze Cultuur. والمؤلف يوصف بأنه عالم اجتماع ومستشار ورئيس سابق لصندوق طلبة الجامعة وصاحب عمود صحفي، وفوق ذلك فهو شاذ جنسياً. هدف الكتاب كما يقول هو (فتح الباب للحديث حول مستقبل المجتمع المتعدد الثقافات). الجدير بالذكر أن جميع الأحزاب والسياسيين الهولنديين يؤيدون المجتمع المتعدد الثقافات، عدا زعيم حزب VVD السيد بولكستين الذي يزعم أن الإسلام يشكل خطراً على هولندا، على الرغم من أن نسبة المسلمين لا تتجاوز ٣٪ فقط. وبينما يتميز بولكستين بسياسة دفاعية ويمينية محافظة، إلا أن فورتاون يهدف إثارة وشحن الحقد العنصري ضد المسلمين، وخاصة بين الطبقات الدنيا من المجتمع الهولندي الذين يستميلهم التيار العنصري وحزب CD العنصري بزعامة السيد يانهاث.

ويدافع فورتاون عن التيار العنصري المتطرف و(يدعو إلى عدم اتهامهم، بل يجب الإنصات إليهم وتفهم أفكارهم ونواياهم) متناسياً الجرائم والأعمال العدائية التي يرتكبها أفراد هذا

التيار ضد الأجانب ومنازلهم ومحلاتهم. ولغرض مواجهة التيار الإسلامي يدعو فورتاون إلى (تقوية العلاقات بالدول الإسلامية من أجل الوقوف معاً ضد التيار الأصولي)، وكأن الدول الإسلامية لم تقف حتى الآن ضد الإسلاميين ولا تطاردهم أو تزج بهم في السجون، وتمنعهم من تشكيل أحزاب سياسية قانونية أسوة بالتيارات الأخرى. ويدعو المؤلف إلى (جذب هذه الدول ودمجها في النظام الرأسمالي واقتصاد السوق)، وربطها بالغرب أكثر مما هي عليه! وهذا ما يمثل سطحية فكرية في تناول القضايا السياسية والاقتصادية، وسذاجة لا يحسد عليها أي أكاديمي. ويضرب مثلاً بسياسة ريغان تجاه الإتحاد السوفيتي، هذا إذا صح استنتاجه بأنها هي السبب وراء انهيار الإتحاد السوفيتي. وأنه قد استخدم استراتيجية ذات جانبين، الأول: استعراض للقوة وتصعيد سباق التسلح والمنافسة الاقتصادية والعسكرية، والثاني: يتمثل في إقحام الجانب الثقافي والمعنوي في الصراع، حيث كان ريغان يصف الروس بأنها (مملكة الشيطان).

إن اللجوء للقوة هو محور قوي ومظهر واضح من مظاهر التيار العنصري في الغرب. ولذلك نجد أن فورتاون لا ينجل من اللجوء لهذا الحل. وبدلاً من الحوار والنقاش والتفاهم والتسامح يطرح فورتاون ثلاثة شروط يفترض قبولها من قبل المسلمين:

١- الفصل بين الدين والدولة، وهذا الشرط غير واضح المعالم إذ يطرحه العلمانيون والمتغربون في البلدان الإسلامية كوسيلة لتفادي تأسيس الدولة الدينية، ولكن لا يبقى معنى لطرحة في دولة غربية، فالمهاجرون المسلمون لا يطمحون إلى إنشاء دولة إسلامية في هولندا، ولو بعد قرن.

٢- المساواة بين الرجال والنساء والشاذين جنسياً، وهذا ما يحاول به فورتاون التنفيس عن عقده وممارسته الشذوذ الجنسي وعدائه للإسلام الذي يحرم هذا الفعل الشنيع الذي ترفضه حتى الحيوانات. ودعوته هذه تخالف المواثيق الدولية والدستور الهولندي الذي يحترم حريات الآخرين وعقائدهم وأفكارهم دون تدخل.

٣- تغيير تركيب الأسرة المسلمة وسلب سلطة الوالدين، والمساواة بين الآباء والأبناء في الحقوق والواجبات. وهذه الدعوة تبدو بعيدة حتى عن الواقع الغربي، ومرفوضة من قبل كل الديانات والشرائع.

ويدي فورتاون إهتماماً خاصاً بالشرطين الأخيرين لأسباب تعود إلى علاقاته غير الطبيعية مع والديه وأسرته. وهو هنا يخلط التجارب الشخصية بالسياسة والفكر والثقافة. إنه يحاول فرض نفسه على المسلمين، فما يراه هذا الشاذ جيداً يخيل إليه أن المسلمين سيرونه كذلك. وهذا تفكير

إستعلائي يستخف بالآخرين، وسلوك متعطرس ينفي الآخرين وتجاربههم وثقافتهم وهويتهم. فمن هو حتى يتبادر إليه مثل هذا الشعور والموقف المتعجرف؟

وييدي فورتاون عداءً غير مبرر تجاه الحجاب الإسلامي، متناسياً الحرية الشخصية التي يجب أن يتمتع بها الآخرون في سلوكهم ولباسهم، فتراه يقول (إن غطاء الرأس يبعث في نفسه شعوراً بالكراهية تجاه المرأة المسلمة). فماذا يريد هذا المنحرف؟ هل يريد تجريد المرأة المسلمة من عفتها وكرامتها؟ أم يثيره هذا التمسك بأحكام الإسلام، والالتزام المحكم بالشريعة الإسلامية في عقرب داره؟ ولماذا تثيره قطعة قماش سترت به امرأة مؤمنة شعرها؟ وما يهيمه من المرأة أصلاً، وهو ذو نفسية مريضة، حاقدة، معقدة، وجدت في الجنس المائل أسلوبها الأمثل في الحياة!؟

وإزاء هذا المشاعر المفعمة بالكراهية للمسلمين، عرض عليه زعيم الحزب العنصري مقعداً في البرلمان الهولندي، لماذا؟ لأنه يرفع شعار (أرض واحدة، شعب واحد، أمة واحدة) وهو نفس الشعار الذي كان يرفعه الحزب النازي قبل الحرب العالمية الثانية.

إن فورتاون لم يبد عداءً ضد الأجانب ككل، بل اقتصر عدائه على الإسلام والمسلمين، فهو يقول (إن ثقافتنا قد تم تفرغها عبر شعار تعدد الثقافات، بينما حافظت الشعوب الإسلامية على هويتها بقوة. إن الأصولية ليست مظهر ضعف، بل مظهر قوة). ويتهم الثقافة الإسلامية بأنها (منغلقة وغير مرنة، ويجب علينا فتح الثقافة الإسلامية المغلقة، والقضاء على الحجاب الإسلامي).

هذا كل ما يقدمه د. فورتاون، عالم الاجتماع! مجرد عقد وشعارات وأحلام جوفاء، واتهامات وإثارات للحقد والبغضاء. وقد عاب عليه بعض الكتاب الهولنديين بأنه يفتقد الطرح الموضوعي المدعم بالحجة والنقاش العلمي، بل تراه يطلق عموميات دون مقاييس، فمثلاً يقول أنه (لا مكان في هولندا للذين لا يساهمون في التطور الاقتصادي والاجتماعي)، ولكنه لم يوضح ما هي المعايير التي يمكن تطبيقها للتعرف على المساهمين وغير المساهمين في التطور؟ كما أنه ينظر لقضية موجودة فعلاً، فالمسلمون موجودون في هولندا منذ عشرات السنين، ولسنا بصدد أمر البت بمجئهم. وعنوان الكتاب لا ينطبق على مضمونه، فلم يبين فورتاون أين هي الأسلمة المتوقعة؟ وما هي مظاهرها وعناصرها؟ هل وجود الحجاب الإسلامي سيغير الهوية الثقافية والتراث التاريخي الهولندي؟ أما دعوته للفصل بين الدين والدولة، فهذا هو الواقع في أغلب البلدان الإسلامية، في حين تجد دولة الفاتيكان صعوبة في تبني هذا الفصل.

من جانب آخر فإن محمد الرباع، وهو مسلم من أصل مغربي، وعضو البرلمان الهولندي من حزب الخضر اليساري، صرح في حفل استلامه أول نسخة من الكتاب أنه يعبر عن أفكار شريجة من الهولنديين، لا تظهرها علناً. وأن فورتاون يريد أن تهيمن قيمه وأفكاره على المسلمين، ويريد التأكيد فيها إذا كانت النساء المسلمات يرتدين الحجاب بصورة طوعية أم لا؟ وهذا تفكير أصولي! فرد فورتاون قائلاً: أنا ضد الأصولية، ولكن فيما يتعلق بالمبدأ فأنا أصولي، وهذا ما أفخر به. فعلق الرباع: أن الكتاب يعبر عن توجه عنصري واضح. على الغرب تقوية علاقاته بالدول الإسلامية من أجل الوقوف معاً ضد التيار الأصولي. إنه يحاول فرض نفسه على المسلمين، فما يراه هذا الشاذ جيداً يُخيل إليه أن المسلمين سيرونه كذلك. وهذا تفكير إستعلائي يستخف بالآخرين، وسلوك متعطرس ينفي الآخرين وتجارهم وثقافتهم وهويتهم.

جرى سجال فكري على صحيفة تراو Trouw الهولندية الواسعة الانتشار حول استخدام لفظة (محمديون Mohammedanen). والقصة بدأت عندما تحدثت الكاتبة الإيرانية معصومة أبرين في عمودها الأسبوعي بعنوان (معصومة MASOEME)، وهي صحيفة تقيم في هولندا منذ سنوات طويلة، وذات أفكار تحريرية، لكنها تعتبر الإسلام هوية وموروث حضاري لا يمكن تجاوزه. وتمتاز بنقدها اللاذع وجرأتها في الطرح حيث تنبش الظاهر الهولندية المرضية كالعنصرية والتمييز والأحكام المسبقة والجهل في بعض الأحيان. كم تنتقد السلوك غير المتحضر للأجانب وخاصة الإيرانيين. تحدث في عمود يوم ٧/٨/٢٠٠٠ عن زيارتها مع مجموعة من المتدربين الأجانب إلى مركز إعادة تأهيل الشباب الجانح حيث يشكل الشباب الأجنبي ٧٠٪ من النزلاء. وعندما التقوا بالمدير تحدث عن الأجانب وثقافتهم واستخدم كلمة (محمديين) بدلاً من مسلمين إشارة إلى ديانتهم، فأبدت تعجبها من استخدامه هذه اللفظة وتساءلت: كأنه لا يعرف معنى مسلمين مطلقاً.

هذا التساؤل استفز أحد القراء Part Voorzanger الذي رد على الكاتبة في اليوم التالي في بريد القراء بأن استخدام هذا المصطلح ليس فيه شيء من السلبية أو الإهانة، كما أنه غير مطلوب من مدير المركز أن يعرف معنى مسلمين، ونعرف أنهم لا يعبدون محمداً. ودافع عن رأيه بأن كلمة محمديين تشابه في الاستعمال اللغوي الهولندي كلمة لوثيريين، أتباع مارتن لوثر.

وفي عمودها الأسبوعي التالي في ١٤/٨/٢٠٠٠ ردت معصومة أبرين على القارئ قائلة: منذ زمن طويل وأنا راغبة بالكتابة عن هذا الموضوع الذي يمثل سوء فهم وأن أقول للهولنديين بوضوح أن المسلمين لا يرغبون بمناداتهم بمحمديين. في أول مرة سمعت هذا المصطلح (محمديين) سرى في جسمي شعور غريب، ولكن صبرت وتماسكت وأوضحت لمحدثي: نحن لسنا محمديين، نحن مسلمون. لقد رد أحد القراء على عمودي بأن الكلمة في الهولندية لا تتضمن أية إساءة، وأنها تعني أتباع محمد، ولكن الأمر ليس سهلاً كما يتصور.

كمسلمين لا نشعر بالارتياح عندما ننادي بمحمديين، فهذه اللفظة غريبة علينا لأن المسلمين لا يعتبرون أنفسهم أتباع أو أنصار محمد (ص) بل يعبدون الله. إن لفظة محمديين تتضمن نبوة تشابه الذين يريدون أن يجعلوا من محمد مثل عيسى: ابن الله، فذلك ما يرفضه المسلمون مطلقاً. ولذلك يشعر المسلمون بالإهانة موجهة لله تعالى الواحد الذي لم يلد ولم يولد.

هناك كتابات كثيرة من القرون الوسطى في أوروبا التي تستخدم مصطلح (محمديين) بنبرة عدائية

واضحة دون الأخذ بنظر الاعتبار أنه لا يوجد مسلم واحد يرضى أن يقال له (محمدي). فهذا المصطلح غربي كلياً ولا صلة له بالمسلمين. وقبل سنوات أصدرت دار النشر Kok كتاباً بعنوان (الدين السهل) تضمن بحثاً حول الإسلام في هولندا، حيث يجد المرء فيه العديد من الأمثلة على الأحكام المسبقة ضد الإسلام ومنها الخطأ في استخدام مصطلح (محمديين). ومن الملاحظ أن كتاباً تاريخياً يشير إلى أن (نحن في أوروبا ندعو أتباع محمد بالمحمديين، ولكنهم لا يفعلون ذلك، ففي نظرهم أن محمداً بشر يعبد الله مثل بقية المسلمين. وتضيف: واليوم عندما أصبح الإسلام الديانة الثانية في أوروبا فإن لهجة (نحن في أوروبا) لن تكون بدون مشاكل.

إن الفئة الوحيدة التي يمكنها استخدام مصطلح محمديين هم ذرية محمد (ص). وهم يسمون في بلادنا بالسادة، حيث يحضون باحترام كبير. ولشرف هذا الانتساب فإنهم يضعونه أمام أسمائهم في جوازات السفر حيث تدرج كلمة (سيد) للدلالة على أصله. ولكن مع ذلك لا يوجد سيد واحد يقبل أن يدعى بمحمدي. (انتهى)

من المعروف أن تسمية المسلمين بالمحمديين عند الغربيين والنصارى تعود إلى عهد ظهور الإسلام والقرون التي تلتها، حيث لم يعترف النصارى مطلقاً بنبوة النبي محمد (ص) ولا برسالته. ولذلك اعتبروه نبياً مزيفاً. واعتبروا ديانته مزيفة ونسبوا أتباعه إليه. فهو مصطلح يتضمن عدم الاعتراف والاستهانة بالإسلام. والدليل على ذلك أنهم لم يسموا اليهود بالموسويين نسبة إلى موسى لأنهم يعترفون بنبوة الأنبياء قبل عيسى (ع). وكتابات العصور الوسطى لا تستخدم غير هذا المصطلح لوصف المسلمين.

وأول من استخدم لفظة المسلمين هو إبراهيم (ع)، يقول تعالى (ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل) (الحج: ٧٨). ولا يقتصر استخدام اللفظة على المعنى الإصطلاحي أي بأتباع الدين الإسلامي، بل لأن معنى المسلم هو الخاضع لله تعالى فقد استخدمها القرآن الكريم لوصف الأنبياء وأتباع الرسالات الأخرى. قال تعالى عن إبراهيم وإسماعيل (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة) (البقرة: ١٢٨)، وفي وصف أبناء يعقوب (ونحن له مسلمون) (البقرة: ١٣٣)، وفي وصف الحواريين (واشهد بأننا مسلمون) (آل عمران: ٥٢) وعن فرعون (قال آمنت أنه لا إله إلا الله الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين) (يونس: ٩٠).

استجابة لطلب أعضاء في المجلس البلدي، بلدية روتردام تمنع عرض أوبرا (نساء المدينة) لأنها تتضمن إساءة للمسلمين.
صحيفة أمريكية تستعدي السلطات الهولندية ضد المسلمين وتعتبر منع الأوبرا إرهاباً للحياة الثقافية للهولنديين!
السلطات الهولندية تمنع عرض فلم يمجّد فريق أياكس الرياضي في المدن الكبيرة بعد تهديدات تلقّتها دور العرض من مشجعي الفرق الرياضية الأخرى.

نجحت الضغوط التي مارسها عدد من شخصيات الجالية المسلمة في هولندا في إيقاف مسرحية كانت جاهزة للعرض في شهر مارس من السنة القادمة ٢٠٠١، على مسرح «برينساس تياتر» بمدينة روتردام، وذلك بعد تأكيد تلك الشخصيات من أن نص المسرحية يحتوي على إساءات بالغة للسيدة عائشة أم المؤمنين وابنته السيدة فاطمة الزهراء (ع)، كما أن الفرقة التمثيلية المكلفة بأداء المسرحية كانت تنوي تجسيد زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم، كما أنها قامت فعلاً بالتعاقد مع ممثلة مغربية لأداء الدور.

وقد نظمت الشخصيات المسلمة حملة الاحتجاج على عرض المسرحية، بلقاء مع إدارة فرقة "المسرح الحر" التي كانت ستؤدي أداء المسرحية وذلك لإقناعها بالعدول عن فكرة العرض، غير أن اللقاء لم يسفر عن أي نتيجة؛ جراء تمسك إدارة الفرقة بما وصفته "حق الرأي والتعبير في بلد علماني يحترم الحريات العامة وتكفل قوانينه حقوق المبدعين".

وقد اضطرت هذه الشخصيات إلى رفع الاحتجاج إلى مستويات أعلى، وتحديدًا إلى كل من السلطات المحلية في بلدية روتردام التي ستؤدي تمويل المسرحية، وكذلك إلى السلطات المغربية لدفعها إلى التدخل ومنع بعض المسرحيين المغاربة من الاشتراك في أداء بعض الأدوار المسندة إليهم.

وقد نجحت الاحتجاجات على المسرحية لدى السلطات المغربية والهولندية في صدور قرار بمنع عرض المسرحية، التي اقتبس نصها من رواية للأديبة الجزائرية "آسيا جبار" التي حصلت هذا العام على جائزة السلام التي تمنحها سنويًا هيئة الكتاب الألماني ومقرها مدينة فرانكفورت،

وكانت جاهزة للعرض ضمن فعاليات مشروع "روتردام ٢٠٠١: عاصمة ثقافية لأوروبا". وقد بررت السلطات المحلية في مدينة روتردام قرارها بإلغاء عرض المسرحية، بالمبدأ الذي أكده المجلس البلدي للمدينة لأنشطة العاصمة الثقافية لأوروبا، والذي يقضي بالآلا تتضمن العروض الثقافية والفنية إساءة لأي من الأقليات الدينية أو القومية، هذا فضلا عن أهمية ألا تتسبب الأعمال الفنية في أي ردود فعل من شأنها المس بالآمن والنظام العامين.

أما بالنسبة للسلطات المغربية، فقد ذكرت بعض المصادر المقربة من السفارة المغربية في لاهاي، أن حكومة الزعيم الاشتراكي عبد الرحمن اليوسفي تخشى من انحسار شعبيتها في صفوف الجالية المغربية التي تقارب نصف مليون، والتي تساهم بقسط كبير من التحويلات المالية للعمال المغاربة المقيمين بالمهجر.

وقد جاء قرار إلغاء العرض المسرحي في وقت كانت الجالية المسلمة في هولندا -التي تشكل قرابة المليون شخص - تستعد لتصعيد الحملة الاحتجاجية ضد المسرحية، وبما يعطي الحملة طابعاً شعبياً، خصوصا وأن القاعة التي كانت ستستضيف العرض، تقع وسط ضاحية "دلفس هافن" التي يشكل المسلمون قرابة ٥٠٪ من سكانها، مثلما توجد بها خمسة مساجد هي الأكبر في مدينة روتردام.

كما يشير بعض المتابعين إلى أن قرار إلغاء عرض المسرحية، قد جنب الجالية المسلمة شرور الانقسام الداخلي، حيث كان قسم من قادتها يفضل سياسة التهميش في التعامل مع القضية، انطلاقا مما خلفته تجربة الكاتب البريطاني الهندي الأصل سلمان رشدي في روايته "آيات الشيطانية" حيث جلبت فتوى الإمام الخميني له الكثير من المال والشهرة، فيما كان قسم آخر يرى أن عدم التصدي بقوة للمسرحية سيُفهم على أنه عجز من المسلمين على الدفاع عن مقدساتهم ومعتقداتهم.

٣.٢.١. ردود الفعل في هولندا

وقد أثار قرار بلدية روتردام بإلغاء عرض الأوبرا حفيفة الإعلام الغربي فقد وصفت صحيفة نيويورك تايمز في عدد يوم الأحد ١٠/١٢/٢٠٠٠ القرار بأنه إرهاب من الأقلية المسلمة في هولندا ضد الحياة الثقافية الهولندية. وذكرت الصحيفة أن أعضاء الفرقة قد تعرضوا للتهديدات من قبل الأصوليين لمنع عرض المسرحية، وهو أمر عار عن الصحة لأن المنع جرى بالمشاورة مع المجلس البلدي الذي يملك صلاحيات اتخاذ مثل هذا القرار. وذكرت الصحيفة بالأحداث التي رافقت صدور كتاب (آيات شيطانية) لسلمان رشدي في إشارة واضحة لاستعادة أجواء

الكراهية والحقد ضد المسلمين. وتجاهلت الصحيفة مبررات السلطات المحلية في حيثيات قرار المنع بأنها جاء استناداً لمبدأ عدم تضمن العروض الثقافية والفنية إساءة لأي من الأقليات الدينية والقومية، فضلاً عن أهمية ألا تتسبب الأعمال الفنية في أي ردود فعل من شأنها المس بالآمن والنظام العامين.

٣.٢.٣.٢.٤.٥.٦.٧.٨.٩.١٠.١١.١٢.١٣.١٤.١٥.١٦.١٧.١٨.١٩.٢٠.٢١.٢٢.٢٣.٢٤.٢٥.٢٦.٢٧.٢٨.٢٩.٣٠.٣١.٣٢.٣٣.٣٤.٣٥.٣٦.٣٧.٣٨.٣٩.٤٠.٤١.٤٢.٤٣.٤٤.٤٥.٤٦.٤٧.٤٨.٤٩.٥٠.

وفي نفس الوقت أعلن وزير العدل الهولندي كورت هالس أن فلم (أياكس: هناك تسمع الملائكة تغني) لن يعرض في بعض المدن بسبب وصول تهديدات ضده. وأضاف الوزير (نحن بلد متسامح، وأن الأفلام المنتجة هنا يجب أن تجد طريقها للعرض). وقد منع عرض الفلم الذي يتحدث عن فريق أياكس الشهير أوربياً ومركزه مدينة أمستردام. وفريق أياكس هو الفريق الرياضي الوحيد الذي يرفع أنصاره علم إسرائيل أثناء مبارياته. كما أن رئيس النادي (دي براغ) يهودي. وقد منع عرض الفلم في دنهاخ وأوترخت وخروننكن وآرنم وهي من المدن الكبرى في هولندا. وفي وروتردام أقيم عرض صغير ضم رئيس نادي (فينورد) الرياضي. وقد بررت دور العرض امتناعها عن عرض الفلم أنها تتوقع حدوث اضطرابات وشغب من قبل مشجعي الفرق الأخرى. كما أن الشرطة أخذت التهديدات بجدية رغم أنها مما يعاقب عليه القانون، لكنها لا تستطيع المجازفة في التورط في عمليات شغب جماهيرية، خاصة وأنها قد واجهت مثلها في دورة كأس الفرق الرياضية الأوروبية في الصيف الماضي. ولم يعرض الفلم سوى في أمستردام، مركز أنصار فريق أياكس، ومدينة (ديلفت) الجامعية.

ليست حرية التعبير في الغرب مطلقة كما يتصور الكثيرون فهناك الكثير من الأعمال الأدبية والفكرية والعلمية والفنية تتعرض للمنع لأنها تثير غضب مجموعة ثقافية أو دينية معينة أو تسيء إلى معتقدات أو أخلاق جماعة أخرى. ويتعرض العديد من الكتاب والأدباء ومحرري الصحف إلى المحاكمات والسجن والغرامات بسبب مقالات أو أعمال نشرها. إن حرية التعبير في الغرب ليست بلا حدود بالرغم من أن العرف السائد في الخطاب السياسي الغربي قد يوحي بذلك. ولم ترتفع الممارسات الغربية عموماً إلى مستوى الشعارات المرفوعة. كما أن الحكومات والمجتمعات الغربية لا تعتبر حرية التعبير مقدسة لا يجوز الاقتراب منها. فهناك العديد من المواقف والآراء الغربية خارج القانون. كما أن

بعض البرلمانات الغربية تسن قوانين تحظر بعض الآراء أو مناقشة أمور معينة، وتعاقب عليها بالغرامة والحبس.

والأسباب التي تدعو الحكومات الغربية إلى انتهاك حرية التعبير عديدة. فقد تكون غالبية المجتمع تعارض السماح لبعض الآراء في التعبير العلني فتستجيب الحكومة للرأي العام. وأحياناً يكون حظر الآراء استجابة لرغبة قطاع معين من الناخبين أو أصحاب النفوذ أو عملي الحملات الانتخابية أو أقلية مؤثرة داخل الدولة مما يضطر الحكومة للخضوع لرغباتهم. أو تضطر لذلك حماية للأمن العام والسلام الاجتماعي.

ويلاحظ أنه عندما يتعرض الإسلام للإساءة فإن الإعلام الغربي عادة يرفض منطق منع العمل الأدبي أو الفني المتعلق بالإساءة، ويدافع عن حرية التعبير في النظام الديمقراطي، وهذا ما فعلته صحيفة نيويورك تايمز في قضية الأوبرا. ولكن الإعلام الغربي يقف بقوة إلى منع أي عمل أو كتاب يسيء لفئة معينة ويتهم فاعليه باللامسامية والإرهاب الفكري، ويطالب بمحاكمتهم ومنع نشاطاتهم حفاظاً على الحريات والأمن الداخلي والاستقرار الاجتماعي وحقوق الآخرين.

النكبة من اسلوب مواجهة السلطة للاستلام

النجاح الذي حققه المسلمون في هولندا حين تمكنوا من الضغط على مراكز صنع القرار في الإدارة المحلية لمدينة روتردام واتخاذها قراراً بمنع عرض أوبرا (نساء المدينة) المسيئة لأم المؤمنين عائشة السيد فاطمة الزهراء عليها السلام، هذا النجاح يسלט الضوء على تجربة جديدة في التعامل الناضج والمدروس مع قضية ذات حساسية للرأي العام الغربي وخاصة الهولندي وهي حرية التعبير المقدسة. ورغم أن تجربتنا والواقع الفكري والثقافي والاجتماعي والديني يشير إلى أن حرية التعبير ليست بمقدسة بل تتعرض في أحيان كثيرة إلى التقييد سواء بقرارات حكومية أو تشريعات برلمانية أو ضغط شعبي، لكن تبقى القضايا التي يسيء للإسلام والمسلمين ذات حساسية للغربيين حين ينبري الجميع للدفاع عنها دون روية أو تعقل.

بعد أن يأس ممثلو الجالية المسلمة من إقناع الفرقة المسرحية بالعدول عن فكرتها اضطروا للجوء إلى السلطات المحلية في بلدية روتردام. وبعد تدخل أعضاء مسلمون في المجلس البلدي وممارسة ضغط كبير استجابت البلدية وألغت عرض الأوبرا. هذه التجربة الناضجة تشير إلى عدد من الأمور الواجب تذكرها:

١- أهمية انتماء المسلمين للأحزاب السياسية الغربية، حيث أنهم من خلالها يمكنهم الاقتراب من مراكز صنع القرار بل وربما يساهمون بصنع القرار عبر الوصول للبرلمان أو المجالس البلدية ذات السلطات المحلية الواسعة. وقد كان لثلاثة مسلمين من أعضاء الأحزاب السياسية (العمل واليسار الأخضر) في روتردام دور كبير في ذلك. ورغم أنهم قد لا يكونون مؤمنين بالإسلام كتشريع ودولة وثقافة لكن حرصهم على ناخبهم المسلمين جعلهم يبادرون إلى الضغط على المجلس البلدي.

٢- أن السلطات الحكومية تستجيب للطلب عند الضغط أولاً وعندما تكون مبررات الطلب مقبولة عندها. فقد أرادت البلدية تجنب إثارة المسلمين من خلال الإساءة لمشاعرهم عبر عرض الأوبرا المذكورة. كما تفادت بهذا القرار احتمال حدوث شغب واضطرابات في أنحاء المدينة واضطرابها استخدام الشرطة وقوات مكافحة الشغب. وهذا كله يشوه سمعة المدينة التي تستعد أن تكون عاصمة للثقافة الأوروبية. وجاء ذلك في قرارها الذي يقضي بأن لا تتضمن العروض الفنية والثقافية إساءة لأي من الأقليات الدينية والقومية. وهو قرار حكيم نتمنى أن تحذوه بقية البلديات كي نتفادي حالات التوتر والعداء عند الإساءة إلى فريق معين.

٣- حرص العناصر المثقفة في الجالية المسلمة على إبعاد عامة المسلمين من التورط في هذه القضايا الحساسة، واحتمال فقدان السيطرة على كيفية التعاطي معها. وقد تجر إلى تظاهرات ومواجهات مع السلطات دون أن تؤدي إلى نتيجة، بل يزداد العناد عند الطرفين الآخر كي لا يبدو استسلاماً للمسلمين.

٤- أهمية توجيه الجهود لممارسة الضغط على مراكز صنع القرار وإقناعها بحجم الأضرار المترتبة على الإساءة للمسلمين وجرح مشاعرهم وضرورة الأخذ بردود أفعالهم بالحسبان، واحترام ثقافتهم ودينهم مثل بقية الأقليات الدينية المقيمة في البلد، وعملاً بمواد الدستور الذي يضمن حرية الدين وعدم الإساءة لأتباعه. وتختلف ممارسة الضغوط حسب نوع القضية وحساسيتها بالنسبة للجانبين وكيفية التعاطي معها والموقف الأولي الجهة المسؤولة تجاهها. فقد تنفع الرسائل والتوقعات الاحتجاجية أو الاعتصام أو المظاهرة المحسوبة بدقة. وفي كل الأحوال يجب تجنب الهياج الجماهيري المنفعل وغير المحسوب ومن ثم تكون العواقب في غير صالح المسلمين. إضافة إلى أن الإعلام الغربي يترصد أخطاءنا وانفعالاتنا في مثل هذه المواقف، بشكل يسيء للإسلام والمسلمين في الغرب.

لا يمكن مواجهة الهجمات الإعلامية المستمرة على الإسلام ومفاهيمه التي يساء فهمها وعرضها من قبل وسائل الإعلام الغربية، إلا عبر توضيح هذه المفاهيم بشكل موضوعي وعلمي للجمهور الغربي. من هذا المنطلق جاءت استجابة الاستاذ صلاح عبد الرزاق لدعوة كلية دافنشي في مدينة دوردرنحت للمشاركة في أمسية ثقافية أقيمت يوم ١١/٩/٢٠٠٢ بمناسبة مرور عام على أحداث ٢٢ أيلول سبتمبر في أمريكا. وكان الجمهور من الهولنديين وبعض الأجانب والمسلمين. في البداية أشار المحاضر إلى المعنى اللغوي للجهاد بأنه بذل الجهد لفعل الخير. وأما المعنى الاصطلاحي فقد أوضح أن استخدام اللفظة متداول في الحياة الإسلامية والعربية ولكن ليس كله بمعنى القتال بل هناك استخدامات ثقافية واجتماعية مثل:

- ١- أن جهاد النفس يعني مقاومة الشهوات والطمع والنزعات المادية التي تدفع الإنسان للتكالب على القضايا المادية، أي ترويض النفس على القناعة. وكثيراً ما يؤكد القرآن والسنة النبوية على هذا الجانب. كما يتركز هذا البعد أكثر لدى الجماعات الصوفية أو لدى أهل العرفان.
- ٢- كما يعني الجهاد كل المساعدات المادية والمعنوية التي يقدمها المسلم للآخرين. فالقرآن يعتبر بذل المال جهاداً (وجاهدوا بأموالهم). فمساعدة اللاجئين وضحايا الكوارث الطبيعية كالزلازل والفيضانات والعواصف، يعتبر جهاداً. كما أن المساهمة في بناء مدرسة إسلامية أو مسجد أو مؤسسة عامة هو جهاد. بل وحتى المشاركة في مظاهرة إسلامية أو التصويت لمرشح مسلم في الانتخابات جهاد.
- ٣- يشيع استخدام لفظة الجهاد في الثقافة العربية والحياة اليومية. فاستخدام المصطلح لا يستند فقط على الأحاديث الدينية والعقائدية بل في القضايا الاجتماعية والثقافية. فكثير من المسلمين يحملون اسم (جهاد) دون أن يكونوا مقاتلين أو مشاركين في قتال. كما أن بعضهم غير ملتزم بالإسلام أو علماني بل لأن والديه سمياه بهذا الاسم على اعتبار أن استخدامه جزء من الموروث الشعبي العربي. وهناك بعض المجلات والصحف تسمى بالجهاد رغم أنها ليست مجلات قتال أو عسكرية بل ثقافية وفكرية.
- ٤- لذلك فاستخدام لفظة الجهاد في البيئة العربية والإسلامية يختلف كثيراً عما يشاع ويتداول في الإعلام الغربي أو في الثقافة الغربية. لا يوجد غربي أو هولندي اسمه (حرب) أو (قتال)

كما هو مفهوم الجهاد المتداول، لأن المصطلح استخرج من بيئته فاكسب معنى غير المعنى المستخدم في البيئة الأصلية. لذلك يجب الانتباه إلى أن أي مصطلح أو مفهوم يجب أن يتحدد داخل إطار البيئة الثقافية الأصلية له. فلو أنني قمت بترجمة بعض الأمثال الهولندية إلى اللغة العربية فستكون مقولات سخيفة لا معنى لها. خذ مثلاً المثل الهولندي (De kat uit de boom kijken) سيكون (القطعة تنظر من الشجرة) وهو معنى لا يفهمه العربي أو الذي لا يعرف الثقافة الهولندية، في حين أنه مثل يضرب للاحتراس والترقب من تطور أمر ما أو وضعية قبل أن تتدخل فيها. كما أن بعض الأمثال تعود إلى أرضية إنجيلية أو مسيحية فالمثل الذي يقول (الخباز يشق، ويطلق سراح عاصر الخمر) لا يفهمه المسلم بسهولة في حين يشير إلى قضية صاحبي السجن مع النبي يوسف. ويضرب للذين يقدمون الخمر بمرح وسرور. ثم أشار المحاضر إلى شروط الجهاد التي لا تتحقق إلا بفتوى تصدرها مؤسسات دينية شرعية وليس من قبل جماعات (الجهاد) وبين لادن وأبو قتادة وأبو حمزة المصري وعمر بكري. كما أنه يجب أن تكون الحرب ضرورية بعدما استنفدت كل الحلول السياسية. كما لا يجوز لزعماء علمانيين أمثال صدام اعلان الجهاد. إضافة إلى أنه لا يجوز ممارسة أحكام الجهاد إلا في حرب فعلية ومعلنة بعد أن تكون البلاد مهددة أو تعرضت لهجوم خارجي. إن ما قام به بن لادن ليس جهاداً وقد دان علماء الإسلام هذه الأعمال الوحشية، كما أن من قاموا بها ليسوا شهداء.

وبعد المحاضرة بدأ الجمهور يطرح أسئلته على المحاضر. وقد أبدى كثيرون ارتياحهم وتفهمهم لمصطلح الجهاد. فقد ذكرت سيدة هولندية أنها تعطي دروساً في اللغة الهولندية لمجموعة من السيدات التركيات. وفي شهر رمضان يقمن وهي معهن بتوزيع الطعام على المشردين في روتردام، فما طبيعة هذا العمل؟ فأجابها المحاضر: هذا جهاد أيضاً لأنه يقدم مساعدة لهؤلاء الفقراء. كما استفسر البعض عن المؤسسات الدينية التي يمكنها إصدار فتوى الجهاد في الدول الإسلامية.

هذا وقد اتفق الجمهور على أهمية هذا اللقاء ودعا إلى مزيد من هذه الأمسيات الثقافية التي تساهم في تقريب المسلمين بالمجتمع الهولندي.

الفصل السادس

الخطبة السابعة

أثار رأي الشيخ عبد المجيد الزنداني بالزواج فريند سجلاً فقهياً وثقافياً واجتماعياً واسعاً بين مختلف الأوساط الإسلامية والفقهية والصحفية والاجتماعية والقانونية. واختلفت بشأنه الآراء والمواقف بين مؤيد ومتحفظ ومعارض. يتلخص رأي الشيخ الزنداني رئيس جامعة الإيمان باليمن، بعقد زواج شرعي للشباب المسلم دون اشتراط توفير المسكن أو النفقة، بل يبقى الزوج الشاب والزوجة الشابة كل في منزل والديه، ويلتقيان في خلوة شرعية، ويتفقان على أن لا ينجبان أطفال ماداما في مسكنين منفصلين. ويبقيان على هذا الحال حتى يتمكننا من إنهاء دراستهما، والحصول على عمل، وتوفير مقومات فتح بيت خاص بهما، وتأثيته، والإنفاق على نفسيهما وأولادهما.

في شهر تموز ٢٠٠٣ نشر الدكتور خالد شوكات، وهو صحفي تونسي مقيم في هولندا، لقاءً جمعه بالشيخ الزنداني، عندما تناولا حال المسلمين في الغرب، والمشكلات التي تواجه الأجيال الشابة هناك في محيط اجتماعي وثقافي متناقض في كثير من قيمه وعاداته مع تلك السائدة في المجتمعات المسلمة. واقترح الشيخ رأياً دعاً في إلى استفتاء المجلس الأوربي للإفتاء فيه، مدركاً مسبقاً أن هذا الرأي لن يجد عند الناس قبولاً سهلاً، وأنه سيصطدم بعقليات اجتماعية وفقهية جامدة، كما سيواجه عادات وتقاليد معارضة.^١

في البداية لا بد من تثبيت نقطتين هامتين هما:

١- أن الشيخ قدم رأياً أو مقترحاً وليس فتوى كما سمتها وسائل الإعلام العربية. إذ أنه لم يفت به بل طلب مفاتحة المجلس الأوربي للإفتاء والبحوث، ليبدلي برأيه بالموضوع بعد مناقشته من جميع الجوانب.

١ مجلة النور الصادرة في لندن - العدد: ١٥٣ - شباط ٢٠٠٤

٢ خالد شوكات، (رحلة الشيخ الزنداني: من الرأي إلى الفتوى)، موقع إسلام أون لاين في ١/٩/٢٠٠٣

٢- أن مقترح الشيخ الزندانى إنما يخص الأقليات المسلمة في الغرب، نظراً لما تواجهه من مشكلات حادة تتطلب التكيف مع البيئة التي يعيشون فيها. وينطلق هذا الرأي من قواعد (فقه الأقليات) التي تجيز استثناء بعض القواعد الفقهية والأحكام الإسلامية. ولكن المقترح وجد صدقاً كبيراً في العالم الإسلامي نظراً لما يعانيه الشباب المسلم هناك من مشاكل مالية واقتصادية عسيرة تجعل الكثير من الشباب يعزف عن الزواج.

رأي العلامة السيد فضل الله

اقترح الشيخ الزندانى تسمية هذا النوع من الزواج بالزواج فريند **Zawaj Friend** بدلاً من المفهوم الغربي السائد والمعروف بالبوي فريند **Boy Friend** بالنسبة للفتاة، والكيرل فريند **Girl Friend** بالنسبة للشباب. إذ يشترط الزواج فريند وجود عقد شرعي يتوفر على أركان العقد الشرعي وهي والإيجاب والقبول والشاهدان والمهر والإشهار. بينما نظام البوي فريند أو زواج المصاحبة أو زواج الصداقة، لا يشترط وجود عقد زواج بل شراكة **Partnership** بين شريكين، يسكنان معاً أو لا يسكنان في مسكن واحد، ويتعاشران كالأزواج، وقد يرزقان بأولاد، ولا يتوارثان. وعند الانفصال يأخذ كل طرف ما جاء به أو اشتراه من أثاث أو متاع.

من الواضح أن الشيخ الزندانى استخدم مصطلح الفريند **Friend** للتعبير عن أنه زواج أصدقاء، طالما لا يستطيعان تأسيس بيت للزوجية مستقل بهما. ولقظة زواج تفيد وجود عقد شرعي بين الزوجين، لكنه استعار لفظة الفريند لتقريب المعنى والإشارة إلى اختلافه عن الزواج العادي. لكن استخدام مصطلح الفريند أي الصديق أو الصديقة قد يؤدي إلى تشويش حول مصداقية وشرعية هذا الزواج. الأمر الذي يعترض عليه بعض العلماء المسلمين. فالمرجع الديني اللبناني السيد محمد حسين فضل الله "يعارض تسميته بزواج فريند لأن الفريند كمفهوم غربي يتحدث عن المصاحبة والصداقة، فإن إعطاء هذا الزواج، الذي هو زواج شرعي، هذا العنوان ربما يشجع الآخرين على السير مع العنوان من دون شرع".^١ ويشير الدكتور أحمد الطيب، مفتي مصر، إلى «خطورة استعمال المصطلحات الغربية في هذا النوع من الزواج الشرعي، لأنها تضيء عليه صبغة عدم الشرعية».^٢

الزواج الشرعي في ظل التطور الاجتماعي

هناك عدة أشكال من الزواج الشرعي في الإسلام، تطور بعضها في بيئات ثقافية واجتماعية معينة، ويأرس في ظروف اقتصادية واجتماعية خاصة بطرفي الزواج. هذه الأشكال هي:

١ (رأي العلامة السيد فضل الله في زواج الفريند)، نشرة بينات، العدد (٣٣) الصادر في ٢٤/١٠/٢٠٠٣

٢ رجاء ناجي (تراجع زواج الكاسيت والوشم أمام زواج الفريند)، موقع إسلام أون لاين في ١٨/٩/٢٠٠٣

١- الزواج العادي المتعارف عليه، وهو الزواج الدائم ويشترط في العقد القبول والإيجاب والمهر والإشهار. ويترتب عليه التوارث بين الزوجين، وينتهي بالطلاق. وهو الزواج السائد بين المسلمين في أنحاء العالم.

٢- زواج المتعة، وهو زواج مؤقت، ويشترط فيه القبول والإيجاب والمهر وذكر الأجل (يوم، شهر، سنة، أية مدة)، ويثبت فيه النسب للأولاد حيث يرثون من والديهم. ويختلف عن الزواج الدائم بأنه لا توارث بين الزوجين (إلا مع الشرط عند بعض الفقهاء)، ولا نفقة للزوجة (إلا مع الشرط ضمن العقد)، ولا طلاق فيه حيث ينتهي الزواج ببلوغ الأجل المسمى في العقد. والعدة واجبة على الزوجة بعد انتهاء الأجل. ويتنشر هذا النوع من الزواج في إيران ولبنان والعراق ومصر.

٣- زواج المسيار: وهو زواج شرعي يشتمل على أركان الزواج، لكنه لا يشترط أن يقيم الزوج مع الزوجة، حيث تسكن الزوجة في منزل مستقل، ربما يكون منزلها السابق للزواج. في حين يقيم الزوج في منزل آخر، على الغالب بيت زوجة أخرى. وقد تكون زوجة المسيار تقيم في مدينة أخرى، ويراجعها الزوج حسب وقته وظروفه. وسمي بالمسيار أي أن الزوج لا يبيت في منزل الزوجة، أو لا يقيم فيه بصورة دائمة. ويتنشر هذا النوع من الزواج في السعودية والكويت وبقية الدول الخليجية.

٤- الزواج العرفي: وهو عقد شرعي صحيح تتوفر فيه جميع أركان الزواج، لكنه يفقد للتوثيق والتسجيل في السجلات المدنية والأحوال الشخصية. إذ يكفي بكتابة ورقة بين الزوج والزوجة يؤكد فيها زواجهما. وهو زواج صحيح وتأخذ به المحكمة. وهناك زواج يطلق عليه أيضاً (زواجاً عرفياً) لكنه يفقد لشروط الزواج الصحيح، إذ لا يوجد فيه شهود، أو بوجود أحد الأصدقاء، وبدون مهر، ولا ولي (للبنات القاصر والباكر)، ولا إشهار ولا توثيق. وهذا الزواج يعد باطلاً. ويتنشر هذا الزواج في مصر والأردن (سجلت في الأردن ١٧٠ ألف حالة زواج عرفي).

٥- الزواج المثلي (Homosexuality)

يواجه الشباب المسلم في الغرب تحديات أخلاقية وضغوط نفسية كبيرة، فالمجتمع الغربي يفتح على كل أنواع الحريات ومنها الحرية الجنسية، بل وحتى العلاقة المثلية Homosexuality بين الرجال أو النساء. كما أن وسائل الإعلام والصحف والأفلام تضح بالمشاهد الإباحية التي تشكل ضغطاً نفسياً على الشباب المسلم، ذكوراً وإناثاً، إذ لم يجد طريقة شرعية ومقبولة للتفيس عن هذا الضغط وإشباع رغباته الجنسية والعاطفية.

ولما كانت التعاليم الإسلامية تمنع أية علاقة جنسية بين شخصين دون زواج شرعي، فإن الشباب المسلم في الغرب سيقى يواجه هذه الضغوط التي قد تؤدي به إلى الانحراف والضياع، خاصة وأن الرقابة الاجتماعية عليه ضعيفة جداً، مقارنة، إلى حد ما، بحالة الشباب في العالم الإسلامي. إن مسألة الجنس قضية ملحة على الشباب، تأخذ من وقتهم وتفكيرهم، وتجعلهم حاملين باحثين عن وسائل غير أخلاقية كالصور الخلاقية أو الأفلام الإباحية أو السلوك المنحرف. كما أن التفكير في الجنس يجعلهم متوترين، عصبيين، فاقدين القدرة على العمل والعطاء.

إن الشباب المسلم، سواء المقيم في الغرب أو في بلده المسلم، يعاني من مشاكل مالية واقتصادية تمنعه من الزواج. ولا يمكن التغاضي عن إشباع الشهوة الجنسية فهي من الفطرة الإنسانية، ولا يمكن الإكتفاء بالنصائح الجامدة والمواعظ المكررة بوجوب الصبر، ولا نعلم حتى متى؟ فهل صار قدر هؤلاء الشباب أن يقضوا حياتهم عزاباً وعانسات؟ تشير بعض الإحصائيات إلى وجود ١٣ مليون مصري ومصرية فاتهم قطار الزواج لأسباب اقتصادية. أما عنوسة الفتيات فهي مشكلة اجتماعية خطيرة، إذ توجد في مصر ١١ مليون عانس، وفي الكويت ١٧٧ ألفاً، كما أن ثلث السعوديات عوانس^١. وما يثير الاستغراب أن الشباب في الكويت والسعودية لا يعانون من مشكلة مالية، لكن غلاء المهور والأثاث والمسكن وغيرها من المطالب تعيق الزواج، إلى وجود إقبال الشباب على الزواج من خارج البلاد.

إن الشباب المسلم يهمل الالتزام بالإسلام أولاً، وبالأعراف والتقاليد الاجتماعية ثانياً. وهو يرغب بالزواج العادي، لكن ظروفه لا تسمح له، فماذا يفعل؟ إنه يبحث عن شكل من الزواج يفي بالمتطلبات الشرعية من جهة، ويتكيف مع ظروفهم الصعبة. إنه شباب لديه وازع ديني يحثه على الالتزام بالقيم والأحكام الإسلامية. ولولا ذلك لكان من السهل عليه الانجراف وراء رغباته وإشباع شهواته من خلال قنوات الرذيلة أو العلاقات غير الشرعية، وممارستها تحت شتى يافطات التحرر والتقدم.

إذا كان الشباب يشكلون طرفاً في هذه القضية، فهناك أطراف أخرى تلعب دوراً هاماً. فالمجتمع يسير وفق الأعراف والتقاليد التي تطورت وتضخمت فيها مفاهيم الزواج حتى صارت صفقة تجارية أو عملية مالية عسيرة تحتاج إلى قروض وإعانات حتى تتم، وتوفي بكل مستلزمات الأعراف البالية من حفلات زواج باذخة ومهور عالية. لقد أصبح الزواج قضية صعبة وكلفة مالياً لا يقدر عليها الكثير من الشباب المسلم. وهو الأمر الذي دعا

١ المصدر السابق

بعض البلدان كالإمارات إلى تأسيس مؤسسات تشجع وتساهم في زواج الشباب. كما أن بعض مؤسسات الزكاة صارت تنفق من مال الزكاة لتزويج الشباب غير القادر مالياً. وهناك الآباء والأمهات الذين يغالون في شروط تزويج بناتهم، ويعرضونهن إلى العنوسة الدائمة. كما يمارس بعض الوالدين معايير مزدوجة في التعامل مع أبنائهم وبناتهم. فتراهم يسكتون على علاقات أبنائهم المشبوهة مع النساء، لكنهم يمارسون سلطة قمعية مع بناتهم. إن العلاقات المتوترة بين الوالدين والأبناء تؤدي إلى العديد من الظواهر الأخلاقية السلبية والسلوكية المنحرفة. إذ تشهد الأقليات المسلمة في الغرب ظاهرة هروب الفتيات المسلمات من بيوت ذويهن. ففي دراسة قام بها باحثة هولندية في جامعة أمستردام الحرة، تبين أن أسباب هروب الفتيات المسلمات تعود إلى الضرب بنسبة ٦٥٪، و ٥٠٪ إلى علاقات مع شباب، و ٤٥٪ إلى رفض الوالدين إكمال بناتهم دراستهن، و ٤٠٪ إلى إجبارهن على الزواج بمن لا يرغبن به.^١

وهناك دور العلماء والفقهاء الذين يفتحون على مشاكل المجتمع المسلم ويبحثون لها عن حلول مناسبة وعملية، مستنبطين بذلك الفتاوى والآراء الفقهية المستندة إلى القواعد الفقهية والأصولية، ومستلهمين روح الإسلام وديناميكيته التي جعلته يتفاعل مع مختلف الثقافات والحضارات والبيئات والشعوب. لا بد للعلماء من البحث والتنقيب والاستقصاء من أجل التخفيف عن مشاكل الشباب المسلم، ومن أجل التيسير عليهم في حياتهم الصعبة، فالإسلام دين اليسر لا العسر.

لقد صار العزوف عن الزواج مقترناً بالبطالة والحرمان والفقر والعلاقات غير الشرعية. فهل قدر غير المتمكنين مالياً أن يبقوا عزاباً طوال حياتهم؟ أم نفتح لهم باباً شرعياً يلبي طموحاتهم وآمالهم وبناء علاقة عاطفية وجنسية شرعية، ومن ثم بناء أسرة صالحة في المجتمع؟ إن الزواج فريند قد يكون حلاً لقسم من الحالات الاجتماعية العويصة التي يوجهها المجتمع المسلم. فهو حل لمشكلة قائمة، قد تحدث في أي وقت، وفي أي مجتمع، وفي أي بيئة. فلذلك فهو ليس بديلاً عن الزواج الدائم المتعارف عليه، وشأنه شأن الأشكال الأخرى من الزواج، التي ذكرناها آنفاً. فهو حل شرعي لمشاكل اجتماعية قد تواجه المجتمع، شأنه شأن الحلول الأخرى كتعدد الزوجات والطلاق وغيرها من التشريعات التي جاءت بها الشريعة الإسلامية، التي يفترض أن تكون صالحة لكل مكان وزمان. والالتزام بهذا النوع من الزواج ليس إجبارياً أو مفضلاً، بل حل طارئ حتى يستكمل الزوجان مقومات بناء أسرة في مسكن مستقل.

Brouwe L. (١٩٩٢) Binding Religion: Moroccan and Turkish Runaway Girls in Shadid W. & Van ١
٨٩.-Koningsveld P. (ed.) *Islam in Dutch Society: Current Developments and Future Prospects* pp. ٧٥

لقي مقترح الشيخ الزنداني بالزواج فريند ردود أفعال متفاوتة في الأوساط العلمية والفقهية والاجتماعية والصحافية. وتختلف هذه المواقف حسب خلفية ومستوى إدراك ونظرة أصحابها لكيفية معالجة مشاكل المجتمع المسلم، وحسب فهمهم لروح الإسلام وكيفية تكيفه وتطوره مع الأوضاع المتغيرة للمسلمين والعالم.

يعتقد صاحب الدعوة إلى الزواج فريند، أي الشيخ الزنداني، أنه اعتمد في اقتراحه هذا على قاعدة (التيسير) التي يستند عليها الفقه الإسلامي، وبارتباط الفقه الإسلامي شرعياً وتاريخياً بخصوصية المكان والزمان، ومراعاة هذا الفقه للمتغيرات الجارية على حياة الناس. ومن هنا دعوته إلى النهوض بما أصبح يُعرف بـ(فقه الأقليات) والعمل الدؤوب على تطويره. كما يرى الشيخ: إن التيسير في الفقه الإسلامي ومسايرته لحالة نشوء هذه الأقليات المسلمة في الغرب يقضي بتيسير الزواج أمام شباب هذه الأقليات إلى أقصى حد ممكن، دون إخلال -بطبيعة الحال- بشروط الزواج الشرعية المتعارف عليها. وذلك من باب مساعدتهم على اتقاء شرور الفتن المحيطة بهم من كل جانب.

ولتقريب الصورة أكثر، عمد الشيخ الزنداني إلى استعمال القياس، فقال: إنه بدلاً من أن يدخل الشباب المسلم في الغرب في علاقات (بوي فريند) و(كيرل فريند) متأثراً بما هو سائد في محيطه الاجتماعي الغربي الغالب يجب أن تتاح له فرصة بناء علاقة زوجية ميسرة، أو ما يمكن أن يطلق عليه (زواج فريند)، وترجمته العملية أن يتزوج الفتى والفتاة دون أن يشترط امتلاكهما بيتاً، فالبيت ليس شرطاً شرعياً من شروط الزواج¹.

ويؤيد الدكتور محمد عبد المنعم البري -الأستاذ في جامعة الأزهر ورئيس جبهة علماء الأزهر السابق- مقترح الشيخ الزنداني واصفاً إياه بالجرأة، وأنه يتوافق مع ظروف الشباب المسلم الذي يعيش في الغرب، ويجنبه الوقوع في العلاقات الجنسية التي حرمتها الشريعة الإسلامية، مشيراً إلى أن هذا الرأي مأخوذ من فقه الأقليات الذي يأخذ من واقع الأقليات المسلمة، ويعطي لها الفتاوى التي تناسب ظروف الحياة في المجتمع الذي تعيش فيه.

ويؤيد الدكتور عبد الصبور شاهين -الأستاذ في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة وعضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في القاهرة- هذا الزواج، لكنه أكد على أنه لا يصلح للتطبيق إلا في مجتمع الأقليات المسلمة. أما في المجتمعات المسلمة فريجوز العمل به، لأنه قد يفتح الباب إلى الزواج السري أو العرفي، وإقامة علاقات زوجية محرمة.

كما يؤيد الدكتور عمرو أبو خليل هذا الزواج داعياً المجتمع المدني إلى النهوض بمسؤولياته،

١ خالد شوكات، (رحلة الشيخ الزنداني: من الرأي إلى الفتوى)، موقع إسلام أون لاين في ١/٩/٢٠٠٣

فتتشكل الجمعيات والمؤسسات التي توجه هؤلاء الشباب وتفهمهم طبيعة الحياة الزوجية، وكيف تبني وكيف تتطور في صيغتها الجديدة. ويساهم رجال الأعمال والمستثمرين بتوفير أثاث ومساكن قليلة التكلفة لهؤلاء الشباب، ويوجه الناس لإنشاء صندوق تمويلي من زكاة أموالهم للإسراع بزواج من ارتضوا هذه التجربة. ويضيف أبو خليل: إن هذه الصيغة التي نقتربها ليست صيغة إجبارية، ولكنها صيغة يجب أن تصبح متاحة يتم الدعاية لها والدعوة إليها، بل ويتم تشجيعها من خلال ما افترضناه من جمعيات ومؤسسات أهلية، ويتم صياغتها بطريقة شرعية من قبل رجال الدين بجواز هذه الصورة التدريجية من الزواج، ويتم وضع الضوابط القانونية والتشريعية التي تحدد العلاقات في ظل الوضع الجديد. يجب أن ينهض المجتمع كله من أجل إنجاح هذه الصيغة: أولاً بقبولها اجتماعياً واعتبارها شيئاً طبيعياً يحدث لحماية المجتمع، وليس من وراء ظهره، ويزداد قبوله تدريجياً حتى يتسع ويعم. وثانياً بالدعم المادي، وثالثاً بالدعم الديني الشرعي من خلال اجتهاد عصري يثبت أن الإسلام صالح لكل زمان ومكان، ومستعد لمواجهة كل التغيرات والتعامل معها، وليس الهروب منها تحت ادعاء أنها مشاكل لم يصفها، ولذا فهو ليس مطالباً بحلها.^١

ويؤيد السيد محمد حسين فضل الله - المرجع الشيعي اللبناني - الزواج فريند داعياً إلى تسهيل الزواج العادي وتبسيطه، حتى لو فرضنا كان الزوجان يعيشان معاً في الجامعة، فيمكن لهما أن يأخذا غرفة في الجامعة، ويبارسا حياتهما الزوجية بشكل طبيعي. وحول سؤال وجه إلى سباحته: هل يمكن أن يكون زواج من دون سقف واحد، بمعنى أن يبقى كل منهما بعيداً عن الآخر؟ فقال: طبعاً الزواج يعتبر سكناً، ويمثل حالة روحية ونفسية ومودة ورحمة. فإذا تراضى الزوجان بذلك فلا مشكلة.^٢

ويعلن مفتي مصر الدكتور أحمد الطيب تأييده لهذا المقترح مؤكداً أن عدم توفر مسكن خاص بالزوجين لا يبطل الزواج، وأجاز لقاءهم في بعض الأوقات ثم الافتراق في المعيشة. وأضاف أن هذا النوع من الزواج يُعد حلاً مثالياً لمشاكل العصر كالعنوسة، ويساعد الشباب في بداية حياتهم بعد تفشي البطالة، وعدم القدرة على تدبير نفقات الزواج.

ويشاركه في التأييد الدكتور رأفت عثمان - عضو مجمع البحوث الإسلامية وعضو المجلس الفقهي لأمريكا لشمالية - حيث أكد أن هذا المقترح مراده جمع الشباب بعقد شرعي كامل الأركان. وأكد على أن هذا الزواج سوف يعمل على تقليل الزيجات العرفية غير الشرعية، ويقلل الفحشاء في مجتمعاتنا الإسلامية. كما اتفق معهم الشيخ عبد المحسن العبيكان - من علماء السعودية - حيث ذكر أن من حق المرأة التنازل عن البيت والنفقة.^٣

١ عمرو أبو خليل (زواج الهواة الطلق: دعوة للشباب)، موقع إسلام أون لاين في ١/٩/٢٠٠٣

٢ (رأي العلامة السيد فضل الله في زواج الفريند)، نشرة بينات، العدد (٣٣) الصادر في ٢٤/١٠/٢٠٠٣

٣ رجاء ناجي (تراجع زواج الكاسيت والوشم أمام زواج الفريند)، موقع إسلام أون لاين في ١٨/٩/٢٠٠٣

ويقول الشيخ عبد الحميد حمدي -عضو المجلس الإسلامي في الدانمارك- «إن الزواج الذي طرحه الشيخ الزندانى يعتبر صحيحاً مستوفياً لكافة الشروط من الناحية الشرعية، وبالتالي ليس ثمة مانع شرعي يحول دون أخذ المسلمين في الغرب به». ويستغرب الشيخ حمدي الضجة الإعلامية التي أثيرت حول رأي الشيخ الزندانى، حيث يقول: إن الشيخ بن باز رحمه الله قد أفتى للطلبة السعوديين الدارسين في الخارج بما هو أخطر مثيراً مما اقترحه الشيخ الزندانى، حيث رخص بن باز ما يسمى بـ(الزواج بنية الطلاق). ومعناه أن يتزوج الطالب امرأة من أهل البلاد التي يدرس فيها، حتى إذا أكمل دراسته طلقها دون وقوع إثم عليه. ويضيف الشيخ حمدي: إن النقاش حول مسائل الزواج ليس جديداً في التاريخ الإسلامي. وبحسب العالم التونسي الجليل الشيخ محمد الطاهر بن عاشور صاحب تفسير (التحرير والتنوير)، فإن زواج المتعة ظل سارياً حتى زمن الخليفة عمر بن الخطاب الذي يرى أنه هو الذي منعه بشكل نهائي وليس الرسول (ص).^١

ويؤيد علماء الاجتماع هذا الزواج، حيث يؤكد الدكتور أشرف عبد الوهاب -مدرس علم الاجتماع بكلية الآداب بجامعة حلوان- أن الزواج فريند تتوفر فيه جميع الشروط عدا مسكن دائم يضم الزوجين. ومن وجهة نظري فإنه يمكن قبول هذا النوع من الزواج بصفة مؤقتة إلى حين تحسن الحالة المادية للزوج والتي تمكنه من إيجاد السكن المناسب. وهذا النوع من الزواج أقرب إلى الواقع، ويمكن أن يكون حلاً لمشكلة العنوسة والعزوبية التي بلغت درجة بالغة الخطورة في المجتمعات العربية.^٢

لعل أقوى طرف معارض لهذا الحل هم الطرف الهام في القضية: الآباء والأمهات. إذ أن الوالدين هما اللذان سيتحملان مسؤولية وتبعات زواج أبنائهم. فعليهم تحمل الاستياء والامتعاض الاجتماعي الذي سيواجههم به المجتمع لأنهم يخرجون عن التقاليد والأعراف الاجتماعية السائدة. إذ لا تتقبل المجتمعات العربية والمسلمة بسهولة فكرة زواج الابن أو الابنة وهما يقيمان في منزل والديهما. إذ من المتعارف أن الابن أو الابنة عندما يتزوجان ينفصلان عن أهليهما في بيت مستقل، يديرانه بأنفسهما مع زوجيهما. بالطبع إن وضع الابن أخف كثيراً، لأن هناك عرف سائد لا يجد ضيراً في زواج الابن وسكنه مع زوجته في بيت والديه أو أحدهما. لكن الأمر المرفوض، في الغالب، هو أن تقيم البنت المتزوجة مع زوجها في بيت والديها. هذا من الجانب الاجتماعي، أما الجانب الآخر وهو هام أيضاً فهو الجانب المالي. إذ من المتعارف

١ خالد شوكات (مسلمو أوروبا... الحرية الجنسية للشبان فقط)، موقع إسلام أون لاين في ١٥/٩/٢٠٠٣
٢ رجاء ناجي (تراجع زواج الكاسيت والوشم أمام زواج الفريند)، موقع إسلام أون لاين في ١٨/٩/٢٠٠٣

أن الإبن الذي يتزوج مستقل مالياً أيضاً، أي لن يعتمد على والديه بعد الزواج فصاعداً. فإذا ما بقي الولد أو البنت في بيت والديهما وهو أو هي متزوجان، مما يعني استمرار إنفاق الوالدين عليهما. في الوقت الذي ينتظر الوالدان الوقت الذي يخفف فيه أبنائهم المسؤولية المالية عن كاهليهما.

وهناك جانب آخر هو كيف سيسمح الوالدان بتوفير فرصة خلوة شرعية لإبنتها أو ابنتها في منزل الوالدين. فهذا سيكون من الصعب عليهما قبوله، وكذلك تبريره أمام الأبناء والبنات الآخرين في المنزل نفسه. وهذا ما يعرض الزوجين الشابين للإحراج العائلي والاجتماعي، حيث سيعرف الجميع متى وماذا يدور في الغرفة المغلقة.

والطرف المعارض القوي الآخر هم بعض العلماء والفقهاء الذين يستنكرون الزواج فريند، محتجين بمبررات شرعية واجتماعية. إذ يرى الشيخ نصر فريد واصل -مفتي مصر السابق- أن هذا الزواج يفقد شرطاً أساسياً هو السكن والمودة بين الزوجين، ويجعله مجرد شهوة يجب إشباعها. ويرفض الدكتور عبد العظيم المطعني -أستاذ الدراسات العليا بجامعة الأزهر وعضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في القاهرة- هذا الزواج مؤكداً أن من سيئاته الإخلال بعنصر الاستقرار في الأسرة، لأن وجود السكن هو هذا الأساس في الاستقرار تحقيقاً لقوله تعالى (لتسكنوا إليها، وجعل بينكم مودة ورحمة). ويشير المطعني إلى مجموعة من المشاكل الاجتماعية التي تترتب على هذا الزواج مثلاً، هل يتسع منزل أهل الزوجة لها ولذريتها في المستقبل؟ وأن هذا الزواج سيحرم الزوجين من المشاركة الفعلية في تربية أولادهما، وتحرمهم من وجود أبيهم معهم في ليل أو يصبح الأب مثل الضيف يزور أولاده لماماً فترة قصيرة ثم ينصرف قبل أن تهجع العيون وتنام الجفون. ويُرد على رأي المطعني بأنه في الزواج فريند تُؤجل قضية إنجاب الأولاد طالما لم يتوفر منزل واحد للزوجين الشابين. إضافة إلى أن كثير من الأطفال يعيشون في منازل أجدادهم وجداتهم بسبب سفر أو غياب أو انشغال الأب أو الأم بالعمل داخل البلاد أو خارجها، أو بسبب فقدان أحد الأبوين.

ويؤكد الدكتور المطعني على أن الزواج فريند «يشجع على تفكك الأسر وانتشار الزواج العشوائي أو السري بين الشباب على أن يلتقيا مرات متقاربة أو متباعدة في مكان ما. وينصح المطعني الشباب بالصبر على الحرمان الجنسي مستنداً إلى قوله تعالى (وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً أن يغنيهم الله من فضله)».

ويرفض الشيخ يوسف البدري -عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة- الزواج فريند مؤكداً على أن «محاولة تغريب الإسلام شيء خطر حقاً، وأن إكساب العلاقة الآئمة بين الشاب والفتاة صفة شرعية بعقد زواج صوري شيء مخجل ومفزع حقاً». وهذه فكرة غير صحيحة لأن الزواج فريند يشترط وجود عقد شرعي مستكمل لكل أركان الزواج، عدا المسكن

١ محمد خليل (فتوى زواج فريند تفجر خلافاً فقهاً بين علماء الأزهر)، نشرة بينات، العدد (٣٣) الصادر في ٢٤/١٠/٢٠٠٣

الذي ليس هو من أركان عقد الزواج.

ويعتقد الشيخ محمد سعيد حوى -أحد علماء الأردن- أن «هذا الزواج يمثل الثقافة الغربية، وهو بعيد كل البعد عن قيمنا وثقافتنا الإسلامية». ويستند على قوله تعالى (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) مؤكداً على أن «من مقاصد الزواج وأهدافه السكن إلى الزوجة، ولا أعتقد أن هنالك سكناً حقيقياً في الزواج فريند»^١. ويبدو هناك لبس في فهم معنى (السكن) إذ لا يقصد به المسكن والدار أو البيت، بل هو تعبير عن السكنية الروحية التي يخرج بها الإنسان من الشعور بالوحدة والوحشة إلى الشعور بالاندماج والأنس والالتقاء بالآخر، لأن المسألة لا تقتصر على الجانب الجنسي في العلاقة الزوجية. إن علاقة الحب والمودة لا يمكن أن تُختزل بالالتقاء المكاني، وإن كان ذلك هاماً، لأن الحب والعاطفة المتدفقة لا يمكن حصرها في المكان، لأنها حالة وجدانية ونفسية غير مرتبطة بالقيود المادية.

ومن المعارضين أيضاً بعض التربويين الذين يرون أن الفئة المخاطبة بالزواج فريند هم الشباب المسلم، وخاصة «المراهقين منهم والذين لم يستقر جهازهم العقلي ووضعهم النفسي بعد. وأنهم غالباً ما يكونون مزاجيين في تصرفاتهم، ويرون تجاربهم في التواصل مع بعضهم كإناث وذكور من قبيل اللعب والتجربة المسلية التي يمكن أن تعاش مرتين أو ثلاثاً في السنة.. فهل نخضع صلة الزواج بما تعنيه من استقرار وثبات لهذه النفسيات والعقليات؟ إن منطلق الشيخ الزنداني طيب بلا شك، وشعوره بالمشكلة الجنسية التي يعاني منها الشباب المسلم في الدول الغربية في محله، غير أن الزواج ليس صلة جنسية فحسب، إنما هو سكن ومودة ورابطة اجتماعية والتزام أخلاقي، لا يرى الشباب المسلم بمواصفاته الحالية في الغرب قادر على تفهم أبعاده كما يجب»^٢.

إن مشكلة رأي الشيخ الزنداني ليست فقهية، لأن الزواج فريند مستوف لأركان عقد الزواج الشرعي، ولكن المشكلة تنبع من الجو الثقافي والأعراف والتقاليد الاجتماعية التي لا تستطيع استيعاب هذه القفزة في العلاقات الزوجية وبشكل علني، لأن المجتمعات المسلمة تعلم جيداً حجم الزيجات العرفية والمتعة والمسيار والتي تجري في أجواء من السرية والكتمان. ولا زالت المجتمعات المسلمة ترفض حلولاً شرعية لمشكلات واقعية بسبب التمسك المفرط بالتقاليد المتحجرة، حتى لو أدى ذلك إلى مزيد من الفساد الأخلاقي وانتشار الفاحشة والميوعة والزنا، سراً وعلناً، بين الشباب المسلم. فهل نحسنهم بالزواج الشرعي الملائم لظروفهم وأحوالهم؟

١ طارق دبلواني (الأردن: زواج فريند فوق صفيح ساخن)، موقع إسلام أون لاين في ٢٩/٩/٢٠٠٣

٢ خالد شوكات (مسلمو أوروبا... الحيرة الجنسية للشبان فقط)، موقع إسلام أون لاين في ١٥/٩/٢٠٠٣

- يعاني الأهل والشباب المسلم في الغرب من مجموعة من التحديات والمشاكل التي تواجه الأقلية المسلمة. في البداية نشير إلى بعض الملاحظات الهامة وهي:
- ١- يجب استغلال الفرص والدعم الذي توفره البلديات والحكومات الغربية لقضية الاندماج واستثمارها لخدمة الشباب المسلم في شتى المجالات. (الإسلام المواطنة)
 - ٢- الدول الغربية دول مؤسسات وتخطيط وإحصائيات، ومن غير المعقول أن نبقى في حالة العمل الفردي والارتجالية والعشوائية في العمل الإسلامي.
 - ٣- لا بد من إيجاد بدائل إسلامية لأي أمر يمنع الأطفال والشباب عنه لأنه حرام. فبدون وجود بديل مناسب يبقى المحرم مؤثر ومنادياً للشباب لممارسته. وأقصد بذلك الشيد الإسلامي والرياضة والمسابقات والمسرح والفن والرسم وكل ما يشغل بال الشباب في كافة المراحل.
 - ٤- لنجاح العملية التربوية يجب أن تكون لدينا مؤسسات قادرة على احتضان الشباب المسلم ذكوراً وإناثاً من الطفولة كي يمكن التخطيط لهم لمستقبلهم. أما التعامل مع مشاكل الشباب في مرحلة متأخرة فبعضها لا يمكن حله بسهولة مثل عدم القدرة على التواصل باللغة الأم مع الأسرة والجالية.
 - ٥- يجب أن يكون هناك تكامل وتوافق بين مفاصل التربية وهي:

أولاً: الأسرة

نقصد بالأسرة الأب والأم والأخوة الكبار الذين يمكن أن يلعبوا دوراً في توجيه ومساعدة الأطفال الصغار والشباب لتجاوز الصعوبات التي تواجههم سواء في الجانب الدراسي أو الجانب السلوكي وعلاقتهم بالمحيط الذي حولهم.

للأسف غالبية الآباء والأمهات ذوي ثقافة محدودة وهناك نسبة من الأميين بينهم. وهذا يؤثر على مسار العملية التربوية وكيفية مواجهة المشاكل التي يعاني منها أبناؤهم. فبعض الآباء والأمهات يعتقدون أن التربية هي توفير المأكل والملبس والمسكن ومصروف الجيب. وهذا تصور ساذج لأن الفرد بحاجة إلى رعاية روحية وأخلاقية وسلوكية ومفاهيمية مثل ما هو بحاجة إلى تلبية مطالبه الجسدية في الأكل والشرب والمسكن والملبس، كي يكون إنساناً متوازناً واعياً مدركاً لثقافته وعقيدته وعاداته كما هو مدرك لثقافة المجتمع الغربي وعاداته وقيمه. وإذا كان الآباء والأمهات غير قادرين على تربية أبنائهم تربية إسلامية صحيحة فلا أقل أن يطلبوا مساعدة

المؤمنين الواعين في المساجد والجمعيات الإسلامية. وهذا يجرنا إلى قضية العلاقة بين الأسرة والمسجد أو الجمعية.

ثانياً: المسجد

غالبية المساجد في الدول الغربية تعاني من حالة التقليدية والجمود، إذ تقتصر نشاطاتها على الجانب العبادي فقط في حين أن للمسجد رسالة تربوية هامة يقوم بها الإمام واللجنة المكلفة بالمسجد. فيمكن تنظيم دورات تربوية ودروس فقهية للأحكام الشرعية والتاريخ الإسلامي. ويمكن عقد ندوات تناقش فيها قضايا الثقافة الإسلامية وما يثار ضد الإسلام من شبهات واتهامات لتوضيح المواقف الشرعية والتفسير المناسب كي يكون الشباب على بينة من دينهم، ولا يتلقون تشكيكات وأباطيل من الصحف والتلفزيون والمؤسسات الغربية أو التبشيرية.

يجب أن يتسلح الشباب المسلم بالثقافة الإسلامية الأصيلة وتمييزها عن العادات والتقاليد التي يعتقد البعض أنها جزء من الدين. يجب أن يفتح المسجد ذراعيه لاحتضان كل الشباب وتوفير الأجواء المناسبة للحوار والتعلم والمناقشة. ولا يجب الاصرار على النقاش باللغة العربية بل يمكن استخدام اللغات الأجنبية أيضاً كالهولندية والفرنسية. لا ننسى أن العرب يشكلون ١٥٪ من مجموع المسلمين في العالم. ولا يمكن التشكيك بإسلامهم والتزامهم لأنهم لا يجيدون العربية. بالطبع يفضل تعلم العربية لأنها الوسيلة لقراءة القرآن وفهمه والاطلاع على المصادر الإسلامية في الفقه والحديث والتفسير والتاريخ.

ثالثاً: الجمعيات الإسلامية

في كل بلد غربي يوجد مئات الجمعيات الإسلامية (في هولندا مثلاً توجد حوالي ١٢٠٠ جمعية). وتلعب الجمعيات دوراً ثقافياً وإسلامياً ملحوظاً بسبب طبيعة تكوينها وحرية مناقشة القضايا العامة فكرية وسياسية واجتماعية مما يوفر لها جواً مؤثراً.

يجب أن تكون علاقة الجمعية متكاملة ومتواصلة مع كل من المسجد والأسرة من أجل تقوية المفصل الهام في الحياة الثقافية للمسلمين. وإن كانت بعض الجمعيات تضم مسجداً أو قاعة للصلاة، كما أن بعض المساجد لديه نشاطات ثقافية عامة.

وتحرص الجمعيات الإسلامية على أن تكون لها برامج منتظمة كالدورات، والندوات، والاحتفالات، تحمي فيها المناسبات الإسلامية، وتسلط فيها الضوء على الدروس والعبر منها، والفهم الواعي لهذه المناسبة أو ذلك الحدث التاريخي الإسلامي.

تستطيع الجمعيات الإسلامية جذب الشباب المسلم في مختلف الأعمار من خلال البرامج الموضوعية لهم. إذ يمكن إقامة دورات كومبيوتر، انترنت، ألعاب ومسابقات رياضية، سفرات ترفيهية، أناشيد إسلامية، سباحة، مخيمات صيفية تربوية، دورات خياطة وتديير منزلي وثقافة عامة للنساء والفتيات.

إن توفير البدائل أمر هام في التربية الإسلامية طالما أننا نواجه تحديات كبيرة تتمثل في تأثير الثقافة الغربية وضخامة الإمكانيات المتاحة لها، ومساحة وحجم تعرض المسلمين لمؤثراتها، في المدرسة والشارع والتلفزيون. لذلك يجب أن تكون لدينا الإرادة والإمكانات لمواجهة هذه التحديات كي يستطيع الشباب المسلم أن يتكيف معها دون أن يفقد هويته ودينه وأخلاقه. وبدون تظافر جهود كل أبناء الجالية، كل حسب إمكاناته سواء بالدعم المعنوية أو المالي أو الفكري أو المشاركة في النشاطات الإسلامية ورفدها بكل المقترحات من أجل تطويرها.

يجب أن نضع في الحسبان التخطيط السليم والاحصائيات المنظمة لكل مشروع أو نشاط نخطط له أو نستخلص فيا بعد نتائجه، سلبياته وإيجابياته. وأن نستخدم أساليب حديثة ومبتكرة في إيصال المعلومة الإسلامية في الرسم والتلوين والمسابقة والبوستر والمسرحية وفلم الفيديو وألعاب التسلية. ها نحن في رحاب شهر محرم وذكرى عاشوراء حيث استشهد الإمام الحسين (ع) وأصحابه وأهل بيته. فكيف يمكن أن نوصل هذه الفكرة إلى الأطفال والشباب، هناك عدة أفكار: مثلاً نقوم بعمل مجسم للحادثة يشاهد الطفل فيه مجموعة من الخيل والإبل ودمى تمثل الإمام الحسين (ع) وزينب (ع) والأطفال الصغار، كما يشاهد الجانب العدواني في أشخاص جيش يزيد. ويشاهد الخيم الصغيرة وغيرها مما يجعل الحادثة أقرب إلى خياله وتصوره. ولن ينساها أبداً لأنها ستنتطح في مخيلته. أقول ذلك لأنني رأيت غالبية الشباب المسلم في الغرب لا يعرف تفاصيل الواقعة. وقد أعددتنا في الجمعية الثقافية العراقية قصة عاشوراء باللغة الهولندية، وزعناها على الشباب المسلم وعلى غير المسلمين أيضاً فلقيت إعجاباً كبيراً.

كما قام ولدي جعفر وعمره آنذاك ١٧ عاماً بإلقاء قصة عاشوراء بالهولندية على الشباب المسلم، فسمعت بنفسني من الشباب من يقول: الآن عرفنا قصة عاشوراء.

وهذه مجموعة من المشاكل التي يعاني منها الجيلين الثاني والثالث من المسلمين المهاجرين في الغرب مثل:

- العلاقة مع الوالدين وفقدان التواصل العاطفي والفكري وأحياناً اللغوي.

- العلاقة مع المدرسة وانخفاض المستوى الدراسي عموماً. نسبة الطلاب المسلمين في الجامعات ضئيلة جداً قياساً بغيرهم من الأقليات غير المسلمة.
- العلاقة الضعيفة أو المقطوعة أحياناً مع المسجد والجمعية الإسلامية.
- انخفاض مستوى الوعي الثقافي والديني وعدم وجود تصور واضح لماهية وهدفية الأحكام الشرعية فيعتقد أنها مجموعة من القيود والالتزامات لا فائدة منها. على العموم صورة الدين ليست جيدة في أذهانهم.
- العلاقة مع المحيط وأصدقاء السوء وتعلم عادات سيئة من الشارع والعزلة عن نشاطات الجالية المسلمة
- التورط في الجريمة والمخدرات والانحراف الأخلاقي. في هولندا مثلاً نجد أن نسبة السجناء المسلمين تشكل ٤٠٪، في حين أن نسبة المسلمين لا تتجاوز ٤٪ فقط، أي أن معدل ارتكاب الجريمة بين المسلمين هو عشر مرات معدل ارتكابها بين الهولنديين! فالخلل إذن تربوي وثقافي وليس عقائدي أو ديني.
- البطالة وفقدان الهممة والإرادة في العمل وتحقيق النجاح في حياته فيستسهل الكسب السريع.

منذ سنوات والأوساط الحكومية والبرلمانية والصحافية تناقش قضية تعليم أئمة المساجد في هولندا. فمن المعلوم أن المساجد تستدعي أئمتها من البلد الأصلي، حيث يحصل على إقامة سنوية تتجدد بطلب من لجنة المسجد. كما تتكفل دفع راتبه ومسكنه. وهناك عدد كبير من أئمة المساجد الأتراك يأتون من قبل دائرة الشؤون الدينية (ديانت) التابعة للحكومة التركية، حيث يجري تعيين مئات الأئمة من تركيا، يبقون لمدة أربع سنوات ثم يعودون إلى تركيا. هذه الحالة تجعل الإمام غير قادر على التعرف على المجتمع الهولندي ولا ثقافته ولا تعلم لغته، مما يعني انزاله في مسجده غير مطلع على ما يدور في المجتمع، وغير قادر على إرشاد الجيل الشاب الذي لا يجيد التركية أو العربية بل الهولندية، كما أن لغة التخاطب والحوار مفقودة لأن ذهنية الإمام واطلاعه ينحصران في حفظ النصوص الدينية فقط في حين هناك الكثير من الأسئلة الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي يحتاج الشباب الإجابة عليها وبلغه يفهمونها وأسلوب عصري وعلمي مقبولين. وقد أشار بعض السياسيين الهولنديين إلى خطورة هذا الوضع على المهاجرين، وأن (أئمة المساجد سيقعون في شرك الأصولية ويربون الشباب المسلم عليها. وفي ذلك خطر على المجتمع الهولندي). ولذلك يجب تأسيس معاهد لتخريج الأئمة في هولندا، يتعلمون فيها، إضافة إلى العلوم الإسلامية، اللغة الهولندية ويتعرفون على الديمقراطية وحقوق الإنسان والمجتمع المتحضر.

وقد كتبت في ذلك الكثير من المقالات والأبحاث والرسائل الجامعية. كما عرضت عدة مقترحات لإنشاء معهد متخصص لتربية الأئمة لكن مشكلة التمويل الحكومي بقيت عاقلة لأن الدستور الهولندي يمنع الحكومة من تمويل التعليم الديني العقائدي. ومع ذلك فقد تأسست مدرسة عليا HBO في أمستردام لهذا الغرض.

أحمد أبو طالب شاب مغربي، بعد أن أنهى دراسته في الحقوق والاجتماع التحق بالديه في هولندا، ودرس الحقوق والاجتماع في جامعة أمستردام. انشغل بقضايا الأجانب وبتأسيس الآن مركز (فوروم FORUM) في أوترخت. شارك في تقديم برنامج (حوار) في التلفزيون الإسلامي أيام الأحد. اختير مؤخراً مستشاراً للحكومة المغربية لشؤون المهاجرين. أبو طالب يكتب في صحيفة (تراو) عموده الأسبوعي الذي يركز فيه على قضايا الأجانب والإندماج. خلفيته وآراءه علمانية تحاول إرضاء الهولنديين بينما خلفيته الدينية ضعيفة رغم أن أباه إمام أحد المساجد.

في ١٨/٧/٢٠٠٠ كان عنوان عموده (إمام هولندي) تناول فيه قضية تربية الأئمة حيث

رفض فكرة تأسيس معهد أكاديمي لتعليم الأئمة لأن هذه الفكرة، برأيه، (ينظر إليها من منظور مسيحي، وأنه مطلوب من الإمام حفظ القرآن بأجزائه الثلاثين، كي يصبح مؤهلاً لإمامة الصلاة. ولذلك يبدأ الأئمة دراساتهم وحفظهم منذ سنوات الطفولة كي يتقنوا حفظ القرآن). ثم استنتج (أن الجامعة أو المعهد الأكاديمي قد يعمق معرفة الطالب لكنه لن يتخرج إماماً. ولذلك يجب أن يتضمن التعليم الجيد ١- تعليم القرآن للفتيان والأطفال ٢- تعليم أكاديمي لتعميق معلوماته).

وفي يوم ٢١/٧/٢٠٠٠ قام عبد الواحد فان بومل، وهو هولندي اعتنق الإسلام في الثمانينات، ودرس العلوم الإسلامية في تركيا، وله نشاطات دعوية ومقالات وبحوث وندوات حول الإسلام في هولندا، بالرد على مقال أبو طالب اعتبر فيه آراءه (دليلاً على معرفة بدائية وسطحية بالإسلام والمجتمع الإسلامي. فقد ادعى أبو طالب أن على الإمام أن يكون حافظاً للقرآن الكريم كله، ولذلك يجب أن يبدأ بالحفظ في سن ١٢ عاماً. نعم هناك فتیان يحفظون القرآن في المساجد ويدخلون مسابقات حفظ القرآن. فهل يمكن اعتبار أن لديهم قابلية أن يصبحوا أئمة حسب مقاييس أبو طالب؟ لقد جاء أبو طالب من ثقافة تقول: إسأل الإمام لأنه حافظ للقرآن. ولكن خلال الأربعة عشر قرناً هناك تفسير مستمر للقرآن. ونحن بحاجة إلى تفسير ينسجم مع المكان والزمان الحالي. في تركيا والمغرب يفتقر تعليم الأئمة للحرية في التفكير لأن المعاهد تحت رقابة وإدارة الحكومات. والإسلام الرسمي يرفض مناقشة قضايا تتعلق بالمجتمع والسياسة والإقتصاد من وجهة نظر إسلامية. وفي هولندا قام أئمة المساجد المغاربية بمعارضة تغيير قانون الأحوال الشخصية المعتمد على (المدونة) الفقهية الكلاسيكية.

لقد طرحت أربعة مبادرات لتعليم الأئمة في هولندا والتي تلبى وجهات النظر الهولندية أكثر مما تريده الجالية المسلمة. مقترحات وفق مواصفات ومعايير أشخاص أمثال أبو طالب و محمد الرباع وأسامة شريبي (عضوان في البرلمان الهولندي)، تلك الشروط والمطالب التي لم يطرحها أحد مطلقاً لتعليم القساوسة والحاخامات. إن الإمام المستورد هو مواطن ناقص الحقوق، أمره مرتين بلجنة المسجد، وليس لديه ضمان إجتماعي رغم أن مجلس الدولة اعترف بمقامه المساوي لمنزلة القساوسة والحاخامات.

ماذا نقبل وماذا نرفض من المجتمع الغربي؟ وكيف نحصّن أبناءنا من مخاطر الثقافة الغربية؟ كيف نتعامل مع مفردات التربية؟ وكيف نواجه المشاكل التي يعاني منها أطفالنا في البيت والمدرسة؟

أكثر من ١٠٠٠ ساعة يقضيها الطفل المسلم في المدرسة الغربية سنوياً. ثقافتنا تؤكد على (هدوء) الطفل و(طاعته) لوالديه مهما كانت النتائج. ليس كل العراقيين يهتمون بمسألة تعويد الطفل على النظام في النوم والأكل واللعب. ٩٥٪ من الطلاب الأجانب الذين يدرسون عدة لغات يتفوقون على نظرائهم الهولنديين. لا يوجد تشريع قانوني هولندي يمنع الفتاة من الحجاب أو يجبر الطفل على شيء ضد دينه وثقافته. حتى أفلام الكارتون تتضمن مشاهد غير لائقة ومفاهيم تناقض الأخلاق والقيم الإسلامية. خطر القنوات الفضائية العربية لا يقل عن المحطات الغربية، وتتضمن مشاهد غير محتشمة.

تحت شعار (قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة) عقدت الجمعية الثقافية العراقية في مدينة دوردرخت ندوة تربوية يوم الأحد المصادف ١٧/٥/١٩٩٨. وقد حضر جمهور غفير جاء من مختلف المدن الهولندية (أوترخت، هاوتن، أرثم، يباودن، روزندال، الميرا، دنبوس و دوردرخت).

بعد تلاوة من آي الذكر الحكيم قرأها حفظاً الطفل كاظم عرب، والذي تمكن من حفظ ربع القرآن الكريم في هولندا. دعا د. عبد الرزاق الدكتور صلاح عبد الرزاق الضيوف إلى منصة القاعة وهم الشيخ حيدر عرب (طالب حوزة ويدرس في كلية الشريعة) والسيد أبو جعفر الحسيني (محامي ومشرف تربوي في مدرسة الصادق (ع) التي تديرها الجمعية الثقافية العراقية في دوردرخت)، والأخ أبو أحمد الحسنوي (جامعي).

د. عبد الرزاق: من العوامل المؤثرة في شخصية الإنسان هي الوراثة والتربية والبيئة. والبيئة عامل هام في تنشئة الطفل. فهي المحيط الاجتماعي والثقافي الذي يتحرك فيه، ويتشبع بما فيه من أعراف وتقاليد وقيم وممارسات. ونحن اليوم نعيش في مجتمع غربي يختلف عنا في ثقافته وعاداته وقيمه. فماذا نرفض وماذا نقبل منه؟ وكيف نحصن أطفالنا من مخاطر الثقافة الغربية؟ هذا ما نحاول أن نسلط عليه الضوء في هذه الندوة.

وذكر د. عبد الرزاق إحصائيات حول مستوى التعليم بين الجاليات المسلمة مقارنة بالهولنديين

حيث قال أن نسبة الحاصلين على الشهادة الإعدادية من الأتراك ٣٠٪ والمغاربة ٢٠٪ والعراقيين ٥٣٪ والهولنديين ٨٠٪. أما نسبة الذين يتركون الدراسة ولا يحصلون على شهادة فتبلغ بين الأتراك ٢٤٪ والمغاربة ٢٣٪ والهولنديين ٦٪ فقط.

يعاني الأطفال الأجانب من صعوبات في تعلم الهولندية، بعضها طبيعي والآخر يعود إلى الأساليب الخاطئة للمدرسة أو المعلمين. يذكر أحد الباحثين أن المعلمين غالباً ما يستخدمون لغة ليست بالسهلة على الطلاب الأجانب، أو مصطلحات تاريخية أو جغرافية لا يفهمونها. ماهي أهم المشاكل التي واجهتموها؟

السيد أبو جعفر الحسني (أب لثلاثة أطفال): بعد فترة من مجيء الأسرة العراقية إلى الغرب تشعر أن هناك تحدياً قائماً بسبب اختلاف الثقافتين. والوالدان متريبات وفق أسلوب معين اعتمد البيئة الإسلامية في الشرق. أما في الغرب فالموضوع يختلف تماماً. على الوالدين أن يعيا الفارق في البيئة والثقافة، وعليهما أن يكونا على اطلاع كافٍ بالثقافة الإسلامية. هناك إحصائية تقول أن الطفل يقضي ما يقارب ١٠٠٠ ساعة سنوياً في المدرسة. ويتلقى خلالها معلومات كثيرة، ويحمل معه أسئلة كثير إلى البيت.

بعض المناهج الدراسية تناقض عقائدنا، فيجب تصحيح ذلك كي لا ينشأ الطفل على مفاهيم خاطئة. ويجب متابعة الطفل باستمرار.. في كل شؤون حياته، كتبه.. المفروض أن نسأل الطفل عما يحدث في المدرسة، ماذا درست؟ أين ذهبت؟ ماذا حدث اليوم في المدرسة والصف؟ نحن نشجع تعلم اللغة الأجنبية، ونحب العلم والتطور، ولكن ذلك لا يعني عدم المتابعة. بالنسبة للمشاكل، طلبت إدارة المدرسة من ابنتي نزع حجابها فأصرت على الرفض، ثم وافقت بشرط أن يخرج جميع الطلاب الذكور من الصف. فلما رأيت الإدارة موقفها احترمتها وقبلت بإرتداء الحجاب في المدرسة.

الشيخ حيدر عرب (أب لثلاثة أطفال): مجئنا كمجموعة عراقية واحدة من رفحا، وسكننا في مدينة واحدة، جنبنا بعض المعاناة من شعور الأطفال بالوحدة أو الغربة. ورغم ذلك وجدت صعوبة في تأقلم ولدي الصغير (٧ سنوات) حيث كان يرفض الذهاب إلى المدرسة بحجة أنه لا يرغب بمخالطة الطلاب الهولنديين لإختلاف اللغة والعادات. لقد بذلت جهداً لإقناعه بأن وجودنا قد يكون مؤقتاً، ونحن كمسلمين نعيش هنا، يجب أن نتعلم لغتهم، وقد يصبحوا مسلمين.

مداخلة أبو علي الجابري: هل يستوعب طفل صغير مثل هذا الطرح؟

الشيخ عرب: لم يكن الأمر سهلاً بل إحتاج إلى حوالي عام.

مداخلة د. أبو أحمد الحسيني: يحتاج الطفل إلى جهد كبير كي يميز بين المجتمعين والثقافتين.

مداخلة الحاج أبو محمد خلف: المشاكل في اللغة يعاني منها الأطفال الكبار في السن بين ١٠ و ١٢ عاماً والذين درسوا مسبقاً في بلدانهم. أما الصغار بين ٥ و ٧ سنوات فلا يعانون كثيراً.

السؤال الثاني عشر:

د. عبد الرزاق: يلاحظ أن الطفل يتعود النظام في المدرسة والشارع من خلال المقررات المعمول بها. وعندما يعود إلى المنزل لا يجد هناك نظاماً. بعض العوائل تهتم بالنظام داخل البيت.. مواعيد الطعام والنوم، ولكن الغالبية لا تهتم بذلك؟

أبو أحمد الحسنائي: بالنسبة لتعليم الأطفال النظام داخل البيت، فالحقيقة أننا تربيتنا في العراق نركز في تربية أطفالنا على مسألة (الهدوء)، والحكم على طفل أنه مؤدب أو غير مؤدب يتم من خلال (هدوئه) بنسبة ٨٠٪. والعامل الآخر في تقييم التربية هي مسألة (طاعة الطفل لوالديه) سواء كانت خطأ أو صح. فالطفل الذي يحقق هذين الجانبين نقول عنه أنه مؤدب وجيد، ولا إشكال في تربيته. أما الجوانب الأخرى في شخصية الطفل فلا نراعيها كثيراً مثلاً نربي الشجاعة، قوة الشخصية، الإباء، نكران الذات وغيرها.

المشكلة أننا نريد من طفلنا أن يتعلم النظام كما يريده الهولنديون كالنوم والطعام والإستحمام، لكننا نريد من الطفل واجبات إضافية. فنحن نريده أن يجيد الهولندية ويكون متميزاً، ومن جانب نريده أن يتعلم العقائد الإسلامية ويحارس الشعائر والعبادات فيكون ذلك ثقيلاً عليه.

د. عبد الرزاق: لا أعتقد أن هناك تناقضاً بين تعلم النظام وتعلم العقائد الإسلامية. يمكن أن نشرح للطفل أن العبادات في الإسلام تسير وفق نظام، مثلاً لا نصوم إلا في رمضان، والصلاة في أوقات محددة، فنشير إلى هذا النظام من خلال التربية.

أبو أحمد الحسنائي: يجب على الأب الواعي والأم الواعية التركيز على ما تطلبه المدرسة والنظام من الطفل، وبين ما نريده من تعلم دينه وتقاليده بحيث نحصل على نتيجة إيجابية.

د. عبد الرزاق: هل تترك أطفالك يسهرون حتى الساعة ١٢, ٠٠ ليلاً؟

أبو أحمد الحسنائي: نعم، في بعض الأوقات يبقون أكثر من ذلك. مثلاً هذه الندوة تجري مساءً، وقد نصل إلى المنزل في وقت متأخر. أما في الأيام العادية فينامون في الموعد المحدد.

السيد أبو جعفر الحسيني: للطفل قدرة استيعاب واسعة. يجب أن نركز في ذهنه المفاهيم الصحيحة

والعقائد الإسلامية قبل أن يصبح شاباً (١٤ عاماً). عندئذ سيصبح رجلاً يدير أغلب شؤونه بنفسه، يريد أن يفتح حساباً خاصاً به في البنك، يستحصل على هوية أو جواز سفر. فمن أين سيحصل على المفاهيم الصحيحة آنذاك وهو مستقل؟

مداخلة عبد الرحمن الرميثي: لدي خبرة تعليمية طويلة، وأتابع دورة تدريبية في التعليم في روتردام. يشير أحد البحوث الهولندية إلى أن ٩٥٪ من الطلاب الأجانب الذين يدرسون عدة لغات هم أفضل من الطلاب الهولنديين.

مداخلة أبو ياسر الحمداني: اللغة هي وسيلة التخاطب بالأفكار، والطفل الذي يتعلم الهولندية يفتح على الثقافة الهولندية. وهذا أمر هام جداً. يجب أن نجد حلولاً لأسئلة الأطفال مهما كانت. الشيخ حيدر عرب: الطفل المسلم بحاجة إلى رعاية خاصة، لأنه مطلوب منه التعامل مع ثقافتين ومنهجين، لكل منهما متطلباته. يجب أن يكون الوالدان على اطلاع كافٍ في الثقافتين واللغتين. وأن يضخا المعلومات بشكل تدريجي يناسب عمر الطفل ومستواه. إنه بحاجة إلى برنامج مسبق يتعاونان على تنفيذه، فالأمر يختلف عن العراق.

د. عبد الرزاق: هناك مشاكل يعاني منها الطفل داخل المدرسة مع المعلمين، مع زملائه، مع المنهج، مع الرياضة والسباحة. كثير من العراقيين لا يعلمون أن من حقهم الاعتراض على إدارة المدرسة وقراراتها حتى لو وصل الأمر إلى المحاكم. لا يوجد شيء يجبر الطفل على أمر ضد دينه أو ثقافته. والقانون يسمح لكل شخص بالإعتراض على قرار يمسّه. كيف عالجتكم المشاكل التي واجهت أطفالكم في المدرسة؟

السيد أبو جعفر الحسيني: يمكن تقسيم المشاكل إلى نوعين:

١- المشكلة مع أطفال آخرين.

٢- المشكلة مع المعلمين أو إدارة المدرسة.

من خلال تجربتي في معالجة النوع الأول، أقول للطفل: هذه مشكلتك، ويجب أن تعالجها بنفسك. على الأب أن يعطي مساحة للطفل يعالج فيها مشاكله بنفسه، مما يزرع الثقة بنفسه ويزيد من من إعتياده على نفسه. أما بالنسبة للمشاكل التي تتعلق بالمدرسة، أذهب إلى إدارة المدرسة، أناقش المدير والمعلمين من أجل التعاون على حل المشكلة.

الشيخ حيدر عرب: استدعاني مدير المدرسة يوماً وقال، إن ولدك يذكر كلمات مثل الله، الشيطان، النار. ويهدد الأطفال بأن من يفعل شيئاً سيئاً سيضعه الله في النار، مما سبب الخوف الذعر في

نفوسهم. فقلت له يمكن معالجة الأمور بهدوء. وكما أن نفس الطفل يأتينا من المدرسة بكلمات جديدة على ثقافتنا مثل (سانت كلاس) و(زوارته بيت) وغيرها، وقد تعاملنا معها بهدوء. يمكن إفهام الطفل كيفية التعامل مع الآخرين من غير ديننا.

وتعرضت إبنة أخي إلى مشكلة عندما رفضت المعلمة السماح لها بارتداء غطاء الرأس. وأصرت إدارة المدرسة على نزع الحجاب. ووصل الأمر إلى البلدية حيث إدعت إدارة المدرسة أن الحجاب غريب في المدرسة. فقلت لهم: لديكم أشياء غريبة علينا فهل نرفضها؟ يجب أن نتجاوب في حل المسألة. وانتهى الأمر بالسماح لها بارتداء الحجاب.

د. عبد الرزاق: لا يوجد تشريع أو نص قانوني في هولندا يمنع ارتداء الحجاب سواء في المدارس أو المؤسسات أو الأماكن العامة. والدستور الهولندي يكفل حرية ممارسة الشعائر الدينية. وما تقوم به بعض المدارس أو المؤسسات ليست سوى قرارات إرتجالية أو مزاج شخصي تجاه حالة تبدو غريبة أو كراهية لمظهر إسلامي أو مجرد مشاكسة وعناد. ولو يراد منع الحجاب فيجب أن يصدر تشريع قانوني من البرلمان الهولندي لا يمنع الحجاب فقط بل يمنع كافة المظاهر الدينية مثل إرتداء القبعة اليهودية أو العمامة السيخية، أو لبس الصليب أو نجمة داود. فإما أن تُمنع كلها أو يسمح بها كلها، لأن منع بعضها يعني تمييزاً دينياً، وهذا ما يخالف المادة الأولى من الدستور الهولندي. ومن البعيد جداً أن يصدر مثل هذا القانون.

أبو أحمد الحسنوي: يجب أن نزرع الثقة في نفس الطفل بحيث أنه يدافع عن نفسه وعن عقيدته. مثلاً يرفض خلع ملابسه كاملة قبل أو بعد الرياضة أو السباحة، لأنه يعلم أن العري أمام الآخرين حرام.

مداخلة أبو محمد خلف: يجب أن يكون الأطفال بالأساس مقتنعين بالقضايا المرفوضة التي نحذرهم منها حتى يمكنهم تبنيها أمام المدرسة. فقد يسأل المعلم الطفل هل تحب السباحة؟ فيجيب بنعم. عندها يأخذ المعلم بالدفاع عن حق الطفل بالسباحة ويلوم الأب على حرمانه حقه.

د. عبد الرزاق: هل تسمحون لأطفالكم بالمشاركة في النشاطات المدرسية، زيارات، سفرات، أناشيد، تمثيلات..؟

السيد أبو جعفر الحسنوي: يتعلق ذلك بنوعية النشاطات. فإذا طُلب من ابنتك المشاركة في سفرة أو المبيت خارج المنزل أو الإختلاط مع الأولاد، فمن الطبيعي أن ترفض. أما إذا لم يكن هناك مانع شرعي أو محذور أخلاقي فلا إشكال.

د. عبد الرزاق: هل تراعي مسألة أن الطفل بلغ سن التكليف أم لا؟ أي ترك الأطفال يفعلون ما يريدون قبل سن التكليف؟
السيد أبو جعفر الحسني: الطفل عادة لا يفهم سن التكليف أو طبيعة الأحكام الخاصة به. يجب تعويده على ممارسة العبادات والتحلي بالأخلاق الإسلامية وترسيخ المفاهيم الإسلامية في سن مبكرة، أي قبل سن الكليف.

د. عبد الرزاق: اللغة العربية ركن أساسي في الثقافة العربية والإسلامية. ولا تتم بعض العبادات كالصلاة بدونها، وبها يُقرأ القرآن الكريم والأدعية المأثورة. ونرى اليوم أن اللغة الهولندية تطغى على حياة أطفالنا، في المدرسة والشارع والتلفزيون، فلا تبقى سوى مساحة صغيرة للغة العربية. ومع ذلك نرى بعض الآباء والأمهات يتركون أولادهم يتحدثون بالهولندية سواء بين الإخوة أو مع الأصدقاء والضيوف. هذه ظاهرة تعم العراقيين في كل دول المهجر. فهل ترون أن يقتصر التحدث داخل البيت باللغة العربية؟

الشيخ حيدر عرب: أنا من المناصرين لقضية التحدث بالعربية في البيت، وأمارس ذلك، وأشرح لأطفالي الكلمات الصعبة سواء في الحديث العادي أو الدعاء أو القرآن الكريم. الهولندية تنتهي داخل البيت.

وقد قمت بتجربة في تدريس اللغة العربية لبعض الأطفال، وبشكل يومي. وقد وفقنا الله تعالى حيث تعلم الأطفال اللغة العربية قراءة وكتابة في مدة ستة أشهر.

د. عبد الرزاق: يجد بعض أنه يكون ثقيلاً على الطفل تدريسه العربية كل يوم.

الشيخ حيدر عرب: للموضوع جانبان، أولاً: إن الأطفال في المرحلة الابتدائية لا يقومون بأي واجب بيتي، فهم أحرار بعد المدرسة. ونحن نترك لهم فرصة للعب قبل درس العربية. ينتهي دوام المدرسة في الساعة ٣،٣٠ عصراً، ويبدأ درس العربية في الساعة ٥،٣٠ وحتى ٧،٣٠ مساءً. هذا عدا أن يوم الأربعاء نصف دوام، ويومي السبت والأحد عطلة مدرسية. ثانياً: أن التحديات كبيرة أمام الطفل المسلم في الغرب، ويجب إستغلال كل فرصة لتعليمه العربية وترسيخ المفاهيم الإسلامية.

د. عبد الرزاق: ألم تواجه صعوبات؟ مثلاً ملل الأطفال من متابعة الدراسة.

الشيخ حيدر عرب: لقد استخدمت محفزات تشجيعية مثل تقديم الشوكولاتة. وكانت طريقة ناجحة جداً. أقول لهم: من يحفظ كذا له جائزة، فكانوا يتسابقون في الحفظ، سواء كلمات عربية

أو سور قرآنية. كما كنا نحتفل بمن يكمل تعلم العربية أو يحفظ جزءاً من القرآن ونعطيه جائزة ذات قيمة.

كما استخدمت أسلوباً آخر هو القيام بسفرات في الحدائق والغابات، أ طرح فيها مفاهيم إسلامية من خلال المسابقات وقصص من سيرة الرسول (ص) وأئمة أهل البيت (ع). المسألة ليست قضية ضخ معلومات بل أسلوب محبب يضمن وصول المعلومات إلى أذهان الأطفال.

د. عبد الرزاق: هل تشترون وسائل إيضاح لتعليم اللغة العربية، سبورة، ألوان، قصص، كتب، أشرطة فيديو وغيرها؟

أبو أحمد الحسن اوي: رغم أنها تكلف كثيراً لكن تعلم اللغة العربية يستحق أن تنفق عليه. ومن الضروري توفير ما يحتاجه تعليم اللغة العربية.

السيد أبو جعفر الحسن ي: تقوم مدرسة الصادق (ع) التي تديرها الجمعية الثقافية العراقية بتوفير الكتب والمناهج والوسائل التعليمية للطلاب. ورغم أننا نداوم يومين في الأسبوع (الأربعاء والأحد) إلا أن ذلك ليس بكافٍ.

إذا تساهلنا بتعليم اللغة العربية فسيعاني أطفالنا من عدم القدر على التعبير والتواصل مع الثقافة الإسلامية وقراءة القرآن الكريم والأدعية المأثورة. أنا أدعو إلى زيادة عدد ساعات تدريس اللغة العربية ووضع مناهج ملائمة.

مداخلة عبد الرحمن الوائلي: هناك قرار في وزارة التربية الهولندية ينص على أنه إذا وجد ثمانية أطفال من جنسية معينة في مدرسة واحدة، فمن حقهم طلب معلم يدرسه لغتهم الأصلية ضمن ساعات الدوام المدرسي. فعلى الآباء العراقيين الإتصال بإدارة المدرسة أو البلدية لتوفير معلمي اللغة العربية.

بعد ذلك تقدمت العلوية أم فاطمة شبر (معهد هندسة) لتقديم الندوة، حيث دعت الأخوات المشاركات للجلوس في المنصة وهن: السيدة أم سعد (صيدلانية، وأم لثلاثة أولاد)، والسيدة أم نور الدين (طالبة في كلية الشريعة وأم لأربعة أولاد) والسيدة أم علي الجابري (مثقفة وأم لستة أطفال).

مقدمة الندوة: أكد الإسلام على الإهتمام بالتربية وتوجيه الطفل والعناية الفائقة سيما في السنين الأولى. ويعتبر الإسلام أنه من أهم مكاسب الإنسان في الدنيا أن يكون له ولد صالح. روي عن الرسول (ص): من سعادة الرجل الولد الصالح.

يعرض التلفزيون مشاهد عنف ورعب مما يؤدي إلى تأثير سلبي في نفسية الطفل. وقد يقوم بتقليدها كالجرائم والسرقة وغيرها. فما رأيكم ببرامج التلفزيون؟ وهل تصحون بوضع جهاز تلفزيون في غرفة الطفل؟

أم سعد: ليس من الصحيح وضع تلفزيون في غرفة الطفل. كما يجب مراقبة البرامج المعروضة. أم نور الدين: الأسرة نواة المجتمع، فإذا صلحت صلح المجتمع. نحن كمسلمين، توجد ضوابط تضبط سلوكنا. البرامج المعروضة في التلفزيون جديدة على ثقافتنا ومجتمعنا. أكثر البرامج التلفزيونية مفسدة لأخلاق الطفل. صحيح أن هناك برامج ثقافية تفيد الطفل أو ترفيهية كالكارتون، لكنها تتضمن مفاهيم وسلوكيات سلبية، وحتى أفلام الكارتون. أنا أجلس مع أطفالنا عندما يشاهدون البرامج وأصحح المفاهيم الخاطئة المعروضة. أرى من الخطأ وضع جهاز تلفزيون في غرفة الطفل، لأنه يتأثر بالمشاهد غير اللائقة. وحتى لو نام مبكراً فقد يستيقظ ليلاً ويفتح التلفزيون.

سؤال أبو فاطمة البصري: ما هي المشاهد السلبية في أفلام الكارتون؟

أم نور الدين: هناك سلبيات كثيرة، مثلاً العلاقة بين الرجل والمرأة، القضايا العاطفية وطبيعة الكلمات المستخدمة في الحوار. بعض الناس يعتقد أن الطفل لا يفهم، وهذا غير صحيح. أتذكر أنني نبهت إحدى الأمهات عندما كان طفلها (سنة ونصف) يشاهد مشهداً تلفزيونياً غير لائق، فقالت: إن الطفل لا يفهم ذلك. فقلت لها: صحيح أنه لا يفهم ولكن صورة المشهد تبقى في ذهنه. هناك آداب إسلامية، مثلاً لا ينام الطفل في غرفة والديه. فالإسلام هو الذي يضع الضوابط وليس نحن نضعها.

مقدمة الندوة: كيف تتعامل مع المشاهد غير اللائقة؟ هل نمنعهم عنها أن تعودهم الحياء؟

أم نور الدين: لا أقول نمنعهم، فكل ممنوع مرغوب، وحتى للكبار. لا أمنعهم بشكل فض، بل أقنع الطفل بصواب هذا وخطأ ذلك لأنه ليس من تقاليدنا وعاداتنا. فمن جانب نعلم الطفل الحياء، كما نبذر في نفسه الرادع الديني الذي يستطيع أن يمنعه عن مثل هذه الأمور.

أم علي الجابري: قد نمنع الطفل عن سماع الكلمات البذيئة في التلفزيون، ولكنه قد يسمعها في الشارع والمدرسة. والأمر يزداد صعوبة في مرحلة الدراسة المتوسطة. فلا يكفي القول أن المشاهد غير اللائقة أو الكلمات البذيئة أنها تعارض الدين أو تعارض التقاليد، لأننا نعيش في مجتمع لا يعترف بالدين ولا بالتقاليد، فالإنسان الغربي حر فيما يفعله، خاصة في شؤون الشخصية. يجب أن أقنع الفتیان والفتيات بأن هذا الشيء ضار بمصلحتهم أولاً. كما يجب أن نعامل الأطفال كل حسب عمره.

وأحب التأكيد على قضية هامة هي أهمية تعلم الوالدين للغة البلد الذي يقيمون فيه. فقد يأتي ولدي (١٤ عاماً) ويحاول إقناعي بأن هذا البرنامج عادي ويشاهده جميع أصدقائي، وليس فيه ما يعيب. صحيح أنه يجب الثقة بقوله، ولكن كيف سأؤكد من ذلك. فإذا لم أكن أعرف اللغة الهولندية، كيف سأعرف أن ذلك البرنامج أو الفيلم لا يطرح مفاهيم مناقضة للأخلاق الإسلامية. إن المراقبة تحتاج إلى إجادة اللغة ومتابعة البرامج، فحتى برامج التسلية أو الألعاب تتضمن أسئلة أو نكات غير لائقة.

بعض العوائل تتصرف بسلبية تامة تجاه هذا الأمر، إذ تقوم بقطع كابل المحطات التلفزيونية وتلغي اشتراكها فيه. أما البديل التي تطرحه فهو الإعتماد على ما تبثه القنوات الفضائية العربية عبر جهاز الستلايت. وهذا الأمر خطير جداً حيث يفسح المجال للولد أو البنت لمتابعة كل المسلسلات والأفلام، على اعتبار أن المحطات عربية و(إسلامية).

نحن في المنزل نشاهد البرامج الهولندية أو العربية ونختار ما يلائم ثقافتنا وديننا. نشاهد في الفضائيات العربية البرامج التاريخية والثقافية والسياسية. وتجنب البرامج والمسلسلات المنحرفة. لقد نشرت (النخيل - العدد ٣٠) فتوى السيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم بحرمة المسلسلات المبدلجة لأنها تطرح أفكاراً بعيدة عن الدين والعقيدة والتقاليد. وحتى دعايات العطور والشامبو والصابون وغيرها التي تعرضها القنوات العربية تتضمن مشاهد غير محتشمة.

مقدمة الندوة: هناك بحث إجتماعي يقول أن ٦٠٪ من الغربيين قلقون بسبب التأثيرات السلبية للتلفزيون على أولادهم. ونصح الباحث بأن يشاهد الطفل برامج تلفزيونية تناسب عمره وشخصيته، ومناقشة الوالدين لأطفالهم ما تطرحه البرامج من مفاهيم. وأن لا يسمحوا بالجلوس الطويل أمام التلفزيون.

مداخلة الدكتور ابو أحمد الحسني: هناك بحوث تشير إلى أن جلوس الأطفال مدة طويلة (٥-٦ ساعات) يوماً أمام التلفزيون ضار جداً، ويسبب تخلفاً في النمو الذهني والعقلي. بعض الأمهات مرتاحات لهذا الوضع كي يتخلصن من ضجة الأطفال ولعبهم.

أم سعد: لا يقتصر استئثار وقت الطفل بالجلوس أمام التلفزيون، بل يمكن المشاركة في نشاطات رياضية أو تنمية مواهبه الذهنية مثل الشطرنج. ويمكن للمرء أن يختار من البرامج التلفزيونية ما يناسبه، حيث توجد مجلات أسبوعية متخصصة تنشر أوقات ومضامين البرامج التلفزيونية على كل القنوات، وهي رخيصة الثمن. ومن المناسب أن نمنح الطفل وقتاً للعب ولا نكثف عليه برامج التعليم. يقول الإمام الصادق (ع): الغلام يلعب سبعاً ويتعلم الكتاب سبعاً ويتعلم الحلال سبعاً.

مقدمة الندوة: ما مدى التزام العوائل العراقية بنظام نوم الطفل في الساعة ٨, ٠٠ مساءً، كما يفعل الهولنديون ذلك؟

أم علي الجابري: للأسف أغلب العوائل العراقية غير ملتزمة بذلك. وحتى لو التزمت بهذا النظام، فإن الضيف لا يلتزم به، بل يدع أولاده يلعبون حتى وقت متأخر، أو يطلب مني أن أدع أولادي يلعبون معهم أيضاً، مما يسبب إرباكاً لنظام البيت. فالبعض يفرض آراءه وطريقته في التربية على الآخرين. إن نظام الحياة هنا مختلف عن العراق. في العراق الجو حار، هناك دوام واحد للطلاب، والناس تنام ظهراً، فيعوضون عن تعب الصباح. أما في هولندا، فالطفل يعود من المدرسة في الساعة ٣, ٣٠ عصرًا. وإذا لم يأخذ قسطاً كافياً من النوم سيؤثر على نشاطه في اليوم التالي. أم نور الدين: النظام جيد، ولكن ليس من الصحيح إجبار الطفل على النوم في ساعة معينة، فقد لا ينام بل يبقى مستيقظاً في فراشه.

مداخلة الشيخ حيدر عرب: يمكن أن تحكي للطفل قصة مناسبة قبل النوم. ويمكن إعادة تذكيره ببعض الأناشيد الإسلامية أو ما يحفظه من القرآن. أم نور الدين: أنا أحكي لأولادي قصص الأنبياء وغيرها. يجب أن لا نضغط على الطفل، بل يجب أن يكون هناك وقت للحديث معه والتعرف على شؤونه. أم سعد: إن تعويد الطفل على القراءة قبل النوم يجعلها عادة لديه عند الكبر. وليس أفضل ما يشجع على النوم مثل القراءة ١٥ ٢٠ دقيقة كافية.

مقدمة الندوة: نعلم أن البيئة عامل مؤثر على تربية الطفل ونعلم أن الشارع والمدرسة الهولندية يؤثران عليه. فكيف نوفر للطفل ثقافة إسلامية داخل البيت؟ أم علي الجابري: التربية فن، وليس باستطاعة أي فرد أن يجيد هذا الفن. التربية تعني بناء شخصية إنسان متوازن. وأحب أن أؤكد على ما يلي:

- ١- غرس القيم الإسلامية الصحيحة بشكل حضاري، لأن الإسلام دين الحضارة والرفي، والإبتعاد عن الخرافات. القرآن الكريم كتاب مليء بالعلم والأدلة العلمية والدعوة للتفكير والتدبر.
- ٢ الإبتعاد عن الأعراف والتقاليد السيئة. نحن تربينا في مجتمعات محافظة ذات نمط ثقافي معين. بعض الأعراف بعيدة عن الإسلام، وتتسم غالباً بالتمزمت والعنف مما يؤدي إلى حالات هروب بعض الأطفال والشباب من منازلهم.

٣. التوازن بين البيت والعالم الخارجي. نحاول تقريب المفاهيم والسلوك قدر الإمكان، بالطبع مع المحافظة على الالتزام بالعقيدة والأحكام الإسلامية.

هناك مساحة مشتركة واسعة بين الثقافتين. بعض الأمهات يصورن العالم خارج المنزل أنه عالم معادي تماماً للطفل، وأن كل شيء خارج المنزل مرفوض. هناك عادات هولندية تتوافق مع عاداتنا أو مع مبادئ الدين الإسلامي فيمكن الأخذ بها، ونرفض ما يناهض ديننا. للأسف نجد البعض يتمسك بعادات وتقاليد لا علاقة لها بالدين.

مداخلة أبو محمد خلف: يقول الرسول (ص): خذ الحكمة ولو من فم كافر. أود التأكيد على الأسلوب المناسب في طرح الأفكار بشكل يناسب ذهنية المخاطب ومستواه. بعض الناس يفهم ما نطرحه فهماً خاطئاً ثم يبنى عليه موقفه.

مقدمة الندوة: تأديب الطفل وهو التربية، وموضوع الضرب ليس وارداً. وهو تماماً كالعملية الجراحية، لا نلجأ إليها إلا بعد استنفاد كافة الوسائل. فالضرب قد يفسد الطفل. وقد يرتدع الآن، ولكنه يتمرد يوماً ما، ولا سيما إذا ضُرب الطفل أمام إخوته أو أصدقائه. فهو يشعر أن كرامته قد أهينت.

ويجب أن نضرب الطفل والأعصاب متوترة، فالرسول (ص) قد نهى عن الأدب وقت الغضب.

أم سعد: يجب التركيز على تصحيح السلوك والأفكار التي يحملها الطفل كي يعرف ما هو الصحيح وما هو الخطأ، دون استخدام الضرب. هناك أساليب أخرى للعقوبة مثلاً حرمانه من اللعب لساعة معينة أو عدم إعطائه شيئاً تعود عليه. إن الضرب يجعله يتفادى البوح بما يراه أو يمارسه خارج المنزل كي لا يتعرض للضرب، فنفقد فرصة التعرف على شؤونه، ونفقد الثقة به.

أم نورالدين: للطفل جانبان، مادي وروحي. فالمادي يهتم الوالدان به كثيراً كالطعام واللباس. أما الجانب الروحي فلا يلتفت إليه كثير من الناس. فتراه يبادر إلى ضرب الطفل عند أدنى شك. بعض الناس يقول لطفله لا تفعل لأن فلان يراك ويسمعك. الأفضل أن أقول له أن الله يراك وهو موجود في كل مكان.

أم علي الجابري: علماؤنا وفقهاؤنا يجرمون ضرب الأطفال.

تعتبر المدارس الإسلامية في هولندا من المكاسب العظيمة التي حصلت عليها الجالية الإسلامية التي تقدر بحوالي مليون مسلم. فقد بلغ عددها خلال السنوات الماضية ٢٩ مدرسة إسلامية رسمية تتلقى دعماً حكومياً مثل بقية المدارس الدينية الأخرى. ولعل هولندا من الدول الأوربية القليلة التي تسمح قوانينها بتقديم دعم رسمي للمدارس الإسلامية مقارنة بأغلب الدول كبريطانيا وبلجيكا وألمانيا التي ترفض ذلك.

وقد حظيت المدارس الإسلامية باهتمام الآباء المسلمين لأنها توفر لهم أجواءً إسلامية خالية من المشاكل التي تثار في المدارس المسيحية أو العلمانية. فبإمكان الطالبات ارتداء الحجاب دون مضايقة، كما أن هناك فصل بين الجنسين في تلقي دروس السباحة والرياضة، حيث يشرف على التلاميذ مدربون من جنسهم. هذا إضافة إلى تلقي مبادئ الدين وحفظ القرآن وتعلم اللغة العربية في الصفوف الرسمية، وليس في المساجد أو البنايات القديمة في نهاية الأسبوع. كما أنها تشد اهتمام الوالدين الذين يشعرون بعلاقة أوثق عما هي عليه الحالة مع المدرسة غير الإسلامية. وغالباً ما يفرض موقع المدرسة الإسلامية على الآباء أن ينتقلوا من محلة إلى أخرى أو من مدينة إلى أخرى ليطمئن الآباء والأمهات على حسن تربية أولادهم.

ورغم أن تجربة المدارس الإسلامية قليلة نوعاً ما، لكنها تطورت بسرعة من حيث نمو عددها وازدياد عدد طلابها، وزيادة خبرة الكادر التدريسي. ولا يعني ذلك أنها خالية من المشاكل أو التعقيدات. بعضها إدارية وأخرى فنية. وهذه المشاكل لا تعتبر عائقاً في تطور ونضج هذه التجربة، حيث أن الخبرة وتوفير كوادر ذات مستوى عال كفيل بحلها أو تقليص آثارها. وأتذكر أنه كان لي صديق في جامعة ليدن كتب أطروحة ماجستير حول تجربة المدارس الإسلامية. وكنا نقاش بعض قضاياها، فذكر لي أنه وجد هناك مشاكل كثيرة، فقلت له: إذا كانت هناك مشاكل بسيطة فيمكن ذكرها لأن التجربة ما تزال وليدة، أما المشاكل الكبيرة، فإن ذكرها في بحث أكاديمي يعني أننا نعطي مادة موثقة لانتقاد هذه المدارس من قبل المتربصين بها، من صحافة ومؤسسات تربوية وتعليمية لا تبدو مرتاحة للوجود الإسلامي في قطاع التعليم، فنكون قد ساعدنا على هدمها قبل أن ننضج أو تكتمل هذه التجربة الرائدة.

وتبقى هناك بعض الملاحظات التي يمكن أن تصب في الجانب العقائدي والمذهبي لهذه المدارس. فمن ناحية رسمية تتخذ هذه المدارس صفة (الإسلامية) العامة دون ذكر مذهب معين. وعلى هذا الأساس ينتمي إليها الطلاب من مختلف المذاهب الإسلامية (حنفية، مالكية، شافعية، حنبلية وشيعية) على اعتبار أنه لا توجد فروق كبيرة بينها. كما أن التحديات الثقافية والفكرية تفرض على المسلمين التركيز على الجانب العقائدي المتمثل بأصول الدين وفروعه بعيداً عن الإجهادات المذهبية التي ليس بوسع التلاميذ الصغار إدراكها أو التمييز بينها. وحين يكبر هؤلاء الصغار وتنمو معهم ذهنياتهم وتتسع عقولهم، حينئذ يمكنهم تلقي معلومات دينية ذات مستوى أعلى في المساجد أو المؤسسات الملحقة بها أو البيت أو مطالعة الكتب الدينية.

١١-١٢-١٣-١٤-١٥-١٦-١٧-١٨-١٩-٢٠-٢١-٢٢-٢٣-٢٤-٢٥-٢٦-٢٧-٢٨-٢٩-٣٠-٣١-٣٢-٣٣-٣٤-٣٥-٣٦-٣٧-٣٨-٣٩-٤٠-٤١-٤٢-٤٣-٤٤-٤٥-٤٦-٤٧-٤٨-٤٩-٥٠-٥١-٥٢-٥٣-٥٤-٥٥-٥٦-٥٧-٥٨-٥٩-٦٠-٦١-٦٢-٦٣-٦٤-٦٥-٦٦-٦٧-٦٨-٦٩-٧٠-٧١-٧٢-٧٣-٧٤-٧٥-٧٦-٧٧-٧٨-٧٩-٨٠-٨١-٨٢-٨٣-٨٤-٨٥-٨٦-٨٧-٨٨-٨٩-٩٠-٩١-٩٢-٩٣-٩٤-٩٥-٩٦-٩٧-٩٨-٩٩-١٠٠

نقول ذلك ونحن نشاهد ما حدث في مدرسة إسلامية من تعقيد قضية صغيرة كان بإمكان إدارة المدرسة حلها بهدوء. ففي مدرسة (الإيمان) الإسلامية في مدينة الميرا، أصرت إدارة المدرسة على أن يصلي التلاميذ بالصورة التي يراها معلم الدين، أي وضع اليد اليمنى على اليد اليسرى أثناء الوقوف للصلاة. وكان هناك طالبان عراقيتان على مذهب أهل البيت (ع)، ولم يعتدن على أداء الصلاة بذلك الشكل في المنزل، فأصرت مديرة المدرسة السيدة ديكر، وهي هولندية اعتنقت الإسلام، إما أن تؤديان الصلاة بتلك الصورة أو أن تطردا من المدرسة. ورغم مراجعة الوالدين بقيت الإدارة على موقفها. عند ذلك لم يبق هناك إلا تقديم شكوى إلى مديرية التربية يتهمون فيها المدرسة بالتمييز وسوء المعاملة.

وقدم آباء مغاربة وسورينام شكوى يتهمون فيها المعلمين بضرب أطفالهم وسوء معاملتهم. عندها انتشر الخبر ووصل إلى الصحافة التي سارعت إلى لقاء الطالبتين (سارة وغزلان) والدهما ليتحدثوا عما جرى. فقد ذكرت إحداهما: (أن مدرس الدين واسمه عبد القادر يصف الشيعة داخل الصف بأنهم مشركون، وهم مثل الكلاب. هذا القول جعل الطالبات المغريبات يرفضن اللعب معنا).

الجدير بالذكر أنه عند تأسيس المدرسة كان عدد الطلاب الشيعة أربعين طالباً من مجموع ١٥٠ طالباً، وهو الحد الأدنى الذي يسمح به بتأسيس مدرسة ابتدائية. أما الآن فيبلغ عدد الطلاب ٣٥٠ طالباً. ولم تكن مثل هذه المشكلة من قبل، بل بدأت بقدوم مدرس الدين وهو من أصل صومالي. ووصلت مناقشة القضية إلى الإدارة العامة للمدارس الإسلامية خاصة بعد أن أدلى مختصون هولنديون بدلوهم واتهموا المدارس الإسلامية بالتمييز والتطرف. فقد ذكر أن مدرسة الإيمان

تمتع الطلاب من رسم صور الحيوانات والإنسان. كما يمنع ارتداء ملابس فيها صور حيوانات أو إنسان. وانتقد أستاذ جامعي في ليدن هذه التصرفات متسائلاً: كيف يمكن للمسلمين مطالبة المجتمع الهولندي بالمساواة والتسامح بينما هم لا يتسامحون مع بعضهم البعض؟ أدى انتشار خبر الطالبتين إلى رد فعل غير مناسب من قبل إدارات المدارس الإسلامية الأخرى تجاه مذهب أهل البيت (ع). فقد رفضت مدرسة الإمام البخاري في مدينة (دنبوش) استمرار الطلاب الشيعة بتلقي دروساً في عطلة الأسبوع في بنائها كما كان الحال قبل حدوث تلك القضية.

إن وضع اليمين على الشمال أثناء الصلاة ليس أمراً واجباً، أي تبطل الصلاة بتركه، بل هو مستحب أو مندوب (السيد سابق (فقه السنة) / ج ١ / ص ١٠٩). أما المذهب المالكي فلا يشترط وضع اليمين على اليسار في الصلاة، بل يصلي أتباع المذهب المالكي وأيديهم إلى جانبهم تماماً مثل صلاة أتباع مذهب أهل البيت (ع). فأين المشكلة إذن؟ ولماذا الإصرار على أمور يسرها لنا ديننا الحنيف نفسه؟ ألم يكن باستطاعة إدارة المدرسة أن تسأل فقيهاً مختصاً في ذلك؟ أما بالنسبة لتحريم صور الحيوانات والإنسان يقول الشيخ يوسف القرضاوي (وإن كانت الصور لذي روح، وليس فيها ما تقدم من المحذورات، أي لم تكن مما يقُدس أو يعظم كصور الأنبياء والملائكة والصالحين، ولم يقصد فيها مضاهاة خلق الله، فالذي أراه أنها لا تحرم أيضاً، وفي ذلك جملة من الأحاديث الصحاح). ويقول في موضع آخر (أما الصور التي ترسم في لوحات، أو تنقش على الثياب والبسط والجران ونحوها، فليس هناك نص صحيح سالم من المعارضة يدل على حرمتها) (كتاب الحلال والحرام في الإسلام).

؟

إن روح المسؤولية تقتضي منا المحافظة على هذه المحاضن الإسلامية التي توفر لأجيالنا الإسلامية التربية الصالحة والأجواء السليمة، والنمو الفكري والعقائدي لبناء شخصيتهم الإسلامية المتميزة، وتحصنهم من منزلقات الثقافة المادية، والسلوك الأخلاقي المنحل. ولتكن هذه المدارس محاور تدور حولها وحدتنا وتضامننا من أجل أن تعكس الجالية الإسلامية روح التعاون والتماسك والشعور بالمسؤولية، من خلال السلوك الحضاري الذي يرسم صورة مشرقة للإسلام والمسلمين. إننا نعيش في مجتمعات متحضرة تتمسك بفلسفة الحرية الفكرية والدينية والسياسية وممارسة الديمقراطية. كما أن قوانينها تنص على المساواة وعدم التمييز العرقي والديني

واللغوي وغيره. فهل نقول لهم إن إسلامنا يضع فوارق وحدود بين أبناء الدين الواحد، وأن المسلمين بلغوا درجة من التعصب والحقد حتى أن أحدهم يصف الآخر بالفاظ نابية، في حين أن القرآن يقول (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن، ولا تلمزوا أنفسكم، ولا تنابزوا بالألقاب، بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان، ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) (الحجرات: ١١).

هل يمكننا أن نخدم ديننا وأبناء المسلمين وأحدنا يترصد الآخر ويتهمه بشتى التهم؟ هل يعي أولئك الذين يتحدثون بتكفير مسلمين لأنهم على غير مذهبهم أو نحلتهم أو اتجاههم الفكري أو نمطهم في الحياة؟ هل تبقى كتب التكفير توزع في المساجد مجاناً لتزرع البغضاء والكراهية بين المسلمين وخاصة الشباب؟ هل يمكننا أن تلافى حدوث مشاكل تبدأ صغيرة وتنتهي كبيرة؟ وهل تبقى دائماً نلجأ إلى الآخر غير المسلم كي يحل خلافاتنا وصراعاتنا؟ ومتى نستطيع أن نثبت للعالم الغربي أن الجاليات المسلمة بلغت نضجاً ودرجة من المسؤولية ما يجعلها أهلاً لتمثيل الإسلام العظيم، وهداية غير المسلمين إليه؟

كانت قضية الطالبتين عبءاً لنا، ودرسا نتعلم منه، كيف نحل مشاكلنا مع بعضنا، وأن نبدي الكثير من التسامح مع أبناء ديننا. من الغريب أن نجد أن بعض المؤسسات الإسلامية تبدي استعداداً للحوار مع غير المسلمين، لكنها تصاب بصعقة كهربائية لو طلب منها اللقاء مع مسلمين من مذهب آخر. إن الله واحد والدين واحد والنبي واحد والقرآن واحد والقبلة واحدة، والتاريخ واحد، فهل نبقى نفتش عن قضايا من أجل أن نختلف عليها، كي تفرق شملنا وتشتت صفوفنا، فنغدو لقمة سهلة للطامع. ألا نعي ما يخطط لنا من خطط تبشيرية، وتذويب ثقافي، ومسخ للشخصية؟ ألا ينظر الآخر إلينا ويرانا جميعاً مسلمين. فهو لا يرى مذهبنا بل الجميع بنظره مسلمون، وكلهم هدف لمخططاتهم ومشاريعهم ونحن مشغولون بخلافات مصطنعة.

في مدينة ديفنتر Deventer الهولندية، يذهب ٤٢ طالبة وطالبة تركية إلى مدرسة (كامليون) الابتدائية. السيدة (كفايت أكداغ) والدة الطالبة (كافية) شعرت بالقلق على ابنتها بسبب تأخرها في تعلم اللغة الهولندية مما يعني احتمال تأخرها في الدراسة، والسبب يعود أن الطلاب الأتراك لا يجدون زملاء هولنديين يتكلمون معهم بالهولندية، بل يتحدثون فيما بينهم بالتركية. عقدت الأم اجتماعاً مع ذوي الطلاب وقرروا الشكوى لدى المستشار القانوني لشؤون التعليم في البلدية. لم يصل اللقاء بالمستشار إلى نتيجة لأنه (لا يستطيع إجبار الآباء الهولنديين على تسجيل أولادهم مع الأتراك في نفس المدرسة).

لم تياس الأم بل أعلن الآباء والأمهات الأتراك بأنهم لن يرسلوا أولادهم إلى المدرسة يوم ٤ / ٩ / ٢٠٠٠، وبالفعل نفذوا تهديدهم. ولم يحتاج أحد بل أن المستشار صرح بأن من حقهم ذلك، وحق أي والد لا يرتاح للمدرسة، فالتعليم حر في هولندا. وكان هناك حل يقضي بنقل الطلاب الأتراك إلى القسم الرئيسي من المدرسة حيث نسبة الطلاب الهولنديين عالية، والذي شيد في حي جديد، وطلبوا البلدية بتوفير وسائل مواصلات لنقل الطلاب من بيوتهم إلى المدرسة وبالعكس.

وقد درست إدارة المدرسة مطالب الآباء، وناقشت حلاً يقضي بنقل الطلاب إلى القسم (الأبيض) لكن ذلك سيؤدي إلى زيادة عدد طلاب الصف الواحد. وناقشت مسألة نقل مدرسيهم معهم كي لا يرتفع عدد طلاب الصف الواحد.

وقد أثارَت هذه القضية ردود أفعال مختلفة في الصحافة والأجهزة التعليمية والاجتماعية. فقد كتب احمد أبو طالب في صحيفة تراو (مشيراً إلى أن عمل الآباء الأتراك سلط الضوء على نقطتين: الأول، حجم الاهتمام الذي جلبه عمل الآباء الأتراك للنظام التعليمي في هولندا، حيث لوحظ ولسنوات طويلة غياب الآباء الأجانب عن الاهتمام بقضايا التعليم وضعف علاقتهم بالمدارس الهولندية. وكان بإمكاننا الترحيب بعملهم لولا ضعف التقديم الذي قاموا به، حيث أن الجلوس في المنزل ليس حلاً، إضافة إلى مخالفته لقانون التعليم.

الثاني، بدا واضحاً أنه في حالة تشخيص ضعف أداء التعليم، فمن حق الآباء نقل أولادهم من (مدارس سوداء) ذات أكثرية من أصل أجنبي إلى مدارس مختلطة (أجانب وهولنديين)، لكن مدير المدرسة رفض ذلك. وقد اقترح ممثل مدينة ديفنتر في البرلمان وهو من حزب D٦٦ توزيع

الطلاب الأجانب على بقية المدارس. في حين رأى ممثلو حزبي VVD و PvdA بأنه تفادي إجراءات إجبارية في هذه المرحلة وترك الباب واسعاً للحوار والتفاهم بين المؤسسات التعليمية وذوي الطلاب).

وعلق محمد الربيع عضو البرلمان الهولندي (بأنه من حق الوالدين اختيار المدرسة التي يرتاحون لها ومناسبة لأطفالهم، فإذا كانت المدرسة في الحي الذي يسكنونه غير ملائمة فلا شيء يجبرهم عليها بل بإمكانهم نقل أولادهم إلى مدرسة أخرى في حي آخر. وهناك قضية تبدو محيرة، حيث لا يوجد أي حي في أية منطقة في هولندا يكون الأجانب (مثلاً الأتراك أو المغاربة) نسبة ٨٠٪ من سكانه، لكن توجد مدارس سوداء فيها هذه النسبة، فكيف حصل هذا؟ هذا يعني أن الجماعات السكانية ترسل أولادها إلى مدارس معينة، لسبب يحتل أهمية كبرى يرجع إلى اختيار الآباء، ونظام القبول في هذا المدارس، وليس تمثيلاً للتركيبة السكانية للحي الذي تقطنه هذه الجماعات.

إن معارضة هذه التطورات لا تتركز في المدارس أو البلديات بل يجب أن يكون للآباء دورهم. فما حصل في ديفنتر ومن قبله في أوترخت يشير إلى أن الآباء لم يعودوا يقبلون بهذه الوضعية، لأنهم يؤمنون بأن الفصل أو العزل التعليمي لن يثمر اندماجاً مشمراً لأولادهم). وأضاف الربيع (هناك حلول لمعالجة هذه الوضعية. ففي مدن (تيل) و(أمرفورت) بادرت البلدية إلى إعطاء معلومات أفضل للوالدين من أجل التعاون لحل قضية الفصل التعليمي. وعلى الحكومة أن تقوم بذلك على المستوى القومي. وهناك (الموديل الألماني) حيث يتوجب على جميع أطفال الحي التسجيل في مدرسة الحي الذي يقيمون فيه. وفي هذا النمط من المستحيل أن لا تعكس المدرسة تركيبة الحي).

من جانب آخر قررت بلدية (سوست) إغلاق ثلاثة من مجموع خمسة مدارس علمانية عام ٢٠٠٢، من أجل توزيع طلابها الأجانب على بقية المدارس. وقد اعترض بعض الآباء الهولنديين الذين لا يريدون تسجيل أولادهم في مدارس كاثوليكية أو بروتستانتية. وأوضح مستشار البلدية بأن مدرستين من الثلاثة هي مدارس سوداء، مجموع طلابها ٦٠٠ طالب وطالبة. وكان آباء الطلاب الهولنديين قد نقلوا أولادهم منها إلى (مدارس بيضاء) تناسبهم. ومن غير المعلوم دوافع هذا القرار إذ ربما يراد تقوية المدارس المسيحية من خلال تسجيل المزيد من الطلاب فيها، مع العلم أنها تحصل على دعم حكومي كامل لنفقاتها ومصروفاتها ورواتب معلميها.

تعتبر المدارس الإسلامية الرسمية في هولندا أحد معالم التسامح الديني، وأبرز مظاهر احترام الحريات الدينية ومنها حق التعليم وحق التعبير الديني التي يضمنها الدستور الهولندي. وقد ارتفع عدد المدارس الإسلامية إلى حوالي ٣٠ مدرسة، مثلها مثل المدارس اليهودية والهندوسية. ولكن ما تزال بعض الدوائر اليمينية والمتعصبة لا تحفي غضبها من نمو المدارس الإسلامية، مبررة استيائها بتنامي الأصولية الإسلامية فيها. فقد تساءلت مراسلة إحدى الصحف في بداية ريبورتاج أعدته عن مدرسة الغزالي الإسلامية في روتردام (هل سأجد مدرسة خمينية أم حزب الله أم حماس داخل الصفوف).

وفي الشهر الماضي أطلقت السيدة دويوس عضوة مجلس الشيوخ الهولندي عن حزب VVD اليميني تصريحات اعتبرت فيها أن المدارس الإسلامية تشكل بؤرة مناسبة للجماعات الأصولية التي تخالف مبادئ الدستور. وأضافت البروفسورة هيلين دويوس أستاذة الأخلاق الطبية في جامعة ليدن: بأن الفرصة كبيرة أمام الأصوليين لاستغلال المدارس لتوجهاتهم وآرائهم التي تناقض الدستور الذي يكفل حرية التعليم. ودون أن تعطي أي دليل واصلت السيدة دويوس تصريحاتها في مجلس الشيوخ Eerste Kamer مطالبة أعضاءه بمناقشة هذه القضية.

وكي تتفادى الاتهام بالعنصرية قالت: إن الإسلام نفسه لا يتعارض مع دولة القانون ولكن المختصين يعلمون بوجود تيارات وجماعات داخل الإسلام تبني أفكاراً راديكالية، ترفض الحرية الدينية أو مساواة المرأة بالرجل أو احترام حقوق الإنسان. وهم يفضلون تأسيس دولة ثيوقراطية (دولة دينية). أمثال هؤلاء يعيشون في هولندا. ولا يقتصر الأمر على المسلمين بل يمتد حتى بين المسيحيين واليهود، ففي حزب SGP البروتستانتي نزعات تميل إلى الثيوقراطية، ولكنها لا تميل إلى إلغاء الدولة الديمقراطية. ومنذ قرون طويلة تعيش هذه الأفكار داخل التقاليد اليهودية-المسيحية، بينما تقف الجماعات الأصولية الإسلامية خارجها.

من جانب آخر أثار كتاب (دراما المجتمع المتعدد الثقافات Het Multiculturele Drama) الذي ألفه Paul Scheffer ضجة في الأوساط السياسية والبرلمانية حيث اعتبر أنه يعارض سياسة الاندماج التي تتبناها الحكومة وتوفير جميع التسهيلات من أجل دمج الأجانب Allochtonen في المجتمع الهولندي كتسهيل منح الجنسية أو تقديم تسهيلات تتعلق بالتعليم والحريات الدينية والعمل، بدلاً من تهميشهم وخلق حالة توتر وعداء بين الأقليات والمجتمع. وكان المؤلف قد انتقد خطة الوزير Ad Melkert التي تشجع تشغيل الأجانب واعتبرها مجرد دعاية حكومية وليست ثمرة اجتماعياً، ولا تحل مشكلة الطبقة الأدنى من الأجانب التي تهدد بالتشكل عن قريب.

الفصل السابع

الدعوة إلى الإسلام في الغرب

دور السلوك الصحيح للمسلمين في اعتناق الغربيين للإسلام الفيلسوف الفرنسي غارودي تأثر بموقف الجنود الجزائريين في الحرب العالمية السفير الألماني هوفمان اعتنق الإسلام تأثراً بموقف سائق تاكسي

يقول تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وأولئك هم المفلحون) (آل عمران: ١٠٤)
وعن رسول الله (ص) أنه قال لعلي (ع): يا علي لئن يهد الله بك أحداً أحب إلي من مما طلعت عليه الشمس.

يقسم الفقهاء القدامى العالم إلى دار الإسلام ودار الحرب. وهو تقسيم لم يرد لا في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية الشريفة، بل هو تقسيم سياسي ووصف فقهي للوضع الذي كانت فيه الدولة الإسلامية في العصر الأموي ثم العباسي، حيث كانت دولة الإسلامية واحدة تحيط بها دول غير إسلامية. وكل واحد من هذين المصطلحين له مواصفاته وأحكامه الشرعية. ويرى الإمام مالك أن كل بلد يتمكن المسلمون من أداء واجباتهم الدينية فيه هو دار إسلام. أما دار الإسلام وفق الشروط القديمة التي تشترط تطبيق القانون الإسلامي أو وجود حاكم إسلامي فلا تنطبق على أكثر البلدان الإسلامية. كما أن اعتبار حرية أداء الشعائر الإسلامية أساساً في تعريف دار الإسلام تنطبق على العديد من الدول الغربية. وهناك أقسام أخرى مثلاً دار العهد ودار الصلح. ويرى بعض الفقهاء المعاصرين أننا نعيش اليوم في دار الدعوة، أي أن وظيفة المسلمين في الغرب الأولى هي دعوة غير المسلمين إلى الإسلام. القرآن الكريم يدعونا لدعوة أهل الكتاب وخاصة المسيحيين إلى الإسلام. إذ يصف القرآن مشاعر بعض المسيحيين الذين يستمعون إلى آيات الله فيقول (وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق، يقولون ربنا آمنا فآتتنا مع الشاهدين) (المائدة: ٨٣). فعلى هذه الفئة سنركز حديثنا.

١ محاضرة ألقاها المؤلف في مسجد بدر لأهل السنة في مدينة أنتويرب ببلجيكا بتاريخ كانون الثاني ٢٠٠٣

هناك وسائل كثيرة للدعوة وخاصة الحوار بالحكمة والموعظة الحسنة. وهناك شروط ومؤهلات ليست بالسهلة في العمل بين أوساط المسيحيين في الغرب ودعوتهم إلى الإسلام، ولكننا سنسلط الضوء على أبسط هذه الوسائل، وهي أن نكون ملتزمين بالإسلام سلوكاً وعملاً وموقفاً فقط لا غير، ثم سنرى نتائج هذا الالتزام.

يقول الإمام الصادق (ع): كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم. ليروا منكم الورع والاجتهاد والصلاة والخير، فإن ذلك داعية. ومعنى بغير ألسنتكم تتضمن عدة معان منها:

١- أن لا تكثروا من الحديث بالإسلام دون علم، فقد يتحدث المسلم عن الإسلام بما لا يعلم، فيكون وبالاً على الإسلام.

٢- أن لا يكون قولكم شيء وفعلكم مناقض له فينطبق قوله تعالى عليكم (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون، كبر مقتاً عن الله أن تقولوا ما لا تفعلون) (الصف: ٣).

٣- أن نمارس الإسلام والالتزام بالتعاليم الإسلامية في عملنا وسلوكنا ونكون كما كان رسول الله تعالى حين وصفته أم المؤمنين عائشة (رض) بأنه كان قرآناً يمشي على الأرض. أي ملتزم بكل أحكامه وآياته.

٤- إن تأثر الناس بالعمل أقوى وأوسع من التأثر بالقول لأنهم يتوقعون التزامنا بما نقول، وهل يمكن تطبيق ذلك أم هو كلام نظري فقط أو ربما مثالي لا يمكن تطبيقه في الوقت الحالي.

٤-١- العلاقات الاجتماعية

من خلال دراساتي وبحوثي وعلاقاتي مع المسلمين الغربيين يمكنني تقسيم كيفية دخولهم في الإسلام إلى عدة أسباب وهي:

١- علاقات اجتماعية، حيث يرتبط بعض الغربيين بصداقات مع زملاء مسلمين سواء في المدرسة أو العمل أو الجيران فيتأثرون بهم ويناقشون معهم العقيدة الإسلامية ثم يصبحون مسلمين. كما يشكل الزواج عاملاً هاماً في اعتناق الإسلام. حيث نجد أن غالبية النساء الغربيات المسلمات قد اعتنقن الإسلام بعد الزواج بمسلمين. كما أن كثير من الرجال الغربيين اعتنقوا الإسلام لأنهم أرادوا الزواج بمسلمة. ولما كان الإسلام يحرم زواج المسلمة بغير المسلم، فيضطر هؤلاء لاعتناق الإسلام.

٢- قراءة القرآن الكريم، حين يكون القرآن هو المدخل الأول للتعرف على الإسلام. إذ تشاء الصدق وحدها أن تقع نسخة من القرآن الكريم، بالطبع مترجمة، بين يدي الشخص، فيهتم بقراءتها ثم يتأثر بها.

مثلاً يوسف إسلام (مغني البوب السابق كات ستيفنز). قام أخوه بزيارة إلى فلسطين وعند عودته أعطاه نسخة من القرآن الكريم كهدية من بلد شرقي. جاء القرآن في فترة حرجة يعيشها يوسف حيث يقول (كنت أشعر أن الحياة قد أصبحت مجرد هيكل فارغ لا ينضوي تحته أي مضمون. وكانت النقطة الحاسمة ولحظة الإشراق والتنوير في نفسي عندما قرأت القرآن الكريم. ولأول مرة في حياتي بدأت أجد الإجابة على التساؤلات الملحة، بدأت أفهم من أنا، وأعرف دوري في الحياة، وأعرف المطلوب مني وكيف أؤديه، وكيف ينبغي علي أن أسير في الحياة). أي أن القرآن منحه الشعور بحمل رسالة الإنسان في الكون.

وكذلك موريس بوكاي، ذلك الطبيب الفرنسي الذي كان ييدي اهتماماً بالكتب المقدسة. فقام بدراسة التوراة والإنجيل والقرآن ومناقشة الآراء والنظريات الواردة فيها على ضوء العلم الحديث. وقد جمع بحوثه في كتابه الشهير (القرآن والتوراة والإنجيل والعلم: دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة). بعد البحث العلمي العميق يصل بوكاي إلى نتيجة أولى هي أن القرآن هو الكتاب الوحيد الموثوق به والذي سلم من التحريف من يوم أن أنزل على الرسول (ص) حتى يومنا هذا. وأما التوراة والإنجيل فقد تعرضت للتعديل والإضافة.

ثم يناقش بوكاي عدة مواضيع مثل مراحل الخلق الستة، وكيفية خلق الكون والنظام الشمسي والمجرات وحركة الشمس والقمر والكواكب وغيرها اعتماداً على الآيات القرآنية ليثبت أنها تتطابق مع مكتشفات العلم الحديث بشكل مثير. ثم يتناول مجموعة من القضايا الطبية والتشريحية كالجنين، وكذلك علوم النبات والحيوان والفيزياء التي وردت في القرآن الكريم. ثم استنتج بأن القرآن خال من الأخطاء العلمية تماماً. وقام بوكاي بدراسة روايات التوراة عن الخلق ويتوصل إلى منافاتها مع العلم وأن بعضها غير مقبول علمياً. ثم ليتوصل أنه كتب بأيدي بشرية وتتضمن أفكاراً تعود لعصر كتابتها وبيئتها الثقافية والدينية.

هذا البحث العلمي غير المقصود قاد بوكاي إلى الإيذان بأن القرآن هو وحي إلهي، وأنه الوحي الإلهي الوحيد الباقي دون تحريف. فأمن بالإسلام وكتب كتباً أخرى مثل (ما هو أصل الإنسان).

وهناك آخرون كثيرون تعرفوا على الإسلام من خلال القرآن وحده. ولي في ذلك رأي أقول فيه أن إعجاز القرآن لا يقتصر على النص العربي كما هو متعارف، بل أن النص المترجم، مهما كان قاصراً، قادر على جذب الآخرين، وإيصال المفاهيم الإسلامية العميقة إلى تلك الأذهان والنفوس المرهفة الحس. وسرعان ما تتفاعل مع الوحي الإلهي ولكن بلغة غير العربية. فسبحان الله الذي أنزله، سبحان إعجاز كتابه الكريم.

٣- التأثير بالآخرين، وهذا هو محور حديثنا حيث نجد مجموعة كبيرة من الغربيين، من مختلف المستويات الاجتماعية والثقافية والأكاديمية، قد تأثروا بسلوك إسلامي صدر من قبل بعض المسلمين، فقدح في عقولهم أهمية الإلتفات إلى هذا الدين العظيم، وكيف أنه يؤثر على أتبعه فيجعلهم في حالة مثالية من الأخلاق والالتزام. هؤلاء تأثروا بالدعوة الصامتة أي تأثروا بأفعال المسلمين ومواقفهم. أولئك المسلمون الذين لم يكونوا يعلمون أن عملهم هذا سيهدي الآخرين للإسلام، ولم يخططوا له، أو يدخلوا في جامعات ليدرسوا أساليب الدعوة الإسلامية، بل وأكثرهم لا يجيدون لغة أجنبية. ومع ذلك فهم في سلوكهم كانوا يمثلون جامعة إسلامية للدعوة.

وفيماء يلي أعرض بعض النماذج الغربية التي اهتمت للإسلام من خلال موقف صحيح لبعض المسلمين. بالطبع بعض هذه المواقف كانت بمثابة فتح نافذة إسلامية في عقل ونفس الشخص الغربي، ثم قام بمتابعة بحثه عن الإسلام، والحصول على معلومات كافية، ثم انتهى به الأمر إلى اعتناقه. فلسنا ندعي أن مجرد صدور موقف إسلامي يؤدي إلى قلب كيان الغربي بل إن عملية اعتناق الإسلام عملية تدريجية وبطيئة وتؤثر فيها عوامل اجتماعية ونفسية وعقائدية وفكرية عديدة. كما أنها تختلف من شخص إلى آخر، ومن مجتمع إلى آخر، ومن زمن إلى آخر، وقد تستغرق سنوات طويلة، لكن ذلك السلوك أو الموقف يبقى الباعث الأساسي الذي أثار اهتمام الغربي بالإسلام، ليبدأ من خلاله رحلته الطويلة إلى الإسلام.

قس هولندي، درس اللاهوت المسيحي وعمل في كنيسة لسنوات. بعد تخرجه عمل كمساعد اجتماعي في منجم جنوب هولندا. في أحد الأيام جيء بثلاثة عمال مغاربة تم إخراجهم من المنجم بسبب حالة الإغماء التي وقعوا فيها بتأثير الحرارة العالية والجو الخانق في عمق المنجم. ذكر لي المرحوم كورز: عندما حاولنا إسعافهم، قدمنا لهم الماء، فرفضوا شربه، فسألتهم لماذا؟ فقالوا: نحن في شهر رمضان، ونحن صائمون. ثم علق كورز: لقد أصبت بذهول عظيم، وتساءلت: أي نوع من الناس هؤلاء؟ من أين لهم هذا الصبر وهذه العزيمة على الالتزام بحكم ديني في هذه الظروف الصعبة؟ أي نوع من الإيمان هذا الذي يمنهم من شرب الماء في أعماق المنجم حيث لا يراهم أحد؟ كيف صاروا ملتزمين بهذه الدرجة بخشية الله وعدم خرق شريعته؟ وأسئلة كثيرة، جعلتني أسارع إلى المكتبة أبحث عن الإسلام وعقائده وتاريخه.

ويضيف كورز: ولما كنت مهتماً بالآثار الفرعونية فقد سافرت إلى مصر في منتصف السبعينات. وصادف أن كان شهر رمضان، فوجدت الناس يصومون في حر الصيف القاطظ. وعند المغرب تجرد المصريين يتناولون الإفطار في الشوارع في جو اجتماعي ممتع، نفتقده في أوروبا منذ قرون. وكنت أرى كثير من المصريين يدعونني لتناول الطعام معهم مع أنهم لا يعرفونني. لقد شعرت أن الإسلام وراء بناء هذه الأخلاق العالية. فذهبت إلى الأزهر وأعلنت الشهادة وصرت مسلماً.

رواية: الفيلسوف الفرنسي

فيلسوف فرنسي شهير، نائب في البرلمان لعشر سنوات، سكرتير الحزب الشيوعي الفرنسي. حدثني عن رحلته نحو الإسلام فقال: كنت من اليساريين وكنت من أعضاء المقاومة ضد الاحتلال النازي لفرنسا. في عام ١٩٤٠ ألقي القبض علي من قبل شرطة حكومة فيشي الفرنسية العميلة للنازيين. فتم ابعادي إلى معتقل في الصحراء الجزائرية. وفي المعتقل قمت بقيادة تمرد مما جعل القائد الفرنسي يحاكمني ثم يصدر قراراً بالحكم علي بالإعدام رمياً بالرصاص. أخذت لتنفيذ الحكم، وكانت المفاجأة عندما رفض الجنود الجزائريون الملتحقون بالجيش الفرنسي إطلاق النار علي. لم أعرف سبب امتناعهم عن إطلاق النار وعدم تنفيذ الأوامر، لكن أحد الجزائريين العاملين في الجيش الفرنسي وكان يتحدث الفرنسية، أخبرني أنهم من قبيلة (العبادات) التي تعتبر إطلاق النار على رجل أعزل أمراً مشيناً لا يناسب الشجاعة والرجولة. هذه الحادثة وظروفه السياسية الخاصة، جعلت غارودي يفضل الإقامة في الجزائر بعد إطلاق سراحه، حيث رأس تحرير صحيفة يومية، كانت تنتقد الإدارة الفرنسية في الجزائر وممارساتها الوحشية ضد السكان المحليين. وفي تلك الفترة تعرف على الشيخ محمد بشير الإبراهيمي، وتعرف من خلاله على جهاد عبد القادر الجزائري وكتابات بن باديس الإصلاحية. أعجب غارودي بالإسلام وكتب (المساهمة العربية والإسلامية في الحضارة العالمية) و (وعود الإسلام) قبل أن يصبح مسلماً. اعتنق الإسلام عام ١٩٨٢. وكتب كتباً عديدة عن الإسلام.

رواية: دبلوماسي ألماني

دبلوماسي ألماني، وخبير في فن الباليه وتذوق الخمر. بدأ حياته كمبعوث دبلوماسي في السفارة الألمانية في الجزائر عام ١٩٦١ فشهد فصلاً دامية من حرب التحرير الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي. ورأي بعينه صبر وجهاد الشعب الجزائري المسلم، ولمس الأخلاق العالية التي تمسك بها هذا الشعب رغم جراحه وآلامه الكبيرة.

قال لي هوفمان: في أحد الأيام تعرضت زوجتي لإجهاض، وبدأت تنزف عند منتصف الليل. ولم يكن باستطاعة سيارة الإسعاف الوصول إلينا قبيل الصباح بسبب حظر التجول، وشعار «القتل دون سابق إنذار» المرفوع من قبل القوات الفرنسية. وفي الصباح أدركت أن سيارة الإسعاف لن تستطيع العثور علينا بسهولة لأن منظمة الجيش السري قد غيرت في تلك الليلة كل أسماء الشوارع. توجهنا إلى عيادة دكتور، ورغم صوت الإسعاف لكن السائق استطاع أن يشق طريقه بصعوبة بسبب الحاجز الذي أقامته الجمعية الجمهورية للأمن (فرنسية).

في الطريق شعرت زوجتي الأمريكية أنها ستفقد الوعي فأخبرتني بأن فصيلة دمها هو O نيجاتيف، وكان السائق الجزائري يسمع حديثها. فعرض أن يتبرع بدمه، في ظل تلك الحرب الطاحنة، لأن فصيلة دمه هو نفس فصيلة دمها. لقد هزني المشهد: ها هو عربي مسلم يتبرع بدمه، لينقذ أجنبية من غير دينه. في مثل تلك الظروف يفترض أن يعتبر العربي كل أوربي عدواً له، ولكنك تجد رجلاً يعرض التبرع بدمه لسيدة أمريكية. لقد أظهر لي أنه يوجد هناك نوع من الأخوة الإنسانية والتسامح. وهذه الأخلاق لا تتفق مع القومي بل مع المتدين.

صرت أفكر وأتساءل: كيف يمكن لهؤلاء الجزائريين أن يكونوا صبورين وورعين إلى هذا الحد وهم يعانون مثل هذا الاضطهاد؟ كيف يمكنهم المحافظة على هذا المستوى الأخلاقي حتى مع أعدائهم؟ لقد أدركت أن وراء هذا الخلق العالي نظام أخلاقي رفيع المستوى. وهذا ما دفعني لقراءة القرآن لفهم ما الذي يجعلهم يبدون هكذا. كنت أبحث عن مصدر القوة التي تحققت فيما بعد أن الدين الإسلامي يمنح أتباعه قوة روحية عالية.

ومشهد آخر كان له تأثير في تعرف هوفمان على الأخلاق الإسلامية هو أنه كان في أحد الأيام يسير مع زوجته في أحد أسواق اسطنبول. وأرادت زوجته أن تشتري هدية معينة رأتها في أحد المحلات. يقول: ولكن انتبهنا بأن صاحب المحل غير موجود فصرنا نتلفت عسى أن يعود سريعاً، فاتتبه إلينا جاره فجاء مسرعاً وعرض المساعدة. فاشترينا الهدية ودفعنا الثمن. فصرنا نتساءل: أي أخلاق لهؤلاء الشرقيين؟ لماذا قام الجار ببيع بضاعة جاره ولم يأخذنا إلى محله هو ويبيعنا منه، علماً بأن لديه نفس البضاعة؟ أين هذه الثقة الكبيرة بين الناس؟ أي إثارة قام به الجار على نفسه؟

قد يقال أن هذه الشخصيات تمتاز بالثقافة والمستوى الفكري الراقى الذي يلاحظ بدقة ويقارن بين ما لديه من أفكار وأخلاق وبين ما يشاهده لدى بعض المسلمين. سأضرب لكم مثلاً آخر.

كان يعمل في إحدى شركات البناء، وكان معه عمال مغاربة. وفي أحد الأيام مرض أحد المغاربة مرضاً أقعده عن العمل، ولم يكن آنذاك نظام تأمينات اجتماعية وصحية للأجانب. يقول العامل الفرنسي: لاحظت أن العمال المغاربة في الشركة في بداية كل شهر، يجمعون مبلغاً من المال، كل حسب قدرته، ثم يعطونه للعامل المريض. وكان العامل ذا عيال وأولاد. ولما كنت أسكن في نفس الحي الذي يقطنه غالبية من المغاربة، فصرت أنتبه لسلوكهم حيث كنت أرى أنه إذا أصاب أحدهم مصيبة أو حزن أو فرح، تجد أصدقاءه وجيرانه يجتمعون حوله، ويساعدونه في أمره. فصرت أتساءل: في أي مدينة أو قرية فرنسية يعرف الجار جاره أو يسأل عليه أو يساعده؟ لا يوجد، لقد ازددنا بعداً عن بعضنا البعض بمرور الزمن، بينما تجد هؤلاء المسلمين على انخفاض مستواهم الثقافي والاقتصادي فهم متعاونون ومتحابون ومتعاطفون فيما بينهم. لقد أدركت أن السر وراء هذه الأخلاق العالية والتضامن الاجتماعي هو دينهم، فاعتنقت الإسلام.

وهكذا أخوتي في الله، أولى بنا أن نظهر نفوسنا، ونتمسك بأوامره وطاعاته، ونتجنب معاصيه وآثامه. ولو استقمنا على الصراط المستقيم، سنكون دعاة صامتين من خلال:

١- سلوكنا في الشارع وفي السوبر وفي الترام والباص والقطار، وفي المحلات التجارية والمؤسسات الحكومية.

٢- المحافظة على النظام العام والأموال العامة واحترام ملكية وأموال غير المسلمين واجب إسلامي.

٣- احترام القوانين الغربية واجب إسلامي (إلا إذا كان يؤدي إلى معصية).

٤- لنكن مواطنين جيدين كي يحترمنا الآخرون أولاً ثم يعجبون بديننا فيعتنقوه ثانياً.

ما زال الإسلام يجذب العديد من الغربيين إليه. ورغم الموقف المعادي للإسلام في الإعلام الغربي، والمحاولات الدائمة لتشويه صورته في أذهان الغربيين، إلا أن بعضهم ما زال يقترب شيئاً فشيئاً ليتعرف على الإسلام، ثم يتهمه حتى يصل إلى مرحلة إعتناقه. وقد يكون الدافع نحو ذلك هو مصادفة محضة، صديق مسلم، جار مسلم يثير الإنباه بسلوكه الرائع والتزامه العميق بالخلق الإنساني، كتاب يتحدث عن الإسلام، نسخة مترجمة من القرآن الكريم ...

وليست رحلة تغيير الدين سهلة، بل تمر بمراحل تبدأ من التشكيك في جدوى الديانة السابقة، وعجزها عن مواجهة الأسئلة المنطقية التي تطرحها الشخصية الواعية، لتسير نحو البحث عن ديانة بديلة قادرة على إشباع الحاجات الإنسانية، عقلاً وفكراً، جسداً وروحاً. وهنا يأتي دور الإنسان المسلم القادر على طرح البديل الإسلامي أمام مثل هذه النماذج الحائرة. وتبدأ رحلة الإقناع والحوار الطويل، حتى تنتهي بالقناعة الكاملة بالإسلام ثم تتويج هذه الجهود بالنطق بالشهادتين، ليدخل الفرد مرحلة جديدة في حياته.

قد يطرح سؤال جوهرى وهو ما الذي يجذب الغربيين في الإسلام؟ إن التحليل الدقيق لشهادات المعتنقين للإسلام وتجربتهم المفعمة بالمشاعر والأفكار والنقاشات العميقة، توضح الأسباب الحقيقية التي دعتهم لاتخاذ هذا القرار الهام، فليس من السهل على المرء أن ينسلخ من دينه وعقيدته وثقافته، ويتكيف مع دين جديد وثقافة جديدة، وخاصة أنه يعرف تفوق مجتمعه وثقافته حضارياً وعلمياً. ولن أبحث في شهادات أولئك المفكرين القادرين على ترتيب أفكارهم وصياغة ألفاظهم بشكل علمي ومنطقي، بل سأعتمد على شهادة أولئك الذين التقيت بهم، ففتحو صدورهم وعبروا عن مشاعرهم وأفكارهم بكل عفوية وصدق وأمانة. وأهم الجوانب التي جذبتهم في الإسلام هي:

وهي من النواحي الواضحة في الإسلام، فإنه أقل تعقيداً من المسيحية واليهودية والهندوسية والبوذية. إن مجرد النطق بالشهادة يجعل الفرد مسلماً، دون طقوس أو مراسم معقدة أو كهنوت. كما أن أركان الإسلام (الصلاة والصيام والزكاة والحج) سهلة ولا يجد المرء فيها تعقيدات لاهوتية أو تأملات فلسفية. يقول أحدهم: الإسلام بسيط جداً، بينما

المسيحية معقدة. في المسيحية لو سأل أحد سؤالاً بسيطاً حول الله أو عيسى، فإنه سيتلقى جواباً معقداً، فالأوروبيون يميلون للتعقيد. أما الإسلام فهو على العكس، فهو يحاول تبسيط القضايا الصعبة، فإذا ما سألت أي مسلم ستجد جواباً بسيطاً، وقد تهزأ بالجواب لبساطته ولكن الحقيقة تكمن في البساطة.

ويقول قسيس سابق "إن الإسلام يعتبر عيسى نبياً، وهذا أمر منطقي يمكن لأي إنسان قبوله بسهولة". وتقول سيدة مسلمة "لم أجد صعوبة في ممارسة الشعائر الإسلامية، قد يكون صيام رمضان فيه شيء من المعاناة لكن بمرور الأيام اعتدت عليه. أنا أجد صعوبة في ارتداء الحجاب في المجتمع الغربي، ولكنني أشعر بالارتياح إذا زرت بلداً إسلامياً."

وتقول سيدة أخرى "إن الإسلام دين سهل، مفهوم وقريب جداً من البشر، بينما المسيحية ومن يمثلها بعيدون عن حياة الناس. خذ مثلاً البابا الذي يعطي آراء تتعلق بحبوب منع الحمل بينما هو ليس بمتزوج وليس لديه أطفال. تصور لو أخذت برأيه، معنى ذلك سيكون لي كل عام طفلاً، من جهة أخرى نجد رجل الدين المسلم على العكس من ذلك، فهو لديه أسرة ويحيا حياة عادية بين الناس"

إن الإسلام يؤكد على النظام الأخلاقي في شتى النشاطات الإنسانية، في السياسة، في الاقتصاد، في الحرب والسلم، في العلاقات الداخلية والدولية، ليس بين المسلمين فحسب بل مع غير المسلمين أيضاً. الإسلام منظومة غنية بالمفاهيم الإنسانية، فبدأ "الأخوة الإنسانية" يجذب الكثير من الغربيين. إنهم يستشعرون فيه كفاءة واقعية وليست صياغات نظرية، فأولئك الذين يبحثون عن العدالة الاجتماعية والمساواة العنصرية يجدون في الإسلام النظام المتكامل وبديلاً جيداً لمعاناة البشرية.

يقول أحد المعتنقين "لا توجد أيديولوجيا أخرى غير الإسلام تولى الأخلاق هذا الاهتمام الكبير. الإسلام يرى أن جميع نواحي الحياة تلتقي مع بعضها البعض، لا يوجد ما يفصل بينها، الاقتصاد، السياسة، الحياة الاجتماعية، كل هذه ترتبط مع بعضها. إذا أردت أن تؤسس شركة ستسأل نفسك: كم سأربح منها؟ هل باستطاعتي أن أحطم الآخرين من أجل الربح؟ إذا نظرت للاتفاقيات المالية والاقتصادية بين الغرب والعلم الثالث، ستجد أن هذه البلدان الفقيرة لن تستطيع أن تدفع ديونها حتى يوم القيامة! كل هذه المآسي ناشئة من نظام الربا أو الفوائد الفاحشة المأخوذة على الديون. إن الاقتصاد الغربي عدواني تجاه الآخرين، لا يمه أن يجوع الآخرون في سبيل زيادة تحمته". ويؤيد

معتق آخر ذلك فيقول ” إن النظام الربوي قد جعل أبناء العالم الثالث عبيدا. إن النظام الأخلاقي في الإسلام لا يسمح بذلك، فالأخلاق تحتل موقعا هاما في كل النشاطات التي يمارسها المسلمون. إنه نظام عظيم كفيل بحل مشكلة التمييز العنصري التي تعاني منها جنوب أفريقيا وبقية بلاد العالم. فالإسلام يدعو للأخوة الإنسانية والمساواة بين البشر جميعا».

ويعبر القسيس السابق عن تجربته الشخصية فيقول ” لقد وقعت تحت تأثير الخلق الإسلامي وخاصة في العلاقات الاجتماعية. الإسلام يوصي بالأقارب والجيران ومحبة كل الناس. إننا في المجتمع الهولندي قد فقدنا العلاقات الحميمة الصادقة، وتزداد يوما بعد آخر المسافة بين أفرادها، إنني أشعر كأنني في بيتي وأهلي وأنا بين المسلمين».

أولوية الفرد في الإسلام

لقد عبر معتقو الإسلام في الغرب عن تصوراتهم بأن الإسلام دين التوازن. فالإسلام يعطي لأتباعه أسلوبا كاملا وشاملا في الحياة بحيث أن علاقات مع المجتمع تسير بانسجام تام. وقد لاحظ بعض المعتنقين الهولنديين ذلك. يقول أحدهم ” الإسلام يجعل هناك توازنا دقيقا بين المادة والروح، بين حياة الفرد وحياة المجتمع، بين المؤقت والأبدي. ” ويقول آخر ” إن النقص الكبير في الحضارة الغربية هو رفضها الاعتراف بالروح والأمور المعنوية. لقد اعتبرت الروح بأنها الإدراك، والأولية للمادية والعقلانية، والدرجة السفلى للروحيات.»

الفردية الغربية

يعتبر الإسلام كل فرد مسؤول عن تصرفاته وأفعاله، ولا أحد يتحمل أخطاء أو ذنوب الآخرين، وحتى الأنبياء لا يتحملون آثام ومعاصي أتباعهم. في الإسلام لا يوجد وسيط بين المرء وربه، لا كهنوت ولا طبقات من القساوسة وغيرهم، فالمؤمنون بالإسلام ليسوا بحاجة إلى وسيط يقوم بمهمة الحصول على مغفرة الرب لهذا العبد أو ذاك. أما المسيحية فعلى العكس، إذ يوجد هناك وسطاء وأكليروس. والمسيحية تدعو لعقيدة الخلاص التي تقول بأن السيد المسيح يحمل كل خطايا المؤمنين به. ويجد المعتنقون هذه العقيدة غير منطقية وغير مقبولة. الإسلام يحمل كل نفس أوزارها ويحاسب كل فرد على ما فعله هو وليس الآخرون. هذه العقيدة تنادي بقوة الفردية الغربية، فالحضارة الغربية تؤكد على الفردية، **Individualisme** وهو ما يفسر ضعف الارتباط بالكنيسة. إن هذا العامل يتناغم مع الشخصية الغربية.

يقول أحد المعتنقين ” يعتقد الأوروبيون بالفصل بين المسؤولية، الحرية الشخصية والمبادئ

الأخلاقية، بينما الإسلام يقول بأن كل مسلم يتحمل مسؤولية ما، تجاه أسرته، تجاه مجتمعه وتجاه البشرية كلها. هذه المسؤولية لا تنفصل عن القيم الأخلاقية مطلقاً. وقد يشعر المعتنقون الجدد بحالة من التوتر بين شخصياتهم من جهة وبين الأخلاق التي على المسلم التمسك بها». ويلاحظ لاري بوستون، وهو مختص بالاجتماع، هذه المميزات فيقول ” إن مقارنة الإسلام عبر هذه الخصائص التي يمتاز بها يجعل المرء يستنتج بأن هذا الدين لديه قوة كامنة عظيمة على الانتشار في المحيط الأوربي. إن الإيمان الإسلامي يعتمد على الذات، Self-Centered وعلى الاعتراف بعدم وجود وسائط بين الإنسان والله. كل فرد، ذكر كان أو أنثى مسؤول عن شعائره وصلاته، وهو ما يستهوي الشباب الغربي. ويقول أيضاً أن قبول التقوى الإسلامية هو مفتاح انتشار هذا الدين في العالم الغربي، ولكن ما هي التكهانات لهذا الانتشار في المستقبل؟ يتحمل المسلمون المهاجرون في الغرب مسؤولية عرض صورة الإسلام أمام الرأي العام الغربي، سواء كانت صورة إيجابية طيبة أو سلبية سيئة. فالغربي العادي لا يعرف عن الإسلام شيئاً ولكن قد يستفزه موقف لأحد المسلمين ويربط بين الموقف السيئ والإسلام. وقد يثير إعجابه سلوك إسلامي عال فيعزو ذلك أيضاً إلى قدرة هذا الدين على صقل سلوك وشخصية أتباعه بهذه الصورة الرائعة. هذا الاستنتاج قد يكون بداية الطريق في رحلة البحث عن الحقيقة التي، كما عودتنا التجارب، غالباً ما تنتهي باعتراف الإسلام. قال الإمام الصادق (ع): كونوا لنا دعاة بغير ألسنتكم.

بطلب من جامعة ليدن التي أدرس فيها، كلفت بإجراء بحث حول ظاهرة اعتناق الإسلام في الغرب، والتعرف على الأسباب والدوافع التي تجعل الإنسان الغربي يغير ديانته ويعتق الإسلام. وقد تسنى لي خلال البحث، الإطلاع على العديد من المصادر وشهادات المعتنقين. وقمت بإجراء مقابلات مع بعض الرجال والنساء الذين اعتنقوا الإسلام. ولا أريد الإطالة، فالبحث علمي بحث وليس مقالة يمكن اختصارها على عجل. وقد أثارني ظاهرة ملفتة للنظر وهي أغلبية الغربيين الذين اعتنقوا الإسلام قد اتخذوا قرارهم ذلك بتأثير مباشر من السلوك الحسن لبعض المسلمين الذين التقوا بهم. فتذكرت قول الإمام الصادق (ع): كونوا لنا دعاة بغير ألسنتكم، أي بالعمل والخلق الحسن وتيقنت أن وجود المسلمين في المجتمع الغربي له تأثير عليه بقدر ما له من تأثير على المسلمين أنفسهم. إن الإسلام ينمو بدرجة متسارعة في الغرب رغم الإعلام المضاد. في هولندا أكثر من ١٥ ألف هولندي مسلم. وللتعرف على أهمية وتأثير الالتزام بالأخلاق الإسلامية والأحكام الشرعية على الآخرين سأسرد بعض الحالات التي اطلعت عليها أو واجهتها بنفسني:

١- عامل فرنسي كان يعمل في شركة للبناء، ويعمل معه بعض العمال المغاربة المهاجرين. وحدث يوماً أن تمرض أحد العمال المغاربة ثم اضطره المرض للملازمة المنزل، ولم يكن لديه ضمان اجتماعي يكفل استمرار راتبه أثناء المرض. يقول الفرنسي: رأيت بقية العمال المسلمين يجمعون له ما لا كل شهر كي يستطيع إعالة أسرته ودفع إيجار مسكنه. لقد ذهلت وتساءلت أين يمكن أن يحدث مثل هذا في كل فرنسا؟ أي جار فرنسي يسأل عن جاره أو يساعد صديقه من ماله الخاص؟ ولما كنت أسكن معهم في نفس الحي قرب باريس، فقد أخذت أراقب تصرفاتهم وسلوكهم لقد رأيتهم يزورونهم باستمرار، يقضون عنهم أشغاله وحاجاته. وانتبهت إلى أن لديهم روابط قوية، يزور بعضهم بعضاً في الفرح والمرض والمشكلة والحاجة. لقد أعجبت بذلك السلوك الإنساني الرفيع فقررت إعتناق الإسلام.

٢- طبيب بريطاني يعالج مريضاً مسلماً، من مرض يستغرق علاجه مدة طويلة يقول الطبيب: كنت أرى المريض في أقصى غاية الاطمئنان والأمل والسكينة، في حين أن الآلام التي يعانيتها

لا تطاق. كنت أتساءل من أين ينهل هذا المريض كل هذا الإيمان والتوازن والاستقرار النفسي خلافاً لبقية المرضى الذين يعانون من نفس المرض. لقد علمت أن الإسلام يبعث هذه المشاعر في نفوس أتباعه، ويمنحهم هذا الصفاء النفسي فقررت اعتناق الإسلام في منتصف العلاج.

٣- مخرج سينمائي إنجليزي شاهد ممثلاً مسلماً، يعمل عنده، يغيب في أوقات الاستراحة عن زملاءه، فراقبه وشاهده يصلي فسأله ماذا يفعل من طقوس في الاستراحة؟ فقال له: إنني مسلم وأنا ملتزم بأداء الصلاة وتعاليم ديني. فطلب منه أن يحدثه عن أن يحدثه عن الإسلام، فأخذ المسلم يشرح له عقائده وأحكام الإسلام بين حين وآخر حتى اقتنع المخرج وقرر اعتناق الإسلام. ثم صلح حاله وراح يسأل عن شرعية بقاءه في مزاولة عمله كمخرج سينمائي. إنه الإسلام دين الفطرة السليمة.

٤- قسيس هولندي أنتدب للعمل كموجه اجتماعي بين عمال منجم للفحم الحجري وكان أغلبهم من المهاجرين المسلمين ذكر لي انه شاهد يوماً بعض العمال المسلمين يفقدون الوعي، وكان العمل شاقاً جداً وتحت الأرض، فسألهم عن سبب هذا الضعف ورفضهم تناول ماء أو غيره فقالوا له أنهم في شهر رمضان ويجب عليهم الصيام. يقول: أنا الذي درست اللاهوت والفلسفة خمسة عشر عاماً لم أعرف ماذا يعني رمضان والإسلام. وذهبت أبحث في المكتبات عن كتاب يحدثني عن الإسلام. بعد ذلك بسنين تسنى لي السفر إلى مصر. وتصادف أن الوقت كان رمضان. وفي وقت الإفطار رأيت الناس يجلسون في الشوارع لتناول طعام الإفطار عند الغرب. كانوا كثيراً ما يدعونني لتناول الإفطار معهم مع أنهم لا يعرفونني. لقد أثارت في تلك الأخلاق مشاعر الإعجاب والانبهار. إننا في الغرب لا يكاد أحدنا يعرف جاره أو يدعو صديقه لتناول القهوة إلا نادراً. إننا لا يعرف أحدنا الآخر، هناك جدران عالية من الريبة والعزلة والأنانية بين أفراد المجتمع الغربي. لقد تأثرت كثيراً بأخلاق المسلمين فقررت اعتناق الإسلام وأصبحت مسلماً بحمد الله.

٥- مراد ويلفريد هوفمان، سفير ألمانيا في الغرب وعدة بلدان أوروبية، ومدير الدائرة الإعلامية في حلف الناتو، يقول: كنت وزوجتي نستعرض واجهات المحلات في سوق اسطنبول الشرقية توقفنا لبرهة أمام محل لبيع الهدايا التذكارية ليس به أحد،

وسرعان ما أقبل علينا صاحب المحل المجاور ليعرض علينا أن يبيعنا بعض السلع من محل جاره (الذي كان غائباً)، لم يحاول إغراءنا بالشراء من محله، ولم يحاول عقد صفقة لصالحه. كيف

يمكن شرح المبادئ والأخلاق السامية التي كانت سائدة إبان النظام السابق للطوائف المهنية؟ أم أنه نتاج لمنهج قدري في التعامل مع المشروع الاقتصادي؟ أم أنه ثمرة لتغلب مشاعر الأخوة وممارستها عملاً؟ إنه الإسلام القادر على إصلاح النفوس.

كانت هذه الحادثة قد وقعت في ٢٢/٧/١٩٨٠ وبعدها بشهرين وبتاريخ ٢٥/٩/١٩٨٠ كنت في المركز الإسلامي بكونولونيا. ألمانيا أنطق بالشهادتين «لا إله إلا الله، محمد رسول الله».

دراسة من إعداد الدكتور محمد بن عبد الله بن عبد الوهاب

قبل أسبوعين صدر كتاب جديد يتناول ظاهرة اعتناق الإسلام في هولندا وبلجيكا. إسم الكتاب (المسلمون الهولنديون والبلجيكيون الجدد: أربعة عشر بورتريه)، والمؤلف هو تون كريين Ton Crijnen (٥٧ عاماً) وهو صحفي يشغل منصب مدير تحرير باب الدين والفلسفة في صحيفة تراو Trouw الهولندية الواسعة الانتشار. وبمناسبة صدور كتابه أقامت له دار النشر بولاق Bulaaq أمسية ثقافية في (مسجد الإسلام) في العاصمة السياسية دنهاخ (لاهاي) يوم الأربعاء المصادف ١٧/١١/١٩٩٩.

يقع مسجد الإسلام في أحد الأحياء الشعبية المكتظة بالمسلمين والأجانب في وسط لاهاي. البناء حديث وعصري، لكنه حافظ على الطراز المعماري المغربي. البهو الداخلي لقاعة الصلاة ذات لون أبيض ناصع، وزين السقف بالنقوش المغربية والمقرنصات الإسلامية التي توزعت على مساحة النجفات الثلاث، والتي تلونت بألوان فاتحة حافظت على انسجام الألوان. كما أن الإضاءة المخفية ذات اللون الأبيض أعطت روعة للمكان، وزادتها أهبة الثريات الكريستال المتدلية من السقف بألوان مصابيحها الذهبية. أما المحراب فقد توسط القاعة وهو مزين بالرسوم النباتية والتوريقات الخضراء التي دخلت في هارموني متكامل مع بقية أقسام المسجد. أما الأرضية فقد كسيت بسجاد ذي ألوان فاتحة متناسقة على شكل مصليات متجاورة. كان الحضور خليطاً من مسلمين مهاجرين وهولنديين مسلمين، إضافة إلى غير المسلمين ممن أحبوا التعرف على ظاهرة اعتناق الإسلام في بلدهم.

كلمة مؤلف الكتاب

تحدث عريف الأمسية وهو مسلم هولندي، يكرر كلمة (إن شاء الله) بالعربية عدة مرات أثناء حديثه. ثم قام بتقديم مؤلف الكتاب الذي تحدث في مقدمته:
إن الصورة المرسومة في أذهان قطاع كبير من الجمهور الغربي لا تتغير حول الإسلام والتي تتمثل بأن الإسلام كدين يتصادم مع حركة (التنوير) الأوروبية الغربية). ولو سألت هولندياً أو بلجيكياً ما هو تصوركم عن المسلم؟ لقال ٩٠٪ منهم أن كلمة مسلم تعني حجاب، تعدد زوجات، قطع الأيدي، والنساء مسجونات خلف الستائر كالجواري.

(قبل أن أعتق هذه الديانة المتخلفة) هكذا تتحدث سيدة هولندية مثقفة، وهي تتحدث عن الإسلام، في حين أنها تروي بحماسة زيارتها لمعرض خوارق الطبيعة معتقدة أن ذلك مما يمكن الإيمان به. وتنتصت باهتمام لأحاديث سخيفة حول الصحون الطائرة أو مخلوقات تحطف الموتى نحو المجرات السماوية، لكنها ترفض الإنصات أو الحديث عن الإسلام!!!

يعيش في هولندا وبلجيكا الكثير من المسلمين الجدد، رجال ونساء، عصريون، وغالباً ذوي تعليم عال، وذوي بلاغة وبيان. هؤلاء قاموا طوعاً بتبديل ديانتهم المسيحية، التي ولدوا بها، بالإسلام حيث يجدون فيه الفكر والعقل والمشاعر. أربعة عشر مسلماً يتحدثون في هذا الكتاب، بشجاعة ووعي، يدلون بشهاداتهم حول الحقيقة التي تعبر عن ارتباطهم الوثيق بالإسلام، ومسؤوليتهم الشخصية والنقد يبقى مفتوحاً أمامك، لأنه: أنا إنسان أولاً ثم مسلم.

يشكل هؤلاء المعتنقون جماعة صغيرة بين الجاليات المسلمة، لكن عددها يزداد بسرعة حيث يعتنق الإسلام ٣-٤ أشخاص أسبوعياً. ويقدر عدد المسلمين الهولنديين بستة آلاف نسبة إلى ٧٠٠ ألف مسلم. وفي بلجيكا عددهم ثلاثة آلاف نسبة إلى ٣٥٠ ألف مسلم. وأغلبهم ينحدرون من الطبقة الوسطى في المجتمع، وأعمارهم تتراوح بين ٣٠-٤٠ عاماً.

ويمكن القول باطمئنان أن اعتناقهم الإسلام يأتي مترادفاً مع الصعوبات الكبيرة التي تعاني منها المذاهب المسيحية والكنائس. ففي الوقت الذي باتت فيه المسيحية فاقدة لقدرتها على الجذب والإقناع بنظر الكثيرين في أوروبا الغربية نجد الإسلام يقدم نفسه للمجتمع بثقة باعتباره الخيار الأكثر جاذبية وموثوقية، هذا ما يقوله بعض الباحثين الدينيين. إنهم يرون في الإسلام علاجاً ناجحاً ضد أمراض المجتمع الغربي كالإدمان على الكحول والمخدرات، العزلة، تنامي الجريمة، أو يجدون أنفسهم مشدودين إلى الروحيات الإسلامية كالصوفية، وما تتضمنه من خبرات وحرية شخصية وعلاقة مباشرة مع الله دون وسيط. إن غالبية المعتنقين من المذهب الكاثوليكي حيث يرون أنه لم يعد ما يربطهم للقبول بعقائد مثل التثليث وتأليه المسيح، والكهنوت الذي يقف حاجزاً في العلاقة بين الإنسان وربه.

تحدث هؤلاء الأربعة عشر مسلماً بقلب مفتوح عن شبابهم، أحلامهم، أحباطهم. كما تحدثوا عن مسؤوليتهم في خيارهم الجديد، وكشفوا عن الدوافع الإجتماعية والدينية التي قادتهم إلى هذا الخطوة التي لا تتكرر. تحدثوا عن تجاربهم مع الإسلام، فبعضهم يجد صعوبة في أداء الصلاة في حين تقول واحدة منهم (أنني إذا قرأت القرآن تقفز دموعي من عيوني).

ينقسم المسلمون الجدد إلى قسمين، الأول: كان يعاني من أزمات نفسية لفترة طويلة، وهو يبحث عن حل لها. والثاني: تزوج بمسلمين، ثم اعتنق الإسلام عن وعي، ودون ضغط من أزواجهن.

بعضهم يميز بين معتقده الجديد وبين الثقافة الشرقية التي احتضنت الإسلام لمدة ١٣ قرناً. يريدون أن يبقوا هولنديين أو بلجيكين، ولا يريدون ممارسة الدور الزيف للعربي. والبقية عاشوا لمدة طويلة أو قصيرة ضمن ثقافة المسلمين المهاجرين من خلال علاقتهم مع أسر أزواجهن. وغالباً ما يبدو أسلوب حياتهم، وليس دائماً، تقليدياً أكثر من الصنف الأول. ولا يوجد بينهم متشددون أمثال طالبان الأفغانية أو جبهة الإنقاذ الجزائرية.

إن للمسلمين الأوربيين، رغم قلتهم، تأثير هام، ليس على قبول الإسلام في هذه المجتمعات فحسب، بل على عملية المواطنة الروحية للمسلمين المهاجرين. فيمكنهم أن قدموا خدمة لأبناء دينهم من خلال تطوير خبراتهم لعرض الإسلام بشكل جذاب أمام الجيل الثاني والثالث من المهاجرين المسلمين ويمكن للمسلمين الأوربيين المشاركة في النقاشات العامة حول القضايا العرقية والروحية. وهي قضايا ما زالت مستمرة في الإعلام الغربي، والتي غالباً ما تفتقد للصوت الإسلامي.

النخيل تلتقي المؤلف كريين

وعلى هامش الندوة، التقت النخيل بالمؤلف تون كريين وسألته:

النخيل: ما الأسس التي اعتمدها في إجراء حوار مع هؤلاء؟

كريين: حاولت جهد الإمكان أن تكون العينات متنوعة كي تعكس واقع هذه الظاهرة الاجتماعية في مجتمعاتنا.

النخيل: لاحظنا عدم وجود إستنتاجات في نهاية الكتاب مثل بقية الدراسات.

كريين: لم أكتب استنتاجات بل دونت نتائجي في مقدمة الكتاب.

النخيل: لوحظ عدم وجود مصادر للكتاب، بل اعتمدت على الحوار فقط.

كريين: لا أعرف لماذا لم يتم تناول هذه الظاهرة من قبل الباحثين.

النخيل: هناك دراسات عديدة حول الموضوع لكنك غير مطلع عليها.

ما هي الأسباب الحقيقية وراء اعتناق الغربيين الإسلام؟

كريين: هناك أسباب إجتماعية ونفسية، فبعضهم انخرط في حركة صوفية أولاً ثم صار مسلماً، أي أنها دخلت من الباب الخلفي. وقسم باتوا يرفضون العقيدة المسيحية اللاعقلانية، فيجدون في الإسلام ما تتراح إليه نفوسهم وعقولهم، وما يشبع مشاعرهم وأحاسيسهم خاصة في الجانب الروحي.

كلمة الشيخ الخمار بقالي

وألقى الشيخ البقالي إمام مسجد (الإسلام) كلمة رحب بها بإقامة الأمسية في المسجد، وأثنى على جهود المؤلف والمسلمين الذين شاركوا في الحوار. ثم تناول أهم المشاكل التي يعاني منها المسلم في الغرب مثل عدم استطاعته المشاركة في صلاة الجمعة لأنها تقام أثناء العمل. كما أن أرباب العمل يرفضون منح عطلة أيام أعياد المسلمين، وتعرض الكثير من المحجبات لفقدان وظائفهن بسبب الحجاب. كما أننا نفتقد المقابر الإسلامية، وإذا كان المهاجرون يرسلون جنازات موتاهم إلى بلدانهم الأصلية، فأين يدفن المسلمون الهولنديون؟ ثم طالب الحاضرين بالتحلي بالتسامح والتعايش واحترام كل الديانات، وعدم إرغام بعضنا البعض على شيء لا نريده. وأكد على أن الجيل الثاني والثالث من المهاجرين المسلمين يريدون العيش هنا كمواطنين هولنديين مسلمين، أي ينتمون للإسلام ديناً، وينتمون للبلد كمواطنين حريصين على مصلحة وطنهم. وفي الختام عقدت ندوة مفتوحة حول الإسلام والمواطنة شارك فيها إثنان (مسلم ومسلمة) من الهولنديين، ورئيس مجلس المسلمين الهولنديين، وباحث في دائرة الأقليات التابعة للجامعة أوترخت.

أثرت بي حالة المغاربة الذين يحافظون على صيامهم في أعماق المنجم!
درست اللاهوت ١٥ عاماً ولم أكن أعرف عن الإسلام شيئاً!
عندما كنت مسيحياً لم أكن قادراً على قبول العقائد المسيحية ومنها التثليث!
من المفارقات أن القرآن يذكر السيدة مريم (ع) أكثر من أي إنجيل!
الراهبات المسيحيات يرتدين الحجاب طوال اليوم لكن الانتقاد يتوجه للمرأة المسلمة فقط
لا يمكن أن نؤثر كمسلمين في الغربيين دون أن نحتل موقعاً في المجتمع
الاندماج هو أن نستطيع كسب احترام الهولنديين لك.. بالعلم والعمل والسلوك

أقامت الجمعية الثقافية العراقية في هولندا احتفالاً جماهيرياً في مدينة دوردرخت يوم السبت
المصادف ٧/١١/١٩٩٨ بمناسبة ذكرى ١٣ رجب مولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع).
وكان ضيف الاحتفال السيد سيف الله كورز حيث تحدث عن قصة اعتناقه الإسلام، وتجاربه
وآرائه ونشاطاته.

الصدقة الأولى، رمضان في المنجم

تحدث السيد سيف الله عن الدوافع التي دفعته إلى اعتناق الإسلام فقال:
في عام ١٩٦٦ أتممت دراسة اللاهوت المسيحي التي دامت ١٥ عاماً، مما يعني أن لي معرفة عميقة
وإطلاع واسع بالمسيحية ومذاهبها وعقائدها. بعد ذلك عملت في الشؤون الاجتماعية في منجم
يقع في جنوب هولندا (محافظة ليمبرغ). في أحد الأيام جيء بثلاثة عمال مغاربة مغمى عليهم،
من داخل المنجم. بعد إجراء الإسعافات الأولية عادوا إلى وعيهم. أتيناهم بالماء لأنهم كانوا
متعبين وعطاشى، رفضوا شرب الماء، ولما سألناهم عن سبب امتناعهم، قالوا: نحن في شهر
رمضان. لقد درست كثيراً لكنني للأسف لم أعرف معنى (رمضان). لم يعرف رفاقي الهولنديون
شيئاً عن رمضان أيضاً، لكن أحد العمال كان يعرف الفرنسية قال لي: رمضان هو شهر الصيام،
حيث يصوم المسلمون من الفجر حتى المغرب. هزنتي هذه الحادثة كثيراً.

كيف يحافظ هؤلاء البسطاء على التزام ديني صعب وهم تحت الأرض، لا أحد يراهم؟ قادي
حب الاستطلاع إلى المكتبة، لم أجد فيها شيئاً عن الإسلام، فلم يكن الغرب آنذاك يعرف الكثير
عن الإسلام. عملت كواعظ في إحدى الكنائس.

رمضان يقودني إلى اعتناق الإسلام

كانت لدي هواية تتعلق بمتابعة الآثار الفرعونية وأسرارها والغموض الذي يلف تأريخها وكنوزها. سافرت إلى مصر في صيف ١٩٧٥. وصادف أن كان رمضان، وهذه مصادفة لم أحتسب لها. وجدت الشوارع مزينة والفرح والسرور يعم الناس. وحين ينطلق مدفع الإفطار يجلس المصريون في الشوارع، حيث تتوقف الحركة لتناول الفطور. كنت كثيراً ما أدعى لتناول الفطور من قبل أناس لا أعرفهم. هزني تكرار المشهد ورحت أتساءل وأقارن: أين في بلداننا الغربية ومنها هولندا يدعو أحدنا شخصاً لا يعرفه لتناول الطعام. إننا بالكاد نعرف من هو جيراننا، أو مشاكلة أو عمله. إننا في الغرب نزداد بعداً بين بعضنا البعض، يوماً بعد يوم.

ذهبت إلى الجامع الأزهر وسألت عن معنى رمضان وفلسفة الصوم. تحدثت مع بعض المشايخ ثم أعطوني كتاباً عن الصوم. لم ينتهي شهر رمضان حتى ذهبت إلى الجامع الأزهر ونطقت بالشهادتين. لماذا قمت بذلك؟ هذا السؤال يواجهني كثيراً منذ ربع قرن. قد لا أستطيع وصف مشاعري آنذاك لأنني قد أصبحت مسلماً من الداخل، مشاعري باتت إسلامية. قد لا أصف بدقة طبيعة إحساساتي حين لحظة التحول ومع ذلك أقول: كل قرار، مثل ذلك القرار، يحتاج إلى أساسين هما العقل والقلب. فقرار اعتناق الإسلام بحاجة إلى حالة توازن بين العقل والقلب ... بين التفكير والعاطفة.

تجاربي مع الإسلام والمسلمين

في أحد سفراتي إلى مصر، ذهبت إلى جنوب مصر في منطقة الأقصر. سألت أحد خدام الفندق أن يدلني على فقير حقيقي، لأننا لا نرى فقراء حقيقيين في هولندا، تصادفنا هذه الحالة عند البحث عن فقير لنوصل إليه الصدقات أو لحم الأضاحي. أخذني إلى الصحراء حيث شاهدت امرأة عجوزاً تجلس في ظل قطعة قماش بال، ليس لديها أي شيء.. لا سقن، لا جدار، لا سجاد، لا سرير، لا خزانة ملابس... لا شيء مطلقاً. سألتها: كيف تعيشين إذن؟ أنا لا أتصور أنه بالإمكان العيش في مثل تلك الظروف. قالت: الزكاة.

لقد كانت واحدة من أهم لحظات حياتي كلها. لقد علمت أن الزكاة واجب ديني لتزكية وتطهير أموالك، حيث يصرف منها على الفقراء. لقد أثرت هذه الحادثة في كثير، وأعطتني منظوراً جديداً للحياة والكون والناس.

عندما أسافر إلى البلدان الإسلامية وأختلط بالمسلمين أشعر كأنني في بيتي. لقد شعرت بحرارة استقبالهم وضيافتهم في كل بلد أزوره، في تونس وسوريا ومصر والمغرب، في الصحراء أو المدينة. عندما أقول أنني مسلم تفتح أمامي كل الأبواب، الطعام والشراب والمبيت. أشعر أنني بين أهلي.

لقد شعرت أنني بالإسلام أنني في بيتي *thuis gevoel*. وهذا الشهور يتدفق عليّ بالإرتباط أكثر بأن أكون مسلماً، وأحيا مسلماً. عندما أمارس الإسلام وأشعر بإسلامي أشعر أنني في بيتي، في أي مكان من العالم.

لا أقول أن جميع المسلمين الذين التقيتهم كانوا طيبين، ولا أقول أنهم سيئون. وهذا ينطبق أيضاً على المسيحيين، ففيهم الصالح وفيهم السيئ. في كل مجتمع يوجد أناس صالحون وأناس سيئون، تجد فيهم الأذكاء والأغبياء، الملتزمون والمتحللون، تواجه جميع النماذج. وتجد بين المسلمين من هو متعصب، ومن هو متسامح أو ليبرالي. وبين هذا وذاك طيف واسع من الأخلاق والسجايا الإنسانية.

يقول تعالى في كتابه العزيز (فلا اقتحم العقبة. وما أدراك ما العقبة. فك رقبة. أو إطعام في يوم ذي مسغبة، بيتياً ذا ميرة. ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر والمرحة) (البلد: ١١-١٧) يعني أن الله تعالى سيسأل الإنسان هل ساعد يتيماً أو فقيراً أو فك أسر عبد أو أي معروف عمله. السؤال هنا يتركز حول الأسلوب الذي عشته في حياتك، وعلاقتك بالناس.

الإسلام يعلمنا كيف نتصرف أو ما هي طريقة سلوكنا في المجتمع.. أن نعمل.. لا أن نلقي الخطب والمواعظ.. كلاماً فقط... بل يطابق عملنا قولنا... أن نكون مسلمين صالحين بالعمل والسلوك القويم.

كل واحد منا ينتمي إلى مجموعة عرقية أو فرقة مذهبية معينة، وهذا لا عيب فيه، فهذا خيار الفرد المنتمي إلى تلك المجموعة، ولكن الأهم هو أن يكون إنساناً صالحاً مفيداً للمجتمع.

الإسلام في مجتمع مسيحي

عندما كنت مسيحياً كنت أجد صعوبة في فهم العقائد المسيحية. فهي معقدة جداً، ولكنني وجدت في العقيدة الإسلامية سهلة الفهم والإدراك وتتم بطريقة عقلانية. أول أصول الإسلام هو التوحيد. باعتقادي أن المسيح (ع) كان يدعو إلى إله واحد، ولكن حدثت تطورات وتدخلات من قبل بولص و قسطنطين و مجمع نيقية، حيث صار الإله الواحد موجوداً في ثلاثة أقانيم يلعب المسيح فيها دوراً مركزياً. يعتقد المسيحيون بالخطيئة الموروثة، أي أن الإنسان يولد وهو يحمل معه خطيئة أبيه آدم. ويؤمنون بعقيدة الصلب والتي فندها القرآن الكريم.

تمثل الخطيئة أو الحرام أمراً مقلقاً بين المسيحيين. وهم لا يحبون الحديث حول الخطيئة أو الحرام، إذ تثير الرعب والخوف في نفوسهم، لأنهم يتصورون الموت مع الخطيئة يعني الحرمان من الجنة. وقد تحول مفهوم الحرام عندهم من قضية دينية إلى قضية إجتماعية أو أخلاقية، فمثلاً يرون الإثم

أو الحرام في تشغيل الأطفال أو غمط حقوق العمال أو تمييز النساء. فهم يؤمنون بثلاثة مفاهيم هي الحرام والواجب والمباح. أما في الإسلام فمصطلح الحرام له مداليل خاصة وأبعاد أخرى. وهناك مفهومان أخريان هما (المستحب) و(المكروه) وهي غير موجودة في المسيحية فيما يتعلق بالصلاة، يؤدي المسيحيون الصلاة فرادى وجماعة، حيث تؤدي الصلاة جالساً في الكنيسة. أما المسلمين فيصلون فرادى وجماعة أيضاً في المسجد.

ويستخدم المسيحيون المسبحة العادية. وأعتقد أنها عادة مأخوذة من المسلمين حين غزا الصليبيون القدس وشاهدوا المسلمين يستحون بالمسبحة فتعلموها منهم وجلبوها معهم إلى أوروبا. يوجد في ألماني منطقة تدعى (حج ماريا) Marija Bedevaart حيث يزورها المسيحيون أو يحجون إليها في شهر مايس كل عام. يمتلئ المكان بالمسبحات المسيحية Rosen Krans. تتألف المسبحة من ٩٩ خرزة بعدد أسماء الله الحسنى التي يذكرها المسلمون، لكن المسيحيين يستخدمونها في التسبيح أو التمجيد Schiet gebeden.

من المناسب أن أذكر أن سكان جنوب هولندا يحتفلون بأعياد الكرنفال. ويتساءل بعض المسلمين ما هو عيد الكرنفال؟ الكرنفال هو الاحتفال لمدة ثلاثة أيام قبل صيام المسيحيين الذي يدوم أربعين يوماً. الواقع أن المسيحيين لم يعودوا يصومون إلا أن الاحتفال به بقي حتى اليوم. ومن الطريف أن نجد أن شهر رمضان ينتهي بعيد الفطر الذي يستمر ثلاثة أيام أيضاً.

- نحن كمسلمين لدينا رسالة لتوصيل الإسلام إلى كل العالم. ما هي السبل الأفضل لدعوة غير المسلمين في هولندا إلى الإسلام؟

سيف الله: سأقولها بقوة! إذا أراد المسلمون أن يؤثروا في المجتمع الهولندي فيجب أن يحتلوا موقعهم فيه. فما دام المجتمع الهولندي يجد في المسلمين ليسوا سوى عمال تنظيف في المطارات والمحطات ومحلات V&D وليس لهم حضور آخر مثلاً مشاركة في المجلس البلدي أو الجامعة أو المدرسة، فلن يكون للمسلمين أي تأثير على الهولنديين.

أنا أقول دائماً للمسلمين: إذا أردتم أن تحققوا شيئاً للإسلام يجب أن تحققوا شيئاً في المجتمع الذي تعيشون فيه. فعندما يكون المسلم مديراً أو محامياً أو معلماً أو ضابطاً ويؤدي وظيفة حية في المجتمع، عندها سيجري تقييمه واحترامه. وعندها سيحظى الإسلام باحترام الجميع ويؤثر فيهم عندئذ. ولا ينفع ترديد المقولات أن الإسلام جميل ولطيف وكذا وكذا، إنهم يريدون أن يروا مثلاً أمامهم: كيف يصنع الإسلام الشخصية الناجحة في المجتمع.

يجب أن لا يبقى المسلمون في وضعية دونية، في أسفل السلم من المجتمع الغربي، يجب أن يرتفعوا إلى مستوى المساهمة الفعالة في المجتمع. كثيراً ما يشاهد الهولنديون بعض الشباب المسلم في الأماكن العامة، متجمعين مع بعضهم، قد يكونوا متورطين بتجارة المخدرات. تجمعهم هذا يثير اشمئزاز الآخرين. طالما بقيت هذه المناظر أمام الهولنديين فلن تتحسن صورة المسلمين في أعينهم مطلقاً.

- لدي سؤالان، الأول: تعتقد بعض الديانات بحرق الموتى، ما رأيكم بذلك؟

الثاني: ما هي علاقة الإنسان بالأرض؟ في حياته وبعد مماته. وما هي علاقة التراب بالجسد؟ سيف الله: الإسلام ينص على تغسيل ودفن الميت في الأرض ولا يوجد لدينا نص يبيح حرق الموتى. وهنا يطرح سؤال: هل يبقى المسلمون يدفنون موتاهم أم قد يضطرون للحرق يوماً ما. الموضوع بحاجة إلى مناقشة ومعرفة آراء الفقهاء. وهل الدفن أمر أبدي ولا يتغير في كل الأحوال. هذه أول مرة يطرح علي سؤال بهذا الخصوص.

أما بالنسبة لعلاقة الإنسان بالأرض، ففي هولندا أخذ المجتمع الزراعي يختفي. ففي وقت ما

كانت العلاقة وثيقة بين الفلاح والأرض أو ما يفتخر بقوله أرضي أو «بلادي» (قالها بالعربية) باعتبار أن الأرض مصدر رزقه. أما المجتمع الصناعي فلا توجد مثل هذه العلاقة. أنا شخصياً لا أشعر بعلاقة مع الأرض، لم أمتلك في حياتي شبراً واحداً. أما بالنسبة لكم فما زالت العلاقة بينكم وبلادكم قوية، ولكن هذه العلاقة ستزول عند أبنائكم الذين كبروا في هولندا. لقد أجبرتم على مغادرة بلادكم، وهذا أمر مؤلم. لا ننسى أن النبي محمد (ص) قد أجبر على مغادرة مكة إلى المدينة. أنتم الآن مهاجرون، ومن الطبيعي أن يكون لديكم حنين لبلدكم.

- السؤال الأول: هل تجد اختلافاً بين المسلمين هنا وبين المسلمين في البلدان الإسلامية؟
السؤال الثاني: كيف يستطيع المسلمون هنا الاندماج مع المجتمع الهولندي مع المحافظة على هويتهم؟

سيف الله: بالنسبة للسؤال الأول: هناك اختلاف لأن المسلمين هنا لا يعيشون في بلادهم، إنهم مجبرون على ذلك، وتبقى مشاعرهم نحو أرض أخرى هي بلادهم، نحو عائلاتهم، نحو الأقارب، نحو الأصدقاء والمعارف. لقد جاءوا هنا بغير إرادتهم، بالقسمة (قالها بالعربية)، وهذا أمر غير محبب. بالنسبة للسؤال الثاني: الاندماج لا يعني أن تكون هولندياً، نعم أنا مسلم، عندما أصبحت مسلماً لم أصبح تركياً أو مغربياً، ما زلت هولندياً، أتكلم الهولندية. الاندماج ليس أن تأكل وتلبس مثل الهولنديين، بل أن تحتل موقعاً في المجتمع.

قبل ثلاثين عاماً عندما بدأ العمال المسلمون يتوافدون على هولندا للعمل، لم يكن أحدهم حاصل على شهادة مدرسية. أما اليوم فتجد على سبيل المثال في مدينة تلبورخ توجد ٣٠٠ فتاة مسلمة تدرس على شهادة HBO في المعاهد العليا. وهذا ما يجب أن يحدث، وهو الذي نسميه الاندماج. مداخلة هولندية مسلمة: نتحدث كثيراً عن الاندماج لكن المجتمع الهولندي لا يعطي فرصة للأجانب لتحقيق ذواتهم في العمل. يقولون أن الأجانب ليس لديهم شهادات عالية، وعندما يحصلون على الشهادات يقولون الأجانب لا يجيدون اللغة، وعندما يجيدونها تبقى هناك ذرائع لرفضهم أنا أعرف العديد من المسلمين يحملون شهادات عالية ويجيدون اللغة الهولندية لكن يجري رفضهم عند الترشيح لأي وظيفة. إن الدولة والهولنديين أنفسهم يتحملون قسطاً من مسؤولية اندماج الأجانب والمسلمين في المجتمع.

سيف الله: الاندماج هو أن تحظى باحترام الآخرين. يجب أن تعمل شيئاً لفرض احترامهم لك، ليس بالكلام بل بالدراسة والعمل والمثابرة والإصرار أعتقد أن الجيل الثاني والثالث من

المهاجرين سيحظى بفرص أكبر من آباؤهم. الاندماج لا يعني التكيف مع الهولنديين، مع أي هولنديين تتكيف؟ مع الهولندي المتعصب الذي يكرهك ويريد طردك؟ أم مع الهولندي تاجر المخدرات أو عضو المافيا؟ هؤلاء ضدك فكيف تتكيف معهم؟

مداخلة (هولندية مسيحية): الدستور الهولندي لا يتضمن كلمة الاندماج لكنه ينص على أن كل شخص في هولندا يحظى بالمساواة مع الآخرين. ولو أصررنا على تطبيق ذلك سيكون أفضل.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تمثل شخصيتك تنوعاً فريداً، فأنت غربي وعشت الحضارة الغربية وتفهمها جيداً. وأنت ذو خلفية مسيحية ودرستها بعمق، وأنت مسلم اعتنقت الإسلام عن وعي وإدراك وقناعة. هذه المزايا تمنحك قدرة كبيرة على الحركة والمناورة في كافة الاتجاهات. ما هي نصيحتك في مخاطبة غير المسلمين وفهم عقليتهم؟ حيث تبقى فيها مساحة معتمدة بالنسبة لنا. ويعود ذلك إلى خلفيتنا وطبيعة تصوراتنا التي قد لا تقترب من فهم العقلية الغربية.

سيف الله: الأصل عندي هو الجهاد في كل شيء لغرض تحقيق الأفضل من علم ومعرفة وإطلاع. أعرف كثير من الأتراك يحفظون القرآن على ظهر قلب، وعندما أسألهم: هل تفهم منه شيئاً يقول: كلا. أنا أو من بثواب قراءة القرآن، ولكن رسالة القرآن غير موجودة في الاستماع إليه، بل بالعمل به. المسلم هو الذي يقدم ما يستطيعه من أجل القرآن. وأنت إذا فعلت ذلك بظروفك ووضعيتك وإمكاناتك، عندها ستشارك المجتمع وتساهم فيه. وأنا بإمكاناتي أفعل ذلك، عندها سأكون في الاتجاه الصحيح. وعندها سأكون في مسلماً حقيقياً. هل نتحمل مسؤولية أداء رسالة الإسلام من خلال تلاوة القرآن أم لا، هل يكفي الاستماع؟ الجهاد هو تقديم كل ما في وسعك من أجل قضية معينة. يجب أن نرى ما يريد الله تعالى منا ونؤديه، وهو السلوك المطلوب.

- أنا معك بأننا كمسلمين يجب أن نبذل ما في وسعنا من أجل الحصول على موقع في المجتمع، وأن نكون نموذجاً جيداً أمام الآخرين. هناك مشكلة تواجه المسلمات. الاندماج في ذهن الهولنديين هو تقليدهم في كل شيء، رجالاً ونساءً. المرأة المسلمة التي أكملت تعليماً جيداً، وتحيد اللغة الهولندية، وتلبس الحجاب، لا تجد فرصة للعمل، المجتمع يرفضها. ماذا نفعل لمساعدة نساءنا وفتياتنا للمحافظة على هويتنا؟ المجتمع الهولندي لا يعاملهن على أساس الخبرة أو الشهادة بل من خلال المظهر.

سيف الله: كثيراً ما ألتقي الشباب المسلم في البلدان الإسلامية. وعندما يعرفون أنني هولندي يتصورون أن هولندا جنة. وأنتم وجدتم أن هولندا ليست جنة. ولا يمكنني أن ولا أنت أن تجعلها جنة، لأن الجنة يوم الحساب.

أعتقد أنه من الأفضل هو العمل ما في وسعنا هنا. ولو قارنت المسلمة بالهولندية ستجد أن هناك هولنديات شريفات ونبيلات. وهن أيضاً قلقات تجاه أولادهن وبناتهن. نصيحتي هي العلم والمعرفة. والإسلام يقول اطلب العلم ولو في الصين. تعلم وتعلم واعمل وخذ فرصتك، ولا تتوقع من أحد أن يصنع لك جنة. هناك مشاكل وكلنا نعرف بها. فيها يتعلق بالحجاب. قبل مدة ألقى محاضرة على راهبات هولنديات. كانت القاعة تغص بأربعمئة راهبة. الراهبات يرتدين الحجاب طوال اليوم وطوال حياتهن. تراهن في شوارع كل الدول الغربية، ولا أحد يشير إليهن أو يتحدث ضدهن بينما يجري التركيز على المرأة المسلمة.

- ما هي نشاطاتك منذ أن أصبحت مسلماً لحد الآن؟

سيف الله: أقوم بالقاء محاضرات، وأشارك في ندوات، أكتب مقالات عن الإسلام. ساهمت في إنشاء ثلاثة مساجد في مدينتي، وبقيت ٢٨ عاماً مسؤولاً عن أحدها. وما زلت أقدم خدماتي للمسلمين.

- يوجد في أمريكا قانون يجبر رب العمل على تشغيل السود والبيض معاً. هل توجد إمكانية لسن مثل هذا القانون في هولندا؟

سيف الله: سن في أمريكا العام الماضي قانون يسمى بالتمييز الإيجابي أي يعطي الأولوية في التشغيل للنساء والملونين. في هولندا جرت نقاشات حول سن قانون مشابه ولكنه لم يحظ بالقبول من قبل أرباب العمل والشركات والدوائر. من الصعب فرض التمييز الإيجابي على الناس، وهذا مؤلم.

لم تكن الشابة الهولندية دانيال ذات العشرين ربيعاً على علم بما تحبته لها الأقدار، وأن تترك المسيحية الكاثوليكية إلى دين المصطفى (ص) ومذهب أهل البيت (ع)، وهي ترافق شقيقتها الكبرى للعمل كمتطوعة في مركز لإستقبال اللاجئين في مدينة قريبة. ولم تعلم أن في المركز شاب عراقي مؤمن سيرافقها ويهديها إلى شاطئ الهدى والإيمان.

النخيل: التقت بالأخت المسلمة دانيال بعد أيام ما نطقها بالشهادة وسط إحتفال صغير حضره جمع من المسلمين والمسلمات ومراسم بسيطة، تمثلت بقول الشهادة، وعيونها تغرورق بالدموع، وجسمها يرتعش من حجم المشاعر والإحساسات التي إنتابتها وهي تعلن إنتائها إلى هذه الرسالة العظيمة، وتشهد الله على إيمانها بالرسول محمد (ص)، وإنتسابها لمذهب أهل البيت (ع)، وتنضم بذلك إلى قافلة من الإخوة والأخوات الذين سبقوها بالإيمان وذاقوا حلاوته، وإنعكس على تفكيرهم وسلوكهم وحياتهم كلها.

النخيل: نرجو من الأخت إيمان أن تحدثنا عن خلفيتها العائلية ووضعها الإجتماعي والدراسي. إيمان: إسمي الهولندي دانيال كايس (٢٢ عاماً) من قرية صغيرة قرب مدينة بريدا. أعيش مع والدي ووالدتي وأختي الكبرى (٣٠ عاماً) وأخي (٢٩ عاماً). عائلتي كاثوليكية المذهب. أكملت دراستي الثانوية وتخصصت في حقل الإدارة المالية، وأعمل الآن في شركة سيارات في مدينة فالكسوارد.

النخيل: هل كان والداك يتحدثان في قضايا دينية، في المنزل؟ إيمان: كلا، بل يجري التطرق إلى الموت عند وفاة أحد الأقارب أو الأصدقاء. صحيح أنه كان في البيت كتاب الإنجيل إلا أنه لم يخرج أبداً من خزانة الكتب.

دانية النخيل

النخيل: كيف التقيت بالأخ رائد؟ إيمان: التقيت به قبل ثلاث سنوات في مركز استقبال اللاجئين. لم يكن لي قبل الإسلام أي معتقد ديني، صحيح أنني كنت مسيحية لكنني لم أفهم منها شيئاً، مع أنني كنت أرافق والدي إلى الكنيسة أيام الأحد. لقد انقطعت عنها عندما بلغت ١٦ عاماً.

النخيل: ما هي ظروف ذهابك إلى مركز اللاجئين وما هي طبيعة عملك هناك؟ إيمان: كنت أرافق شقيقتي التي كانت تعطي دروساً لتعليم اللغة الهولندية للاجئين. وكنت أشرف

على نشاطات أطفال اللاجئيين. كان والديّ غير راغبين في ذهابنا إلى مركز اللاجئيين، لكنها كان يعتقدان أننا يمكن أن نتعلم الكثير بمخالطة الأجانب والتعرف على الثقافات الأخرى. لم يقتصر نشاطي على الأطفال بل كنت ألتقي بالكبار، المتزوجين أو الذين جاءوا بمفردهم. كنت أتكلم معهم وأساعدهم وأرشدهم وأجيب على أسئلتهم.

النخيل: وتعرفت على الأخ رائد كأول صديق لك، كيف تطورت العلاقة بينكما؟
إيمان: لم يكن لي صديق قبله وكنت سعيدة به. كان يحدثني عن دينه وعقيدته. لقد أثار تعجبي، إذ لم تكن لي فكرة حول الدين، لكنه بقي يثير انتباهي بالحديث عن الإسلام وأحكام الإسلام. لقد تعجبت من أحاديثه لكنها بدت مثيرة لي، وسرعان ما جذبتني إليها، لأنها كانت تعطي فكرة إيجابية عن الإسلام، في حين أن الصورة التي في أذهاننا، نحن الغربيين، وبتأثير الإعلام الغربي والصحافة والتلفزيون وفي البيت أيضاً، هي صورة سلبية تجاه الإسلام والمسلمين. فكان والداي مثلاً يقولان أن الإسلام يمنع المرأة من عمل أي شيء ويكبت حريتها.

ولما بدت أحاديث رائد تجذبني أخذت أطرح عليه المزيد من الأسئلة لغرض التعرف أكثر على الإسلام وأخلاق المسلمين. لقد بدت الصورة مختلفة عما كان في ذهني. إن الإسلام أسهل مما كنت أتوقع. وكلما طرحت عليه أسئلة راح يعطي إجابات أكثر ويشرح أكثر.

النخيل: ما المواضيع التي كان يتطرق لها رائد في أحاديثكما؟

إيمان: لقد كانت مواضيع كثيرة وشيقة، مثلاً تعلمت منه ما معنى النبوة وما معنى النبي. وباعتباري امرأة، كانت وضعية المرأة في الإسلام تهمني جداً، نظراً لما يدور حولها من جدل في الإعلام الغربي. لقد شرح لي طبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة في الإسلام، وأهمية الحجاب للمرأة وضرورته في المجتمع. لقد أصبت بصدمة للفارق بين قيمة المرأة وما كرمها الله به في الإسلام، وما هي عليه في المسيحية أو المجتمع الغربي الذي يعتبرها مثل الرجل. لقد عرفت ما هي واجبات وحقوق المرأة في الإسلام، والثواب الذي أعدّه الله تعالى لها في الآخرة جزاءً لالتزامها بأحكام الشريعة الإسلامية.

النخيل: وهكذا، تدريجياً، وجدت نفسك تؤمنين بها طرحة عليك رائد، فهل فكرت يوماً أنك ستصبحين مسلمة؟

إيمان: كلا، ولكن أخذ الإيمان يقوى في قلبي وعقلي، وترسخ تعاليم الإسلام في فكري وسلوكي. لم أفكر يوماً أنني سأغير ديني، لكنني وجدت نفسي أنني قد تغيرت فعلاً. لقد شعرت بالراحة

والحرية أكثر بعد اعتناقي للإسلام. وأنا سعيدة أنني فعلت ذلك، الحمد لله (قالتها بالعربية).

النخيل: كيف اتخذت قرارك باعتناق الإسلام؟

إيمان: لقد أصبحت في الفترة الأخيرة مؤمنة بالله وبالإسلام، حتى أصبح موضوع اعتناقي الإسلام قضية وقت، لأن ظروف في بيت والدي لم تكن تسمح لي. وبقي هذا الشعور يساورني وكنت متوترة في كيفية التوفيق بين ما أنا أو من به وبين وضعي بين أهلي. مثلاً كيف أردتدي الحجاب أمام أهلي وأقاربي، وكيف أمتنع عن تناول طعامهم وشرابهم. أنا لا أريد أن أرتكب إثماً، لأنني أعرف أنني إذا أصبحت مسلمة، علي أن ألتزم بتعاليم الإسلام.

النخيل: ما هو موقف والديك من قضية إسلامك؟

إيمان: ما يزالان يرفضان أصل العلاقة مع أجنبي، بسبب تجربة أختي التي ارتبطت بإيراني ذي أخلاق سيئة. والداي لا يعلمان لحد الآن بإسلامي، وسأجد الفرصة المناسبة لأحدثهما بذلك. وأتوقع أنها سينهاران، وأنا لا أريد أن أصد مها، فأنا أحترمهما. وسيشعران بالألم. أنا أعرف والدي ستقول أنها فشلت في تربيتي، لأنني ارتكبت خطأ كبيراً. سيشعران بالخيبة وهما يريان ابنتهما تترك الكاثوليكية وترتبط بالإسلام. إنها ليسا متدينين، ولا يعرفان الدين إلا عبر حضور حفلات تأبين الموتى أو مراسم الدفن، وسماع مواعظ الكنيسة أيام الأحاد.

النخيل: هل هناك علاقة مباشرة بين علاقتك بالأخ رائد واعتناك للإسلام، أي أنك أصبحت مسلمة لمجرد أنك ارتبطت به؟

إيمان: كلا، لقد اتخذت قرارى باعتناق الإسلام لأسباب عقائدية بحتة، ولأنني أصبحت مقتنعة بالحقيقة وبالإيمان بالله الواحد الأحد. لم اعتنق الإسلام من أجل رائد وصداقته، بل لسبب ديني خالص. لقد ساعدني في التعرف على الإسلام. يمكنني القول أنه فتح لي نافذة الهدى، ودفعني إلى دخول طريق الإيمان، وأن أعرف الإسلام وأحكامه.

النخيل: كيف وجدت رائد في تعامله معك كزوجة؟

إيمان: لقد وجدت الزواج في الإسلام أكثر مسؤولية والتزام، وهناك قيم ومعايير دينية تحكم هذه العلاقة. فبعض الأشياء يمكن للزوجة أن تفعلها، والبعض الآخر لا يمكنها القيام بها. الزواج في الإسلام يعطي الرجل حق إتخاذ القرار، وهذا أمر بديع، لأنه يجنب الكثير من المشاكل التي

تعاني منها الأسرة الغربية. لقد كان والداي يتشاجران دائماً وكل منهما يريد أن يكون صاحب الكلمة الأخيرة في المنزل. أما في الإسلام فالزوجان يتقاسمان المهام والمسؤوليات، الرجل في الكسب والإنفاق، والمرأة في العناية بالمنزل والأطفال.

النخيل: هل تعتبرين رائد زوجاً مثالياً، وأنه ملتزم بالتعاليم الإسلامية كلياً؟
إيمان: إنه يفعل ما باستطاعته، ويتقيد بأحكام الإسلام قدر الإمكان. وإذا أخطأ يطلب الصفح والمعذرة. فإذا كان الله تعالى يغفر لنا أخطائنا، فلماذا لا نغفر أخطاء الآخرين. أمل أن أكون زوجة صالحة، إن شاء الله (بالعربية).

النخيل: بارك لك إسلامك، ودخولك في دين الله، والإيمان بنبوة الرسول محمد (ص)، وأهل بيته عليهم السلام. وأهلاً بك أختاً كريمة.

وهنا تدخل رائد في الحديث فقال: أود أن أشكركم على ما قدموه من مساعدة لي وإلى إيمان سواء، بمواصلتكم ومتابعتكم لتطور إيمانها، أو من خلال اللقاءات التي تحدثتم فيها لها عن الإسلام والعقيدة الإسلامية، وكذلك الكتب والمصادر الإسلامية باللغة الهولندية التي وفرتموها لها، فجزاكم الله خير الجزاء، وبارك الله في جهودكم من أجل نشر الإسلام ومذهب أهل البيت (ع).

وحول تجربته مع إيمان قال: حاولت في البداية أن أزرع في نفسها بذور الإيمان بالله أولاً، دون الولوج بالتفاصيل. ثم حاولت أن أصحح الصورة في ذهنها فيما يتعلق بالإسلام وحقوق المرأة. وكنت أضرب أمثلة، وآتي بالأدلة والبراهين. والحمد لله، بدأ الإيمان يتسرب تدريجياً إلى قلبها. وكنت أقول لها أنني بسيط أيضاً ما زلت أبحث وأسأل كي أزداد علماً وإيماناً.

خلال العصور الوسطى، كانت صورة الإسلام سلبية في الذهنية أوروباً بسبب عاملين الأول الحروب الصليبية التي انتهت بهزيمة أوروبا في نهاية القرن الثالث عشر بعد قرنين من الحروب والمعارك الدامية والدماء والقتلى. والآخر يعود إلى اندفاع الدولة العثمانية في أوروبا واحتلالها أجزاء واسعة منذ سقوط القسطنطينية عام ١٤٥٣ م وفتح بلغراد عام ١٥٢١ حتى حصار الجيوش الإسلامية لفيينا عام ١٨٥٤.

يعود اتصال الهولنديين بالإسلام في القرن ١٧ م إلى العلاقات مع بعض الدول الإسلامية كتركيا والمغرب وتونس، وإلى الاحتلال الهولندي لإندونيسيا. ففي بداية القرن ١٧ قامت في هولندا (جمهورية السبعة المتحدة) التي واجهت معارضة أسبانية قوية، مما جعلها تبحث عن دعم سياسي وعسكري من أعداء أسبانيا من الدول الإسلامية كالمغرب والدولة العثمانية. في تلك الفترة وقعت هولندا معاهدات صداقة واتفاقيات تجارية مع تركيا والمغرب.

وبسبب نمو العلاقات الدبلوماسية مع الدول الإسلامية أخذ الاهتمام باللغة العربية يزداد حتى تم افتتاح قسم للغة العربية في جامعة ليدن في أوائل القرن ١٧. وفي تلك الفترة وضع أول قاموس لاتيني-عربي إضافة إلى قواعد اللغة العربية. ولعله أول مرة في أوروبا يجري دراسة الإسلام من مصادره الصحيحة. كما أخذ الدبلوماسيون العلماء والطلاب والتجار المسلمون يزورون هولندا. كما زار بعض الرحالة والدبلوماسيين الهولنديين بعض البلدان الإسلامية.

وكانت هولندا تعيش ظهور المذهب البروتستانتي (الكالفي) المعارض للكنيسة الكاثوليكية ولسلطة البابا، حتى أنه كانت ترفع شعارات (نفضل الأتراك على البابا) باعتبار أن الأتراك يمثلون الإسلام. كما كان هؤلاء البروتستانت يؤكدون على تسامح الإسلام تجاه اليهود والمسيحيين (في إسبانيا) ويشتكون من ظلم الكاثوليك لهم وأساليبهم القمعية والدموية ضدهم.

ولم تبق الأمور هكذا إذ سرعان ما عادت الصورة الإسلامية المشوهة في أذهان الغربيين تدعمها كتابات ومؤلفات تزيد الحقد وتعمق الكراهية. فقد كتب الهولندي هوغو دي خروت كتابه الشهير (إثبات الدين الحق) الذي ضمنه فصلاً ضد الإسلام بعنوان (ضد المحمدية) (Tegen de Mahumetisterije).

في عام ١٦١٠ زار هولندا محمد بن عبدالله المروفي الذين كان سفيراً للمغرب في عصر المرابطين. وقد سئل عن رأي الإسلام بالمسيح، فلم يرغب بالإجابة مباشرة، لكنه بعد أن عاد إلى بلاده أرسل جوابه عن ذلك بشكل مقالة علمية. وقد قام المستشرق الشهير توماس أربيانوس Thomas Erpenius بدراسة هذه المقالة الهامة.

وقام أحمد بن قاسم الحجري بزيارة هولندا في الفترة أي عام ١٦١٣. وكان سلطان المغرب قد كلفه بمتابعة أموال المسلمين الذين طردوا من أسبانيا، وقام القراصنة الفرنسيين بسرقة أموالهم. فوصل مدينة أمستردام، والتقى في لاهاي بالأمير ماورتنس أمير هولندا أربع مرات ناقش خلالها إمكانية قيام حلف يضم الدولة العثمانية والمغرب وهولندا والمسلمين المطرودين من إسبانيا (المورسكيين) للوقوف بوجه أسبانيا. وعرض الأمير قيام هولندا بتزويد المسلمين بسفن ومدافع وأسلحة في أية معركة ضد أسبانيا.

وزار مدينة ليدن والتقى بالمستشرقين هناك حيث استفادوا كثيراً من علمه ومعرفته الواسعة بالإسلام واللغة العربية، وأنه يجيد الأسبانية أيضاً. وساعد أربيانوس على إتمام معجمه اللاتيني - العربي. وعندما عاد إلى المغرب أخذ يرسل إليهم بالمخطوطات والكتب الهامة لمساعدة البحث العلمي في ليدن. وقد دون الحجري رحلته إلى هولندا وفرنسا في كتابه الشهير (ناصر الدين على القوم الكافرين). فوصف رحلاته ومشاهداته ونقاشاته مع السياسيين والدبلوماسيين والقضاة والقساوسة والمستشرقين. وكان يهزأ أحياناً بتصوراتهم الساذجة وأفكارهم السطحية عن الإسلام بل إنه يصف المستشرق أربيانوس بأن (كان يعرب الأسماء ويصرف الأفعال).

أما أول شاهد إسلامي في هولندا هو قبر عبد الحميد الذي كان سفيراً للمملكة (أجة) الأندونيسية وكان في زيارة إلى هولندا، فتوفي في ٩/٨/٢٠٠٠ في مدينة ميدلبرغ حيث دفن هناك وفق الشريعة الإسلامية، وقبره موجهاً نحو مكة. فيعد بذلك أول قبر إسلامي في هولندا.

ومن الذين زاروا هولندا هو السفير المغربي عبد العزيز بن محمد الذي كان يدرس اللغة العربية لصاحب فندق يدعى Jan Theunisz في أمستردام، والذي أصبح أستاذاً للغة العربية في جامعة ليدن فيما بعد. وتشير بعض المصادر التاريخية إلى وجود طالب مسلم اسمه محمد بن علي سجل في جامعة ليدن في تشرين الأول ١٦٣٣، ولعله أول طالب مسلم يدرس في الغرب. وفي عام ١٦٢٤ قدم أربيانوس طلباً إلى مجلس الدولة للسماح لجامعة ليدن باستقدام أستاذ للغة العربية من المغرب لتدريسها في الجامعة والتعلم منه عملياً.

بعد سقوط غرناطة عام ١٤٩٢ على يد القوات المسيحية بزعامة الملك فرديناند، صدر مرسوم يجر المسلمين واليهود: إما مغادرة أسبانيا أو التنصر أو القتل. فهاجر أغلبهم (أكثر من مليونين) إلى المغرب وتونس، وأثر بعضهم البقاء والتنصر بسبب الأخبار السيئة التي وصلتهم عن الذين وصلوا هناك وقلة الإمكانات وصعوبة الأوضاع المعيشية والسكن والعمل. يضاف إلى ذلك أن الملك أوعز بإبقاء المهنيين والحرفيين والصناع المسلمين لأنه لا بديل عنهم، ولا يوجد من النصارى من يحل محلهم، حيث تتوقف الصناعات عن العمل بدون المسلمين. بقي عدد من المسلمين وأعلنوا أمام السلطات أنهم تنصروا وتم تعميدهم، لكنهم أخفوا إسلامهم وشعائرهم ومصاحفهم. فكانوا يقيمون الشعائر ويحتفلون بالأعياد ويحتنون أطفالهم سراً، لكن السلطات أخذت تكتشف ذلك من خلال الغسل يوم الجمعة والتردد على الحمامات فأمرت بهدمها، كما وجدت بعض نسخ المصاحف، وكتب أدعية وفقه مكتوبة بالأسبانية وليس العربية مما جعل ملك أسبانيا فيليب الثالث يصدر قراراً عام ١٦٠٩ يقضي بطرد المسلمين المورسكيين.

ولما كانت هولندا على عدااء عميق مع الأسبان فقد وزعت منشورات تدعو هؤلاء اللاجئين للقدوم إليها نكاية بالأسبان. وصل هؤلاء اللاجئون المسلمون واليهود إلى أمستردام في الفترة ١٦٠٩-١٦١٢ واستقروا هناك، وبدأوا بإنشاء دور العبادة، كما أخذوا يحتنون أولادهم. ويقدر عددهم بحوالي ١٥٠,٠٠٠ مسلم. وتشير بعض المصادر التاريخية إلى أنهم أسسوا بعض المساجد في أمستردام، التي لم يبق منها شيء الآن. ومع ذلك لم يستقروا طويلاً حيث هاجر هؤلاء المسلمون وغادروا أمستردام إلى إسطنبول لأسباب غير معروفة، ربما لشعورهم بالغرابة في بلد مسيحي، واستثناسهم بإخوتهم في الإسلام حيث كانت الدولة العثمانية من القوى العظمى في العالم.

وفيما غادر المسلمون هولندا، بقي اليهود يتجمعون فيها قادمين من أسبانيا والبرتغال حيث قضا أفضل أيام حياتهم في كل التاريخ لما تمتعوا به من أمن وسلام وتسامح، حتى أن التلمود كتب في تلك الفترة في أسبانيا الإسلامية. واستقر اليهود حتى يومنا هذا بعد أن أسسوا مدارسهم وشركاتهم ومصارفهم ومعابدهم. وسكنوا في أحياء يهودية خاصة تحافظ على عاداتهم وتقاليدهم ولغتهم العبرية، ففي أمستردام لا يزال اسم الحي الذي سكنوه ويسكنونه، ويسمى يوردان Jordaan على اسم نهر الأردن. ومنذ قرون وهم يرسخون قدرتهم وقوتهم في المجتمع الهولندي رغم الحملات الدينية والثقافية والسياسية ضدهم في فترات متقطعة، لكنهم قاوموا كل الظروف وصمدوا بوجه العقبات معتمدين على تماسكهم وتضامنهم مع بعضهم.

من القضايا المثيرة في تلك الفترة هي قصة تنصر أمير مغربي من الأسرة العلوية كان قد لجأ إلى هولندا. فقد ارتد الأمير أحمد بن محمد عن الإسلام واعتنق المذهب البروتستانتي، وأبدل اسمه إلى هنري شريف Henri Cherif. والشريف عند المغاربة يقصد به السيد الذي يتنسب إلى سلالة الرسول محمد (ص). وتزوج بفتاة تدعى Trijnte Barthelmees من مدينة Sluis وذلك عام ١٦٠٤ حيث عقد الزواج في مدينة ليدن. وعقد الزواج موثق في أرشيف بلدية ليدن حيث ورد (بتاريخ ١٦٠٤/٦/٢٦ تزوج صاحب السمو هنري شريف المغربي، جندي الأمير هنريك ناساو).

وعند البحث في سجلات وأرشيفات الحكومة الهولندية في لاهاي للبحث عن من يمكن قد تبقى من ذريته من الهولنديين، الذين تسير في عروقهم دماء ملكية عربية، ولكن للأسف لم تصل إلى نتيجة. ولا يعلم شيء عن مدة إقامته أو مغادرته لكن اسمه وعمره يعطي بوجود احتمال أن يكون قد رزق بولد من السيدة خديجة سلطان محمد الشيخ (١٥٤٩) أو محمد المتوكل على الله (١٥٧٤). وهناك احتمال أن يكون هو نفسه الأمير فيليب الأفريقي، المغربي الذي اعتنق الإسلام وعمل كقبطان في البحرية الهولندية بين ١٦٠١-١٦٠٤.

هولندا اليوم، هل هناك إسلام؟

أدت حركة الاتصالات مع الإسلام والمسلمين إلى تعرف الهولنديين أكثر على الإسلام، فأدى ذلك إلى اعتناق بعضهم هذا الدين العظيم. ولعل الهولنديون أكثر الأوربيين انجذاباً للإسلام في القرن ١٧. فقد اعتنق الإسلام يان يانس من هارلم وتسمى بـ(مراد رئيس) الذي تصفه المصادر التاريخية بأنه كان يذهب مرتين في اليوم للصلاة في المسجد. كما اعتنقه (حسن قائد)، وسيمون دي دانسر (إلياس علي رئيس)، و(سيمون) من دوردرخت، و(سلاي ماينر) الذي اعتنق الإسلام في المغرب.

(فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام) (الأنعام: ١٢٥)

يعود أول لقاء للإنكليز بالإسلام إلى منتصف القرن الثامن عندما سافر سانت ويلي بالد St Willibald أسقف Eichstadt إلى فلسطين لأداء الحج في بيت لحم وبيت المقدس. فوصلت سفينته مدينة طرطوس في سوريا قادمة من قبرص. وكان بمعيته سبعة حجاج إنكليز والذين سرعان ما اعتقلوا من قبل العرب لأنهم لم يعرفونهم، واعتقدوا أنهم جواسيس. ولم تنقذهم سوى وساطة الحاجب الأسباني للخليفة العربي. وعندما أحضروا أمام الخليفة سأهم: من أي البلاد أنتم؟ فقيل له: إنهم قادمون من الساحل الغربي، حيث مغيب الشمس، ونحن لا نعرف بلاداً هناك، ولا شيء في تلك النواحي سوى الماء. وسأل الخليفة: لماذا يجب أن نعاقبهم؟ فهم لم يرتكبوا أية إساءة ضدنا. أطلقوا سراحهم!^١

كذلك كان الحال في القرنين العاشر والحادي عشر.

وفي بداية القرن الثالث عشر اقتربت إنكلترا من اعتناق الإسلام، حيث يحدثنا ماثيو باريس Matthew Paris بأن الملك جون (١١٩٩-١٢١٦) King John ملك إنكلترا قد أرسل عام ١٢١٣ وفداً بمهمة سرية إلى ملك المغرب محمد الناصر. ضم الوفد ثلاثة رجال، أحدهم من رجال الكنيسة يدعى ماستر روبرت Master Robert، والاثنان الآخران كانا من رجال البلاط. وكانت مهمة الوفد هي طلب المساعدة العسكرية من ملك المغرب ضد البارونات الإنكليز المتفضين ضده. وكانت علاقة الملك جون بالبابا لم تكن على ما يرام، مما دعاه لطلب النجدة من الملك المسلم. وكان الوفد مزوداً بصلاحيات تصل إلى حد التقدم بعرض يقوم فيه الملك جون ومملكته بترك الديانة المسيحية، التي يعتقد أنها مزيفة، واعتناق الإسلام بكل إخلاص مقابل مده بالقوة العسكرية المطلوبة. ومع ذلك فقد رفض ملك المغرب ذلك العرض. وفي عهد الملك جون، كان الإنكليز على معرفة بالقوة الإسلامية في أسبانيا المسلمة. فقد عاد الكثير من الإنكليز إلى إنكلترا بعد أن أمهوا دراساتهم في أسبانيا المسلمة.^٢ وفي نفس القرن كان نسخ القرآن المترجم من اللاتينية إلى الإنكليزية متداولة في بريطانيا.^٣

١ اعتمدنا بصورة رئيسية على كتاب علي كوزة Ali Kose (إعتناق الإسلام) Conversion to Islam / الصفحات ١٠-١٩. والكتاب هو رسالة دكتوراه تقدم بها إلى جامعة لندن عام ١٩٩٤. وذكرنا في الهامش المصادر التي اعتمدها في دراسته.

Daniel N. (1975) The Arabs and Medieval Europe p. 49²

Daniel N. (1975) The Arab and Medieval Europe p. 108 273³

Hourani A. (1991) Islam in European Thought p. 8 4

تشير المصادر الموثوقة إلى أن أول حالات جماعية لاعتماد الإسلام ترجع إلى نهاية القرن التاسع عشر. ففي ذلك الوقت وبدايات القرن العشرين سجلت حالات اعتناق عدد كبير من الإنكليز، خاصة أولئك الذين عملوا في بلدان إسلامية، وبالذات في الهند، من خلال احتكاكهم بالمسلمين وإطلاعهم عن قرب على تعاليم الدين الإسلامي. كما تم في تلك الفترة تأسيس أول منظمين إسلاميين في بريطانيا بقيادة إنكليز مسلمين. وكان يقيم في بريطانيا عدد لا بأس به من الطلاب والمهنيين المسلمين. ولما كان هؤلاء المسلمين قادمين من الطبقة العليا في مجتمعاتهم، ويجيدون الإنكليزية، لذلك كان تحركهم سهلاً في أوساط الطبقتين الوسطى والعليا الإنكليزية. لقد كانوا قادرين على جذب اهتمام الإنكليز أكثر من البحارة المسلمين المقيمين في الموانئ البريطانية.^١

إن أول من اعتنق الإسلام من الإنكليز، في تلك الفترة، واحد من النبلاء هو اللورد ستانلي Lord Stanley of Alderley، وهو خال المفكر الإنكليزي برتراند رسل Bertrand Russell.^٢ ثم تبعه اعتناق محامي مشهور وخطيب بليغ هو وليم كويليام William H. Quilliam of Liverpool. وكان كويليام قد قام برحلة إلى المغرب عام ١٨٨٧ وفرت له فرصة دراسة الإسلام الذي سرعان ما اعتنقه.^٣ وقام فيما بعد بتأسيس مسجد ليفربول والمعهد الإسلامي.

بعد اعتناقه للإسلام ركز كويليام نشاطاته لنشر الإسلام في بريطانيا، وكسب المزيد من معتنقي الإسلام. وابتدأ بعائلته حيث اعتنقت الإسلام زوجته وأمه وأولاده الثلاثة. وقام بنشر كتيبات كثيرة للتعريف بالإسلام. كما قام بإصدار نشرة أسبوعية هي الهلال The Crescent للفترة بين عامي ١٨٩٣ و ١٩٠٨،^٤ وقد أعيد طباعة أول كتيب له ثلاثة مرات بالإنكليزية، كما ترجم إلى ثلاثة عشر لغة أخرى. وبعد ترجمة كتيباته ذاعت شهرة كويليام في العالم الإسلامي. كما تم تناول بحوثه وآرائه من قبل العلماء والأساتذة وبقية المهتمين في هذا الجانب، إضافة إلى بعض السيدات اللاتي اعتنقن الإسلام.^٥

استخدم كويليام العمل الإجتماعي من أجل نشر الإسلام فأسس داراً سماه (منزل المدينة) Medina House حيث كان يستضيف بين ٢٠ إلى ٣٠ من الأطفال غير الشرعيين لتربيتهم

Ally M.M. (1982) The History of Muslims in Britain p. 48 MA thesis University of Birmingham 1

Clark P. (1986) Marmaduke Pickthall: British Muslim p. 41 2

Sheikh Abdullah Quilliam" The Islamic World 1896 pp. 202-213" 3

Clark P. (1986) Marmaduke Pickthall: British Muslim p. 39 4

Ally M.M. (1982) The History of Muslims in Britain p. 49 5

تربية إسلامية.^١ وكانت أمهات الأطفال يوقعن تعهداً خاصاً يتضمن طلبهن بتربية أولادهن كمسلمين.^٢ وقام كويليام بجولات في أنحاء بريطانيا لإلقاء محاضرات حول الإسلام مستخدماً شبكات عمل networks غير إسلامية مثل نوادي مانكس Manx clubs وجمعيات مقاطعة الخمر Temperance Societies. وقد تمكن من هدي ١٥٠ بريطانياً إلى الإسلام.^٣ وأسس في West Derby معهداً إسلامياً، سكن في جانب منه هو وعائلته.

وأنشأ كويليام علاقات خارج بريطانيا، حيث أن شهرته قد سبقته في العالم الإسلام، فقام شاه إيران بتسميته كقنصل إيراني في ليفربول، كما استلم هدية شخصية من أمير أفغانستان. وفي عام ١٨٩٠ قام السلطان العثماني عبد الحميد الثاني بدعوته لزيارة اسطنبول. وخلال زيارته تم تعيينه بمنصب شيخ الإسلام في الجزر البريطانية. وفي عام ١٨٩١ أصبح اسمه الشيخ عبد الله كويليام بعد أن أسس مسجد ومعهد ليفربول. وتأسست في المعهد كلية إسلامية Muslim College كانت تقوم بإعطاء دروس للطلاب المسلمين وغير المسلمين. وضم منهج الدراسة علوماً صرفة وتاريخ ولغات (عربية وأوربية).^٤ وكان من أهداف إقامة هذه البرامج التعليمية هو جذب اهتمام غير المسلمين نحو الإسلام. ولهذا الغرض كان المعهد يقوم بعقد جلسات أدبية ومناقشة أسبوعية.^٥

لقد استخدم الشيخ عبد الله كويليام استراتيجية ملائمة لنشاطاته الدعوية بين غير المسلمين. لقد كان يؤكد على الأخذ بنظر الاعتبار الخلفية الدينية والثقافية لمخاطبيه، وأنه من الضروري أن يشعر هؤلاء بعدم وجود فرق كبير بين ما تعودوه وبين ما يقومون به أثناء وبعد اعتناقهم الإسلام. لقد كان يهدف إلى بناء شخصيات تخترن الهدى نحو الإسلام وهي تسير معه في نشاطاته الدعوية حتى يأتي الظرف المناسب لتعلن انتمائها إلى الإسلام وتنطق بالشهادتين مغادرة بذلك الديانة المسيحية دون أية أضرار نفسية أو مواجهات فكرية عنيفة. ولذلك قام بعقد جلسات دينية أيام الأحد صباحاً ومساءً، وهو ما اعتاد عليه المسيحيون في حضور قداستهم الأسبوعية أيام الأحد في الكنيسة، وفي تلك الأوقات التي رتبوا حياتهم عليها وعلى حضورها. يقول كويليام:

(إن معظم السكان في هذه البلاد هم مسيحيون. وهم متعودون على المشاركة في المراسم الدينية الأسبوعية في كنائسهم. وتتضمن هذه المراسم أناشيد وتراتيل دينية وقراءة فصل من الكتاب

Ally M.M. (1982) The History of Muslims in Britain p. 56 1

The Islamic World July 1896 pp. 68-70 2

Clark P. (1986) Marmaduke Pickthall: British Muslim p. 39 3

The Islamic World July 1896 p. 72 116 4

Ally M.M. (1982) The History of Muslims in Britain pp. 50-56 5

المقدس وقداس يقوم به رجل دين مسيحي. ولذلك يجب جلب هؤلاء الناس تدريجياً إلى الإيمان من خلال جعلهم يشعرون بعدم التغير at home في اللقاءات الدعوية التي نقيمها. إننا نقوم بمراسم تشابه ما اعتادوا عليه سابقاً).^١

وفي أيام الأحد تقام الصلوات صباحاً، تتبعها لقاءات عامة في المساء. وتقام كلاهما في قاعة المحاضرات في المعهد. وتتضمن اللقاءات العامة إنشاد ترانيل، باللغة الإنكليزية، أعدت خصيصاً للذين في طريقهم لاعتناق الإسلام. وكان الشيخ عبد الله كويليام قد قام بنفسه بكتابة هذه الأناشيد الملائمة للناطقين بالإنكليزية من المسلمين. وبعض هذه الأناشيد مأخوذة من الشعر الإنجيلي والكتاب المقدس. وقسم منها يجري تحويلها لدعم العقائد الإسلامية.^٢

في بداية القرن العشرين أثارت نشاطات كويليام خصومة من قبل السكان المحليين وبعض الكنائس في المنطقة. وكان سبب العداء يعود بشكل رئيسي إلى قدرة كويليام على جذب أعداد كبيرة من الإنكليز لاعتناق الإسلام. وقسم منها يعود إلى إدانته العلنية للكنيسة. فقد كتب رسائل إلى الكنيسة ينتقد فيها نشاطاتها التبشيرية في البلدان الإسلامية.^٣

وفي عام ١٨٩٦ أصدر بياناً يخاطب فيه الجنود المصريين في الجيش البريطاني المحارب في السودان بالامتناع عن توجيه أسلحتهم نحو مسلمي السودان، كما انتقد السياسة البريطانية في السودان. ويسبب الضغوط التي واجهها، اضطر الشيخ كويليام إلى مغادرة بريطانيا متوجهاً إلى الشرق عام ١٩٠٨. وقام ولده بلال ببيع المعهد الذي كان مسجلاً باسمه. ولا يعلم أي شيء عن الشيخ كويليام، لكن يظن أنه قد توجه مع ولده وجمع من المسلمين الإنكليز إلى تركيا. وهناك شائعة تقول أن كويليام عاد عام ١٩٢٠ إلى بريطانيا باسم مستعار. وبينما مالت نشاطات ليفربول إلى الاضمحلال، كانت هناك حركة تتصاعد في مدينة Woking.

The Woking Mission

بدأت بعثة ووكنج بإنشاء مسجد في Woking عام ١٨٨٩ الذي يعتبر أول مسجد في منطقة لندن. وكان المسلمون أول جماعة من غير المسيحيين واليهود في بريطانيا يبنون لهم مكاناً للعبادة خاصة بهم.^٤ وقد تأسس المسجد من قبل الدكتور ليتنر Dr. Leitner وهو مستشرق هنغاري

The Islamic World July 1896 p. 99 1

Ally M.M. (1982) The History of Muslims in Britain p. 58 2

Ally M.M. (1982) The History of Muslims in Britain p. 62 3

The Islamic World July 1896 p. 98 4

Hiro D. (1971) Black British White British p.146 5

استقر في بريطانيا بعد تقاعده من منصب المسجل العام في جامعة البنجاب بالهند. وأنشأ ليتنر قسماً داخلياً لسكنى الطلاب الهنود، كما أسس معهداً للدراسات الشرقية.^١ وغداً مسجد ووكنك مركزاً للنشاطات الدعوية الإسلامية حيث شهد العديد من حالات اعتناق الإسلام.^٢ وبعد وفاة الدكتور ليتنر تعرض المسجد و المبنى المجاور له للإهمال عدة سنين حتى بعث الحياة فيه محام لاهوري هو الخواجة كمال الدين، الذي جاء من الهند إلى بريطانيا عام ١٩١٢ كداعية إسلامي يهدف إلى إزالة سوء الفهم حول الإسلام بين الإنكليز، ومن أجل هدايتهم إلى الإسلام. استقر الخواجة كمال الدين في ريجموند Richmond وسري، Surry وقام بعقد اجتماعات في الهايد بارك Hyde Park.^٣ وأصدر شهرية باللغة الإنكليزية تدعى Muslim India and Islamic Review. وفي عام ١٩١٣ ذهب إلى ووكنك واستلم ملكية المسجد من ورثة الدكتور ليتنر. وقام بإصلاح البناية حتى دب النشاط فيه خلال بضعة أشهر. واستمر كما الدين بإصدار نشرته التي غير اسمها إلى Islamic Review and Modern India أولاً ثم إلى Islamic Review عام ١٩٢١،^٤

وحققت بعثة ووكنك أول نجاحاتها عندما اعتنق اللورد هيدلي Lord Headley الإسلام عام ١٩١٣، والذي عرف فيما بعد بالحاج الفاروق. لقد جذب تحوله إلى الإسلام اهتمام الرأي العام الإنكليزي باعتبار أن الإسلام يمكن أن يكون مناسباً للشخصيات الإنكليزية المعروفة.^٥ كان اللورد هيدلي مهندساً حتى ورث عن ابن عمه عام ١٩١٣ فأصبح البارون الخامس والمالك الحادي عشر لبارونية نوستل Baronetcy of Nstell ويوركشاير Yorkshire، والمالك الخامس لبارونية ليتل وارسلي Little Warsely وإسكس Essex. لقد نشأ اللورد هيدلي بروتستانياً، ولكنه درس الكاثوليكية الرومية في كلية التثليث في جامعة كامبردج. وقد التقى بالإسلام عندما سافر إلى الهند عام ١٨٩٦ للعمل كمهندس مقاولات. وبعد عودته إلى إنكلترا التقى بالخواجة كمال الدين فقرر أن يعلن إسلامه إلى الملأ، كما ذكر هو نفسه في مقالة له بعد وفاة الخواجة كمال الدين.^٦

Haqq K. A. (1930) "The Mosque at Woking" The Islamic Review 7 pp. 234-246 1

Siddiq S. M. (1934) "Islam in England" The Islamic Review 1-2 p. 16 2

Ally M.M. (1982) The History of Muslims in Britain p. 64 and 3

Clark P. (1986) Marmaduke Pickthall: British Muslim p. 40

Siddiq S. M. (1934) "Islam in England" The Islamic Review 1-2 p. 19 and 4

Clark P. (1986) Marmaduke Pickthall: British Muslim p. 41

Clark P. (1986) Marmaduke Pickthall: British Muslim p. 41 and 5

Ally M.M. (1982) The History of Muslims in Britain p. 70

Headley Lord (1933) "The Passing of a Great Muslim" The Islamic Review 4-5 pp. 109-114 6

أدى اعتناق اللورد هيدلي إلى هداية مجموعة من الإنكليز نحو الإسلام منهم جون (يحيى) باركنسون John Parkinson، و موسغريف S. Musgrave، و خالد شيلدريك Khalid Sheldrake، والدكتور وايمنت Dr. N. J. Whyment، ونور الدين ستيفن Noor al-Din Stephen، والبروفسور مارسيل ليون (مصطفى) H. Marcel Leon^١.

وكان البروفسور مصطفى ليون محاضراً سابقاً في مسجد ليفربول، وعمل مع الشيخ كويليام لفترة طويلة. وبعد لقائه باللورد هيدلي أصبح من الأصدقاء المقربين لهيدلي. لقد ساهما معا في تطوير بعثة ووكنك من خلال إنشاء الجمعية الإسلامية البريطانية The British Muslim Society برئاسة اللورد هيدلي عام ١٩١٤ من أجل نشر الإسلام في بريطانيا.^٢ وقد ضمت الجمعية أعضاء أكثرين من الطبقة الوسطى والطبقة الأرستقراطية في المجتمع البريطاني، ممن لديهم تجارب وعلاقات سابقة بالهند، أو من رجال الدولة الذين عملوا في البلدان الإسلامية، أو ممن شاركوا في صلوات الجمعة ولقاءات أيام الآحاد في مسجد ووكنك. وكانت مراسم يوم الأحد تقام لأولئك الذين يرغبون بإعلان شهادتهم بالإسلام. وكانت الجمعية تنظم لقاءات عامة ومحاضرات أسبوعية. كما كانت تقيم احتفالات بالمناسبات الإسلامية كمولد الرسول (ص)، في الفنادق الكبيرة في لندن، حيث كانت تجذب هذا اللقاءات العديد من المسلمين الجدد وكذلك الذين يتجهون نحو الإسلام.^٣

من الملاحظ أن بعثة ووكنك قد نجحت في استقطاب الكثير من المعتنقين من الطبقتين الوسطى والعليا في المجتمع البريطاني. وهنا يطرح السؤال التالي: لماذا كانت الجمعية ناجحة؟ والجواب يعود إلى أن رئاستها والأعضاء المؤثرين فيها كانوا من الإنكليز، وتعودوا أن يبقوا إنكليز من خلال استخدامهم منهج ليس غريباً على الشعب الإنكليزي، مثل إقامة الاجتماعات في الصباح والمساء أيام الآحاد، أو إقامة الاحتفالات أو الأعياد والمناسبات في الفنادق الفخمة في لندن، أو من خلال تسميتهم لمسجد ووكنك بأنه كنيسة إسلامية Muslim church. لقد كانت الرسالة من إنكليزي إلى إنكليزي. بالإضافة إلى ذلك، كان الإسلام يقدم إلى المعتنقين بأنه منسجم مع الغربي. وكان المعتنق الجديد يقدم على أنه (مسيحي أفضل) وليس شجياً للمسيحية. وعلى سبيل المثال فقد بين اللورد هيدلي أسباب اعتناقه للإسلام فصرح: "أعتقد أنني قد أصبحت مسيحياً أفضل مما كنت عليه".^٤

Sheldrake K. (1915) "The British Muslim Society: Public Meeting in the Mosque Woking" Islamic Review and 1 Muslim India 1 pp. 4-7

Sheldrake K. (1915) "The British Muslim Society: Public Meeting in the Mosque Woking" Islamic Review and 2 Muslim India 1 p.4

Ally M.M. (1982) The History of Muslims in Britain p. 73 and 3

Siddiq S. M. (1934) "Islam in England" The Islamic Review 1-2 pp. 20-21

Bawany J. A. (ed) (1961) Islam Our Choice p. 19 4

كانت استراتيجية الجمعية الإسلامية البريطانية تهدف بالدرجة الأولى إلى النشاط الدعوي ونشر الإسلام بين الإنكليز. وكانت الجمعية ورئيسها اللورد هيدلي يقدمان الإسلام بطريقة مرهفة تراعي الذوق العام للمجتمع البريطاني وظروفه. لقد كان هدف الجمعية هو أن تثبت للإنكليز أن الإسلام لا يحمل عداً أو أنه معادٍ للمسيحية. لقد كانت تعرض الإسلام على أنه سهل وغير مربك للمتحول الموجود بالقوة Potential convert أو المعتنقين الجدد. فقد اعتقدوا أنه، على سبيل المثال، لا يتوقع كثيراً من رجل يعيش في مدينة مزدهمة أن يصلي خمس مرات في اليوم في الأوقات المحددة للصلاة. وكان اللورد هيدلي يصرح بأن (هناك العديد من الأشياء في هذا العالم مرغوب فيها ولكنها ليست أساسية).¹ وكان يرى بأنه (إذا أصررنا بشدة على القيام بالنقاط الصغرى، عندئذ نضع أنفسنا أمام الإتهامات التي يتهمون بها المسيحية التي تصر على أن القيام بمراسيم معينة وعقائد معينة أنها أساسية).² وكان اللورد هيدلي متحفظاً تجاه السياسة، حيث ابتعد عن التدخل بالشؤون السياسية وليس كما فعل الشيخ كويليام من قبل. وفي خطابه الرئاسي عام ١٩١٥ أوضح أن الجمعية يجب أن لا تتورط بالسياسة طالما أن بريطانيا في حالة حرب مع الدولة العثمانية (أبان الحرب العالمية الأولى).³

وكانت نشرة *Islamic Review* تمثل لسان حال الجمعية. وكانت تضم مقالات حول الديانات، ومواضيع حول قضايا إسلامية متنوعة، غالباً ما تكون مقارنة مع المسيحية. وكانت تنشر إعلانات تهدف إلى جذب غير المسلمين إلى المناقشة حيث جاء في أحد هذه الإعلانات: "إن الكنيسة الإسلامية ترحب بغير المسلمين، وتشجع النقد البناء". وكانت معظم المقالات تكتب من قبل معتقي الإسلام. وكانت المجلة تنشر بيانات يعلن فيها الداخولون الجدد في الإسلام شهاداتهم، وأحياناً يرافقها نشر صورهم. وتقريباً، كان كل عدد من المجلة يضم شهادة واحد أو اثنين من المعتنقين الجدد وسيرة حياتهم.

وكانت المجلة تنشر نشاطات الجمعية الإجتماعية والدينية. ونشرت إحصائيات حول عدد المسلمين في بريطانيا حيث بلغ عددهم عشرة آلاف مسلم عام ١٩٢٤، منهم ألف مسلم إنكليزي. وكانت الجمعية تنشر الكتب والمقالات للجمهور البريطاني حول تعاليم الإسلام وعقائده. وتعاونت الجمعية الإسلامية البريطانية مع الجمعيات الإسلامية الأخرى مثل الجمعية الأدبية الإسلامية *Muslim Literary Society* التي تطورت برئاسة عبد الله يوسف علي، وهو مسلم هندي، والمعروف بترجمته الشهيرة للقرآن الكريم للغة الإنكليزية التي صدرت الطبعة الأولى في نيسان ١٩٣٤. وكان

Lord Headley's presidential address at British Museum Society Islamic Review and Muslim India 1915 13 9-16 1

Headley Lord (1927) "The Strength of Islam" The Islamic Review 7 p. 238 2

Lord Headley's presidential address at British Museum Society Islamic Review and Muslim India 1915 13 9-16 3

مترجم معاني القرآن محمد مارماديوك بكتال Marmaduke Pickthall، وهو معتنق بريطاني، أحد أعضاء هذه الجمعية. وبعد وفاة أبرز شخصيتين في الجمعية الإسلامية البريطانية وهما الخواجة كمال الدين عام ١٩٣٢ واللورد هيدلي عام ١٩٣٣، استلمت الجمعية لجنة جديدة. وبالرغم من أنها استمرت في نشاطاتها بعد الحرب العالمية الثانية وحتى الستينات، لكنها فقدت شعبيتها لسببين: أولاً: الإدعاء بأن الجمعية هي حركة أحمدية (أي الطائفة الأحمدية في الهند) لأن الخواجة كمال الدين كان ذو خلفية أحمدية، على الرغم من نفي هذا الإدعاء.^١ ثانياً: تأسيس مسجد لندن المركزي Central Mosque في ريجنتس بارك، وتأسيس مسجد شرق لندن East London Mosque في مدينة لندن مما أضعف تأثير بعثة ووكنك ومسجدها.

وبينما كانت بعثة ووكنك تتابع نشاطاتها، أعلن إنكليزي بارز عن اعتناقه للإسلام وهو مارماديوك بكتال في لندن عام ١٩١٧، حيث كان عمره ٤٢ عاماً، والذي تسمى باسم محمد. وبعد سنوات أعلنت زوجته عن اعتناقها الإسلام. وكان بكتال (١٨٧٥-١٩٣٦) مشهوراً بين المسلمين بسبب ترجمته لمعاني القرآن التي صدرت عام ١٩٣٠. وكان روائياً أيضاً، إذ نشر ١٥ رواية وقصة قصيرة التي تركزت على الشرق الأدنى. وكانت آخر روايتين له، بعد اعتناقه الإسلام، تعدان أول روايات إنكليزية إسلامية. وكان بكتال من حزب المحافظين، ومعارضاً للخطط البريطانية والحرب ضد الدولة العثمانية، مما جعله غريباً بين زملائه الإنكليز. لقد كان مهتماً بالشرق الأوسط وعاش سنين طويلة في بلدان إسلامية.

نشأ بكتال في عائلة تنتمي إلى الكنيسة الإنكليكانية. وكان والده من رجال الكنيسة. وبعد اعتناقه الإسلام، سرعان ما تقدم بكتال المصلين في مسجد نوتنك هيل كيت Notting Hill Gate في شرق لندن.. وكان يصرف وقته في الكتابة والمحاضرات ونشر الكتيبات. وأنشأ في لندن دائرة معلومات إسلامية Islamic information bureau التي أصدرت صحيفة Muslim Outlook.^٢

يلاحظ أن معظم المعتنقين الأوائل كانوا قد عملوا في البلدان الإسلامية وخاصة في الهند، وأنهم تأثروا بالدين الإسلامي، وكانت لديهم صلوات مع زملائهم المسلمين. كما أن هناك أعداد كبيرة من المسلمين جاءت لبريطانيا، وغالباً من طلاب العالم الإسلامي جاءوا للدراسة في تلك الفترة. وخلال الفترة بين الحربين، يمكن أن تعرف هذه الفترة بهذه الجماعات من المعتنقين في ليفربول ووكنك ولندن. وربما كانت هناك حالات اعتناق غير معروفة. كما لا يعرف ما الذي جرى لعائلات وأسلاف أولئك المعتنقين؟ وفيما إذا كانوا قد نشأوا كمسلمين أم لا.

يقدر عدد المسلمين الإنكليز بحوالي عشرة آلاف^٢، في حين يرى آخرون أنهم بين ٣ آلاف و ٥ آلاف فقط.^٣ وأن أعدادهم تتزايد بشكل مطرد. ويعود السبب إلى اختلاف التقديرات إلى غياب أية إحصاءات رسمية أو شبه رسمية، بل تبقى التقديرات تعتمد على اطلاع وسعة اتصالات الذين يقدرون عددهم. فالمسلم الجديد لا يطلب منه تسجيل اعتناقه الإسلام رسمياً، سواء في مسجد أو مركز إسلامي أو جمعية إسلامية. كما أن بطاقة الهوية لا تستدعي ذكر الديانة. إضافة إلى أنهم قد لا يغيرون أسماهم رسمياً مما يضطرهم لاستحصال وثائق جديدة تحمل أسماء إسلامية. وعلى الرغم من أن بعض المؤسسات الإسلامية في بريطانيا، مثل المركز الثقافي الإسلامي (مسجد ريچنتس بارك)، تمنح المعتنقين الجدد (شهادة إسلام)، لكن المركز يسجل حالات اعتناق الإسلام التي تمت من خلاله فقط، وليس كل المساجد في بريطانيا. يضاف إلى ذلك أن عدد من الإنكليز يعتنق الإسلام دون مراجعة المسجد لتسجيل ذلك.

يجذب الإسلام الإنكليز الذين تتراوح مستوياتهم من المرأة التي أسلمت بسبب زواجها من مسلم إلى المثقفين الحاملين شهادات عليا، والقادرين على التعبير عن آرائهم بشكل رفيع المستوى. وغالبا ما يدخلون الإسلام من خلال علاقاتهم الشخصية مع أفراد مسلمين، حيث تلعب دوراً في قرارهم نحو اعتناق الإسلام. وهناك العديد من النساء الإنكليزيات اللاتي ارتبطن بعلاقات مع مسلمين ثم تحولن نحو الإسلام من خلال الزواج وخاصة مع العرب والباكستانيين.^٤ وعلى الرغم من أن الإسلام لا يجبرهن على اعتناق الإسلام بعد الزواج بمسلم، لأنهن من أهل الكتاب، لكنهن يرين في الإسلام، عقيدة وأخلاقاً وتشريعاً، ما يجذبهن لاعتناقه. في دراسة حول اعتناق الإسلام في بريطانيا هناك عدة أسباب ودوافع دفعتهم لاعتناق الإسلام. فقد ظهر أن ٢٨٪ منهم وجدوا تشجيعاً من أصدقائهم المسلمين. فيما تبين أن ١٦٪ منهم اعتنقوا الإسلام بسبب زواجهم بمسلمين. وظهر أن ١٦٪ منهم تعرفوا على الإسلام عبر القراءة والمطالعة في الكتب الإسلامية، و ١٠٪ بسبب سفرهم إلى بلدان إسلامية. وذكر آخرون أسباب أخرى مثل دراسة اللغة العربية، رفض الديانة المسيحية، العمل مع مسلمين سواء في بريطانيا أو في الشرق الأوسط، مشاهدة فيلم مالكوم-أكس أو دعوة في السجن.^٥

١ صحيفة (المنبر) الشهرية الصادرة في لندن - العدد: ٦٠ - السنة الخامسة

Adlin Adnan *New Muslims in Britain* (1999) p. 32

٢ Ali Kose *Conversion to Islam* (1996) p. 19

٣ McHugh F. (1990) "Allah's English Daughters" *Telegraph Weekend Magazine* 31 March 34-38 4

٤ Adlin Adnan *New Muslims in Britain* (1999) p. 13 5

يعتقد المسلمون الإنكليز أن الإسلام ديانة عالمية، ويجب أن تكون فوق الحدود القومية والعرقية. ويعتقدون أن الإسلام في البلدان الإسلامية قد جرى خلطه بالثقافة المحلية والتقاليد الشعبية، وأنهم أي الإنكليز، يريدون ممارسة إسلام يعتمد أكثر على القرآن، والسنة الصحيحة للرسول (ص). ولأجل تحقيق هذا الطموح قام بعض المسلمين الإنكليز بتأسيس حركات وجماعات خاصة بهم. واحد من هؤلاء المسلمين هو الشيخ عبد القادر الصوفي (اسمه الأصلي إيان دالاس Ian Dallas) الذي أسلم عام ١٩٦٧، أسس حركة صوفية في السبعينات، والتي سميت فيما بعد بالدراقاوية، وتدعى حالياً بحركة المرابطين: حركة المسلمين الأوروبيين Murabitun: European Muslim Movement. وأخذ بعض المسلمين مثل يوسف إسلام (مغني البوب كات ستيفنس سابقاً) ينشط في تقديم خدمات ومساعدة للجالية الإسلامية والمسلمين الجدد على السواء. ويعقد يوسف إسلام جلسات أسبوعية بعنوان الدائرة الإسلامية Islamic Circle عصر كل يوم سبت في المركز الثقافي الإسلامي في لندن. كما قام بتأسيس مدرسة ابتدائية إسلامية، خصص ٢٠٪ من الدوام فيها للتعليم الديني. كما أسس فيما بعد مدرسة ثانوية للبنات في لندن^١.

ويساهم العديد من المسلمين الإنكليز أمثال مارتن لنغز^٢ Martin Lings و غاي إيتون^٣ Gai Eaton^٤ وأحمد ثومسون^٥ Ahmad Thomson و عبد الحكيم وتر^٦ Abdul Hakim

- ١ يوسف إسلام، يتم بإصدار كاسيتات أدعية وتعليم الصلاة و صدر له حديثاً شريط بعنوان (The Prophetic Art on Communication) كما صدر له كتاب (الإسلام ديني Islam My Religion) باسمه القديم Cat Stevens. و صدر له شعر بالإنكليزية (Joseph's Surrender)
- ٢ مارتن لنغز كان سابقاً مدير المخطوطات الشرقية في المتحف البريطاني ولديه العديد من المؤلفات مثل: حياة محمد Muhammad: his life based on the earliest sources الفن القرآني للخط والزخرفة Quranic Art of Calligraphy and Illumination الساعة الحادية عشر: الأزمة الروحية للعالم الحديث في ضوء التقليد والنبوة The Eleventh Hour الرمز والنموذج الأصلي: دراسة في معنى الوجود Symbol & Archetype: A Study of the Meaning of Existence ولديه ثلاثة مؤلفات ضخمة في الصوفية، كما ساهم في تحرير فصل (الشعر الصوفي) في (تاريخ كامبريدج الجديد للأدب العربي) ونشر العديد من المقالات والدراسات الإسلامية وخاصة في (موسوعة الإسلام الجديدة) و (الموسوعة البريطانية)
- ٣ غاي إيتون، ولد في سويسرا ودرس في كامبريدج، وعمل صحفي في مصر حيث اعتنق الإسلام عام ١٩٥١، قبل أن يعمل في السلك الدبلوماسي البريطاني. يعمل حالياً مستشاراً في المركز الثقافي الإسلامي في لندن. أشهر كتبه (ملك القلعة King of Castle) وكتاب (الإسلام وقدر الرجل Islam and the Destiny of Man) الذي صدر في طبعين الأولى عام ١٩٩٤ والثانية عام ١٩٩٧.
- ٤ أحمد ثومسون ولد في زامبيا عام ١٩٥٠ لأبوين إنكليزيين أثناء فترة الاستعمار البريطاني لأفريقيا. لديه العديد من المؤلفات مثل: عيسى نبي الإسلام Jesus Prophet of Islam، بالمشاركة مع محمد عطاء الرحيم، صدرت الطبعة الأولى عام ١٩٧٧ والثانية ١٩٩٦ من أجل المسيح For Christ's Sake صدرت الطبعة الأولى عام ١٩٨٩ والثانية المنقحة عام ١٩٩٦ الإسلام في الأندلس Islam in Andalus الذي صدرت الطبعة الأولى عام ١٩٨٩ والثانية المنقحة عام ١٩٩٦
- النظام الدولي القادم The Next World Order الذي صدرت الطبعة الأولى عام ١٩٩٤
- صناعة التاريخ Making History الذي صدر عام ١٩٩٧
- الدجال: المسيح المزيف Dajjal: the AntiChrist الذي صدرت عدة طبعات منه في الأعوام ١٩٩٣ و ١٩٩٥ و ١٩٩٧ و ١٩٩٨

Winter و ميريل واين ديفز Meryl wyn Davis وعبد الصمد كلارك^١ Abdassamad Clarke في تأليف الكتب الإسلامية وإلقاء المحاضرات والمشاركة في المناظرات والندوات الدينية. كما توجد مجموعة من النساء المسلمات الإنكليزيات أمثال هدى خطاب Huda Khattab^٢ و رقية وارث مقصود Ruqaiyyah Waris Maqsood^٣ و رقية عبدالله^٤ Ruqaiyyah Abdullah و حرقية عبد الحليم^٥ Harfiyah Abdel Haleem وعائشة بيولي^٦ Aisha Bewley وسوزان حنيف^٧ Suzanne Haneef وجميلة جونز^٨ Jameelah Jones وغيرهن اللاتي ينشطن في مجال تأليف الكتب الإسلامية وخاصة ذات العلاقة بالمرأة والأسرة والأطفال.

-
- الرحلة الصعبة إلى الحج The Difficult Journey الصادر عام ١٩٩٤
 - رحلة العودة The Way Back الصادر عام ١٩٩٤
 - زوجات النبي محمد The Wives of the Prophet Muhammad الذي صدرت الطبعة الأولى منه عام ١٩٩٣ والثانية عام ١٩٩٦ والثالثة عام ١٩٩٨.
 - ١ عبد الصمد كلارك، ولد في بلفاست ودرس في أدنبره والقاهرة، يهتم بقصص الأطفال حيث صدر له:
 - قصة القصص: سيدنا يوسف The Story of Stories: Sayyiduna Yusuf الذي صدر عام ١٩٩٩
 - الفتح المبين The Clear Victory (حول صلح الحديبية) الذي صدر عام ١٩٩٨
 - ترجمة كتاب (الأربعون حديثاً) للإمام النووي، ترجمة كتاب (تاريخ الخلفاء) للسيوطي.
 - ٢ هدى خطاب، إنكليزية ولدت في بلاك بول، وأسلمت عام ١٩٨٣. نالت درجة بكالوريوس في اللغة العربية من معهد الدراسات الشرقية والأفريقية في جامعة لندن عام ١٩٨٦. ترأس حالياً تحرير مجلة الأسرة Usra بالإنكليزية. ولديها مؤلفات عديدة مثل:
 - دليل المرأة المسلمة The Muslim Women's Hand Book الذي صدرت طبعات منه في الأعوام ١٩٩٣ و ١٩٩٤ و ١٩٩٦ و ١٩٩٧. وقد ترجم الكتاب إلى الهولندية عام ١٩٩٦
 - سلسلة قصص من العالم الإسلامي Stories from the Muslim World الذي صدر منه طبعتان الأولى عام ١٩٨٧ والثانية عام ١٩٩٦
 - ٣ رقية وارث مقصود ترأس حالياً قسم الدراسات الدينية في معهد وليم غي في بريطانيا. ولديها ١٧ مؤلفاً منها:
 - دليل الزواج الإسلامي The Muslim Marriage Guide الصادر عام ١٩٩٥
 - العيش مع المراهقين: دليل الوالدين المسلمين Living with Teenagers: A Guide for Muslim Parents عام ١٩٩٥
 - ٤ رقية عبدالله أصدرت كتاب (الاختيارات والمحن: نصيحة من القرآن والسنة Trials and Tribulations: Advice from the Quran & the Sunnah) الصادر عام ١٩٩٩.
 - ٥ حرقية عبد الحليم، أصدرت كتاب (الإسلام والبيئة Islam and the Environment) عام ١٩٩٨
 - ٦ عائشة بيولي متخصصة باللغة العربية الكلاسيكية، حيث قامت بترجمة العديد من الكتب من العربية إلى الإنكليزية مثل (موطأ مالك) (الشفاء) (القواعد) (لقاضي عياض، و (الطبقات الكبرى) لابن سعد، و (دليل الإسلام والإيمان والإحسان) للشيخ عثمان، و (العواصم من القواصم) لأبي بكر بن العربي، وكتاب (الطواسين) للمنصور الحلاج وكتاب (فصوص الحكم) لابن العربي. أصدرت كتاباً من تأليفها مثل:
 - معجم المصطلحات الإسلامية Glossary of Islamic Terms الذي صدر عام ١٩٩٨
 - الإسلام: ومنح السلطة للمرأة Islam: the Empowering of Women الصادر عام ١٩٩٩
 - علامات في الأفانق: الشمس والقمر والنجوم Signs on the Horizons: The Sun the Moon the Stars
 - عالم ما دون الذرة في القرآن Subatomic World in the Quran
 - ٧ سوزان حنيف، أصدرت كتاب (ما يجب أن يعرفه الجميع عن الإسلام والمسلمين What everyone should know about Islam and Muslims) عام ١٩٩٤
 - ٨ جميلة جونز، أصدرت كتاب (أمهات ثلاثة أنبياء The Mothers of Three Prophets) الذي صدر عام ١٩٩٤ ثم عام ١٩٩٥

ويلاحظ أن المسلمين الإنكليز أكثر ليبرالية وديناميكية في تفسيرهم لدور الإسلام في بريطانيا من المسلمين المهاجرين الذين يبدون أكثر ميلاً للتقليدية المستمدة من خلفيتهم التاريخية والثقافية. وقام المسلمون الإنكليز بتشكيل منظمات أخرى تحت أسماء مختلفة مثل:

يعتقد بعض المسلمين في بريطانيا أنه من أجل إحراز تقدم في أوضاعهم يجب أن تكون لديهم قوة سياسية. كما يشعرون بعدم وجود حزب سياسي في بريطانيا يمثل مصالحهم ويدافع عنها. وقد تنامي الوعي السياسي بهذا الاتجاه بعد الأحداث التي رافقت الاعتراضات على كتاب سلمان رشدي (آيات شيطانية) عام ١٩٨٩. فقد أخذ بعض المسلمين يفكر جدياً بتأسيس حزب دعي الحزب الإسلامي في بريطانيا Islamic Party of Britain، حيث تأسس في أيلول عام ١٩٨٩، والذي يعتبر أو حزب إسلامي يتشكل في بلد غير إسلامي. لقد اعتقدوا أن التظاهرات والضغط السياسي لم يعد مجدياً للمسلمين في بريطانيا. وكانت الشخصية الرئيسية في مبادرة تأسيس الحزب الإسلامي هو صاحب مستقيم بليهر Sahib Mustaqim Bleher، وهو مسلم ألماني، اعتقد بأن الوقت قد حان لعمل سياسي أكبر من قبل المسلمين في بريطانيا. ثم أصبح السكرتير العام للحزب بعد تأسيسه.

ويقول الحزب بأن عدد أعضائه قد بلغ ٨,٠٠٠ (ثمانية آلاف عضو)، ويتوقع أن يصل إلى ربع مليون في مدة خمس سنوات. أما دوافع تأسيس الحزب والأهداف التي يتطلع إليها فهي: تشكيل مجموعة ضغط (لوبي Lobby) تدعم المستشارين ونواب البرلمان الحاليين في القضايا ذات العلاقة بالمسلمين بشكل عام، والدفاع عن بقية أفراد المجتمع دون اعتبارات العرق واللون والعقيدة، والذين هم ضعفاء أيضاً في الدفاع عن أنفسهم.

- ١- مواجهة الإعلام بكفاءة عالية وتصحيح عدم الدقة التاريخية والأحكام المسبقة.
- ٢- إقامة حملات قوية من أجل تسهيلات مصرفية و مشاريع تجارية و شركات تأمين قانونية لاربوية.
- ٣- تقديم خيار سياسي واجتماعي للشعب البريطاني مبني على الأسس الإسلامية الدائمة في العدل والخير والتسامح
- ٤- عقد اجتماعات وندوات لدعوة الناس إلى الإسلام، والمشاركة في العمل من تقديم الدعم أو العضوية.^٢

- Evans R. (1989) 'Political Emergence of Britain's Muslims' Geographical Magazine December 11-12 1

٢ من كراسة وزعها الحزب الإسلامي في بريطانيا بعنوان: The Way Ahead: Islamic Party of Britain

وقبل الانتخابات البرلمانية البريطانية في ٩ نيسان ١٩٩٢، شارك الحزب الإسلامي في بضعة انتخابات محلية في المناطق ذات الكثافة الإسلامية العالية مثل برادفورد، حيث أصبح الحزب لإسلامي الرابع بعد الأحزاب الثلاثة الكبرى (المحافظين والعمال والليبراليين)، لكنه فشل في جذب أعداد كبيرة من أصوات المسلمين.^١ وفشل أيضاً في الانتخابات التشريعية عام ١٩٩٢. فعلى سبيل المثال، فشل زعيم الحزب داود بيدكوك Daoud Pidcock في منطقة غرب برادفورد حيث لم يحصل على سوى ١٪ من الأصوات.^٢

ويتألف الحزب من غالبية من المعتنقين Converts النشيطين، فالرئيس هو داود بيدكوك، والسكرتير العام هو صاحب مستقيم بليهر، والمتحدث في مجال النقل والتعليم هو عبد الرحيم كرين Abdurrahim Green، والمتحدث في مجال الاقتصاد هو عبد السلام هانكن Abd as-Salam Hankin. ولما كان الحزب يدار من قبل معتنقين للإسلام فقد واجه انتقادات من بعض المسلمين وزعماء الجالية الإسلامية. يقول الدكتور زكي بدوي، عميد الكلية الإسلامية ورئيس مجلس الأئمة والمساجد في بريطانيا: إن المعتنقين هم الذين يمسون بقيادة الحزب، وبعضهم ليس له جذور في الجالية المسلمة.^٣

كما يرى بعض المسلمين أن قيادة المعتنقين Convert Leadership قد لا تفهم المشاكل الحقيقية للأسويين كالعنصرية. على أية حال يشرح المتحدث عبد السلام هانكن لماذا يجب أن تكون قيادة الحزب بأيدي المعتنقين فيقول: إن واقع المنظمات الإسلامية في بريطانيا يعاني من الانقسام والتشردم. فالمنظمات تأسست على أساس عرقي أو وطني، أي أن أفراد المنظمة غالباً ما يكونون من عرق معين أو انتمائهم لبلد معين. وهناك قدر من التنافس، وقدر من الصراع الشخصي التافه بين المنظمات. والسعي لجمعهم مع بعضهم البعض كانت مهمة يائسة منذ البداية. ولذلك يجب أن يكون المعتنقون في الحزب لأنهم ليس لديهم انحياز لأية مجموعة عرقية أو أثنية.

طالما أن المنظمات القائمة بعيدة عن مشاكل المسلمين الجدد، إضافة إلى أن ليس لديها برامج خاصة بهم، قام المسلمون الإنكليز بتأسيس منظمة خاصة بهم تدعى جمعية المسلمين الإنكليز Association for British Muslims التي تشكلت عام ١٩٧٤. وهي استمرار لجمعية وليم كويليم William Quilliam القديمة في ليفربول في العشرينات. واستمرار للمنظمة التي

- Islamic Party Loses its Deposit" The Muslim News 23 November 1990" 1

- The Independent Election 1992 results 10 April 1992 p. 10 2

- Muslim Divided About the Party' New Horizon November 1989 p. 21' 3

تأسست في نوتنك هل غيت Notting Hill Gate غرب لندن في الثلاثينات. إن الهدف من الجمعية هو تمثيل مصالح جميع المعتنقين converts، ومن أجل ترسيخ فهم أفضل للإسلام في بريطانيا. كما تهدف الجمعية بشكل رئيسي لتقديم العون للمسلمين الجدد للتكيف مع الحياة الجديدة بعد اعتناقهم الإسلام. كما تهدف إلى مساعدة الأجيال اللاحقة من المسلمين المهاجرين ليكونوا مسلمين بريطانيين.

ويعتقد رئيس الجمعية أنهم لا يرون تناقضاً بين التقاليد البريطانية والإسلام. وأن الجمعية تمثل غالبية المعتنقين للإسلام، وأنهم ينحدرون من الطبقة الوسطى، وأصحاب مهن، وغالباً تعلموا في مدارس عامة، وأنهم ملكيون ومحافظون، ولهم علاقة بالطرق الصوفية^١. وتواجه الجمعية قدر من الانتقادات، على الأقل من بقية المعتنقين على أساس أنه لا يوجد تقسيم عرقي في الإسلام، لذلك لا يريدون تمزيق واقع المسلمين. ويحيب رئيس الجمعية داود أوين Daoud Owen على هذا الانتقاد متهماً المنظمات الإسلامية الأخرى بأنها ليست قادرة على فهم المعتنقين والعقلية البريطانية فيقول:

إن المشكلة أن غالبية المنظمات في بريطانيا لا تتخاطب الحاجات النوعية للمعتنقين الذين لديهم مشاكلهم الخاصة. كما أنها لا تفهم الثقافة البريطانية. بعض المنظمات تسعى لنشر الإسلام بين الإنكليز ولكن لم تستطع واحدة منها فهم الثقافة البريطانية والعقل البريطاني. من المناسب جداً الانضمام لهذه المنظمات ولكن لا أحد يساعد المعتنق في مواجهة العواقب الاجتماعية بعد اعتناق الإسلام. وأبسط شيء هو قولهم لا تشرب خمرًا، لا تأكل لحم الخنزير! والنتيجة أن هناك قدر من المعتنقين لا يحظون بالرعاية اللازمة التي يحتاجونها^٢.

يعاني المسلمون الجدد من العزلة الاجتماعية، فبعد اعتناقهم الإسلام غالباً ما تنقطع علاقاتهم بأهلهم وأصدقائهم وأحياناً أزواجهم. فيبقون يبحثون عن دعم معنوي من المسلمين المهاجرين الذي قد لا يفهمون هذه الحاجة النفسية والاجتماعية. فالمساجد والمراكز الإسلامية تركز جهودها في شرح العقائد والأحكام الإسلامية، لكن ذلك غير كاف لوحده بالنسبة للمعتنقين الجدد. ولذلك يسعى هؤلاء للبحث عن بناء علاقات مع المسلمين المهاجرين، حيث تشير بعض الدراسات إلى أن ٨٪ منهم يبذلون جهودهم لإنشاء علاقة مع المسلمين الذين يعيشون قريباً منهم، أو مع الذين يعملون معهم (١٦٪)، أو يدرسون معهم (١٥٪) وغالباً ما ينضمون للمنظمات الطلابية في المعاهد والجامعات. وأن ٣٥٪ منهم يألف التردد على المسجد لمقابلة المسلمين لأن المسجد يحتل مكانة فريدة باعتباره مؤسسة دينية، ومكان للعبادة، ومركز للتعليم،

Owen D. (1991) 'What's It Like to be a UK Muslim' The Independent 26 August 14 1 -

Ali Kose (1996) Conversion to Islam p. 24 2 -

إضافة إلى أنه يوفر محيطاً اجتماعياً، وخاصة في المناسبات كالزواج حيث أصبحت الأعراس تقام في المساجد في الغرب.¹

يلاحظ أن النشاط العام للمسلمين الإنكليز أضعف بكثير من نشاطهم في فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية حيث كانوا يتولون شؤون الجالية الإسلامية. ويعود ذلك أسباب منها: أولاً: أن عدد المسلمين المهاجرين كان قليلاً جداً، وإنما تصاعدت الهجرة في الخمسينات والستينات. وصاحبها جلب الأفكار السياسية والفلسفية لدى المفكرين المسلمين من بلدانهم إلى المهجر الجديد. ثانياً: ورافق المهاجرين المسلمين قياداتهم الدينية وزعماء الجاليات الذين قدموا معهم. هذه الحالة أدت إلى أن المهاجرين لم يهتموا بالتشاور مع المسلمين الإنكليز فيما يتعلق بشؤون الجالية الإسلامية.²

٣- رابطة الإيمان للمسلمين الإنكليز

تأسست رابطة الإيمان عام ١٩٩٣ من قبل الشيخ صلاح آل بلال، وهو عراقي شعر بأهمية التوجه للاهتمام بالمعتنقين الجدد للإسلام. يقول الشيخ آل بلال:

بعد مجيئي إلى لندن عام ١٩٩٣ رأيت أن هناك فراغاً في هذا الجانب، فقرر أن أملاً هذا الفراغ. فقامت بتأسيس الرابطة، وانتخبنا شوري من ثمانية أشخاص كلهم من المسلمين الجدد. ونشطت الرابطة في أعمالها، ودخل الكثيرون الإسلام من خلال نشاطاتها. هذا ويبلغ عدد أعضاء الرابطة المسجلين رسمياً ٦٥ عضواً، و١٥٠ آخرين من أصدقاء الرابطة. وتضم الرابطة خليطاً من المعتنقين، فيهم الاسكتلنديين والأيرلنديين والإنكليز، وفيهم من البيض والسود. ولا توجد لدينا إحصائية بأصولهم لأننا نعتبر ذلك من مخلفات المجتمع الغربي.

وتقدم الرابطة خدمات متنوعة لهذه الشريحة، فهناك لقاءات نصف شهرية تلقى فيها محاضرات عقائدية وفكرية، تدور خلالها مناقشات مفتوحة لكافة القضايا الإسلامية. وهناك دروس في القرآن الكريم واللغة العربية. وتقام جلسات خاصة لغير المسلمين من أجل تعريفهم بالإسلام، وتدور فيها نقاشات دينية وجدلية وفلسفية.

ونحرص على توفير جو اجتماعي أو ما نسميه باللقاء الاجتماعي Social Gathering أي لا تكون الجلسة رسمية. وهذا أمر هام خاصة وأن هؤلاء المسلمين تنقطع علاقاتهم مع أهلهم ومحيطهم، لذلك نحرص على خلق جو عائلي لتعويضهم عن هذا الشيء الذي فقدوه. ولكي يشعر بأننا أهلهم وإخوانهم وأصدقائهم. وأنه لم يفقد كلياً الجو الاجتماعي الذي كان يعيشه مع عائلته

- Adlin Adnan (1999) New Muslims in Britain p. 20 1

- Ali Kose (1996) Conversion to Islam p. 25 2

قبل أن يصبح مسلماً. وقد نجحنا في تكييفهم للحياة الاجتماعية مع المسلمين الآخرين، حتى أنهم تعودوا خدمة ضيوفهم من المسلمين الذين يزورون الرابطة، فترى هؤلاء المعتنقين يؤدون دور المضيف فيجلبون الطعام والشاي وغيره. لقد تمكنا من الاعتماد على أنفسهم وإدارة شؤونهم، فلا يجب أن يعتمدوا علينا نحن الشرقيين.

كما تقدم خدمات مثل المساعدة في توفير مسكن للذين يطردونهم أهلهم من منازلهم بعد اعتناقهم الإسلام، أو تطرد امرأة من عملها بعد إسلامها وارتدائها الحجاب. وتعالى الرابطة من قلة الإمكانيات المتاحة من أجل تطوير وسائل الدعوة، وتقديم برامج أفضل لجذب الإنكليز للإسلام، كما تعانى من عدم وجود مكان خاص بها.¹

يقال انه عندما بدأت المسيحية بالانتشار في الإمبراطورية الرومانية، أصبح تأثير الوثنية في المسيحية أكثر من تأثير المسيحية في الإمبراطورية الرومانية.² والأمريشابه وضعية المسلمين الإنكليز، فهل يريدون تغريب Westernise الإسلام أم يصبحوا متأسلمين Islamised مستوعبين ثقافة المسلمين من حولهم؟ وهل يرغبون في المضي في التحول الثقافي؟ إن الإجابة على هذه الأسئلة تختلف من معتنق إلى آخر وحسب تجربته. فبعض المعتنقين قد غيروا من أسائهم، ملابسهم، مواقفهم وقيمهم. في حين تمسك آخرون بطراز ملابسهم، ولم يحملوا أسماء إسلامية، إضافة إلى أنهم ما زالوا يحافظون على بعض عاداتهم وقيمهم السابقة. وهنا تبدو الحاجة لتأكيد قضية هامة هي أن اعتناق الإسلام لا يعني بالضرورة إقصاء الهوية الإنكليزية أو البريطانية. فيمكن أن توجد عناصر من التقاليد الدينية المسيحية في أسلوب الحياة Life-style لدى المعتنقين طالما أنها لا تتعارض كلياً مع الإسلام. مثال على ذلك، يعتقد بعض المعتنقين أن الإحتفال بعيد ميلاد السيد المسيح Christmas يمكن أن يستند على أنه ميلاد النبي عيسى (ع)، ولا بأس من تبادل الهدايا مع عائلاتهم في هذه المناسبة. إنهم يسعون من أجل إيجاد طريقة عملية لقبول الإسلام في بريطانيا، بمستواهم من أجل العيش في هذا المجتمع.

إن معظم المعتنقين لم يتغيروا ثقافياً. إذ أنهم لم يلفظوا ثقافتهم كلياً، حتى بعد شهدوا تغيرات ثقافية عبر السنين. فهم لا يشعرون أنهم باعنتاقهم الإسلام قد تعربوا Arabised أو صاروا باكستانيين، بل ما زالوا يشعرون أنهم إنكليز أو بريطانيين، ولا يرون صراعاً بين الثقافات قبل إسلام الفرد وبعدها اعتناقه الإسلام. ويرون أن وضع المسلم الإنكليزي يشابه وضع المسلم المصري

1 لقاء خاص بالشيخ صلاح آل بلال في لندن بتاريخ ١٨ شباط ١٩٩٩

2 Sharma A. (1985) 'The Rajneesh Movement' in Religious Movements: Genesis Exodus and Numbers (ed) 2 - R. Stark NY: Praeger House 124

أو المسلم النيجيري أو أية جنسية أخرى. يقول ريتشارد وهو مسلم إنكليزي (الإسلام دين يتجاوز الثقافات. ولا تناقض بين الثقافة البريطانية وقبول الإسلام. أنا فخور بأنني إنكليزي، وكوفي باكستاني أو أية جنسية أخرى لا تعني بالضرورة أن أكون أقرب للإسلام).¹ ويرى بعض المعتنقين أن باستطاعته التوفيق بين الثقافة الغربية والإسلام، أو أخذ الجيد من كل منهما! ولكن يعاني بعضهم من الحيرة وسط الثقافتين تؤدي إلى صراع ثقافي ونفسي واجتماعي. يقول ستيف: (نعلم من خلال تجربتنا أننا عندما نسير في المسجد، تجد الجميع يلتفت إليك، وتحقق بك العيون بشيء من الريبة. وبعد أن تفكر ملياً تجد أنهم لا ينظرون إلى أخ مسلم بل ينظرون إلى رجل أبيض دخل الغيتو الآسيوي).

عندما يدخل الغربيون الإسلام يتعلمون مفردات الأمة الواحدة، وأنهم ينتمون إليها بحكم انتمائهم للإسلام، وأن الإسلام دين عالمي يدعو للأخوة العالمية. ولذلك لا يشعرون بالارتياح تجاه الثقافة والعادات التي تمارسها الجاليات الإسلامية من حولهم. ويعتقدون أن العديد من العناصر العائدة لمختلف الجماعات العرقية قد تم إدراجها في الإسلام، واعتبرت جزءاً منه. ولذلك يحاولون فهم الإسلام بعيداً عن المسلمين أو أية خلفية عرقية، وجلب عقلية بحث وتحقيق إلى زملائهم، وطرد المواقف والممارسات اللاإسلامية السائدة في الجالية الإسلامية. إنهم يشعرون بأن المسلمين يخلطون الدين بالثقافة المحلية القادمة من بلدانهم. وأن العديد من الأفكار حول الإسلام ربما هي انعكاس للتقاليد الثقافية أو الموروث الشعبي، ولكن ليس من الإسلام. وتسيطر هذه الأفكار على أذهان غالبية المسلمين الإنكليز. ففي استبيان للرأي فيما إذا كانوا يودون لو ولدوا في عائلة مسلمة؟ أجاب بالنفي ٧٣٪ منهم، في حين أجاب ٢٧٪ فقط بنعم. وأن جميع الذين أجابوا بنعم كانوا قد عانوا كثيراً قبل اعتناقهم الإسلام، مثل موقف عوائلهم أو اضطرارهم للطلاق من أزواجهم. وذكروا أنهم ما كانوا يعانون لو ولدوا في عائلات مسلمة أو في بلد إسلامي. أما الذين رفضوا أن يكونوا قد ولدوا في أسر مسلمة فقد اعتبروا الخبرات والتجارب التي اكتسبوها قبل الإسلام وبعده أنها من الأهمية بحيث ما كانت توجد لو ولدوا في بيئة مسلمة. ويفخر بعضهم بأنهم أصبحوا مسلمين بعد رأوا وجربوا ثم رفضوا العقائد الأخرى. ويرى آخرون أنهم دخلوا الإسلام عن فهم عميق ومناقشات عقلية طويلة، وأن اعتناقهم الإسلام أفضل ممن ولدوا به لأن الآخرين خلطوه بثقافة لا إسلامية.

تعتبر الصوفية من العناصر الرئيسية في جذب غير المسلمين للإسلام عبر التاريخ^١، وذلك ينطبق على اعتناق الإسلام بين الغربيين في العصر الحالي^٢. ففي دراسة قام بها أحد الباحثين في بريطانيا ظهر أن ٣٣٪ من الذين اعتنقوا الإسلام كان عبر الصوفية. وهناك حركات وطرق صوفية عديدة منتشرة في أوروبا. فهناك حركة الشيخ ناظم القبرصي، وحركة الشيخ عبد القادر الدرقاوي الصوفي.

وتجدد الصوفية أتباع كثيرون لها في أوروبا وأمريكا ممن يبحثون عن الجوانب المعنوية والروحية في ظل المجتمعات المادية والعلمانية. وإضافة إلى الطرق الصوفية المنتشرة في الغرب، هناك منظمات ومراكز صوفية تدرس التصوف وتنشر معلومات حولها، مثل (مركز مولانا The Mawlana Centre) و (جمعية الدراسات الصوفية The Society for Sufi Studies) في لندن، وجمعية محي الدين بن العربي Muhyiddin Ibn al-Arabi في أكسفورد.

في الغرب في الوقت الذي يدعي المئات بأنهم صوفيون لكنهم يقولون بأن الصوفية لا علاقة لها بدين معين^٣. وفي بريطانيا يعتقد البعض بأن الصوفية لا تقتصر على الإسلام وحده. فعلى سبيل المثال تعتقد إيرينا تويدي، معلمة تصوف من أصل سوفيتي وتقيم في Willesden Green شمال لندن بأنها متصوفة لكنها غير مسلمة. وتصر على أنه ليس بالضرورة أن يرافق الإسلام التصوف^٤. وهناك حركة سبود Subud الصوفية التي تضم آلاف الأعضاء في الغرب، ولكنها لا تعد ضمن الإسلام. وقد أسسها محمد سبود (١٩٠١-١٩٨٧) عام ١٩٣٤ في اندونيسيا. كما توجد عدة طرق صوفية في الغرب تستمد أفكارها من الطريقة النقشبندية - القادرية.

وتجذب الصوفية العديد من المثقفين الأوروبيين كالفيلسوف الفرنسي رينيه غونون René Guénon، والمصوف الإنكليزي مارتن لينغز Martin Lings، والمثقفين السويسريين فريثيوف شون Frithjof Schuon وتيتوس بورخهارت Titus Burckhardt.. وفي فرنسا أسس مجموعة من المستشرقين الفرنسيين المسلمين طريقة صوفية تدعى بـ (الطريقة المريمية) نسبة إلى السيدة مريم والدة المسيح. ويجد هؤلاء المثقفون في الشرق المسلم طريقاً لحياة الحكمة والاتصال مع العالم اللاحدود.

Levtzion N. (1979) "Towards a Comparative Study of Islamisation" in Conversion to Islam 1 - ed) N. Levtzion London: Holmes and Meier p. 17)

"Gerholm T. (1988) Three European Intellectuals as Converts to Islam: Cultural Mediators or Social Critics 2 in New Islamic Presence in Western Europe p. 264-265

Martin Lings (1981) "What is Sufism?" p. 16 3

٤ تحدثت إيرينا تويدي في برنامج تلفزيوني بعنوان (الصوفية: قلب الإسلام) بثته القناة الرابعة الإنكليزية في ١٨ / ١٢ / ١٩٩٠

الشيخ ناظم هو صوفي تركي من قبرص، طلب منه أستاذه الشيخ الداغستاني أن يذهب إلى أوروبا لدعوة الغربيين للإسلام، وتهيئة الأرضية لجنود (جيش المهدي) من الأوربيين. فبدأ الشيخ ناظم يتردد على بريطانيا منذ عام ١٩٧٣، حيث يمكث شهرين بضمناها شهر رمضان. واخذ يجمع الأتباع تدريجياً حتى أنه عندما يأتي إلى لندن يجتمع عنده ٥٠ ألمانيا مسلماً، إضافة إلى آخرين يأتون من أمريكا وبقية الدول الأوروبية كفرنسا وأسبانيا وسويسرا. ويعقد الشيخ جلسات ليلية في مسجد بيكام Peckam بعد الصلاة. ثم تبدأ حلقات الذكر التي تزدهم بالمشاركين ليالي الجمع. ويعتقد أعضاء الحركة بأن الشيخ يمنحهم البركة. ويؤمنون بكراماته وأنه يمكن أن يشفيهم من الأمراض. كما يرون وجوب طاعته، وأن له تأثيراً قوياً عليهم، فهم يقبلون يده أثناء مبايعته بعد إعلان شهادة الإسلام. ثم يمنح الشيخ الأعضاء الجدد أسماء إسلامية.

وقد حقق الشيخ ناظم نجاحاً كبيراً من خلال تعامله المنسجم مع الروحية الغربية. ففي البداية لا يصر عليهم بالواجبات الثقيلة من العبادة والصيام وغيرها من الواجبات المطلوبة من المسلم المكلف. ولا يصر على غير المسلمين الملتحقين بحلقات الذكر أن يسلموا أولاً بل يترك ذلك للزمن. ويقول لهم دائماً: اعبدوا الله حسب أي طريق ترونه، اليهودية أو المسيحية أو الإسلام. كما أنه يطلق العديد من النكات أثناء أحاديثه فيخلق جوّاً مرحاً.

ويلاحظ أن المرأة تشارك في حلقات الذكر، فتارة في حلقات نسوية خاصة في مكان بعيد عن الرجال، وتارة في حلقات لا تبعد كثيراً عن حلقات الرجال. وتبلغ نسبة النساء حوالي ٣٠٪ من مجموع الأعضاء.

ويرتدي أعضاء الحركة الصوفية لباساً خاصاً يتألف من (روب robe) وعمامة وحية. ويمكن تمييز الصوفيين عن بقية المسلمين من خلال العمامة. ويشجع الشيخ أتباعه على ارتداء العمامة، حيث يرتدونها في حلقات الذكر والمسجد والمنزل، لكنهم قد يتجنبون لبسها في الشوارع والأماكن العامة لعدم تعود الناس عليها. ويتم اختيار لون العمامة حسب جنسية الصوفي، فالمسلمون الألمان يرتدون العمامات الأرجواني (الماروني)، والإنكليز يرتدون العمامات الخضراء، والسود يرتدون العمامات الحمراء، وتلبس العمامات البيض والخضر من قبل كل الجنسيات. ويمكن رؤية صوفي أسود يرتدي عمامة خضراء، ولكن لا يمكن أن يرتدي ألماني عمامة حمراء (التي تختص بالسود).^١

وهي جماعة صوفية أسسها الشيخ عبد القادر الصوفي المرابط، وهو بريطاني من أصل اسكتلندي (اسمه السابق إيان دالاس Ian Dallas)، وهو كاتب وممثل سابق اعتنق الإسلام عام ١٩٦٧، وأسس الحركة الصوفية في بداية السبعينات في بريطانيا. وأخذ يزور البلدان الأوروبية وأمريكا للدعوة إلى الإسلام، حيث فتح عدة فروع لها، في جنوب أفريقيا ونيجيريا وماليزيا واندونيسيا والعالم العربي.^١

وترجع علاقته بالإسلام والصوفية إلى أواسط الستينات عندما اشترى لوحة فارسية Miniature قديمة، سرعان ما اكتشف كتابة خلف اللوحة تحمل اسم الصوفي الشهير عبد القادر الكيلاني (توفي ١١٦٦ م). وسافر إلى البلدان الإسلامية واعتنق الإسلام في مراكش بالمغرب عام ١٩٦٧. وسرعان ما اتخذ لنفسه اسم عبد القادر تقليداً للشيخ الصوفي. وفي عام ١٩٦٨ التقى في مكناس بالمغرب بالشيخ ابن حبيب الدرقاوي الذي أعطاه لقب (مقدم) أي ممثلاً له عن الطريقة الدرقاوية، التي هي فرقة من الطريقة الشاذلية. كما ساهم بالصوفي وأمره بدعوة الناس إلى الإسلام.^٢

وسرعان ما بدأ عبد القادر بالمهمة الموكولة إليه وجمع مجموعة من الأنصار من بين المسلمين البريطانيين والأمريكان. وفي عام ١٩٧٥ استقروا في منازل متجاورة في شارع بريستول غاردنز Bristol Gardens في غرب لندن حيث شكلوا جماعة صغيرة هناك. وكان عددهم يتراوح بين ٢٠ إلى ٣٠ فرداً، أغلبهم من العازبين مع بضع متزوجين أو عوائل. وكانت غالبيتهم ممن تعاطوا المخدرات من قبل. وأخذ الشارع يمتلئ بعشرات من أصحاب العمام الخضراء واللباس المغربي الطويل. لقد كانوا يعيشون حياة رومانسية تستجيب لحاجات الشباب الغربي المتحرر من وهم الثقافة المادية الغربية. لقد كان عبد القادر يقبل في مجموعته كل الباحثين من كل مشارب الحياة دون أن يكونوا قد أسلموا. ولكن يقول لهم فيما بعد بأن لا طريق أمامهم سوى الإسلام. لقد كانوا يجدون في الصوفية دعوة للهروب من الثقافة الغربية، ثم دخول الإسلام فيما بعد. أي أنهم دخلوا الإسلام ليس لأنه أفضل ديانة أو انه الدين الحق كما يعتقدون. إنهم في الحقيقة نسخة إسلامية Islamic Version للذين تركوا السياسة والفلسفة. ولعلها تقرب من توجهات ثورة الطلاب في باريس عام ١٩٦٨. إن جو الألفة والصدقة داخل المجموعة يجذب الكثير من الناس إليها. يقول أحدهم: (لقد جئت من الريف إلى لندن، فعشت وحيداً لعدة أشهر حتى

- Al-Affendi A. (1988) "A False Dawn" Inquiry 1 p. 51 1

- Clark P. B. (1983) The Sufi Path in Britain- The Revivalist Tendency Update: A Quarterly Journal of New 2

Religious Movement 3 p. 13

تعرفت على الحركة، فأخذت أشارك في اجتماعاتها ثم أصبحت مسلماً عام ١٩٧٢. وبدأ عبد القادر يتصرف كشيخ، مفروض الطاعة، لا يُسئل أبداً. فقد أمر جماعته بتجنب كافة مظاهر الحياة العصرية. ففي منتصف السبعينات لم يعد مسموحاً به ارتداء الملابس الغربية، وتم منع استخدام الكهرباء، لتكون مواقد الفحم ومصابيح الزيت بديلاً عنها. وفي السنين الأخيرة منع أتباعه من إرسال أولادهم إلى المدارس لأنه اعتقد أن التعليم هو الأداة الهامة للدخول في المجتمع الكافر. لقد كانت آراؤه لا تختلف كثيراً من بعض الحركات في الشرق الأوسط التي دعت إلى العزلة وهجرة المجتمع الكافر.

في عام ١٩٧١ توفي الشيخ ابن حبيب الداغستاني، أستاذ عبد القادر، فأصبح عبد القادر المسؤول والمرشد الوحيد. وبدأ في منتصف السبعينات يبحث عن شيخ جديد، حتى سافر إلى ليبيا عام ١٩٧٦ والتقى بالشيخ محمد الفيتوري من (الطريقة العلوية)، والذي أعن أن عبد القادر أصبح شيخاً للطريقتين العلوية والدرقاوية. عند ذلك تغير اسمه من (المقدم) إلى الشيخ عبد القادر الصوفي.

اتسعت الجماعة تدريجياً، وبات الشيخ عبد القادر معروفاً في العالم الإسلامي باعتباره شيخاً إنكليزياً، كما ترجمت كتاباته إلى مختلف اللغات الإسلامية. وفي نهاية السبعينات تغير تفكيره ليكون واحداً من الإسلاميين النشيطين في بريطانيا. ففي صيف عام ١٩٧٦ أقامت الحركة صلاة الظهر جماعة في حدائق الهايد بارك بهدف جذب انتباه الناس إلى الإسلام. وفي نهاية عام ١٩٧٦ دعا عبد القادر جماعته للانتقال إلى الريف، في منطقة نورفولك Norfolk لتأسيس أول قرية إسلامية مكتفية ذاتياً للمؤمنين، ومن أجل خلق رابطة اجتماعية كاملة حيث يزدهر الإسلام. فلا يمكن اختصار الإسلام ساعة واحدة من التعليم الديني للأطفال. لقد كانت الجماعة تهدف إلى عرض المعنويات النبيلة للإسلام سواء للإنكليز المتحررين من وهم المادية أو المسلمين في بريطانيا الذين يرغبون في تعزيز إيمانهم من خلال إعادة اكتشاف الإسلام التام الذي فقدوه منذ مغادرتهم بلدانهم.^٢ ورغم سعيه، عجز الشيخ عبد القادر عن الحصول على دعم مالي من العالم الإسلامي لبناء القرية الإسلامية. على أية حال قاموا بشراء مبنى وود دالنج هول Wood Daling Hall وهو قصر قديم يقع خارج نورويج Norwich، قاموا بترميمه واتخذوه مركزاً ومسكناً. وسمي بمعهد الدراقاوي Darqawi Institute، ومنه أصدروا صحيفة بعنوان (الإسلام Islam) التي صدر العدد الأول منها في حزيران ١٩٧٦.

- Ali Kose (1996) Conversion to Islam p. 177 1

- Islam: Journal of the Darqawi Institute June 1976 p. 1 2

ومع تأسيس معهد الدرقاوي بدأ التوتر بالحدوث بين أفراد الجماعة. إذ تصاعد عدد الأفراد ليصل إلى حوالي (٢٠٠) عائلة، وفيهم الأطفال والنساء والرجال. وازدادت حاجاتهم، فلم تعد الحياة ملائمة. كما بدأ عدم الرضا تجاه أسلوب عبد القادر وهيمته. فقد طلب من جماعته ترك أعمالهم والذهاب في مهام معينة. كما طلب منهم بيع سياراتهم، فلبى بعضهم الطلب ورفض الآخرون بيع سياراتهم لحاجتهم إليها. وكانت هذه الممارسة غير مقبولة من قبل الكثير من أعضاء الجماعة. إضافة إلى ذلك كان عبد القادر يسافر ويغادر بارتياح اعتماداً على المساعدات القادمة من العالم الإسلامي.^١ أدى ذلك إلى بروز انتقاد حاد، حتى قرر عبد القادر بوجوب مغادرة الجميع ذلك المبنى. لقد كان التناقض واضحاً بين النظرية والتطبيق.

أدت تلك التناقضات إلى أزمة داخل الجماعة. لقد كانت العلة هي فكرة اجتناب المجتمع، ولما جاءوا في المبنى أرادوا العيش في مجتمع لكنهم لم يقيموا علاقة مع الجالية الإسلامية، بسبب رفضهم لكل المجتمع البريطاني. وجمدت الأزمة لفترة بسبب إجماع الأعضاء على العودة لواقع الحياة. أولاً سمح للأعضاء باستخدام الكهرباء ومنتجات التكنولوجيا الحديثة. ثم اقنع الجميع بأن الملابس المغربية تعيق نشر الرسالة بين الإنكليز المحيطين بالمكان، فتم خلع الروب لكن بقيت العمامة الخضراء. (ثم خلعت العمامة في وقت متأخر. أما الآن فيلبسون الروب والعمامة في حلقة الذكر فقط). وأخيراً سمح بإرسال الأطفال إلى المدارس الإنكليزية.

وانقسمت الجماعة إلى مجاميع متعددة، وانفردت عقد الحركة الصوفية التي أسسها عبد القادر الصوفي. وبسبب هذه المشاكل هاجر عبد القادر إلى غرناطة في أسبانيا، حيث انضمت معه مجموعة صغيرة. وبقي في أسبانيا حتى عاد إلى اسكتلندا عام ١٩٩٤، ولكنه حافظ على علاقة وثيقة مع أعضاء جماعته الذين بقوا في بريطانيا. وكان يتردد على بريطانيا بين حين وآخر للمشاركة في المؤتمرات، مثل المؤتمر الذي عقد إبان حرب الخليج في آذار ١٩٩١ بعنوان (الإسلام ضد النظام الدولي الجديد) في كلية ريجنتس في لندن. وعندما كان في أسبانيا قام بتعيين (أمير) للجماعة في بريطانيا. وما تزال الجماعة نشطة، حيث تنظم ندوات ومحاضرات ومؤتمرات وأياماً صوفية وحلقات ذكر لغير المسلمين الذين قد ينجذبون عبرها للإسلام.

تطورت حركة عبد القادر على مرحلتين، الأول: عندما كان صوفياً، وكانت دعوته في الأساس صوفية، حيث يحتل الإسلام فيها دوراً ثانوياً. فقد ذكر الأعضاء المبكرين في الجماعة أن الارتباط فيها لا يعني الارتباط بالإسلام مباشرة. فتعاليم الصوفية كانت تقتصر على دعوة الناس وجذبهم إلى الجماعة. وفي

مرحلة متأخرة أصبح الإسلام مرتبطاً بالتصوف، حيث أخذ التركيز ينصب على الشكل الخارجي للدين أي الشريعة. وفي كلتا المرحلتين كان المجتمع الغربي غير مقبول. مع ذلك كان عبد القادر قد قرر في المرحلة الأولى أن يعزل الجماعة عن المجتمع، وفي المرحلة الثانية قرر العمل داخل المجتمع. وأخذت الجماعة تدعو بالإسلام باعتباره الحل لمشاكل الثقافة الغربية «المريضة». كما استخدمت شبكة الاتصال الاجتماعية كقناة للارتباط مع المجتمع. وأخذت تتناول المشاكل اليومية للمجتمع البريطاني كالبطالة والتفسخ العائلي. في المرحلة الأولى كان عبد القادر يلقب نفسه بالصوفي، وفي المرحلة الثانية صار يدعو نفسه بالمرابط، وحركته سميت بالمرابطين: حركة المسلمين الأوروبيين *The Murabitun: European Muslim Movement*. وشيئاً فشيئاً أخذ عبد القادر يبتعد عن الصوفية ويتجه نحو الشريعة ن حيث انتهج المذهب المالكي، واضعاً نموذج المدينة (المنورة) نصب عينيه. لقد كان يعترم إحياء الصوفية ويجدد الشريعة على المذهب المالكي، وأن التصوف والشريعة يمكن أن يسيرا جنباً إلى جنب.^٢

يرجع اسم المرابطين إلى حركة تأسست عام ١٠٢٩ م من قبل عالم مغربي هو عبد الله بن ياسين، والتي سرعان ما انتشرت وازدهرت في اسبانيا.^٣ وكلمة مرابط تعني الرواد المسلمين الذين استقروا في المناطق القبلية في شمال أفريقيا، حينما لم تكن المنطقة قد دخلها الإسلام بعد. وكانوا ينشئون (رابطة) بين الإسلام والقبائل المحيطة بهم. كما أن المصطلح مشتق من لفظ (المرابط) أي الورع.^٤ وتعني لفظة (رباط) الحصن المقام على الحدود الخارجية لدار الإسلام، حيث ينظر إليه كواجب عظيم. وهؤلاء الذين يقومون بالواجب ويدافعون عن الإسلام، سمووا بالمرابطين أي المجاهدين في الرباط. وقد أصبحت هذه التسمية تطلق على حركة المرابطين (*al-Moravid*) في أسبانيا، وهي أسرة حاكمة حكمت هناك. إن مفهوم (الرباط) يتضمن معنى الخدمة العسكرية ومعنى الالتزام الديني. وكانت بعض الحصون (الرباطات) مركز لتجمع الصوفيين، الذين كانوا يقيمون حلقات الذكر عندما لا يكونون مشغولين بعمل جهادي، إضافة إلى الصلوات اليومية الخمس.

آمن عبد القادر بمفهوم الرباط، واعتقد أن الوقت قد حان للبدء بمهمته لتطبيق نموذج الرباط. درس الإسلام ليين للناس أن الإسلام هو واقع سياسي بالإضافة إلى القيام بالذكر أو العبادة.^٥ ويعرف جماعة المرابطين بأنهم مسلمون قاعدة بشرية أمامية تتدرب وتدرس ثم تذهب لنشر رسالة الإسلام. إن حركة المرابطين تختلف كثيراً عن تلك الحركات الصوفية الكلاسيكية منذ أن أخذت تتعلق بالشؤون الدنيوية وليس الآخروية.

-
- as-Sufi (ad-Darqawi) Abd al-Qadir (1981) Letter to an African Muslim p. 55 1
 - Ali Kose (1996) Conversion to Islam p. 181 2
 - Ahmad Thomson (1989) Islam in Andalus p. 191 3
 - Eickelman D. F. (1981) The Middle East: An Anthropological Approach p. 289 4
 - as-Sufi Abd al-Qadir (1978) Jihad: A Ground Plan p. 37 5

أجري الحوار في كولن.

يقول الشيخ ضياء الشكرجي مؤسس المنبر الإسلامي في ألمانيا أن حوار المسلمين مع الغرب يجب أن يتخلص من عقدة الاسترضاء التي يتبعها المسلمون بفعل تخلفهم الاقتصادي. وأوضح الشكرجي في حوار مطول أن دعوته للإسلام تجد استجابة واسعة النطاق لدى الألمان. وفي ما يلي النص الكامل للحوار:

* هل تقومون بحوارات مع غير المسلمين علمانيين أو مسيحيين خارج المسجد الذي تحاضرون فيه؟

- الحقيقة أنني لم أعط هذا الجانب الأ النسبة ضئيلة ١٠٪ مثلاً من اهتمامي وطاقتي بسبب الظروف التي نعيشها ولكن هناك تجارب كثيرة خلال هذه السنوات مثلاً هناك مؤتمرات تقيمها أكاديميات مسيحية مثل الاكاديمية الإنجيلية في (هوف كايسمر) وهي مدينة جامعية دينية بمرافقها الكثيرة منها قاعات للمؤتمرات ومرافق سياحية. وقد شاركت عدة مرات في حوارات تمكنت من تبيان وجهة نظر الإسلام في القضايا التي أثيرت في تلك المؤتمرات. حدث ذلك مرتين مرة في بداية التسعينات بعد حرب الخليج حيث دعيت كضيف للمشاركة في المؤتمر. كما حضرت مؤتمرات أخرى كزائر في مؤتمرات تتناول موضوعاً رأيت أنه لا بد أن تطرح فيه وجهة نظر الاسلام. وقبل فترة قصيرة شاركت في مؤتمر «حوار الأديان» الذي اقامته مدينة ديساو القريبة من لايبزغ. وهي حوارات مثمرة لأنك تخرج من الحوار وقد أعطيت للحاضرين فكرة جيدة عن الإسلام واستطعت أن أرفع شبهة أو أكثر في التصورات أو الأحكام المسبقة المتكونة لديهم.

* هل يمكنك أن تذكر لنا أمثلة على الشبهات التي يطرحونها عليك؟

- بالدرجة الأساسية تتعلق بالأحكام المسبقة وما تكون عند الأوربيين بشكل عام من تصوّر عن الاسلام في الجانب السياسي بما يسمونه بالأصولية ومسألة العنف. وإن كانت هناك جوانب اجتماعية لكن هذا الجانب يحتل مساحة رئيسية بسبب الإعلام المكثف المضاد الذي حصل في الثمانينات بشكل خاص كوّن عند الإنسان الغربي أحكاماً مسبقة عن الإسلام. وعندما نتعامل

مع هذه المفردات فينبغي أن لا نتحرك من خلال «عقدة الاسترضاء» حيث أنني أستوحي هذا المصطلح من الآية الكريمة (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) (البقرة: ١٢٠). فليس من الصحيح أن نرضيهم فيما يفكرون فيه. وإنما من خلال الحكمة القائلة على لسان أمير المؤمنين (ع) [إبدأ معه من حيث يُحب وانتهي معه إلى حيث تحب]. فلا بد أن نتحرك من خلال الحوار من المشتركات. فعندما نطرح الإسلام في جانبه المحاور وفي جانبه الذي يريد أن يتعايش فيه مع الآخرين لا من خلال أن الغرب قد بنى فكراً على هذه الأسس فيما يسميه بالديمقراطية والليبرالية ونحن نريد أن نتشبه بهم وإنما من خلال قناعة راسخة بأن الإسلام هو صاحب هذه الأطروحة وأن كل حالات العنف التي حصلت في الإسلام إنما جاءت من خلال ما حصل من عنف من الطرف الآخر المناوئ للإسلام فكان لا بد أن يُجاب على العنف بعنف مثله. أما الإسلام في الواقع أينما وجد فرصة للتعايش السلمي مع الآخرين مع الفكر الآخر ومع الاعتقاد الآخر فهو يعمل على ذلك باعتبار أن الأجواء الهادئة تتيح فرصاً للإسلام أكثر بكثير للعودة من الأجواء الملتهبة التي لا تنفع مهمة الدعوة. لذلك نسعى إلى أن نجتث منهم حالة التعميم الحاصلة من خلال ما وجدوه من مفردات في الساحة الإسلامية مثلاً في العنف غير المنضبط هنا وهناك. طبعاً هناك تصوير خاطئ لبعض العنف الذي نعتبره عنفاً مشروعاً باعتباره يعتبر عن دفاع عن حقوق هنا وهناك فيما يمارسه المجاهدون في ميادين القتال. وتارة يعتبر عن عنف غير منضبط وإن كنا في الواقع لا ندين هذا العنف غير المنضبط بشكل تام لأنه في كثير من الحالات ردود فعل على فعل سيء. وإن كنا نقول أن الأفعال السيئة ينبغي أن لا تبرر لنا ردود فعل سيئة وإنما لا بد أن تكون ردود فعل مدروسة بالضوابط الشرعية والعقلانية في دراسة الواقع دراسة موضوعية لأن الإسلام دين العقل الذي يجرى الأساليب نحو الأهداف من خلال دراسة موضوعية لما يدور من حوله.

هذه الصورة المعتمدة التي تصور الإسلام دين عنف ينبغي أن نجتثها من النفوس ولكن للأسف الشديد نجد أن الذين يمارسون اجتثاث هذه الصورة لا يملكون غالباً قاعدة صلبة في إسلاميتهم وإنما يتحركون على قاعدة رخوة. ولذلك أقول دائماً أن الذي ينفع في مثل هذا الحوار واجتثاث هذه الصورة المعتمدة هو من يتمسك بقاعدته الإسلامية الصلبة ولا يكون ليبرالياً بمعنى التخلي عن صلابته وأصالته الإسلامية وأحاول أن أعطي فكرة للمحاورين لا تفرحوا عندما تحاورون أولئك الذين فقدوا صلابتهم.

فهؤلاء يمثلون حالة من التخلي عن الكثير من ثوابت الإسلام، بل حاوروا الذين يعيشون الجدية في تمسكهم بإسلاميتهم إذا أردتم حواراً حقيقياً، ومع هذا لا تمنعهم جدبتهم وتمسكهم

وصلابتهم الإسلامية من أن يفتحوا على العالم كله بكل تنوعاته وتلواناته الفكرية والاعتقادية لأن هذا التعامل المنفتح هو من صلب الإسلام. وأحاول أيتها وجدت فرصة أن نميز فيما نختلف فيه عن الآخرين أي أنتم أيها المسيحيون أو أنتم أيها العلمانيون الغربيون فيما لا تفكرون فيه وفيما لكم فيه من مؤاخذات على الإسلام أقول دائماً يجب أن نميز بين ثلاث ميادين فيما نختلف فيه معكم وفيما لا ترتاحون لها أو لا تنسجمون معه في الإسلام.

* هل توجد علاقة في طبيعة الأسئلة بين الألماني المسلم والشرقي المسلم؟

- نعم لعله من بعض الأسئلة التي يتميز بها الألماني بعد أن ينتقل للإسلام حيث يرى نفسه أمام خيار جديد فيا ترى أي منهج من مناهج الإسلام يختار حيث يطرح بعض الألمان قضايا خلافية مذهبية: لماذا تقول تلك الفرقة بكذا وتلك الفرقة بكذا؟ وهناك أسئلة تتعلق بالجانب النسوي من المسلمات الألمانيات ربما في بعض المسائل الشرعية التي تدخل في قضايا الأسرة والعلاقة الزوجية وخصوصاً عندما يكون الأزواج الذين عاشوا معهن لا يحملون ثقافة فقهية واسعة فينطلقون في تعميم حكم أو شبه حكم عندهم في طبيعة العلاقة بين الزوج والزوجة وفي طبيعة الحقوق التي يملكها الزوج. ونحاول أن نوضح هذه المسائل ونعطي الصورة المشرفة للعلاقة الزوجية بعكس ما عاشته بعض المسلمات الألمانيات من ازدواجية في سلوك أزواجهن المسلمين.

* تقصد الخلل بين الحكم الفقهي والواقع السلوكي لهؤلاء الأزواج أي وجود فجوة بين النظرية والتطبيق فتحاولون تصحيح الصورة هل يتم ذلك بحضور أولئك الأزواج؟

- كلا غالباً ما نوقشت هذه المسائل بغياب الأزواج لأنهن قد تطلقن منهم. ومع ذلك عندما نسمع بتجربة سلبية لا نعتقد أن طرحها من قبل صاحبة المشكلة يكون موضوعياً باعتبار أنها مشكلة شخصية وأنا استمعنا لطرف واحد ولم نسمع رأي الزوج لكننا نسعى إلى طرح المفاهيم الصحيحة المتعلقة بالمسألة بشكل عام.

* هل يحضر غير المسلمين لقاءاتكم هذه؟

نعم يحضر أحياناً بعض من غير المسلمين الذين توجه إليهم الدعوة من خلال علاقة الأخوة القيمين على المساجد وهناك طموح لاستيعاب عدد أكبر منهم وفتح باب الحوار معهم.

* هناك تجربة رائدة في هولندا حيث يقيم أحد المساجد في لاهاي دورات لمدة ستة أسابيع. أيام الأحد تتضمن عرض العقيدة الإسلامية والأحكام الإسلامية تتبعها نقاشات مفتوحة حول مختلف القضايا المطروحة. وتخصص هذه الدورات بالهولندية للمسلمين الجدد أو غير

المسلمين الراغبين في التعرف على الإسلام. وغالباً ما تنتهي باعتناقهم الإسلام. فهل تفكرون
بمثل ذلك؟

- نعم هناك توجه لعقد دورات سريعة للتعرف على الإسلام.

* هل تستخدم إحصائيات وأمثلة وحوادث مستقاة من الواقع الألماني؟

- هذه المفردة لا تمثل عنصر قوة بالنسبة لي لأن الفرصة لا تتاح لي كي أكون إحصائياً ورقمياً.
* تطرقت في كتابك (الديمقراطية.. رؤية إسلامية) إلى « حزب المبادئ الإسلامية الإنسانية
الأخلاقية الديمقراطية الألماني » كظاهرة سياسية في المجتمع الألماني ما هي حقيقة اهتمامك بها
يجري في الساحة الألمانية؟

- نعم لدي دراسة لكثير من الظواهر في المجتمع الألماني لأن تواجدي في ألمانيا يمتد إلى عدة
عقود من الزمن ولدي ملاحظات حول العديد من المظاهر الموجودة في المجتمع الألماني الفكرية
والأخلاقية والسياسية ولكن دون الغور في كل التفاصيل والإحصاءات والأرقام باعتبار أن
هذه تحتاج إلى تفرغ أكثر لجمعها. ومع ذلك فهذه التجربة تدخل كعنصر مهم في طريقة حديثي
وحواري وطرحي للمفاهيم.

* هل تتلقى اتصالات وخطابات من الألمان تتعلق بقضايا شخصية وتبحث عن إجابات
فقهية؟

- نعم هناك اتصالات تليفونية ومراسلات تتضمن إثارة بعض الإشكالات والتساؤلات
الفقهية والعقائدية وكذلك بعض الحالات الاجتماعية. مثلاً بعض الزوجات لديهن مشاكل مع
أزواجهن فيلجأن لي للمساعدة في حلها. وكثير ممن يتصلون بي لا أعرفهم أو لم يسبق لي لقاءهم،
ولكن الجميع يعلم أن هاتفي مفتوح لكل خدمة فكرية كانت أو اجتماعية أو لحل مشكلة. وكل
شخص يمثل هذا الموقع يواجه مثل هذه المشاكل من قبل ألمان أو غير ألمان. كما أن ذلك يضعك
في تحمل المسؤولية بناء على الثقة الكبيرة التي يوليها إياك هؤلاء الناس.

* هل تقومون بالعقود الشرعية كالزواج والطلاق وغيرها؟

- نعم هذه من الخدمات التي نقوم بها منذ زمن طويل أي قبل ارتداء الزي الديني للمبلفين.
وإن كنت لا أحبذ استخدام مصطلح « التبليغ » الذي ينتشر بين العراقيين والایرانیین وأفضل

المصطلح الذي يستخدمه بقية المسلمين حيث يسمون الشخص المتصدي بالدعوة إلى الإسلام بـ «الداعية». فالتبليغ يعني تبليغ من لا يعلم بالإسلام أما الدعوة فهي أمر عام تشمل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتشمل العمل التغييري في داخل الوسط الإسلامي وتشمل العمل التبليغي خارج الوسط الإسلامي.

تمثل ممارسة الشعائر الحسينية واحدة من المظاهر الدينية والمناسبات الاجتماعية التي يحرص أتباع أهل البيت عليها في المهجر فهي تمثل مناسبات ترتبط بالثقافة الشعبية التي درجوا عليها في بلدانهم لذلك تحرص على حضورها جميع الفئات لما تمثله من ترسيخ للمفاهيم الإسلامية والثقافة الإسلامية عبر المنابر الحسينية التي يعتليها الخطباء والعلماء في مثل هذه المناسبات كما أنها إحياء لذكرى مأساة كربلاء حيث التضحية والإباء والرفض لكل أنواع الظلم والجبروت والطغيان.

إن نقل ممارسة تلك الشعائر كما هي أي بمظاهرها وأساليبها وأجوائها إلى البيئة الغربية يتضمن بعض الملاحظات. إن هدف ثورة الامام الحسين (ع) كان لإقامة الإسلام والعدل والحق. وحرص أئمة أهل البيت (ع) على إحياء ذكرها من أجل تعميق الخط الإسلامي الرسالي بين المسلمين فمن الطبيعي أن حرصنا على إحياء الذكرى لا يعني بآية حال تضييع الهدف أو جعله يحتل مركزاً ثانوياً، ويجري التركيز على المظاهر الاحتفالية والطقوس الشعائرية. مما لا شك فيه أن تطوير الأساليب وتقنية نقل المعلومات والحادثة التاريخية للمخاطبين يختلف من مكان إلى آخر، ومن زمن إلى آخر، ومن جيل إلى جيل. إن الشباب والأطفال الذين نشأوا في الغرب لا يتفاعلون بسهولة مع وقائع كربلاء التي يجري عرضها بأساليب تقليدية من قصائد ومرثيات ونواح وبكاء، بل بحاجة إلى استيعاب القضية وإدراكها بأسلوب سهل الفهم ولغة بسيطة. وهذه أفكار نعرضها للمناقشة من أجل تطوير أساليب إحياء عاشوراء:

ما زال الكثيرون يعتقدون أن أبناءهم يجب أن يتفاعلوا مع عاشوراء بنفس الدرجة والمشاعر التي يشعرون هم بها، مع استخدام نفس الأسلوب النمطي في العرض والتلقين. هؤلاء يتغافلون أن الجيل الشاب قد لا يفهم كل تفاصيل عاشوراء، وكل الألفاظ والعبارات والصور والتشبيهات التي ترد في القصائد والمرثي والمنابر.

إن الجيل الشاب الذي نشأ في هولندا سيكون أكثر فهماً واستيعاباً وإدراكاً لقضية الإمام الحسين (ع) فيما لو عرضت عليه باللغة الهولندية التي يفهمها أكثر من العربية. إن عرض مأساة كربلاء باهولندية يعني أيضاً تعريف الهولنديين وغير العرب بها أيضاً. إن طباعة ونشر مؤلفات ومطبوعات باهولندية تتحدث عن مأساة كربلاء وما جرى في عاشوراء سينقل الاهتمام بها من دائرة صغيرة مغلقة إلى دائرة أوسع وأرحب مما يجعل تأثيرها أكبر.

من المتعارف أن الشعوب الإسلامية تعاملت بعقلانية وبصورة عملية مع مأساة كربلاء فقد نظمت الأشعار والنثر والقصص والمراثي وغيرها بلغتها هي فترجمت ما حدث في عاشوراء إلى لغتها الأصلية فزاد انتشار ممارسة الشعائر الحسينية وصارت جزءاً من الثقافة الشعبية. فنرى هناك مراثي وقصائد باللغات الفارسية والتركية والوردو والهندية والانكليزية وغيرها فلماذا لا تكون هناك قصائد ومراثي باللغات الأوربية الأخرى الهولندية والالمانية والفرنسية والسويدية والفنلندية وغيرها.

التقيت قبل سنوات بمسلم إيطالي حدثني عن مراسم عاشوراء في مدينة ميلانو الإيطالية. وأنه قام بترجمة المقتل الحسيني الشريف اليا للغة الإيطالية بل وحتى الأشعار قد أُلقيت بنبرة حزينة أضفتها عليها اللغة الإيطالية فأبكت الحاضرين وأغلبهم من الإيطاليين المسلمين الشيعة.

إن تطوير أساليب حديثة لنقل حادثة عاشوراء كالصورة والرسم والنشيد والتمثيلية سيركز الكثير من المفاهيم الحسينية في أذهان الشباب. فهذه الأساليب أقرب إلى أذهانهم وأسهل انطباعاً في ذاكرتهم وخاصة الصورة والمشهد التمثيلي. قبل سنوات شاهدت مسرحية عاشوراء قدمها طلاب وطالبات (مدرسة الحكمة العراقية) في كوبنهاغن. كان أداءً رائعاً من حيث الإلقاء والإخراج والأضواء والديكور جعلت الحاضرين يتفاعلون مع الأحداث ولا يمسكون دموعهم طوال المسرحية التي دامت حوالي ساعة من الوقت.

من الضروري أن يشعر الأطفال بأجواء محرم وعاشوراء من خلال المؤثرات البصرية والسمعية كالملابس والأضواء والترينات كي يعتادوا عليها منذ صغرهم. بالطبع لا يستحسن رؤية مشاهد عنف ودماء لأن ذلك يؤثر على نفسياتهم وتربيتهم. من الممكن صنع مجسمات صغيرة تمثل مشاهد مأساة كربلاء كالخيام والخيل والفرسان وشط الفرات ونساء وبنات يلبسن الحجاب ونخيل وإبل مما يجسد مشهد المعركة في يوم عاشوراء على شكل دمي قريبة إلى نفوسهم يتفاعلون معها ويراعونها ويهتمون بها. إن تكرار هذه الممارسات سيركز الحادثة في نفوسهم وسيتفاعلون معها مستقبلاً.

منذ الحادي عشر من أيلول تغيرت أنماط العلاقات بين الغربيين والمسلمين على عدة مستويات. ولعل تأثير الإعلام الغربي لعب دوراً رئيسياً في تعبئة النفوس والعقول والعواطف ضد الإسلام والمسلمين. وبات اقتران الإسلام بالإرهاب أمراً عادياً يتكرر في الاذاعات والتلفزيون والصحف وأحاديث الناس العاديين، بل حتى الصغار وتلاميذ المدارس.

ومن الطبيعي أن يمر المسلمون بظروف قاسية وأجواء معيئة ضدهم، وأن تتعرض الدعوة الإسلامية إلى انتكاسة، فطريق الدعوة ليس دائماً سهلاً وميسراً، ولكن من الهام جداً هو كيفية التكيف مع هذه الظروف وتجاوز مرحلة القمع والتعسف والمضايقات بأقل خسائر ممكنة، حتى تنجلي هذه المحنة بإذن الله. ومن الطبيعي أن يختلف خطاب الدعاة والإسلاميين اختلافاً كلياً، ويجب أن يتركز على تهدئة مشاعر الغربيين تجاه خوفهم من الإسلام وطمأنتهم بأن الإسلام ليس دين إرهاب، وأن الحضارة الإسلامية حضارة إنسانية، وأن عليهم انتظار نتائج ما يحدث قبل أن يضعوا الإسلام في قفص الاتهام، حتى لو قام إسلاميون بما قاموا به، فهذا لا يعني الحكم على الإسلام بالاعدام، وأن يؤخذ الإسلام بجريرة أخطاء الآخرين.

لقد حكم المثقفين الهولنديين على الإسلام بأنه دين يرفع الإرهاب ويشجع عليه عبر مفاهيم الجهاد على عكس الحضارة الغربية. وهذا التصور غير صحيح، أولاً لأن الجهاد يمثل حالة حرب ودفاع عن النفس، منظمة وتحت إشراف سلطة شرعية، وليس حالة فوضى أو اجتهاد شخصي يزدري الناس ويستسهل قتل الأبرياء. ثانياً إن الحكم على الإسلام من خلال حادثة معينة ليس صحيحاً لأننا لو طبقنا نفس المنهج لقلنا أن الدين المسيحي دين إرهابي لأن الصرب والأيرلنديين الكاثوليك والباسك الإسبان كلهم مسيحيين. كما أن الحضارة الغربية رعت وسببت حربين عالميتين ذهب فيهما ملايين البشر ضحايا العنف والتنافس السياسي والأطباع التوسعية بين الدول الغربية.

لقد أدت الانفجارات إلى تزايد اهتمام الغربيين بالإسلام حيث ارتفعت مبيعات نسخ القرآن الكريم والكتب التي تتحدث عن الإسلام بشكل ملفت للنظر، حتى نفذت العديد من الكتب وظهرت طبعات جديدة. هذا الاهتمام الإعلامي والسياسي والثقافي يوفر للدعاة فرصة جيدة لشرح تعاليم الإسلام وتصحيح الصورة النمطية السلبية التي يرسمها الإعلام الغربي. ويجب التأكيد على النزعة الانسانية والنظام الأخلاقي في الإسلام، واحترام الإسلام للأديان الأخرى، وأنها لا تحمل كراهية للمسيحية، وضرب أمثلة حية، مثلاً لو كنا نكره المسيحية لما قدمنا إلى هذه

البلدان الغربية، ولا أقمنا فيها، ولا حصلنا على جنسيتها، ولا اختلطنا بأهلها، وبيننا صداقات وعلاقات معهم. وأنا من منطلق ديني وأخلاقي نحترم قوانينهم وأمنهم وأرواحهم وأموالهم وأعراضهم، ولا يسمح لنا ديننا بتجاوز حقوق الآخرين مسلمين كانوا أو غير مسلمين. وأنا أصبحنا جزءاً من هذه البلاد، ولد فيها أبناءنا، وكبر فيها شبابنا، وصرنا مواطنين مثل أهلها، ومستعدون للدفاع عنها لو تعرضت لعدوان خارجي.

كما أن وجود المسيحيين واليهود في البلدان الإسلامية طوال خمسة عشر قرناً، أي منذ ظهور الإسلام ولحد اليوم، دليل واضح على التسامح الإسلامي. فلم يتعرضوا للقمع والمضايقات حتى في عصور الاضطهاد العسكري مع أوروبا والمسيحية، مثلاً أثناء الحروب الصليبية (١٠٩٩-١٢٧٥م) أو في فترات مواجهة الاستعمار الغربي وقواته العسكرية المحتلة لغالبية البلدان الإسلامية.

وسيجد الدعاة للإسلام صدوداً وإعراضاً وغروراً واستعلاءً من بعض الأقلام والنفوس الغربية التي تنظر للمسلمين بأنهم جاءوا من البدو الحفاة المتخلفين. ولكن الإسلام ورسوله الكريم (ص) قد علمنا كيفية مخاطبة المستكبرين من خلال إقامة الحججة وأن لا نبدأهم بالشدّة يقول تعالى (اذهبا إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى)، فالقول اللين هو السبيل الصحيح لمواجهة حالات الاستعلاء والتكبر.

ومن الهام جداً توعية الشباب المسلم بالمنظمات التي تميل لاستخدام العنف كي لا يستدرجوا إليها عبر أساليب قد تبدو بريئة لكنها قد تجندهم لأغراضها، من خلال تلقينهم النظريات الخاطئة والأفكار المتلوية وفتاوى التكفير التي تبرر العنف والجريمة ضد الآخر سواء كان مسلماً أو غير مسلم.

ومن الضروري في هذه المرحلة أن يعلو صوت العقل والوعي والانفتاح لأن صوت العنف والعناصر المتشددة هو الذي يطغى على الساحة والإعلام. ومن الخطأ ترك بعض المشايخ وأمراء الجماعات المتغلقة تصول وتجول في استغلال النصوص الإسلامية بشكل بشع، واعتبار العالم جاهلية القرن العشرين، وتقسيم المجتمع الإسلامي إلى كافر ومنحرف وفاسق يجب الهجرة منه أو تغييره بالعنف دون الوسائل المتاحة الأخرى.

يجب أن ننظر إلى داخلنا ونشخص نقاط الضعف التي تنفذ منها الأفكار المتطرفة والمتشددة. فبعضها يترشح مع بعض العقائد والأيدولوجيات التي يدعو بها بعض المشايخ، وأخرى تتوافق مع بعض المساعدات المالية التي تقدمها بعض الدول الإسلامية بحجة بناء مسجد أو مركز إسلامي.

كتاب ” حوار صريح حول الاسلام ” يسيء للاسلام والرسول والانبياء ليس جديداً أن يصدر كتاب يهاجم الإسلام وعقائده ورسوله الكريم (ص)، فقد ازدادت الهجمات ضد الإسلام في الفترة الأخيرة بعد أحداث ١١ أيلول. ولسنا ضد النقد أو إبداء وجهة نظر مخالفة للإسلام وتعاليمه على أن تكون وجهة النظر هذه ملتزمة بالمنهج العلمي والموضوعية في الاستشهاد والاقْتباس من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة والروايات التاريخية الموثقة. ونرفض كل رأي يتضمن السخرية والتهمك والاستهزاء بالإسلام وبني الإسلام (ص)، ونرفض أيضاً الأحكام المسبقة واجتزاء النصوص وتحريف معانيها خدمة لأغراض ونوايا القائل.

هذه المقدمة وضعناها كي نبين أن المسلمين لا تضيق صدورهم بالنقد العملي الهادئ لبعض القضايا، وإن كانت تدخل في خانة اختلاف الرأي، لكن الاتهام والتشكيك والسخرية أمور مرفوضة من قبل كل ذي عقل سليم. كما أننا لا نأسف على أمثال هؤلاء الذين باعوا دينهم بثمن بخس، فالإسلام أقوى من أن يضعف بسبب خروج أمثالهم من بين أتباعه.

من المعلوم أن اللاجئ القادم إلى هولندا يعاني من مشاكل نفسية واجتماعية خاصة أولئك الذين لا يحصلون على الإقامة حيث يعانون من التوتر العصبي والكآبة لأنه سيتم طردهم أو إعادتهم إلى بلدانهم.

وتنشط الحركات التبشيرية في مراكز اللاجئين حيث يمارس بعض المبشرين نشاطاتهم باعتبارهم (مساعدين اجتماعيين) أو (مساعدين قانونيين) وغيرها من العناوين. ويختلط هؤلاء المبشرون باللاجئين عارضين عليهم خدماتهم المتنوعة التي تبدأ في الترويج النفسي والنشاطات الاجتماعية والرياضية وتنتهي بفتح مناقشات تدور حول العقائد والأديان وتزويدهم بالكتب والمجلات التبشيرية. وقد ترافقها زيارة إلى منزل المبشر أو كنيسته للتعرف على المسيحية عن قرب!! كما قد تتضمن تقديم مساعدات مالية أو قانونية من خلال الإيحاء للاجئ بأن المبشر أو كنيسته يمكنها مساعدته في الحصول على اللجوء من خلال قنوات خاصة.

هذه العلاقات غير البريئة قد تشجع بعض ذوي النفوس الضعيفة أو ممن يعانون من ظروف معينة، على توثيق علاقاتهم بالهيئات التبشيرية من أجل الحصول على مكاسب مالية ومعنوية. فيقوم البعض بالادعاء بأنه يفكر باعتناق المسيحية من أجل الحصول على دعم أكبر واهتمام أكثر

من الجماعات التبشيرية. كما أن بعضهم قد اعتنق المسيحية وأخذ يمارس شعائرها، ويتردد على الكنيسة، ويحتفل بأعيادها. هذه المغريات والظروف الصعبة التي يعيشها اللاجئون المسلمون تدفع بعضهم إلى انتهاز أية فرصة من أجل الكسب ولو على حساب دينهم وشخصيتهم. ويوجد بعضهم من يتظاهر بأنه تنصر حتى يحصل على ما يريد ثم يقطع علاقته بالمبشرين، لكنه لا ينجح في قطع علاقته بهم لأنهم يضلون يراقبونه ويرصدونه ويترددون عليه. ومن أطرف ما قيل أن شاباً عراقياً مسيحياً ادعى أنه مسلم ويريد أن يصبح مسيحياً، فزاد الاهتمام به وحصل على مكاسب كثيرة حيث أنه (صار) مسيحياً بفضل جهود المبشرين الهولنديين.

منذ العام الماضي شهدت مراكز استقبال اللاجئين في هولندا توزيع كتاب يهاجم الإسلام وعقائده ونبيه (ص) من أجل تشكيك اللاجئين المسلمين بعقيدتهم ثم تنصيرهم. مؤلف الكتاب هو مسلم مصري يدعى الشيخ محمد النجار صار مسيحياً يحمل اسم صموئيل بولس عبد المسيح يدعي أنه كان في مكة عام ١٩٨٧ لأداء العمرة فظهر له (السيد المسيح في الكعبة فقال لي: أنا هو الطريق والحق والحياة.. تركتني أنا الإله الحي، وجئت إلى هنا لتعبد أموات وديانات الناس). فعاد إلى الفندق وحلق لحيته وألقى بملابسه الدينية في سلة المهملات، وعاد إلى القاهرة. وبعد خلوة لمدة عام (لمراجعة الذات وللشحن الروحي) آمن بالمسيحية وأخذ يبشر بها في أوساط المسلمين المصريين، وكذلك إعادة المسيحيين الذين أسلموا. ويبدو أنهم واجه صعوبات عندما (هاج إبليس غيظاً مني وقام بتحريض أتباعه وأعوانه فتأمروا علي وقاموا بمحاصرة بيتي تمهيداً لقتلي، ولكن المسيح نجاني منهم بأجوبة، وانتهى بي الأمر إلى مغادرة وطني والحضور إلى هولندا التي وصلتها يوم ٩/٥/١٩٩٣)، ثم تم تحويلي لمركز استقبال اللاجئين في زوله (Zwolle).

من الواضح أن الذي رآه في الكعبة مجرد خيال لا واقع له أو ربما رأى شيئاً ما في المنام اعتقد أنه المسيح عليه السلام. إن ظاهرة الرؤيا والأحلام منتشرة جداً لدى أتباع المسيحية. فغالبية أو ربما جميع الذين يصبحون مسيحيين يذكرون أنهم رأوا طيفاً للمسيح أو أمه مريم (ع) وأنه خاطبه بكذا وكذا، وأمره باعتناق المسيحية. إن اعتناق المسيحية يتم غالباً بطريقة لا عقلانية حيث يتلقى الفرد المستعد نفسياً أو الذي تم إعداده من قبل المبشرين، إشارات وأوامر من خلال الأحلام أو رؤيا اليقظة. ولم يذكر أحد من هؤلاء المعتنقين أنه آمن بالمسيحية بعد مناقشة عقلية وفكرية للعقائد المسيحية، بل أن المسيحيون أنفسهم لا يفهمون العقائد المسيحية كالتثليث والتحول والخلاص والوهية المسيح (ع). ولا نعرف كيف قام صموئيل بتشخيص إبليس الذي حرض أتباعه وأعوانه؟ أم هي من خيالاته أيضاً؟ لأن إبليس ليست شخصية بشرية أو ذات جسد مادي يمكن رؤيته.

بدأ صموئيل بنشاطه التبشيري في مركز اللاجئيين حيث كان (أول عربي مسلم أقوم بتبشيريه أخ عراقي مثقف ومهذب وحاصل على دكتوراه في العلوم من روسيا، وتعجب من جرأتي، ولكنه سرعان ما بدأ يتقبل مني حقائق الإيمان المسيحي بهدوء). ويدعي صموئيل أنه تعرض للتهديد بالقتل من قبل بعض الصوماليين. كما أنه أحد اللبنانيين الشيعة قد اتهمه بأنه يسعى لهدم الإسلام من جذوره، لكن آخرين مثل علي الياس وهو فلسطيني ولد ونشأ في تونس، بدأ معه حوارات ومناظرات دينية. ويذكر صموئيل أن أحد المثقفين الأكراد قد قرأ الكتاب وقال له: معك حق في كل ما ذكرت، فلا رسول ولا رسالة ولا قرآن ولا ديانة).

ويذكر الكاتب أنه تلقى رسالة من قس عربي يقيم في بلجيكا لزيارة كنيسة وإلقاء عظة بها. وأرسل له مبشر أمريكي ليقله بسيارته من هولندا إلى بلجيكا. واقترح عليه أن يطبع كتابه في إحدى دور النشر الألمانية. وبعد عدة شهور تلقى رداً يتضمن رفض نشر كتابه (لأنه نوعاً ما شديد اللهجة وذو تحامل قوي على الإسلام).

يبدأ الكتاب بآية (بسم الله الرحمن الرحيم) التي يدعي صموئيل أنها (طريقة مسيحية الأصل) وأن الإسلام اقتبسها من المسيحية. فهو يرى أن (بسم الله) تعني بسم الأب، (والرحمن) يعني الابن، وهي مشتقة من لفظة الرحم، لأن الله تجسد في شكل إنسان في رحم القديسة مريم. وأما (الرحيم) فهي تعني الروح القدس!! كما يدعي هذا الكاتب إن عبارة (السلام عليكم) هي مسيحية أيضاً، وهي في الأصل (السلام لكم)!!

هناك بضعة محاور يركز عليها الكاتب نحاول اختصارها:

أولاً: أن الإسلام دين العنف والقتل وأنه انتشر بالسيف والحروب وسبي النساء ونهب الممتلكات وسلب الأراضي. إذ يورد الكاتب بعض آيات القتال دون ذكر سياقها أو مناسبتها، أي على طريقة (ولا تقربوا الصلاة..) ثم يسكت. كما يستشهد بأحاديث نبوية وروايات من كتب التاريخ بشكل مجتزأ لخدمة هدفه، مع أنه تتضمن تفسيرات كثيرة لا تنطبق وما يريد. كما ينفي الكاتب أن يكون إبراهيم (ع) قد بنى الكعبة لأن (هذا كلام غير صحيح ولم يذكره أي كتاب ديني أو تاريخي قبل ظهور القرآن)، هذا مع العلم أنه لا يوجد أي مصدر تاريخي يذكر المسيح (ع) عدا الإنجيل، وبالطبع القرآن الكريم. ويزعم أن الكعبة كانت مقدسة عند الهنود الوثنيين القدامى وكانوا يطلقون عليها (موكشاشانا) أي بيت الله!

ثانياً: أن النبي محمد (ص) ليس نبياً حقيقياً بل مدعي النبوة، وأنه يمارس القتل والسرقة والاعتصاب والغدر والعنف وسفك الدماء، وإجبار الناس على اعتناق الإسلام. وأنه ألغى

التبني وقان بالزواج من زوجة ابنه بالتبني زيد. وأنه (ص) صنّعة النساطرة المسيحيين وعلى رأسهم ورقة بن نوفل الذين أرادوا الانتقام من المسيحية الكاثوليكية.

ثالثاً: يصور المسيحية بأنها مثال الرحمة والمحبة والإنسانية ابتداءً من كرم النجاشي مع المهاجرين المسلمين إلى عطف الغرب على المسلمين، بل يدافع عن الاستعمار الغربي فيقول (لولا استعمار أوروبا لبلدان المسلمين، ما كان الأخيرين عرفوا المدارس والمستشفيات والمواصلات الحديثة.. إن استعمار بعض دول أوروبا لبلدان المسلمين أفادهم وأخرجهم من تخلفهم)، متناسياً الحروب الصليبية والحربين العالميتين وغيرها.

رابعاً: استغلال وضع اللاجئ النفسي وإرباكهم فكرياً وعقائدياً بسبب ظروفهم الحالية، حيث (نرى المسلمين يفرون من ديارهم ويلتجئون للمسيحيين لحمايتهم وتوفير العيش الكريم لهم. وأنت واحد من ملايين المسلمين الذي يتمتعون بحماية الأنظمة المسيحية لهم، بدليل وجودك داخل هذا الكمب في هولندا). كما يشير إلى عطف الدول المسيحية عليهم فيقول في مكان آخر (إن الكمب الموجود أنت به حالياً به أعداد كبيرة من الأخوة الصوماليين والعراقيين والأكراد، وجميعهم مسلمون، ويتمتعون بالرعاية والعناية، ويقطفون ثمار التقدم المسيحي).

إن الرد على افتراءات ومغالطات الكتاب بحاجة إلى كتاب كبير يوضح سقم أفكاره وأباطيله وكذبه.

طالما أننا نعيش في الغرب المسيحي، ونتعامل يومياً مع الثقافة المسيحية، ويدخل بعضنا في نقاشات وحوارات مع مسيحيين يرددون العديد من المغالطات والانتقادات ضد الإسلام ورسوله الكريم (ص). فما أحرانا أن نتعرف على دوافعهم وأساليبهم والأرضية التي يقفون عليها والخلفية التي يستمدون منها آراءهم ومواقفهم تجاه الرسول (ص).
من الغريب أن كثير من المسيحيين والغربيين العلمانيين يبذون تعاطفاً مع بعض المسلمين من الأصدقاء في العمل والدراسة أو الجيران، لكنهم لا يريدون الإيمان بنبوّة الرسول (ص)، فهل يعود ذلك إلى موقف شخصي أو أم يعتمد على خلفية دينية وتاريخية؟ هذا ما سنحاول الإجابة عليه.

يعود موقف الكنيسة المسيحية من الرسول (ص) إلى بدايات البعثة النبوية، وانتشار الإسلام في الجزيرة العربية ثم المناوشات العسكرية بين جيش الرسول (ص) والجيش الرومي في الشام. وباستمرار الفتوحات الإسلامية وسقوط سوريا وفلسطين بأيدي المسلمين اضطرت القوة البيزنطية المسيحية للانسحاب من المنطقة. وفتح مصر وتوغل المسلمين في شمال أفريقيا فقدت المسيحية آخر نفوذها في المنطقة. هذه الهزيمة السياسية والعسكرية أدت إلى رد فعل غاضب تمثل في سحق الروم ومعهم كنيستهم ورجال الدين من الإسلام.

فقد كتب القديس يوحنا الدمشقي (ت ٧٤٩م / ١٣٢هـ) الإسلام للمسيحيين على أنه (مذهب منشق عن الديانة الصحيحة، فهو بهذا المعنى ليس إلا زندقة خارجة عن المسيحية. أما النبي محمد فهو لم يكن مرسلًا بل مزيفاً جاء بكتاب موضوع مخلق ساعده فيه بعض الرهبان المنشقين عن الكنيسة). وكتب الكاتب البيزنطي ثيوفانيس (ت ٨١٧م / ٢٠٢هـ) كتاباً عن (حياة محمد) ملاًه بالأكاذيب زاعماً أن أتباع الرسول (ص) كانوا من الأحرار اليهود الذين اعتقدوا بأنه (المسيح المخلص). وأن تعاليم الإسلام مستقاة من رجال التقاهم الرسول (ص) في بلاد الشام وكانوا يهوداً أو نصارى. فأخذ منهم بعض ما فهمه من المبادئ وحرّفها، كما استطاع كسب قومه من العرب عن طريق التسامح في المحرمات.

وهكذا لم يحترم أي رجل دين مسيحي عقله وعلمه واطلع على القرآن أو التعاليم من المسلمين قبل أن يرسم هذه الصورة الشوهاء. كما تناسوا أن الإسلام والقرآن والرسول يحترمون ويقدمون

الأنبياء السابقين ومنهم المسيح (ع). ولما كان المسيحيون يعتبرون اليهودية مقدمة تمهيدية لمجيء المسيح، فقد صارت التوراة جزءاً من تراثهم الديني، وأن الأنبياء يجب أن يكونوا من اليهود، أي من بني إسرائيل. ولما كان الرسول (ص) قد بعث من بين العرب وليس من اليهود فقد رفضوا رسالته وكذبوا ببعثته.

بقيت هذه الصورة الخاطئة ترسم عن الإسلام حتى جاءت الحروب الصليبية التي استمرت قرناً من الزمان (١٠٩٩-١٢٥٤م) حيث استعادت الهجمة على الإسلام قوتها من جديد. فحيث أن الكنيسة كانت ترغب بتعبئة أتباعها المسيحيين للمشاركة في الحرب الضروس، بادرت إلى شحن نفوسهم بالعداء للمسلمين والإسلام والرسول (ص). فأخذت تبت الاتهامات بأن محمداً يعبد الأوثان، وأن المسلمين الذين يحتلون الأرض المقدسة و(أورشليم) هم وثيون تجب محاربتهم وتخليص (كنيسة المهدي) من أيديهم. وفي ذروة الحروب الصليبية تمت أول ترجمة للقرآن عام ١١٤٣م تحت رعاية الكنيسة، وبتحريض من بطرس الراهب وترجمة الانجليزي روبرت أوف كيتون. ثم استمرت الترجمات إلى اللغات الغربية بشكل مشوه ومحرف حتى أنه كان يسمى بـ(قرآن محمد) أو (كتاب الأثر الك).

١٠- جهود النصارى المعتمدين بالكنيسة في التنوير

استمرت الكتابات اللاموضوعية عن الإسلام حتى عصر النهضة والتنوير الفكري في أوروبا. فقد وضع الكاتب الايطالي دانتي في (الكوميديا الإلهية) وضع النبي في الجحيم معتبراً الإسلام زندقة جعلت الظلام يخيم على العالم. وكتب الفيلسوف الفرنسي الشهير فولتير والذي يحترمه كثير من المثقفين العرب والمسلمين، مسرحية (محمد أو التعصب) انتقد فيه الكنيسة موجهاً خطاباً للرسول محمد (ص) واصفاً إياه بأوصاف نابية تتناقض مع كل القيم التي نادى بها حركة التنوير الأوروبية. فقد وصف الرسول (ص) بأنه (مثير فتن ودجال، يزعم مناجاة روح القدس، ويزعم أنه صاحب رسالة، ولكن كل سطر في رسالته يناقض العقل). وفي رسالته بعنوان (محمد) صور فولتير الرسول بأنه رجل سياسة تبرر الغاية عنده، وأن كتابه القرآن غامض وغير مفهوم ولا يمكن أن يدعي أي عظمة حقيقية.

وكان للهولنديين مساهمة كبيرة في الهجوم على الإسلام. فقد كتب (ماكس هافيلار) مهاجم الإسلام، وقام (داويس ديكر) بتحويلها إلى مسرحية تهزأ بالنبي وبتعاليم الإسلام. أما (هوغو دي خروت) فقد ألف رسالة بعنوان (رسالة عن حقيقة الدين المسيحي) في أمستردام ١٦٢٧ باللاتينية تضمنت مجموعة من المزاعم مثل: أن محمداً روض حمامة لتطير إلى أذنه كي توقظه إذا

ما جاءته نوبة الصرع. وأنه كان على اتصال دائم ببيير في الليل. وأنه اشتهر بسرقاته واغتصاباته وفواحشه، وأن القرآن يقول (أن الموت سيتحول إلى حل سيختار مكان إقامته بين السماء والأرض). وغير ذلك من الترهات.

وأدلى روجر ببيكون رائد المذهب التجريبي الشهير بدلوه في الإساءة للنبي حين زعم أن محمداً قال للعرب ذات يوم أنه يستطيع أن ينادي الجبل ليأتي إليه. فلما ناداه ولم يتحرك، قال لهم محمد: إذا كان الجبل لم يأت لمحمد فإن محمداً سيذهب إلى الجبل. وما زال هذا المثل منتشرًا في أوروبا، وموجود ضمن الأمثال الهولندية المتداولة.

وبالرغم من كل هذه الجهود العدائية لكن صدعت بعض الأصوات بالحقيقة وأزاحت الكذب والزيف، وأعدت للنبي (ص) مكانته وموقعه. قال الكاتب الانكليزي برنارد شو (لقد طبع رجال الكنيسة في القرون الوسطى دين الإسلام بطابع أسود حالك إما جهلاً أو تعصباً. ذلك أنهم كانوا في الحقيقة مسوقين بعامل بغض محمد ودينه. فعندهم أن محمداً كان دجالاً. ولقد درست سيرة محمد الرجل العجيب، وفي رأيي أنه بعيد جداً من أن يكون دجالاً، إنما ينبغي أن يدعى منقذ البشرية).

ولعل أول كاتب أوروبي ينظر بعين العدل إلى محمد والإسلام هو الهولندي أدريان ريلاند المولود في ألكمار عام ١٦٧٦ حيث نشر كتابه (الديانة المحمدية) في أوترخت باللاتينية عام ١٧٠٥ وبالهولندية عام ١٧١٧. وهو لاهوتي سكن في أوترخت ولديه إلمام واسع باللغات الشرقية كالعربية والعبرية والفارسية. اعتمد ريلاند على منهج جديد في الكتابة عن الإسلام. فقد رفض الاعتماد على الكتابات التي كتبها أعداء الإسلام لأنها بعيدة عن الواقع، كما أنها تعكس أفكار كاتبها وليس العقيدة الإسلامية. وتخلص بذلك من الأوهام والأكاذيب والافتراءات التي رافقت الكتابات الأوروبية عن الإسلام طوال ألف عام. باشر ريلاند بالاعتماد على مؤلفات المسلمين أنفسهم باعتبارها كتابات موثوق بها. وبذلك تخلص ريلاند من الأحكام المسبقة لأنه يجتج بكتب المسلمين أنفسهم. ففتح بذلك الأفق نحو دراسة المصادر الإسلامية واللغات التي كتبت بها وليس المترجمة في هذه الكنيسة أو ذلك المركز التبشيري أو تلك الجامعة المسيحية. لقد دعا ريلاند إلى دراسة الإسلام دراسة علمية بعيدة عن تأثيرات الأفكار المسيحية المعادية. لم تبد الكنيسة الكاثوليكية ارتياحها لكتاب ريلاند واعتبرته معادياً للكاثوليكية، وأنه ينطلق من منطلق مذهب كالفن البروتستانتي. لذلك قررت منع تداوله ووضعته ضمن قائمة الكتب الممنوعة عام ١٧٢٣.

في البداية لا بد من القول أن غالبية المستشرقين وخاصة في القرنين التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين كانوا معادين للإسلام عموماً، ويستخدمون أساليب متنوعة لتبرير رفضهم لنبوة الرسول، كما ساهموا في تشويه الحقائق التاريخية من خلال نظرياتهم وآرائهم المعادية للإسلام. ولا يزال بعضهم يحمل نفس هذه الأفكار العدائية حتى اليوم. وفي الجانب الآخر هناك مستشرقون منصفون إلى حد ما، قاموا بدراسة الإسلام عقيدة وتاريخاً وشخصيات دراسة علمية وموضوعية، فقدموا خدمات جليلة للإسلام والتراث الإسلامي عبر التحقيق والتأليف والعمل الدؤوب.

وقد بث كثير منهم سمومهم ومغالطاتهم عن الإسلام والرسول (ص). وحتى الذين ساروا على منهج ريلاند في الاعتماد على المصادر الإسلامية حادوا عن الموضوعية والإنصاف بسبب تفسيرهم الخاص للأحداث مثل وليم ميور المستشرق الاسكتلندي الذي كتب (حياة محمد من المصادر الأصلية) عام ١٨٦١. أو كتابات لامنس البلجيكي الذي يشكك كثيراً بروايات التاريخ الإسلامي وتحذيره من قبولها، لكنه يستسيغ قبول الروايات التي تتفق مع وجهة نظره وتفسيره لأحداث التاريخ الإسلامي. ويشاركه في ذلك المستشرق زويمر وهو في الأصل مبشر أقام طويلاً في لبنان. حتى أن المستشرقين في جامعة ليدن يحذرون من زويمر وآرائه غير الموضوعية وغير العلمية.

أما المستشرق الألماني كارل بروكلمان صاحب كتاب (تاريخ الأدب العربي) و (تاريخ الشعوب الإسلامية) فهو يرفض أن القرآن وحي، ويشكك في الأحكام الإسلامية مشيراً دائماً إلى أنها ذات أصول يهودية. وكل هذا الذي استعرضناه كان هو الذي يراه ويسمعه الغربي في المدرسة والكنيسة والكتاب والصحافة طوال قرون. فترسخت في نفسه وذهنيتها عداوة مقبنة للإسلام ولنبي الإسلام، فموقفه يعود إلى أسباب عقائدية وثقافية وتاريخية.

هل يضع المسلمون المقيمون في الغرب ويفقدون دينهم؟ سواء من خلال انغماسهم في المجتمع المادي الملحد وتضائل الوازع العقائدي عندهم، أو من خلال جهود المؤسسات التبشيرية التي ما تزال ترى في الوجود الإسلامي مادة خام صالحة للتبشير والتنصير. هذه التساؤلات مطروحة أمام الجاليات المسلمة كي تتخذ الأساليب والتدابير من أجل المحافظة على أبنائها من الضياع والتحلل. وأن تبذل قصارى جهدها في بناء المحاضن الإسلامية لأطفالهم وشبابهم وفتياتهم تفادياً لما لا يحمد عقباه.

فقد صرح الأسقف Ennio Antonelli المتحدث باسم مجمع أساقفة إيطاليا، بأنه على جميع الأساقفة والقساوسة واجب في منع الزيجات بين المسلمين والمسيحيين، مضيفاً بأن الكنيسة الكاثوليكية تدين هذه الزيجات ولا ترغب بها. الجدير بالذكر أن عدد المسلمين في إيطاليا هو ستمائة ألف أكثرهم من شمال أفريقيا وآسيا. وبلغت عدد الزيجات بين مهاجرين مسلمين وإيطاليات (١٢٠٠٠) في العام الماضي. وهو ضعف العدد قبل عشر سنوات. وانتقد الأسقف أنتونلي موقف الحكومة الإيطالية تجاه انتشار الإسلام في إيطاليا. وطالب المؤسسات المسيحية بوضع برامج لتنصير المسلمين هناك.

الأسقف الثاني - البرنارديني

تأتي صيحة مجمع الأساقفة الإيطالي هذه مكملة لموقف الفاتيكان القلق تجاه تزايد أعداد المسلمين في أوروبا. ففي تشرين الثاني الماضي وجه الأب جويسب برنارديني رسالة إلى مجمع الأساقفة الأوربيين طالب فيها البابا بعقد اجتماع خاص لبحث مشكلة الوجود الإسلامي في أوروبا، مدعياً أن هناك (مؤامرة) دبرها المسلمون لاختراق القارة والهيمنة عليها من خلال سيل المهاجرين. والأسقف برنارديني، الذي قضى ٤٢ عاماً في تركيا، من المتعصبين جداً ويعارض فكرة الحوار الإسلامي - المسيحي.

وادعى هذا الأسقف في رسالته أنه التقى زعيماً مسلماً يوماً ما فبادره قائلاً (شكراً لنظامكم الديمقراطي لأنه يمكننا من غزوكم. وشكراً لتسامحككم الديني لأنه يتيح لنا أن نهيمن عليكم). ثم عقب الأسقف قائلاً (إن ما نشاهده يدل دلالة قوية على أن الزعيم الإسلامي لم يكن يمزح، وإنه كان جاداً فيما قاله، لأن الاختراق والهيمنة الإسلاميتين بسبيلهما إلى التحقق بالفعل).

وأضاف الأسقف إن الدول العربية النفطية لا تستخدم عائدات نفطها في إيجاد فرص عمل جديدة بالدول الأخرى الفقيرة في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. وإنما تنفق تلك الأموال في إقامة المساجد والمراكز الثقافية في قلب الدول الأوروبية، بما في ذلك مدينة روما ذاتها التي هي مركز الكاثوليكية الرومانية. وهو ما اعتبره (مؤامرة) وتدبيراً محكماً من جانب المسلمين لتنفيذ برنامج موضوع لاختراق أوروبا والتمدد الإسلامي في أرجائها. وأضاف أنه بسبب استمرار هجرة المسلمين إلى إيطاليا مثلاً، فإن أعدادهم تضاعفت بشكل مؤرق خلال السنوات الأخيرة. ونتيجة لذلك أصبح الإسلام هو الديانة الثانية الأكثر انتشاراً في إيطاليا الآن بعد الكاثوليكية. وكانت اليهودية في السابق تمثل تلك المرتبة ولكنها تراجع تحت ضغط التوسع الإسلامي وبسببه.

وشكا الأسقف الإيطالي من انتشار المساجد في المدن الأوروبية ومنها إيطاليا، وأن هناك أعداد متزايدة من الإيطاليين يتحولون إلى الإسلام. وقال إن ذلك مما لا ينبغي السكوت عليه لأن ذلك هو الخطر بعينه الذي قد تدفع أوروبا ثمناً باهظاً له إن هي تجاهلته ودفنت رأسها في الرمال. وقال وهو يحرض المسيحيين: إن المسلمين لا يشاطرون المسيحيين رؤيتهم إزاء مسائل غاية في الأهمية مثل الديمقراطية وحقوق الإنسان، إضافة إلى ذلك فمصطلحات الحوار والعدل والتعددية لها مفهومها السليبي المغاير لدى المسلمين، الأمر الذي ينبغي أن ندركه جيداً لكي نعرف المصير الذي يمكن أن تنتهي إليه تلك القيم إذا قدر للمسلمين أن يهيمنوا في بلادنا يوماً ما! وأضاف: إنه إذا كان ضرورياً أن نفرق بالنسبة إلى المسلمين بين قلة متطرفة تؤمن بالعنف وبين أغلبية مسالمة ومعتدلة، فالموكد أن كل مسلم سوف يمثل وسوف يطبع ما يؤمر به، إذا ما تلقى تعليقات صدرت إليه باسم الله. وفي هذه الحالة سيتساوى المعتدلون مع المتطرفين، ولن يترددوا في تنفيذ ما يوجه إليهم.

هذه الصيحة تثير فينا عدة تساؤلات حول سلوكنا كمسلمين مقيمين في الغرب تجاه المجتمعات الغربية وخاصة فيما يتعلق باحترامنا قوانين هذه البلدان واحترام عقائد وقيم وتقاليده الشعوب الأوروبية، بشكل يعطي صورة إيجابية وحضارية عن الإسلام والمسلمين. وأن نبذل جهوداً أكثر من أجل الحصول على مكان في هذه المجتمعات، وبناء شخصية إسلامية تهتم بالبلد الذي تقيم فيه كما تتفاعل مع مشاكل المسلمين في بقاع العالم الأخرى، سواء داخل العالم الإسلامي أم خارجه. إن سلوك البعض منا يثير حفيظة الغربي وتخوفه. فمن غير المقبول أن تكون نسبة المسلمين مثلاً في هولندا ٣٥٪ في حين تبلغ نسبة السجناء خمسة مرات هذا الرقم. فهذا دليل على انحراف في التوجه يعود لأسباب عديدة منها تخلف التربية الإسلامية، ومنها سيطرة فكرة الكسب السريع

على أذهان الشباب المسلمين في أوروبا بدلاً عن العمل والدراسة والمثابرة في طلب الرزق مع كسب احترام المجتمع الغربي، الذي يعتبر العمل من أهم مقومات الشخصية، في حين يرفض البعض منا أي عمل لأن أجره يساوي ما يتقاضاه العاطل عن العمل. فبات المقياس ليس العمل بل مقدار الكسب الذي يحققه دون الإلتفات لاعتبارات المنزلة الاجتماعية والتأثير الاجتماعي على الآخرين وتطور نظرهم تجاه الإسلام والمسلمين.

وتثير التساؤل حول بعض المنظمات والمشايخ التي تطلق هتافات القتل والإرهاب في عقر الدار الأوربية، فيما تحظى بكل التسهيلات والإمكانيات التي يوفرها لها القانون الغربي. فينغمس البعض في ممارسة الحريات بشكل لا عقلاي ومخالف للقوانين وقناعات وتوجهات الشعوب الغربية مما جعلها تتحسس من مصير وجود الجاليات الإسلامية على أراضيها مستقبلاً، وهل ستشكل مصدر خطر عليها يوماً ما؟ وهل ستندم على ما قدمته من تسهيلات وقوانين إنسانية للمهاجرين؟ وهل ستتصاعد المشاعر العنصرية، بسبب أخطائنا، ضد المسلمين لتصل إلى الطرد أو التصفيات؟ لا ننسى أن السوابق الأوربية لتاريخ العلاقات مع المسلمين ليست خالية من لون الدم ووحشية محاكم التفتيش الأسبانية. لقد راح ضحية التعصب الأوربي في القرن الخامس عشر حوالي ثلاثة مليون مسلم بين قتيل ومطروود في أسبانيا وإيطاليا وجنوب فرنسا التي كان يقطنها مسلمون لقرون طويلة.

الهجرة.. تأسيس فقهي حوار في الفقه والثقافة الإسلامية

أخذ بعض الفقهاء المسلمين يبدون اهتماماً ملحوظاً بقضايا الأقليات المسلمة في الغرب. ويعود جزء من هذا الاهتمام إلى الوقع العملي الذي يعيشه المسلمون في المهجر. إذ أنهم طالما يحملون أسئلتهم واستفساراتهم إلى أولئك الفقهاء من أجل التوصل إلى إجابات فقهية وشرعية شافية تساهم في مواجهة المشكلات والتحديات التي يعانون منها في الغرب.

وهذا حوار أجراه المؤلف مع ساحة المرجع الديني السيد محمد حسين فضل الله، أجراه معه في دمشق عام ١٩٩٨. ونشر كفصل مستقل في كتاب (الهجرة والاغتراب). تناول الحوار قضايا وهموم إسلامية شتى كانت وما زالت مثار جدل وبحث وتعدد رؤى بين الفقهاء أنفسهم. كما لا زال أبناء الأقليات المسلمة في الغرب يتعرضون إليها يومياً. وقد أدرجنا هذا الحوار مساهمة في إثراء البحث الفقهي والحوار الثقافي الإسلامي بما يساهم في بث الوعي والثقافة الإسلاميين.

مفردات الحوار

- فقه الأقليات.
- الجنسية ومتعلقاتها.
- الإقامة في بلاد الغرب.
- الولاء للحاكم غير المسلم.
- الخضوع لقوانين الحكومات غير الإسلامية.
- الرجوع للقضاء غير الإسلامي.
- العمل في حكومة الحاكم غير المسلم.
- حدود العلاقة مع غير المسلم.
- أخلاقية التعامل مع المؤسسات الغربية.
- ارتفاع الجرائم بين المسلمين.
- العلاقات مع المؤسسات المسيحية.
- الإنتماء إلى الأحزاب السياسية.
- التبرع بالمعلومات للجهات غير الإسلامية.
- تقديم التنازلات عن المبادئ.
- الحوم حول الشبهات.
- التساهل في تعاطي المحرمات.
- مستوى الإنفتاح على غير المسلمين.
- العمل غير القانوني.
- مصافحة الرجل والمرأة.
- بدء غير المسلم بالسلام.
- المحاضن الإسلامية في الغرب.
- الجمعيات الإسلامية في الغرب.
- الطلاق في المحاكم الغربية والطلاق الصوري.
- مراقبة الغربيين لسلوك المسلمين.

فقه الأقليات

- فقه المهجر واحد من قضايا العصر، خاصة في ظل تزايد أعداد المهاجرين المسلمين إلى الشمال الأوربي الغربي، حيث تعيش اليوم أقليات مسلمة تتجاوز العشرة ملايين مسلماً في أوروبا الغربية. والملاحظ أن الفقه الشيعي في مناقشة قضية الأقليات المسلمة ما زال يحبو، بينما نجد تراثاً سنياً تاريخياً كبيراً في هذا الصدد، فما هي تصورات ساحتكم، لقواعد الفقه الشيعي للعيش في ظل الحاكم غير المسلم؟

• من خصائص الإسلام أنه يريد أن يعيش إسلامه في أي موقع من المواقع سواء كان إسلامياً يمثل مجتمعاً إسلامياً، أو حكومة إسلامية، أو كان المجتمع غير إسلامي أو حكومة غير إسلامية. فالإسلام لا يفرض الالتزام على التابعين له في ظل الدولة فقط، كما هي بعض الاتجاهات الفكرية والسياسية الماركسية التي لا تفرض على الماركسي أن يمارس ماركسيته في المجتمع الرأسمالي، بل يمكنه أن يكون رأسمالياً في المجتمع الرأسمالي على أساس ان النظرية الماركسية متكاملة فلا يمكن ان تتجزأ في موقع فردي هناك وموقع فردي هناك. بينما نجد أن الإسلام ينطلق من الإنسان باعتباره عبداً لله وخليفته في الأرض فيتجه الى تكوين عقله وقلبه وحياته في نفسه ومع الآخر.

وعلى ضوء هذا، فلا بد للمسلم أن يكون ملتزماً إسلامياً حتى في المجتمعات الكافرة، فيطبق على نفسه وأهله احكام الإسلام إلا في الاستثناءات الإسلامية، كما في حالة الإضطراب أو الضرر أو الحرج التي يرفع الإسلام فيها الحكم الشرعي الذي أضطر إليه أو الذي يستلزم الضرر والحرج بحجم الحالة الاستثنائية. ويريد الإسلام للإنسان المسلم ان يحترم تعاقدته مع الآخرين وعهوده معهم، فإذا انطلق إلى دولة معينة غير مسلمة ودخل معها في عقد ضمني او مصرح به بمقتضى سمة الدخول والإقامة وقانون اللجوء فأن عليه أن يحترم عقده وتعهدهاته بما لا يسئ ذلك إلى حكم إسلامي خاص، لأن الإسلام لا يجوز التعاقد أو الدخول في شرط أو عقد على أساس حرام، لأنه ورد عندنا: ((المؤمنون عند شروطهم إلا شرطاً أحل حراماً أو حرم حلالاً)).

وعلى ضوء هذا فإن المسلم معني بالوفاء بالتعاقد. كما أن رأينا - الذي ربما يختلف عن رأي بعض الفقهاء - هو أن مال كل إنسان محترم من قبل المسلم سواء كان مسلماً أو كافراً ما دام في حالة سلام مع المسلمين، بمعنى أنه لا يسئ إليهم ولا يفتنهم عن دينهم ولا يهجرهم من بلادهم. فإننا نرى أن مال غير المسلم وعرضه ونفسه محترم، ولا نرى أن الكفر بمجردة يسقط احترام الكفار، إلا إذا أعلن الحرب على المسلمين وحمل السيف ضدهم.

وعلى هذا فإننا نرى أن الإسلام يمنع المسلم من أن يسئ إلى النظام المالي أو الأهلي حتى ولو كان أهله كافرين، ولعل هذه هي الخطوط العامة من خلال الحكم الأولي.

أما من خلال الحكم الثانوي فإن المسلم لا بد أن يتعد عن الأشياء المباحة بالعنوان الأولي إذا كانت تؤدي إلى إعطاء نظرة سيئة عن الإسلام من الناحية الأخلاقية أو الحضارية، بعيداً عما إذا كانت النظرة السلبية منطلقة من ممارسة المسلم لإسلامه. فإننا نتكلم في المباحات التي قد يمارسها الإنسان المسلم في بلده فلا تثير أي شيء ضده، ولكنه إذا مارسها في مجتمع آخر يخضع لنظرة معينة للحياة فإن العنوان الثانوي يفرض عليه أن يتعد عن كل ما يسئ إلى صورة المسلمين مما يوجب هتك حرمتهم.

وقد لاحظنا أن بعض المراجع قد أفتى بحرمة بعض التقاليد العاشورائية التي يرى حلّيتها في نفسها في الغرب أو في غيره إذا كانت تؤدي إلى هتك حرمة المذهب أو حرمة الإسلام هذه هي صورة مجملة عن موقع الإنسان الذي يعيش في المجتمع الكافر.

- سماحة السيد: ألا ترون أن قولكم بالتبعيض يضّر في قوة بعض الفتاوى كما هو المشهور في الذهنية الشيعية من أن مال الكافر للمسلم حلال، وأنتم تحرمون ذلك، فقد يأخذ البعض بقول من يقول بالحلّة؟

• إنني في مثل هذه الأمر باعتبار ماها من الأهمية لا أجوز التبعيض أبداً.

الجنسية والجنسيات

- يرى بعض الفقهاء من أهل السنّة أنه من الجائز اكتساب الجنسية الغربية إلا إذا أدى ذلك إلى الحرام، وبصورة عامّة فإن هذه الجنسية تعني بالنسبة للكثيرين الحصول على أوراق قانونية كالجواز والإقامة الدائمة والضمان الاجتماعي، ولكن بعض هؤلاء الفقهاء يرى أنها ردة لأنها تعني الإنتهاء إلى الدين المسيحي والثقافة المسيحية، فما هو رأيكم في ذلك؟

• هذا الموضوع من المواضيع المتحركة التي لا يمكن أن تعطي رأياً فقهياً سلبياً أو إيجابياً، لأن مسألة أن يأخذ الإنسان جنسية دولة غير مسلمة أمرٌ ليس محرماً في ذاته، تماماً كما لو كان الإنسان المسلم يسكن في بلد غير إسلامي. وإذا عرفنا أن الدول التي تسمى بالإسلامية قد تضمن بعض القوانين المخالفة للإسلام، كما نلاحظ ذلك في مسألة تعدد الزوجات والزواج المدني وغيرها، فإن وجود قوانين غير إسلامية في هذه الدولة لا يغيّر شيئاً من حيث طبيعة تكليف الإنسان المسلم، ولكن معنى أن يأخذ الإنسان جنسية دولة معينة هو أن يتحدّر في هذه الدولة بحيث يجعل ذريته في المستقبل مواطنين لهذه الدولة بكل ما تحتزنه المواطنة من نتائج سلبية أو إيجابية.

لهذا فلا بد أن يدرس الإنسان الحاضر منفتحاً على المستقبل: فهل أن هذه الجنسية التي يأخذها تؤدي إلى ضلال أولاده وابتعادهم عن الإسلام في المستقبل؟ أو قد تؤدي إلى نتائج إيجابية إذا

كانت في هذا البلد أو ذاك محاضن إسلامية يمكن لها أن تنمّي الأولاد إسلامياً، حيث نستطيع أن نصنع من هذا البلد أو ذاك بلداً فيه مسؤولون عاملون، ويمكن أيضاً أن نستفيد من وجودنا في تلك البلاد بدعوة مواطنيه للإسلام، كمواطنين يتحدثون مع مواطني البلد الذي نسكن فيه، أو أن نخدم قضايانا السياسية من خلال وجودنا المنفتح على حقنا في أن يكون لنا موقف أو موقع في هذا الجانب أو ذاك.

- هل يعني سماحتكم المشاركة في الحياة السياسية؟

• أعني المشاركة السياسية والاجتماعية والثقافية والإعلامية وغيرها، فالمسألة تشتمل على إيجابيات وعلى سلبيات، ويختلف فيها بلد عن بلد، لأننا قد لا نستطيع في بعض البلدان أن نصل إلى نتائج كبرى من خلال الحواجز المنصوبة هناك. فقد نجد في (فرنسا) ما يقارب أربعة ملايين مسلم من الحائزين على الجنسية الفرنسية، وهذا ما جعل بعض المراقبين يتحدثون عن أن الإسلام هو الدين الثاني في فرنسا، ولكنهم لا يسمحون لهم بالحرية السياسية، أو أن المسلمين لا يستطيعون احتلال أي موقع سياسي. فلا بد من دراسة المسألة على المستوى الفردي والجماعي لنعطي فيها فتوى سلبية أو إيجابية حسب اختلاف الأفراد والمواقع.

- إن من يكتسب الجنسية الغربية يخضع للقوانين الخاصة بذلك البلد، كالخدمة العسكرية والإقامة وقانون الأحوال الشخصية، بينما لو بقي أجنبياً مقيماً فيمكن حينئذ تطبيق القانون الدولي الخاص المتمثل بقانون بلده فيما يخص الأمور المذكورة. وتطبق الآن بحق المتجنسين قوانين تشمل الزواج والطلاق والحضانة والنفقة والإرث وفق التشريع الغربي؟

• لا يجوز للإنسان المسلم أن يخضع لقانون غير إسلامي باختياره، لا سيما إذا كان لا يملك التخفف من هذا القانون من الناحية الواقعية، بحيث لو أن الدولة فرضت أن للذكر مثل حظ الأنثى أو بالعكس، وكان يمكن ان يتدبر الأمر في مستوى التطبيق باعتبار أن الإناث مسلمات فلا مشكلة. وأما إذا لم يتمكن من ذلك، فقد يكون تجنسه مشكلاً من هذا الناحية، إلا إذا كانت هناك مصالح إسلامية فوق ذلك.

- إن بإمكان أي شخص - حسب القانون الغربي - كتابة وصية يذكر فيها الحصاص والنسب التي يرغب في تقسيم تركته على ضوءها، ويمكن أن يذكر الحصاص وفق الشريعة الإسلامية، والدولة الغربية ملزمة قانونياً بتنفيذ وصية الميت مهما كانت؟

• إذا كان قادراً على أن يتخفف من هذه القوانين بأية وسيلة أخرى فإنه ملزم بذلك، وإنني أعتقد أن مثل هذه القضايا لا بد أن تدرس فقهيًا من جميع الجوانب، وأن يدرس حساب المصالح والمفاسد من خلال الحالة الفردية، ومن خلال الحالة الإنسانية العامة.

- بخصوص الإقامة في بلاد الغرب بدافع الظروف السياسية المخالفة أو الإقتصادية الصعبة في البلدان الإسلامية، هل تكفي هذه الأسباب للإقامة في دار الكفر؟

• لا بد لنا أن نلاحظ المسألة من حيث الإطار العام، ومن حيث الإطار الخاص.
أما من حيث الإطار العام، فإننا لا نمانع من أن تنطلق مجموعات إسلامية كبرى لتسكن هناك، لتحوّل تلك البلدان إلى مواقع إسلامية، بحيث تنشئ المساجد والنوادي والمراكز الإسلامية التي تحضن للمسلم إسلامه وتضمن لأطفاله نموهم الإسلامي السليم. وبهذا اللحظ نشجع ذلك لأنه يأتي بفائدة كبرى على المسلمين.

فنحن نجد أن اليهود استطاعوا السيطرة على المجتمع الغربي بكّله من خلال هجرتهم وإقامتهم هناك مع إبقاء يهوديتهم كعنصر أساس في تفكيرهم وسلوكهم. فنحن نعتقد ان مسألة الهجرة عندما تنطلق بتخطيط إسلامي، فإنها قد تحوّل مجتمعا كبيرا إلى مجتمع إسلامي.

أما بالنسبة الى الجانب الشخصي الذي لا يخضع لتخطيط وإنما يتصل بظروف الإنسان الشخصية، فإن الأصل هو أن لا يسافر الإنسان إلى بلاد الكفر التي يضعف فيها دينه تلقائياً، أو بفعل الظروف التي يعيشها عندما يفكر بالجانب المادي بعيداً عن الجانب الديني أو الأخلاقي، أو عندما يحاول السكنى في بلاد ليس فيها نشاط غسلامي. ففي هذه الحال يحرم عليه السفر والإقامة هناك لأنه يوجب ضعفاً في دينه، وأن مصطلح (الأعرابي) و (التعرّب بعد الهجرة) مما ينطبق على هذه الحالات التي يتعد فيها الإنسان المسلم عن المعرفة الإسلامية، وبالتالي عن الإلتزام الإسلامي. والله تعالى يقول: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) (التحریم: 6)، بحيث نستوحي منها أن حماية الإنسان لنفسه وحمايته لأهله من الضلال هو خط أساس في التربية الإسلامية والتوجيه الإسلامي.

التربية الإسلامية والتوجيه الإسلامي

- في (فقه الأقليات) هناك محاور عديدة، منها الولاء للحاكم غير المسلم، فما هو حكم الشرع في ذلك؟

• للولاء معنيان: الأول: هو التزامه بشرعية الولاء، والافتتاح عليه عاطفياً كإنسان يحادّ الله ورسوله بحيث لا تكون محادّته لله ورسوله عنصراً سلبياً لدى الإنسان المؤمن في نظره له. ولا شك ان هذه النظرة غير إسلامية، لأننا لا يجوز أن نعتقد بشرعية من لا يمتلك الشرعية حتى ولو كان مسلماً، ولا يجوز لنا أيضاً أن نعقد قلوبنا على المواذة على الإنسان الذي يحادّ الله ورسوله، بل لا

بد أن تكون عواطفنا منطلقة في علاقتنا بالآخرين من خلال موقفهم من الله ورسوله سلباً أو إيجاباً، ولعلنا نستطيع ان نستقرب ذلك من قوله تعالى (لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ) (المجادلة: ٢٢)، أو في قوله تعالى (لَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تُولَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (المتحنة: ٨ - ٩).

فمن هذه الناحية لا يمكن للإنسان المسلم أن يخلص للإنسان الكافر، الثاني: أن يتعايش معه، وأن يلتزم حركة الحكم بقدر ما يتعلق الأمر بالنظام العام فلا

مشكلة في ذلك، لأنه ليس للإنسان المسلم أن يسيء إلى النظام العام لأي مجتمع لا سيما إذا كان قد دخل في عقد مع الجهات المشرفة على هذا النظام. - هل يمكن القول أن كل حاكم غير مسلم هو حاكم ظالم، أو غير عادل؟

• إن كلمة الظلم ذات دائرتين:

فهناك الظلم العملي الذي يجعل الإنسان مصادراً لحرية الناس وحقوقهم وأمواهم. وهناك ظلم بمعنى سلب الحق الشرعي. فالإسلام يتحدث عن الظالمين بأنهم ظلموا أنفسهم بالكفر، فهو يعتبر الكفر موقف ظلم لله. ويعتبر أن كل إنسان يجلس في غير موقعه الشرعي هو ظالم، وبذلك فإن كل إنسان ليس بمسلم حاكم ظالم بلحاظ أنه ظالم للموقع الذي هو فيه باعتبار أن موقعه لا يمثل الشرعية ولكنه قد يكون عادلاً بلحاظ سيرته في الناس. وقد روي عن رسول الله (ص) أنه قال ((ولدت في زمن الحاكم العادل)) والمقصود به (كسرى أنوشروان) الذي كان معروفاً بعدله.

فعندما تطلق كلمة الحاكم الجائر فإنه يراد منها في - المصطلح الفقهي - هو الحاكم الذي غضب المنصب، سواء غضبه من خلال شخصه أو من خلال الدولة التي انطلق قانونها لتحديد الحاكم.

- لكن الحاكم الغربي اليوم هو نتاج للانتخابات التي يشارك فيها أبناء الشعب لاختياره؟

• عندما نتحدث عن الإسلام باعتباره أنه الدين الذي أراد الله البشرية أن تلتزمه حكماً، فمن الطبيعي أن يكون أي حكم - غير حكم الإسلام - حكماً غير شرعي، حتى لو فرضنا أن الناس انتخبوه، فمثلاً نجد في الدائرة الإسلامية ومن وجهة نظر الشيعة الإمامية، أن الشورى، بقطع النظر عن التحفظات على الخلفاء أو على من جاء من بعدهم، لم تعط شرعية للحكم، باعتبار أن الأمر تجاوز الشرعية الإسلامية كلها.

فلا بد من دراسة المسألة في أساس شرعية أو قاعدة الحكم، هل هو أصوات الأكثرية أيا كانت الأكثرية، أو أنه الأكثرية بمواصفات معينة، أو أنه بمواصفات معينة بقطع النظر عن حكم الأكثرية.

الخضوع لقوانين الحكومات غير الإسلامية:

- ثمة محور آخر، وهو الخضوع لقوانين الحكومات غير الإسلامية، فكيف يتعامل اللاجئ المسلم مع هذه القوانين؟

- ان القوانين على قسمين: فتارة تتنافى هذه القوانين مع حكم إسلامي واضح، بمعنى أن يعمل الإنسان على تنفيذ قوانين يحرم الإسلام الأعمال التي تتصل بها، وأخرى تكون من المباحات، فإذا كانت القوانين محرمة فلا يجوز للإنسان المسلم أن يطبقها إلا إذا كان ابتعاده عن تطبيقها يوجب ضرراً فوق العادة مما يسبب حرجاً بحيث تدخل في موضع الإضطرار.
- أما إذا كانت تلك القوانين داخلية في المباحة التي لا يحرمها الإسلام، فقد نرى ضرورة الإلتزام بها بمقتضى العقد الذي أبرمه الإنسان المسلم مع الدولة المضيفة.
- إن فتواكم في حرمة تجاوز القوانين ومخالفتها، تترك أثرها الإيجابي البليغ حتى على الغربيين الذين يعتبرون أن لدينا فهماً حضارياً للقانون لا كما هو سائد ومشاع.
- إن الإنسان المسلم لا بد أن يلتزم بالنظام العام في أي مجتمع يعيش فيه، أولاً: من الناحية العقدية (من العقد). وثانياً: من ناحية العنوان الثانوي بإعطاء الإسلام صورة حضارية قد تدفع الناس إلى الدخول في الإسلام.

الرجوع للقضاء غير الإسلامي

- ماذا عن الرجوع إلى القضاء غير الإسلامي في الفصل في المنازعات؟
- الأصل أن لا يجوز للإنسان المسلم أن يتقاضى لدى أي حاكم لا يحكم بحكم الله، ولكن إذا توقّف الحصول على حقوقه الشرعية بالتقاضي عند القاضي غير المسلم فيجوز ذلك. والواقع الموجود في الغرب الآن هو هذا، ولا سيما إذا كان التقاضي مع شخص غير مسلم، فإننا نستطيع هنا أن نطبّق قاعدة الإلزام ((ألزموهم بما ألزموا به أنفسهم)) بحيث لو حكم بغير ما يلتزم به المسلم مما يلتزم به الطرف الآخر، فإننا نستطيع أن نعامله على هذا الأساس.

العمل في حكومة غير المسلم

- بالنسبة للعمل في حكومة الحاكم غير المسلم، هل يجوز الفقهاء ذلك؟
- نحن نجزى العمل بقدر ما يتصل بالمصلحة الإسلامية العليا للمسلمين الموجودين هناك أو بالقضايا الإسلامية الكبرى، فليس هناك مانع من أن يتوظف المسلمون في دوائر الحكومات غير الإسلامية سواء في المجالات العلمية او الإدارية أو الصناعية والزراعية وغير ذلك، بما لا يسئ إلى الواقع الإسلامي العام في علاقة هذه الدولة بالمسلمين وبما لا يتعد عن الحكم الشرعي الشخصي الذي يتصل بالممارسات المحرمة.

- لو افترضنا أن العمل كان في سلك الأمن الداخلي (الشرطة) بحيث يمنع العامل في هذا السلك لاجئاً من الدخول إلى ذلك البلد فما هو الحكم في مثل هذه الحالة؟

• أن المسألة لا بد أن تدرس من خلال المصلحة النوعية، لأنه لا يجوز لإنسان أن يتوظف في وظيفة يشعر فيها أنه يظلم بعض الناس من خلال وظيفته حتى في حكومات المجتمعات الإسلامية، لكن إذا فرضنا أن المسلمين كانوا جالية كبرى وكان ابتعادهم عن الوظائف الأمنية والإدارية يسئ إلى قوة وجودهم، أو كانت مشاركتهم تفيدهم فائدة كبرى فلا مانع من ذلك من الناحية الشرعية. حتى أننا أفتينا لبعض الناس الذين يحملون جنسيات غربية أنهم إذا رأوا بأن من مصلحة الإسلام بلحاظ القضايا الإسلامية أن يصوتوا المرشح ضد مرشح آخر باعتبار أن هذا المرشح قد يدعم القضايا الإسلامية ويقف ضد الصهيونية وأعداء الإسلام، أو ربما يمكنه أن يرعى المسلمين أكثر من رعاية غيره لهم، فإننا نجيز المشاركة.

إننا نلخص ذلك بأن تكون هناك مصلحة إسلامية للجالية الإسلامية التي تقيم هناك، أو للقضايا الإسلامية الكبرى من خلال العلاقة الانتخابية لهذا أو ذاك، أو من خلال سيطرة المسلمين على مفاصل ذلك المجتمع بالمستوى الذي يستطيعون فيه ان يتركوا تأثيرات إيجابية لمصلحة المسلمين على القرارات المتخذة، كما يفعل اليهود في أوروبا وأمريكا وغيرهما.

إننا نؤكد على المسلمين أن يعملوا على ان تكون لهم المواقع المتقدمة إذا كان وجودهم فيها موجباً لنصرة القضايا الإسلامية، أو لإبعاد الضرر عنها، أو لتقوية شوكة المسلمين الموجودين هناك.

- هل المسألة هي ذاتها بالنسبة للجيش الذي يعمل في ظل الدولة الغربية خاصة وأن البعض منهم يشاركون في قوات حفظ السلام؟

• الأصل هو أن لا يجوز ذلك إلا فيما يترتب عليه مصلحة إسلامية أكثر أهمية من الإنتهاء إلى جيش قد يظلم الشعوب، أو يتعرض للإسلام باذى.

- هل لا بد في ذلك من إذن خاص؟

• لا بد في ذلك من الرجوع إلى أهل الخبرة في المصالح الإسلامية العامة.

حدود العلاقة مع غير المسلم

- بالنسبة للإنسان غير المسلم، ألا ترون أن ما يطبق عليه هو (قاعدة الإلزام) ((الزموهم بما ألزموا به انفسهم))؟

• إن قاعدة الإلزام تعني إجراء الأحكام التي ليست مقررة في ديننا فنأخذ منهم ما يرون أن لنا حقاً فيه، ولا تنطلق (قاعدة الإلزام) من التشريع في كل واقعههم، بل تمثل علاقتك مع

الآخرين الذين يختلفون عنك مذهباً أو ديناً، ولذلك كما ورد في الحديث:

((جائز على أهل كل دين ما يدينون به)).

فمثلاً، نحن نعتبر أن الزواج عند النصارى واليهود وحتى عند العلمانيين زواج شرعي، حتى لو اختلف في تفاصيله عن أصول الزواج عندنا. فنحن نرى انه لا يجوز للإنسان المسلم أن يتزوج امرأة متزوجة نصرانية كانت أو يهودية او علمانية، إذا كانت تدين بالنصرانية أو اليهودية أو العلمانية كمنهج في الفكر والحياة.

- في مسألة التعايش مع الآخر غير المسلم، نرى أن الكثير من هذه الدول المضيفة تتعاون وربما تتواطئ مع العدو الصهيوني، فكيف لنا أن نتعامل مع هذه الدول؟

• نحن نحارب الذين يحاربوننا، ونسلم من يسالموننا، وهذا ما نقرأه في كتاب الله تعالى (لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) (المتحنة: ٨). إنها تؤكد على أن نبرهم ونقسط اليهم بأن نعطيهم حقوقهم ولا نعتدي عليها سواء كانت حقوقاً قانونية أو إنسانية. فلسنا في موقع المحاربة. وربما كانت هناك ظروف في بداية الدعوة فرضت أن ينتشر الإسلام في العالم، وأن يفتحمه على أساس الدعوة الى الله، فإذا وقف أحد أمامه دافع عن حريته، ونحن لا نوافق الذين يقولون إن الإسلام انطلق من أجل أن يفرض نفسه كدين على الآخرين.

نعم ربما أراد - في بعض المراحل - ان يفرض سلطة الإسلام تماماً كما هو الواقع الفعلي الذي نرى فيه أن كل الدول في العالم تعمل على فرض نفوذها إما بطرق سلمية أو غير سلمية. لكننا نرى في الواقع المعاصر الذي لم تعد فيه مسألة العنف واردة موضوعياً، بحسب الظروف الحالية في الدعوة إلى الإسلام، أن السلم أصبح أقوى من العنف في إدخال الآخرين في الإسلام وحرته في العالم، لذلك نريد أن نكون أصدقاء للعالم، وهذا ما نستوحيه من قوله سبحانه وتعالى (وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) (فصلت: ٣٤).

فنحن نفهم من هذا أن الإسلام يوجه المسلمين إلى أن يحولوا أعداءهم إلى أصدقاء مع عدم الإنحراف عن خط الإسلام. وهكذا عندما نقرأ قوله تعالى (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) (آل عمران: ٦٤). فالقرآن يركّز على الكلمة السواء، ولا خصوصية لأهل الكتاب في ذلك، بل يمكن لنا أن نوسعها إلى كل فريق في العالم نلتقي معه في موقع سياسي أو ثقافي أو اجتماعي.

فنحن نريد بأن نكون مع العالم من خلال التعامل في خط الانفتاح والإنطلاق، والتعاون لا التباعد والتباغض. أما مسألة الموادة والموالة فإنها تتصل بعلاقة الموقف بالعقيدة ويمدى قيمتها في نفس الإنسان. إن هناك جانباً مهماً في التربية الإسلامية، وهو أن يبقى الحاجز العقيدي بينك وبين الآخر لكي تحافظ على سلامة العقيدة وصفاتها في نفسك دون أن يسع ذلك إلى علاقتك التعايشية مع الآخر. ويمكن القول إن الكثيرين في العالم يعيشون هذا الجو، بل إنه أمر فطري أن تشعر بحاجز بينك وبين أي إنسان تختلف معه حتى في القضايا السياسية والاجتماعية.

والإسلام يعطي للعلاقة الإنسانية بعدين: الأول: هو البعد القيمي في القيمة الاجتماعية بعيداً عن الحالة النفسية، والبعد الثاني: وهو البعد الواقعي في التعامل مع الآخر.

فنحن نرى أن الله تعالى عندما يتحدّث عن تعدد الزوجات، فإنه يقول (وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدُلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً) (النساء: ١٢٩). فالخطاب للزوج وهو وهو أن لا مانع أن لا يكون قلبه كيفما يكون في محبته لهذه أكثر من تلك، ولكن عليه أن لا يجعل قلبه يميل إلى واحدة دون الأخرى بيتعد عن أداء حقوقها الزوجية فتكون كالمعلقة لا متزوجة ولا مطلقة.

وربما نستوحي من هذا أن علينا أن نعيش مع الآخرين من خلال القيم الإسلامية العامة التي عبر عنها القرآن بقوله تعالى (وقولوا للناس حسناً) (البقرة: ٨٣)، والإمام الصادق (ع) بقوله ((كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم ليروا منكم الصدق والخير والورع فإن ذلك داعية)). كما نستفيد من خلال ذلك أن على حالتك النفسية المطلقة من استغراقك في عقيدتك وأفكارك، أن لا تسع في تعاملك مع الآخر في نطاق القيم الإنسانية العامة التي أراد لك الإسلام أن تعيشها ضمن النظام الأخلاقي الذي يحكم علاقتك بالآخرين.

أخلاقية التعامل مع المؤسسات الغربية

- ينظر البعض للمؤسسات الغربية على اعتبارها فريسة أو غنيمة يجب أن يكسب منها أقصى ما يستطيع ولو بأساليب غير شريفة كالتحايل والتزوير والكذب. ويرى البعض حليّة سرقة أموال الكافرين بناءً على فتاوى معينة. فكيف يمكن أن نرسم صورة مشرقة لعلاقة المسلم المهاجر بالمؤسسات التي تمنحه الثقة والإحترام وتصدّق بأقواله، فإذا ما ثبت العكس انعكس الموضوع على كل المسلمين وليس على المسلم المخالف فقط؟

- من خلال دراستنا للأخلاق الإسلامية فإننا نجد أنها لا تتجزأ، فليس هناك صدق مع المسلم وصدق مع الكافر، بحيث يكون الكذب مع الكافر جائزاً والصدق مع المسلم واجباً، لأن المسألة لا تتصل بالآخر وإنما تتصل بالشخص نفسه.

وهكذا الحال بالنسبة للأمانة فقد ورد عندنا في الحديث ((أدوا الأمانة إلى من ائتمنكم عليها ولو إلى قاتل ولد الأنبياء)). وقد ورد عن الإمام زين العابدين علي بن الحسين (ع) ((لو ائتمنتني ضارب علي بالسيف على السيف الذي ضرب به علياً وقبلت أمانته لأدبت له أمانته)). وقد ورد ((لا دين لمن لا أمانة له وإن صام وصلى)). لذلك فإن الأخلاق الإسلامية تمثل القيم الإسلامية التي تنطلق من خلال الإنسان المسلم سواء الأخلاق التي تتصل بحالته

الشخصية أو بعلاقته مع الآخر لأن الإسلام يريد للإنسان المسلم أن يحترم الآخر إلا في حالات الحرب فإن لها اعتباراً أخلاقياً معيناً لدى كل الأديان والحضارات، لأن الإنسان يبقى إنساناً في علاقته مع واحترامك له إلا إذا اضطهد إنسانيتك (فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ أَنْ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) (البقرة: ١٩٤). لذلك فإننا نرفض أي عمل غير أخلاقي بالنسبة إلى غير المسلمين المسلمين إنطلاقاً من قوله تعالى (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرؤهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين) (الممتحنة: ٨). والقسط هو أن تعطي لكل ذي حق حقه، وعلى هذا الأساس فإنه ليس لك أن تغمط حقه بأن تنكر عليه حقه عندك، أو أنك تتعامل معه بما لا حق لك بالتعامل معه بأن تأكل ماله، أو أن تنقض العهد بينك وبينه، أو تضره أو تؤذيه بأية حالة من الحالات.

إننا نفهم من القرآن الكريم في مسألة المسألة أن كل من سالك فإن عليك أن تسالنه، وهذا ما نستدل به من أكثر من آية (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم) (الأنفال: ٦١). وفي الأموال ندد الله سبحانه وتعالى بأهل الكتاب من اليهود في قوله تعالى (ومن أهل الكتاب من إن تأمنه يقنطار يوذه إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يوذه إليك إلا ما دمت عليه قائماً ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل) (آل عمران: ٧٥). فالقرآن ندد عليهم بهذه المقولة وهي أنه لا سبيل ولا مسؤولية عليهم بالنسبة لكل من هو غير يهودي، فإذا كان المسلم يجترن هذه المقولة في نفسه بالنسبة لغير المسلمين كان كاليهودي محل تنديد الله تعالى بحسب استحياء الآية.

لذلك نقول للمسلمين جميعاً، أن عليهم أن يحترموا أموال الناس ودماءهم وأعراضهم وكل ما يتعلق بهم إنطلاقاً من تكليفهم الشرعي الذي يحرم عليه الإخلال بذلك، من خلال ما يجب عليهم من إظهار الإسلام بالصورة المشرقة أمام الآخرين بالممارسة والسلوك. وقد لاحظنا أن الإمام جعفر الصادق (ع) كان يوصي شيعته بالنسبة إلى المسلمين من غير الشيعة بقوله ((عودوا مرضاهم وشيعوا جنائزهم وصلوا جماعتهم حتى يقولوا رحم الله جعفر بن محمد فلقد آدب أصحابه، كونوا زيناً لنا ولا تكونوا شيناً علينا)).

إن هذا العنوان وهو أن يكون الإنسان زيناً للجهة المقدسة التي ينتمي إليها أمر مفروغ أسلامياً سواء في الدائرة الدينية التي ينتمي إليها أو بالنسبة إلى أتباع الدين الآخر، حتى إننا لاحظنا أن العلماء الذي يفتون بعدم احترام أموال الآخرين من غير المسلمين كانوا لا يرحصون في المجتمعات الغربية لمقلديهم القيام بأعمال سلبية تجاه أموال الناس أو أعراضهم باعتبار أن ذلك يؤدي إلى هتك حرمة المسلمين وهتك حرمة الإسلام نفسه.

فإذا كان هناك بعض الناس ممن يتعلم فتاوى بعض المراجع والعلماء فإننا نعرف من هؤلاء أنهم حرّموا ذلك بالعنوان الثانوي بلحاظ أنه يوجب الهتك من الناحية النوعية. وإذا كان بعضهم يقول: أنا أسرق ولا أحد يعرف بسرقتي أو أنني أتحايل على عقود التأمين من دون اطلاع الآخرين، فإننا نقول له إن المسألة تتعلق بالجانب النوعي، أي أن يؤدي العمل بحسب طبيعته إلى هذا، لا من الجانب الشخصي. ومن الطبيعي فإن كل شخص يقول إن عملي لا يؤدي إلى هذه النتائج، وعندها تقع الكارثة.

ارتفاع الجرائم بين المسلمين

- يلاحظ ارتفاع معدلات الجرائم بين المسلمين المهاجرين، ففي (هولندا) مثلاً تبلغ نسبة السجناء المسلمين من كل الجنسيات حوالي الثلث، بينما لا تتجاوز نسبة المسلمين في هولندا ٣.٥٪، والإعلام يستغل هذه الأخطاء والجرائم التي يرتكبها المسلمون ويضخمها من أجل تشويه سمعة الإسلام، فكيف يمكن ان نحدّ من هذا التوجه السلبي؟

• إن هؤلاء الناس قد يكونون خاضعين لبعض نقاط الضعف الأخلاقية الاجتماعية أو الشخصية التي تدفعهم إلى ذلك، فمنهم من ينطلق في الجريمة من خلال بعض الفتاوى التي تبرّر لهم السرقة أو الاعتداء على أعراض الآخرين، أو تبرّر له التحايل على العقود التي يعقدها مع الآخرين، فيبتعد عنها أو استغلال بعض القوانين التي قد تتسامح مع الناس من خلال ثقفتهم به، كما في الأمور المتصلة بالديون والشركات وما إلى ذلك بحيث يستسهلون الجريمة ويتصورون أنهم بمنأى عن المحاسبة، وربما ينطلق بعض الناس من عدم التدنّين، فربما كان مجرماً في بلده ورأى أن ساحة الجريمة هنا أوسع.

إن المسألة تحتاج إلى عملية توعية إسلامية أخلاقية من جهة، وإلى عملية توعية اجتماعية وسياسية من جهة أخرى وذلك بتحرير المسلمين من النتائج التي ربما تؤدي إلى فقدانهم للرعاية الاجتماعية التي حصلوا عليها من هذا البلد أو ذاك، وفقدانهم لاحترام الناس من حولهم بحيث لو خرجوا من السجن فإنهم يعيشون في المجتمع تحت تأثير الحذر الذي يواجههم به الناس بحيث يكونون شخصيات شبه منبوذة وقلقة في واقع المجتمع.

إن علينا أن نستخدم كل وسائل التوعية من أجل تحرير هؤلاء على أساس إيمانهم من جهة، وإنسانيته من جهة، ولا بد أن يتصافر الجميع في ذلك سواء في الحقل الوعظي أو الاجتماعي.

العلاقات مع المؤسسات المسيحية

- هناك مشاريع تقام للتقارب أو الانفتاح بين الديانات وقد نتاح لنا الفرصة في الحوارات واللقاءات لتوضيح قضايا الإسلام وأحكامه أو دحض الشبهات تجاه الوحي والرسول (ص).

فهل نحدد الأشخاص والمواضيع المطروحة أم نترك المسألة مفتوحة لئلا نستدرج؟

• في تصوّري أن المبدأ هو أن نستجيب لدعوتهم، إذا كانت الساحة خاضعة للأجواء الحوارية الفكرية والإنسانية التي يمكن للإنسان من خلالها أن يوضح فكرة أو يدافع عن فكرة أو يحلّ مشكلة أو يقرب فهمها، أو يوجد نوعاً من أنواع التقارب النفسي الذي قد يساعد في المستقبل على إجتذاب هذا الإنسان للإسلام ولو بالنسبة التي يكون فيها مسالماً إذا لم يصل إلى حد الإيمان.

وإنني أجد أن الإنسان الغربي يمتلك ذهنية موضوعية يواجه فيها الأمور بعقلانية وموضوعية في الحالات الطبيعية، إذا لم تكن هناك بعض الأجواء التي يمكن أن تعكّر صفو النفس سواء من خلال الإثارات السياسية أو المحلية التي تخلق تعيدات للإنسان لاسيما أمام الحملة الإعلامية الشرسة ضد الإسلام.

فأعتقد أن علينا أن نتطوّل في الحوار في الساحات الحوارية الفكرية مع المسيحيين واليهود والبوذيين والملحدين، كما أن علينا أن نتطوّل في عملية تبشيرية تبليغية بالنسبة للناس الذين نعيش معهم من أجل اجتذابهم إلى الإسلام فكراً وقيمة وخلقاً وسلوكاً لإدخالهم في الإسلام، لأنني أتصور أنه ليس من الصعب على الإنسان الذي يملك ثقافة إسلامية واسعة ووعياً للواقع الذي يعيش فيه هناك أن يدخل الآخرين في الإسلام لأن الإسلام أكثر عقلانية من الأديان الأخرى وأكثر واقعية منها بجسب ما يقدمه من دلائل ومفاهيم.

فالأصل أن يستجيب الإنسان لكل دعوة إلى الحوار ولكل فرصة للدعوة إلى الله، ولكن بشرط أن يكون هذا الإنسان قادراً على أن يدير الحوار بكفاءة ثقافية عالية، لأنه إذا لم يتمتع بهذه الكفاءة فسوف يسعى للإسلام من خلال جهله وتخلّفه وفهمه السيئ للإسلام بما يقدمه من سلبيات.

ومن الطبيعي فإن هذا إنما هو في الأجواء الملائمة، أما إذا كانت الدعوة للحوار تنطلق من لعبة سياسية معينة بحيث يمكن أن تخلق مأزقاً للمسلمين كما نلاحظه في الدعوة للحوار اليهودي الإسلامي لأنه قد يجتزئ في داخله انفتاحاً على الكيان الصهيوني، باعتبار أن الواقع اليهودي في

أوروبا هو واقع الارتباط بهذا الكيان وبكل ما يمثله. فربما تكون بعض الدعوات للحوار بين الديانات الثلاث مشبوهة، فلا بد للإنسان من التدقيق في ذلك، فنحن لانمانع من الحوار مع اليهود كيهود من الناجية الدينية، ولكن نخشى أن تختفي وراء هذه الدعوة بعض الخطوط السياسية التي تريد للمسلمين أن يطبعوا علاقاتهم مع اليهود الإسرائيليين أو مع الكيان الصهيوني بالذات.

- تنطلق الدعوة إلى الحوار أحياناً من وجود صورة مشوهة عن الإسلام في أذهان المسيحيين، فيتاح اللقاء بمجتمع مسيحي للحديث عن الصورة الصحيحة.

• إننا نعني بوجود الحوار وتلبية الدعوة إلى الحوار سواء من قبل علماء الدين أو المثقفين، فهذا هو لون من ألوان الدعوة للإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن.

- ماذا لو طلب العكس منا، أي أن المسيحيين أرادوا في مقابل إتاحتهم الفرصة لنا للحديث مع المسيحيين، أي أن نهم الفرصة للحديث مع المسلمين، فما هو العمل؟

• إذا كانت الظروف الموضوعية تفرض ذلك، وكان هناك في المجتمع المسلم أشخاص يستطيعون أن ينبهوا إلى ما يمكن أن يترك تأثيره السلبي على عقائد المسلمين، فلا مانع من ذلك.

- تنتشر بعض المؤسسات المسيحية التبشيرية كـ(شهود يهوه) بين اللاجئيين المسلمين، ونلاحظ أن بعض البسطاء يقومون فريسة سهلة في شباك هذه المؤسسات، وقد يكون ذلك بدافع الفضول أحياناً؟

• إن الملاحظ أن الكاثوليك يجاربون هذه المنظمة بنفس القوة التي يجارباها المسلمون، لأن هناك الكثير الشبهات التي تطوف حول نشاط هؤلاء من خلال الخلفيات التي تنطلق من منطلقات صهيونية. ولذلك فنحن نحذر المسلمين من الخضوع لتأثير هؤلاء، ونعتقد بأن

علينا جميعاً أن نمنهم من الدخول إلى مجتمعاتنا بكل الوسائل المتاحة.

- يعتقد البعض أن بإمكاننا أن نردّ على هؤلاء؟

• إن معلوماتنا تفيد أنهم يميعون الخطوط العامة بحيث قد يشعر المسلم معهم أنهم يتحدثون عن الإسلام.

- وقد يأتون ببعض الكتيبات التي تتحدث عن الإسلام والمسيحية، وكما تفضّلتم فإن بعض البلدان المسيحية تحذر من هؤلاء.

• إننا نتصور أنه عندما تكون المسألة بهذا المستوى من الشك فلا بد أن يكون هناك مستوى كبير من الحذر.

- هل تفتون بعدم التعامل معهم نهائياً؟

• نعم، فلا يجوز ذلك لأن فيه إضراراً للمسلمين وإبعاداً لهم عن تصور الخط الإسلامي الأصيل باللعب على بعض الكلمات والأجواء.

الإنتهاء إلى الأحزاب السياسية الغربية

- قلت في بعض أحاديثكم أنه يجوز للمسلم في الغرب الإنتهاء للحزب السياسي الغربي، واشترطتم أن يكون متممياً لحركة إسلامية ترسم برنامجاً وتخطط له، فهل هذا الشرط واجب أم أنه من باب النصيحة أو الأفضلية؟

• إنه شرط واجب في الخط العام، لسبب بسيط وهو أن الإنسان عندما يكون فرداً ويدخل في حزب غير إسلامي فإنه سوف يذوب مع هذا الجوفياً أخذه التيار، بينما لا يجوز له من الناحية الشرعية الأولية أن ينتمي إلى أي حزب غير إسلامي وإلى أي تجمع غير إسلامي لاسيما إذا كان هذا الحزب أو التجمع يحمل بعض الخطوط السياسية التي قد تتحول إلى خطوط سلبية ضد الإسلام إذا كان خاضعاً لإتحاد محوري دولي معين قد يصطدم مع المسلمين في بعض المواقع وبلحاظ بعض الأمور.

لكنه إذا كان متممياً إلى حركة إسلامية تخطط له وترعاه وتراقب وجوده ومسيرته هنا وهناك، فإن وجوده في هذا التجمع أو هذا الحزب سوف يكون خاضعاً للتخطيط الذي تخطط له الحركة الإسلامية مما يجعله إيجابياً للمصلحة الإسلامية بدلاً من أن يكون سلبياً تجاه هذه الأحزاب.

- نحن نعلم أن الأحزاب السياسية هي الوسيلة الوحيدة للوصول إلى البرلمان في الدول الغربية وهناك بعض النواب المسلمين في بعض هذه البرلمانات. ونحن نعلم أيضاً تأثير النواب على صناعة القرار وخاصة القرارات التي تتعلق بقضايا المسلمين ومشاكلهم أو بالعالم الإسلامي كالمساعدات وغيرها، فكيف يمكن التخطيط لإيصال عدد من النواب المسلمين للبرلمانات الغربية من أجل تشكيل (لوبي) أو ورقة ضغط إسلامية كما لدى التجمعات الأخرى؟

• لا يمكن لنا أن نتحدث عن تفاصيل ذلك، لأن المسألة تختلف بين بلد وآخر، وبين ظرف وآخر حتى إن المسلمين الذين يراد إدخالهم في هذا الحزب أو هذا التجمع قد يختلفون أيضاً بين فريق وآخر، لهذا لا بد أن يكون هناك أشخاص من أهل الخبرة في السياسة الإسلامية وفي السياسة الدولية وفي السياسة المحلية للتخطيط في كيفية دخول المسلمين في هذا الحزب أو ذلك بحيث يشكلون (لوبياً) حزبياً في الإطار التنظيمي ليكون (لوبياً) إسلامياً في المضمار السياسي العام.

إن القضية المذكورة تحتاج إلى دراسة ميدانية إلى جانب دراسة سياسية وحركية في هذا المجال. ولكننا نؤكد ضرورة وجود (لوبي) إسلامي في أي موقع من مواقع الغرب حتى نستطيع من خلال ذلك تأييد ودعم قضايانا الإسلامية ووجودنا الإسلامي هناك من خلال هذا التأثير السياسي على الواقع.

- وفي نفس السياق يطرح بعض الأخوة اللاجئيين مقترحات وتصورات لاستثمار الكثافة العددية للجالية المهاجرة أو المغتربة بحيث يمكن أن تشكل قوة ضاغطة في البلد التي تقيم فيه لحماية نفسها من الأخطار المحيطة بها، ومن أجل تغيير الموقف من النظام الذي تسبب في هجرتها وما إلى ذلك.

• قد تكون الكثافة عنصراً إيجابياً بشرطين، الشرط الأول: هو أن تكون هذه الكثرة مؤمنة ملتزمة واعية بحيث تعيش همّ الإسلام في خط التقوى فيما يتصل في كل واحد من المجموع وبما يتحمل مسؤوليته من أولاده. والشرط الثاني: أن يكون هناك عنصر توجيهي مباشر أو غير مباشر بحيث يملك هذا العنصر غير المباشر موقفاً معيناً يستطيع فيه أن يحرك خطوط التوجيه والرعاية بشكل عام لكن المشكلة التي نعيشها الآن في أكثر التجمعات المهاجرة أن الخلافات التي تأكل الروح التي يتمثلها هؤلاء في معنى الإسلام وفي خط التقوى بحيث أن هذه الكثافة تتحول إلى مشكلة لهؤلاء لأنها تستعيد كل الحساسيات والمشاكل الفئوية الضيقة التي يتحرك فيها هذا الفريق أو ذلك الفريق بعقلية الزاوية لا بعقلية المهاجرين هذا بالإضافة إلى فقدان الموجه المباشر لأننا إذا وجدنا شخصاً موجهاً مباشراً فهناك أكثر من موجه آخر بعقلية أخرى بحيث يكون كل جهده وجهه كل من يتصل به هو أن يخرب المخططات التي ينطلق فيها هذا الشخص الواعي المنفتح. كما أن التعليقات المعقدة التي تأتي من خارج مناطق التهجير في الوطن أو غير الوطن، ولا أتكلم عن العراقيين بل عن كل الفئات المهاجرة بحيث تتعقد العلاقات فيما بينهم، وتلزم هذا بأن تكليفه الشرعي يفرض عليهم أن يقاطع ذلك أو أن تنظيماً هنا يفرض عليك أن لا تفتتح على ذلك أو ما أشبه ذلك.

لهذا فأنتي أتصور أن الكثافة تحولت إلى مشكلة للجميع حتى أننا إذا رأينا فئة واعية منفتحة تعيش تجمعها الصغير في هذه الكثافة الكبيرة فإنها قد تشغل نفسها في المشاكل التي تواجهها من الفريق الآخر بحيث تكون المسألة فعل ورد فعل. لذلك لا بد لنا أن نفكر بطريقة تجعل هذا المجتمع يعيش حالة طوارئ بالنسبة إلى مسؤوليته الإيمانية عن الجيل الحاضر وعن الجيل المستقبلي بحيث ينشغلون بإنشاء مدارس أو مراكز إسلامية أو ما إلى ذلك. ولا بد لنا أن نعالج الأمور هناك بطريقة أكثر حسماً وأكثر حميمية من الطريقة التي تعالج بها الأمور في الوطن، وعندما ندرس واقع التمزقات الاجتماعية والسياسية والدينية إذا صح التعبير الموجود في الساحة فإنها قد تتحول إلى كثافة سلبية وهذا ما نلاحظه في أغلب التجمعات المهاجرة من أكثر من بلد.

- نحن نحتاج أيضاً إلى صياغة ثقافة إسلامية سياسية واعية بالنسبة للجماهير المهاجرة بحيث تتبنى هذه الفكرة وتتعاطى معها؟

• إن على الخطوط الإسلامية الحركية الموجودة هناك سواء كانت حزبية أو علمانية أو ثقافية، أن تثقف المسلمين بالثقافة الإسلامية الواقعية، لأن المشكلة لدى الكثير من الخطوط الثقافية الإسلامية، أنها تتحدث عن المطلق، وأنها تتصل في الحديث عن القيم بالجانب التجريدي بعيداً عن الجانب الواقعي.

إن علينا أن نزرع في وعي المسلمين مفهوم أن هناك شيئاً اسمه (باب التزاحم بين المصالح والمفاسد) وإن علينا أن نعمل أن يكون الإسلام قوة في أي موقع يمكن له أن يأخذ هذه القوة، وأن علينا أن نعمل أن يكون المسلمون في موقع القوة سواء في محل تواجدهم، أو في الدفاع عن قضاياهم. فعندما تثقف المسلمين بالثقافة الواقعية التي تجعلهم يشعرون أن على الإنسان أن يتجاوز بعض القيم لمصلحة القيم الأهم، فنحن نعرف أنه ما من عام الا وقد خصص، وأن كل الأخلاق الإسلامية تشتمل على استثناءات يجوز للإنسان فيها أن يتجاوز الخط الأخلاقي الإسلامي باعتبار الأهمية التي يمثلها الجانب الإيجابي في هذا الخط أمام الخط الآخر.

التبرع بالمعلومات للجهات غير الإسلامية

- هناك من اللاجئتين من يعطي معلومات تفصيلية عن الوجودات الإسلامية في بلده، فهل يجوز ذلك؟

• لا يجوز إعطاء أية جهة غير إسلامية، سواء كانت معادية أو مغايرة، أسرار الواقع الإسلامي سواء كانت هذه الأسرار تتصل بأحزاب إسلامية أو جمعيات إسلامية أو مجتمعات إسلامية، لأن الآخرين عادة، لاسيما المخابرات الدولية تحاول أن تفيد من خلال ذلك باكتشاف نقاط الضعف لدى هذه العنواين الإسلامية من أجل توظيفها لمآرب سياسية أو اقتصادية أو أمنية أو غيرها.

فإذا اضطر الإنسان المسلم إلى إعطاء المعلومات فلتكن معلومات عامة، أو عليه أن يكذب، إذ يجب عليه أن يكذب في هذه الحالة إذا كان في الكذب منجاة له عن فضح الأسرار التي يملكها، فالصدق في مثل هذه الحالات حرام والكذب واجب.

تقديم التنازلات عن المبادئ

- هناك من يلجأ إلى بعض الأسباب التي توحى بعدم تمسكه بالإسلام كخلع حجاب زوجته لتصويرها بغية منحه الجنسية؟

• إنني أتصور ان الآخرين يحتقرون الذين يقومون بذلك لأنهم يحترمون الإنسان الذي يلتزم بزيمه الوطني أو الديني، ويحترمون الإنسان الذي يحافظ على عناصر شخصيته سواء كانت

دينية أو وطنية. ولعل قيمة الذهنية الغربية هي في احترامها لحرية الإنسان، ولهذا فإذا كان بعض المسلمين يرى أن حجاب زوجته يمكن أن يشكل نظرة سلبية إليه، فإن عليه أن يعرف بأن حجاب زوجته يشكل نظرة إيجابية بالنسبة للآخرين، فإن الذي لا يستطيع أن يخلص لدينه كيف تراه يمكن أن يخلص للناس الآخرين؟!

وإنني لأذكر قضية حدثت في أوائل هذا القرن، عندما كان المهاجرون اللبنانيون ومنهم المسلمون يذهبون إلى (ميشيغان) في ولاية (ديترويت) للعمل في مصانع (فورد) للسيارات التي كانت تجتذب العمال من مناطق الشرق. ذكر لي بعض المهاجرين هناك أن فربقاً منهم كانوا يتركون الصلاة لأنهم يخافون من النظرة السلبية التي تؤدي إلى إسقاط بعض حقوقهم أو ما إلى ذلك. ولكن كان هناك شخص يؤدي صلاته في مكان عمله، فحينما تأتي فرصة الغداء فإنه يبادر إلى الصلاة، ثم يأتي إلى العمل، وكان المشرف على شؤون العمال يراقبه، فقال له: إننا أعطيناك هذه الفرصة للغداء، فماذا تفعل فيها؟ فقال له: هل رأيتني مقصراً في عملي؟ قال: لا، ولكن ماذا تفعل في هذه الفترة؟ قال له: إنني أصلي، فقال له: إذا لك أن تترك العمل قبل نصف ساعة حتى ترتاح وتؤدي الصلاة!! وحينما جاءه الآخرون ليقولوا له أنهم مسلمون.. لم يأخذ بقولهم. وعندما جاء شهر رمضان كان الشخص المذكور يصوم والآخرون لا يصومون، وسأله المراقب فأخبره أنه يصوم شهر رمضان فمنحه مدة للإستراحة واعترض الآخرون، فقال لهم أنتم لستم بمسلمين!! فنحن نعتقد أن الآخرين يحترمون الإنسان الذي يلتزم بدينه بل ربما يثقون به أكثر، لأن الذي لا يحون الله لا يحون الناس، من يحون الله فلا بد أن يحون الناس.

التساهل في تعاطي المحرمات

- البعض يتساهل في تناول الأطعمة المحرمة خاصة في الفترة التي تسبق منحه اللجوء، بحجة أنه لا يستطيع البقاء على تناول الأطعمة النباتية عدة أشهر؟

- لا يجوز للإنسان ان يتناول المحرم إلا في حال الإضطراب، ومعنى الإضطراب أن يجشى على حياته أو على صحته من الوقوع في المرض. وعليه أن يتناول المحرمات بمقدار الضرورة كما يتناول لحم الميتة. فلا يجوز له ذلك لأن الله حصره بقوله (فمن أضر غير باغ ولا عادٍ فلا إثم عليه) والإضطراب، في هذا المجال، يعني أن الإنسان لو ترك هذا لفقد حياته أو لوقع في ضرر صحي كبير.

الحوم حول الشبهات

- البعض منا يضع نفسه بموقع الشبهة.
- يكره للإنسان أن يضع نفسه في مواقع التهمة. ومن وضع نفسه في مواضع التهم فلا يلومن

من أساء الظن به . وربما ترتفع القضية إلى حد الحرمة إذا كانت تستوجب هتك حرمة المؤمن، لأنه لا يجوز للمؤمن أن يهتك حرمة نفسه، كما لا يجوز له أن يهتك حرمة الآخرين.

- هناك بعض الأعمال التي قد تحوم حولها شبهة معينة، كالعامل في شركات تنتج منتجات محرمة مثلاً كالخمور أو لحم الخنزير أو الأسلحة الكيماوية أو غيرها؟

- لا يجوز المشاركة في عمل الشركات التي تنتج الخمور، أو التي تصنع الأسلحة الكيماوية، ولكن لنا رأياً في الشركات التي تقوم بتعليب لحم الخنزير، فيجوز أن تقدمه لمن يستحله، وإن كان الأفضل الإبتعاد عنه.

- والعمل في البنوك والمصارف الغربية التي تعمل بالفائدة؟

- إذا كان عمل الإنسان المسلم يتصل بالفائدة من خلال تشريع الفائدة وتطبيقها وتهيئة الجو لها، أما إذا كان عمله لا يتصل بذلك فيجوز.

- الضمان الإجتماعي في البلدان الغربية يكفل لكل لاجئ مستوى لائقاً من الحياة المعيشية من السكن والصحة وغيرها، لكن بعض اللاجئين يصرّون على العمل غير القانوني (الأسود) الذي يعاقب عليه القانون حتى لو غضّ النظر عنه في منطقة أو زمن ما؟

- أنا لا أجزئ ذلك، لأنه خلاف التعاقد، والله تعالى يقول (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود).

مستوى الإنفتاح على غير المسلمين

- نعيش بين ظهرائي المجتمع الغربي علاقات إيجابية مع البعض في تبادل التهاني والرسائل وبطاقات الدعوة للزيارة حيث يتسنى فتح باب الحوار حول الإسلام وبلداننا، فما هو رأيكم بهذا اللون من الإنفتاح؟

- نحن نؤكد على أن يتفاعل الإنسان المسلم الذي يملك الإمكانيات التي تحميه من التأثير بالآخرين وتمكنه من التأثير فيهم، وضرورة أن يتفاعل مع الآخرين من أجل أن يعطيهم الصورة الحقيقية الأخلاقية الحية، كما يعطيهم الصورة الحية عن الخط الإسلامي، وعن الفكر الإسلامي والعادات والتقاليد الإسلامية.

ونحن نلاحظ أن مجتمع المسلمين الأول يؤكد هذا المعنى، فمع أن المسلمين كانوا يعيشون الإختلاف مع اليهود والآخرين، لكننا لم نجد هناك مشكلة بين المسلمين وبين غيرهم، بل أن النبي (ص) أكد في وثيقة دينية على مسألة التعايش والتعاهد مع الآخرين بما يضمن حقوق المجتمع المسلم المتنوع.

- قد يتمسك البعض بفتاوي ربّما تبدو غريبة، كقولهم مثلاً لا يجوز بدء غير المسلم بالسلام، فما هي صحة ذلك؟

• ربّما يجد الإنسان في الفتاوى بعض العناصر التي توحى بأن المسألة هي أن كلمة السلام توحى بالإنفتاح الكامل بينك وبين الآخر بحيث تكون في حالة سلام معه في عقلك وقلبك.

بينما قد يتعقد الواقع الذي تعيشه كمسلم مع الآخر الذي لا يؤمن بالإسلام من الإسلام، لأنك تضاد فكره مما يخلق حاجزاً يحول بينك وبينه الأمر الذي يجعلك على الأقل في حالة تضاد بين عقلك وعقله، أو بين قلبك وقلبه فيما يتحسس قلبك أو يتحسس قلبه، أو في سلوكك وسلوكه. فقد تكون الخصوصية لكلمة السلام مما يستوحى من بعض الأحاديث أن الكفار في ذلك الوقت كانوا عندما يسلمون على المسلمين يقولون (السلام عليك) كما حدث من قبل بعض اليهود مع النبي (ص) حيث قال له (السلام عليك) وكأنه يظن أن النبي (ص) لا يلتفت إلى هذه اللعبة اللفظية، فقال له النبي (ص): (وعليك). وكانت عائشة إلى جانب النبي (ص) فعقبت اليهودي وكلمته بكلام قاس، فبادرها النبي (ص) بالقول: ((يا عائشة إن الفحش لو كان ممثلاً لكان مثال سوء، إن الرفق ما وضع على شيء إلا زانه ولا رفع عن شيء إلا شانه، وإن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف)) وقال لها، كما تذكر الرواية: إني رددت كلامه بمثله وانتهت المسألة عند هذا الحد، فلماذا هذه القسوة؟

فربما كانت المسألة خاضعة لما ذكرناه من بعض الظروف التي كان يعيشها بعض المسلمين مع غيرهم، ولكن العلماء أفتوا في القضية بشكل مطلق أخذاً ببعض النصوص التي تنهى عن بدء الكافر بالسلام، ولكن هذه المسألة إذا ثبتت في بعدها الشرعي من خلال الحديث فإنها تثبت بالعنوان الأولي. أما بالعنوان الثانوي عندما تفرض بعض المصالح المتصلة بواقع المسلمين في مجتمعات غير المسلمين أن يجادلوهم وأن يتحدثوا معهم بالتي هي أحسن والكلمة الطيبة، فإن ذلك يجعل مسألة السلام واردة في الحساب لاسيما إذا كان إطلاق المسلم لكلمة السلام يوحى بتأكيد التزامه بالتحية الإسلامية بالطريقة التي لا يختار غيرها مما يجعل المسألة تتصل بعناصر الشخصية الإسلامية لإلتزام الإنسان المسلم حتى في تحيته التي لا يتجاوزها إلى تحية الآخرين. ومما يجعل السلام غير محرج هو أنه يمكن للإنسان المسلم، لاسيما عندما يتصل بالآخرين الذين لا يعرفون اللغة العربية، أن يجيهم بالتحيات المعروفة في ذلك المجتمع أو بالتحيات المعروفة في مجتمعنا في الصباح وفي المساء.

فالمسألة تتصل بكلمة (السلام) ولا تتصل بالتحية لأن الله سبحانه وتعالى أرادنا أن نحّي الآخرين بالتي أحسن (وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) (الإسراء: ٥٣). فهي ليست موجهة للقول مع المسلمين بل مع كل الناس، وهكذا في كل الآيات التي تدل أن على الإنسان أن يرد التحية

بمثلها (وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا) (النساء: ٨٦). مما يوحي أن الإسلام يريد للإنسان المسلم أن يكون إنساناً منفتحاً على الآخرين بكل ما يجتذب قلوبهم وغير إحساسهم ويجعلهم منفتحين.

- في هذا المجال هناك أيضاً روايات عن الأئمة (ع) أنهم كانوا يعودون المرضى من غير المسلمين؟
• إنني أعتقد أن القضية لا تحتاج إلى مثل هذه الاستدلالات لأن الخط الإسلامي هو خط الرفق بالناس كافة (إذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِهُمْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ) (النحل: ١٢٥). فإذا كان الجدل بالتّي هي أحسن، والدفع بالتّي هي أحسن في حل المشاكل أو الصراع الفكري، فكيف بالعلاقات الإنسانية الطبيعية في مجتمع واحد يعيش فيه المسلمون وغيرهم على حد سواء.

إنني أعتقد أن العناوين الأخلاقية العامة التي ركّزها الإسلام بشكل شامل تكفي للدلالة على استحباب السلام بالنسبة للناس كافة.

- في العرف الغربي، تعتبر المصافحة وسيلة تبادل إحترام، فحينما تمتنع عن القيام بها فكأنك تخلّ باحترام الطرف الآخر، فالمصافحة بين الرجل والمرأة هناك لا يكاد يلحظ فيها المعنى الجنسي، فكيف ينظر الشرع لمثل هذه الحالة؟

• إن التشريع الإسلامي وضع ضوابط للمسألة الجنسية معينة تبدأ من الرقم الأول في ضبط إمكانات الإثارة ولو كانت بنسبة بسيطة جداً. ومن هنا حرّم النظر إلى أعضاء معينة في أجواء معينة. كما أنه لم يشجع الإختلاط حتى على نسبة أن المرأة إذا كانت جالسة في مكان فلا يجلس في مكانها حتى يبرد، أو الخلوة بين الرجل والمرأة، أو الملامسة التي منها المصافحة. وقد ورد أن النبي (ص) قال في حال البيعة ((إني لا أصافح النساء)). كما ورد في الحديث عن أئمة أهل البيت (ع) ((لا يصافح الرجل المرأة التي ليست بذات محرم إلا من وراء الحجاب ولا يغمز كفها)).

أن الإسلام يحاول أن يمنع الجانب السلبي في العلاقات بين الرجل والمرأة من خلال هذه المنظومة التربوية المتكاملة التي لو نظرت إلى كل واحدة بمفردها لما رأيت الكثير من التأثيرات السلبية فيها، ولكنك إذا جمعتها واعتبرتها من الأمور العادية فإنها يمكن أن تنتج أمراً غير عادي، لذلك ففي العنوان الأولي لا يجوز للرجل أن يصافح المرأة التي ليست بذات محرم، كما لا يجوز للمرأة أن تصافح الرجل الذي ليس بذات محرم.

ولكن هناك قاعدة قرآنية عامة وهي قوله تعالى (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) (الحج: ٧٨). و (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) (البقرة: ١٨٥). فإذا كان الإمتناع عن المصافحة

يسبب حرجاً للإنسان المسلم فيجوز له ذلك، والحرج هنا هو المشقة النفسية أو الجسدية التي لا تتحمل عادة بفعل الظروف الموضوعية المحيطة بالحالة الجسدية أو النفسية.

ومن هنا فإن على الإنسان المسلم الذي يعيش في تلك المجتمعات أن يأخذ بهذه الرخصة بمقدار ما يرتفع به الحرج، ويحاول معها أمكن أن يجتنب عن المواقع التي يضطرّ فيها إلى ذلك.

- هل يتعين علينا في كل عملية مصافحة أن نشرح للفتاة التي لا نريد مصافحتها بأن الدين الإسلامي يمنعنا من ذلك، أليس في مثل هذه العملية مشقة؟

لقد قلت إن مسألة الحرج هي المشقة النفسية التي يعيشها الإنسان أمام هذه الحالة. وقد تكون المسألة ناشئة من صعوبة أن تحدث الطرف الآخر الذي تحرم مصافحته عن الموضوع الإسلامي، أو قد تكون المسألة بأن الوقت لا يتسع لذلك، ولأن طبيعة الظروف قد تحول دونه، أو لأن الطرف الآخر يبقى سلبياً أمام المسألة بالمستوى الذي يضغط بسلبيته عليك وعلى ظروفك، وعلى أوضاعك ونفسيك.

لهذا، فإن القضية لا بد أن تدرس لدى الشخص المبتلى بهذا دراسة إيبانية واعية منفتحة على رقابة الله تعالى اهتداءً بقوله تعالى (بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ) (القيامة: ١٤).

الجمعيات الإسلامية في الغرب

- تمثل الجمعيات الإسلامية الإطار القانوني للنشاط الإسلامي في الغرب من خلال انفتاحها على الجماهير المسلمة من جانب وعلى المؤسسات الغربية ذات العلاقة بالمهاجرين من جانب آخر، فما هي توصياتكم للعاملين فيها؟

• إن قيمة الجمعيات الإسلامية في بلاد الغرب تتحرّك في خطين:

الخط الأول: وهو الأساس، وهو رعاية شؤون المسلمين ولا سيما المهاجرين، رعاية التزامهم الفكري والعلمي، وحياطة أوضاعهم الفردية والاجتماعية بحيث تنسجم مع مصالحهم ومع قضاياهم وأوضاعهم، وذلك بأن تمثل الجمعية المحضن الذي يحضن عقول المسلمين وقلوبهم وحياتهم بحيث يكون دورها دور الحاضن المربي الذي يحيط أولاده بالرعاية وينمّيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة.

وإن مثل هذا الدور لا يقوم به إلا المؤمنون الملتزمون الذين يهتمهم أمر الإسلام، وأمر المسلمين من حيث التزامهم أمام الله سبحانه وتعالى في رعاية أمورهم، فلا بد أن يكون المشرفون على الجمعيات الإسلامية من المؤمنين المتقين الصادقين، ولا بد للجميع أن يستمعوا لقول الله سبحانه وتعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) (التوبة: ١١٩). الذين صدقوا الله في أعمالهم وأقوالهم.

والخط الثاني: وهو الدعوة إلى الإسلام، فإني أدعو إلى أن يلتقي المثقون المسلمون، سواء كانوا علماء دين بالمعنى الرسمي أو لم يكونوا، في هذه الجمعيات ويدرسوا الخطة في الدعوة إلى الإسلام، وتبيان محاسن الإسلام وفضائله، بالإسلوب الذين يمكن أن يجذب الآخرين إلى الإسلام ليثقوا بقدرته على أن يحل مشكلة الإنسان ويرعى إنسانيته ويرسم السبيل إلى إنقاذه. وإني أجد أن هذا الحل هو من الواجبات الشرعية المتعينة على كل داعية، لأن الواجب إنها يكون كفاثياً إذا كان المسلمون كثيرين وتقوم الدعوة ببعضهم، أما إذا لم يكن هناك سوى أفراد قليلين فإننا نحتاج إلى أكثر منهم، فإن الواجب يكون عينياً.

وربما يقال أن هناك أدواراً اجتماعية وثقافية يملكها غيرنا، فقد نحتاج إلى مدرسة يعلم فيها أشخاص غير ملتزمين يملكون خبرة في التعليم، وربما تتحرك الجمعية في خط اجتماعي من غير الملتزمين ممن يملكون نشاطاً اجتماعياً أو فعالية، فلا أقول إن علينا أن لا نتعاون مع هؤلاء، ولكنني أقول إن علينا أن لا نعطي هؤلاء القيادة أو الإدارة.

وثمة نقطة أخرى لا بد أن أتبه إليها في هذا المجال وهي أن لغير الملتزمين مساحتهم وعلينا أن لا نعقد لهم بل أن نفتح لهم قلوبنا ونعمل على هدايتهم والاستفادة من طاقاتهم ولو بتقريبهم إلى جو الإسلام إذ لم يكن لنا أن نجعلهم ملتزمين حقيقيين.

المحاضن الإسلامية في الغرب

- تشيرون في أحاديثكم إلى المهاجرين إلى البلدان الأوربية إلى ضرورة تأسيس المحاضن الإسلامية سواء المدارس أو المساجد أو غيرها، وضرورة تجمّع المهاجرين في المناطق المتقاربة كما فعل اليهود.

• حتى في غير حال اليهود، كما هو الحال بالنسبة إلى الجالية الباكستانية أو اللبنانية أو غيرها، فالمهم أن تبقى الجالية المهاجرة تحافظ على شخصيتها باعتبار أنها تلتقي في مجتمع واحد وفي محلة واحدة، عندما تكون ولاية كبيرة، بحيث يشار إليهم كوجود متقارب متماسك، فإن هذه التجمعات المتجاورة التي تشبه التجمعات المتعلقة لا بالمعنى السلبي للإنغلاق، بل التي تعيش التقاليد والعادات واللغة المشتركة يمكن أن تحمي للإنسان المسلم شخصيته ولغته وأطفاله ودينه، مما يشكل لونا من ألوان الرقابة الاجتماعية داخل كيانها المستقل.

- أتم إذاً مع ترشيد الهجرة وتقوية أسسها بدلاً من دعوات منع الهجرة أو التشكيك بنوايا المهاجرين؟

- عندما تخضع الهجرة إلى تخطيط عام أو إلى تخطيط من خلال جمعيات أو مؤسسات معينة، فإنني أدعو إلى أن نأخذ من ثقافة الآخرين وتجاربهم، فنحن لا نستطيع أن نمتد بالإسلام إلى العالم إلا من خلال العنصر البشري، ولا يكفي أن تقدم فكر أو كتاباً أو فيلماً عن الإسلام، بل لا بد أن يصاحب ذلك وجود عنصر مسلم يعيش حيوية الإسلام ويعطي للناس صورة الإسلام الأخلاقية.

مراقبة الغربيين لسلوك المسلمين

- أتاحت هجرة المسلمين فرصة احتكاك الغربيين بالإسلام بعد أن كانوا يسمعون وربما يقرأون عنه، والقليل منهم من زار الإسلام في مواقعه وبلدانه، فالآن ينظر الغربي للإسلام من خلال سلوك المسلمين. والإنسان الغربي عموماً مضللّ إعلامياً تجاه الإسلام، وحينها يرى جاره المسلم أو زميله في العمل فإنه يرصد ويراقب ويحلل سلوكه، مما قد يدفعهم للتأثر بهذا السلوك. وهناك غربيون أسلموا بسبب سلوك إسلامي مؤثر، فكيف نوفق بين ما ندعيه من مثل وقيم تحفل بها كتبنا وأحاديثنا وبين سلوكنا وممارساتنا؟

- لعل المشكلة التي يعيشها الواقع الإسلامي في البلدان الإسلامية هي أن التربية القيمة والخلقية بعيدة عن اهتمامات العائلة، كما هي بعيدة عن اهتمامات المجتمع، حتى أننا نرى أن التأكيد على العبادات فيما هو جسم العبادة أكثر من التأكيد على العبادة فيما هي روح. لذلك فإننا نرى أنه لا بد للذين يهاجرون إلى هناك أن يعرفوا أنهم مسؤولون أمام الله في الصورة السلبية التي يقدمونها من خلال سلوكهم للآخرين، كما أنهم مسؤولون أمام الله في التزاماتهم الدينية فيما ينحرفون به عن خط الإلتزام الديني. وقد ورد في حديث الإمام الصادق (ع) لبعض أصحابه أنه قال ((الحسن من كل أحد حسن ومنكم أحسن لأنكم تنسبون إلينا، والقبيح من كل أحد قبيح ومنكم أقيح لأنكم تنسبون إلينا)).

فربما يكون للعمل السلبي بعد واحد عندما يعيش الإنسان المسلم في المجتمع الإسلامي، وهو البعد الشخصي إيجابياً أو سلباً، أما عندما يعيش في مجتمع غير إسلامي، فإن هناك بعداً خاصاً وآخر عاماً، فلا يجوز التساهل في البعد العام لأنه لا يمسّ شخصه فحسب بل يمس الخط الإسلامي في قيمه ومثله كما يمثل النظرة إلى واقع المسلمين.

الطلاق في المحاكم الغربية والطلاق السوري

- بالنسبة للطلاق الذي يجري في المحاكم الغربية، هل يعتبر تظليفاً شرعياً؟
- لا، لأن الطلاق في الإسلام يحتاج إلى صيغة معينة وإلى شروط معينة، فإذا لم تتحقق الشروط المعينة، ولم يكن القاضي مسلماً فإن المسلمة المطلقة بالقانون الغربي هي مطلقة غير شرعية.

ولعلنا نواجه في هذه الأيام الكثير من المشاكل عندما يحصل خلاف بين الزوجين، فتحكم الزوجة إلى القضاء المدني فيحكم بطلاقها، ولكن الزوج لم يطلقها شرعياً، وربما لا تكون هناك أسس لأن يطلقها الحاكم الشرعي، لذلك أصبحت المسألة تفرض نفسها في مشاكل عائلية بفعل هذه القوانين.

- قد يستغل البعض الطلاق فيقوم بتطليق زوجته أمام السلطات المحلية فتحصل على راتب ويقي يراجعها باعتبارها زوجته الشرعية، مما يسيء إلى الأطفال الذين يرون التناقض بين إدعاء الوالدين بالطلاق وبين الواقع، فضلاً عن نظرة الدوائر الحكومية إلى هذا التلاعب في حال اكتشافه؟

• إنني أحرم ذلك بالمطلق، من دون أية تحفظات، وذلك:

أولاً: لأن هذا كذب حتى لو كان على الكافر، لأن الكذب لا يُنظر فيه إلى شخصية المكذوب عليه، بل يُنظر فيه إلى شخصية الكاذب نفسه، فالمطلوب إسلامياً أن يكون الإنسان صادقاً مع نفسه ومع الآخرين.

ثانياً: إن هذا يؤدي إلى هتك حرمة المؤمن لأن الناس هناك سواء، فالسلطة أو الشعب عندما يجدون هذه المسلمة المؤمنة متقيّدة بالحجاب الشرعي، ويرون أن هذا المسلم يصلي ويصوم، وهما يتعايشان مع بعضهما كما يعيش الأزواج من دون علاقة زواج حسب القانون، فإن ذلك يعطي نظرة سلبية عن المسلمين.

والثالث: التأثير السلبي على الأولاد الذين ينتمون إلى أمهم وأبيهم كوالدين وينظرون إلى أن أباهم وأمهم يوافقان على أن يكون الأولاد الجدد الذين يولدون أولاداً غير شرعيين بحسب القانون.

وهناك نقطة رابعة: تتصل بالجانب العقدي وهي أن الأب والأم دخلا هذا البلد بفعل اللجوء الذي يتحوّل إلى عقد بين الدولة المضيفة وبين الشخص اللاجئ في أن عليه أن يعمل بقوانين البلد، ومن الطبيعي أن الدولة لا تسمح باختراق أو تجاوز أو تلاعب بقوانينها، فيكون عمله هذا نقضاً للعقد، ولذلك فإن المسألة تتصل بالجانب العقدي بالإضافة إلى العناوين الشرعية الأخرى.